

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن شرف رسله على غيرهم، وجعل أفضلهم خاتمهم نبينا محمدا صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بسنته وسار على نهجه. وبعد: فإنه في الآونة الأخيرة، ونتيجة لضعف المسلمين وتفرق كلمتهم، هانوا على الأعداء فأدى ذلك الهوان إلى ظهور ما تكنه الصدور من غل وعداوة للإسلام، وقد تبلور جل ذلك في التجرؤ على مقام النبوة، فتجاسرت فئام ممن لا مكان لهم، لا في العلم، بل ولا في العقل، على محاولة نسبة النقص لرسول الله ﷺ، وقد تصدى بسيف الحق كثيرون ممن لا مطمع لي بالوصول إلى شسع نعل أقرهم شأننا، ومع ذلك فإنني إدراكا للشواب، حاولت اللحاق بالركب بما وسعني ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾. فوضعت في سيرة الحبيب المصطفى هذه المنظومة التي أرجو لها فوق ما تستحق من القبول، وقد سميتها «النسمة المثيرة شذا عطور السيرة» تنبيهها على أنها لا تعدو لو وضعت بين ما ألف في هذا المضممار أن تكون قطعة نقع مرت بأزهار سيرته ﷺ فعلق بها من عبيرها ما قد يعطر فضاء بعض المحبين. وقد طبعت تلك المنظومة ضمن مجموعة من النظم لي في كتاب سميته «جهد المقل» ثم رأيت الآن أن أضع عليها تعليقا وأحاول نشرها مع التعليق في عمل مستقل لعل الله يرزقني وإياها القبول، فهو وحده المسئول.

النسمة المثيرة شذا عطور السيرة
بسم الله الرحمن الرحيم

زَوِيَّـدُ الْأَذَانِ ذُو الْعَجْزِ وَالنَّقْصَانِ
أَمَلُهُ الْقَبُولُ وَالْفَوْزُ إِذْ يَقُولُ:
بِالْحَمْدِ وَأَسْمِ اللَّهِ ثُمَّ صَلَاةِ اللَّهِ
بَدَأَتْ وَالسَّلَامِ عَلَى الْهَدَى الْإِمَامِ
وَأَلِهِ الْأَطْهَارِ وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ
وَبَعْدُ ذِي مَقَالِهِ وَضَعْتُهَا عَجَالِهِ
فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ أَلْمُصْطَفَى الرَّضِيِّ
سَمِيَّتُهَا مُحْتَسِبًا وَرَأَغِبًا وَرَاهِبًا
بِالنَّسْمَةِ الْمُثِيرَةِ شَذَا عُطُورِ السَّيْرِهِ
وَأَنَّنِي بِذَاكَ إِلَهِنَا رِضَاكَ
رَجَوْتُ فَارِضَ رَبِّي عَنِّي فَأَنْتَ حَسْبِي
وَأَحْفَظْ عَلَيَّ الدِّينَا وَثَبَّتْ أَلْيَقِينَا
وَوَالِدِيَّ فَارْحَمِ هُمَا وَكُلَّ مَنْتَمِ
إِلَيْهِمَا وَوَالِدِي يِهِمَا وَكُلَّ ذِي يَدِ
عَلَيَّ بِالْإِحْسَانِ مِنْ مُسْلِمِ آسَانِي
وَأَصْلِحِ الْأَوْلَادَا وَالزَّوْجَ وَالْأَحْفَادَا
وَالصَّحْبَ وَالْإِخْوَانَا وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَا
وَأَمِّـةَ الْإِسْلَامِ تَنْجُو مِنَ اللَّئِمَامِ
وَكَنْ لَنَا مُعِينَا وَنَاصِرَا .. آمِينَا

النسب الطاهر

قَدْ حَفِظَ الْأَطْهَارُ وَالصَّفْوَةَ الْأَخْيَارُ
أُرُومَةَ النَّبِيِّ خَيْرِ الْوَرَى النَّقِيِّ
نَسَبَهُ نَقِيًّا مُهَذَّبًا رَضِيًّا
فَكَانَ أَنْقَى النَّاسِ أَصْلًا بِلَا التَّبَاسِ
فَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ
لِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ
أَعْنِي قُصِيِّ بْنِ كَلَا
كَعْبِ لُؤَيِّ غَالِبِ
فَمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ
خَزِيمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ
فَمُضَرَ نَزَارِ
عَدْنَانَ ثُمَّ مَا اتَّحَدَ
بَعْدُ الثَّقَاتُ فِي أَحَدِ

مولده ورضاعه وشق صدره ﷺ

فِي دَارِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبِ الشَّهْمِ الْأَبِيِّ
فِي الْبَلَدِ الْمَعْمُورِ وُلِدَ فِي الْمَشْهُورِ
صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ فَصِيمَ نَدْبَ عَيْنِ
فِي ثَانِ عَشْرِ فَاعْقَلَ شَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

وَتَاسِعُ الشَّهْرِ حُكِي
عَامَ أَطَلَّ الْفَيْلُ
أَبْرَهَةَ الْحَرَامَا
وَأُمُّهُ الرَّحِيمَةَ
رَأَتْ كَأَنَّ نُورَا
فِي الشَّامِ وَالْفِضَاءَا
وَفَرِحَ الْجَدُّ لَدَى
سَمِيَّتِهِ مُحَمَّدَا
فِي الْقَوْمِ لَكِنْ قَدْ قَضَى
فَحَضْنَتَهُ بَرَكَهَ
وَأَرْضَعَتْ تُوَيْبَةَ
فَجِيءَ بِالنِّسَاءِ
مُقَابِلَ الْإِرْضَاعِ
فَانْقَلَبَتْ حَلِيمَةَ
تَحْمِلُ خَيْرَ رَاضِعٍ
مَنْ قَدْ أَرْدَنَ الْمَالَا
لَأَنَّهُ يَتَتِيمٌ
لَكِنَّهُ شَتَّانَا
وَمَا ظَنَّ إِذْ عَا
كَأَنَّهَا حِصَانٌ

تَصْحِيحُهُ فِي الْفَلَكِ
وَقَدْ غَزَا الرِّذِيلُ
فَانهَزَمَ انهَزَامَا
آمِنَةَ الْكَرِيمَةَ
يُنورُ الْقُصُورَا
مِنْ جِسْمِهَا أَضَاءَا
مَوْلِدِهِ وَأَنْشَدَا
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عَهْدَا
وَاللَّهُ مَا قَضَى مَضَى
فَائِزَةً بِالْبَرَكَهَ
نَبِينَا حَقِيبَةَ
يَرغَبُنَ فِي الْعَطَاءِ
لِكُلِّهِنَّ دَاعِ
عَزِيْرَةَ كَرِيْمَةَ
وَقَدْ رَأَى الْمَرَاضِعَ
إِرْضَاعَهُ مُحَالَا
فَرَفِدُهُ عَدِيمٌ
مَا بَيْنَ مَا قَدْ كَانَا
دَتِ الْأَتَانَ تَسْعَى
مُطَهَّمٌ مُصَانٌ

وَدَرَّتِ الضُّرُوعُ	وَمَاسَتِ الفُرُوعُ
كُلُّ بِفَضْلِ اللَّهِ	لِمَوْقِعِ الأَوَاهِ
وَلَمْ يَزَلْ مُبَارَكَا	هُنَاكَ أَوْ هُنَاكَ
أَوْ هَاهُنَا فَلَمَّا	لأَرْبَعِ أَتَمَّ مَا
وَفَدُّ المَلَائِكِ أَتَى	ضُحَى يَرَاهُمُ الفَتَى
بَعَيْنِهِ إِذْ شَقُّوا	فِي صَدْرِهِ لِيَنْقُوا
فُوَادَهُ مِنْ كُلِّ مَا	لَا يَنْبَغِي لِلْكَرَمَا
وَمُنْذُ ذَاكَ مَا خَطِرُ	بِبَالِهِ قَطُّ خَطِرُ
وَمَا أَتَى مُسْتَنْكَرَا	يَوْمَا وَلَا مُسْتَقْدَرَا
حَاشَاهُ لَا بَلَّ كَانَا	بَيْنَ الْوَرَى قُرَانَا

تَيْتَمُهُ ﷺ وَكَفَالَةَ جَدِّهِ ثُمَّ عَمَّهُ لَهُ

ضَمَّ أَبَاهُ اللَّحْدُ	وَهُوَ جَنِينٌ بَعْدُ
وَهُوَ ابْنُ سِتِّ ضَمًّا	مِثْلَ أَبِيهِ الأُمَّا
فَحَازَهُ وَقَدْ حَنَا	عَلَيْهِ جَدُّهُ هَنَا
وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ مَاتَا	مُعَيْلُهُ فَبَاتَا
فِي حِضْنِ عَمِّهِ أَبِي	طَالِبِ الشَّهْمِ الأَبِي
فَكَانَ أَحْنَى مِنْ حَمَى	أَفْضَلَ مِنْ تَيْتَمَا

الاستسقاء به ﷺ وقصة بحيرى الراهب

أَصَابَهُمْ بِالْحَبِّ	قَدْ اسْتَقَوْا مِنْ جَدْبٍ
صَبًا كَأَفْوَاهِ الْقَرْبِ	وَهُوَ صَغِيرٌ فَنَسَكَبَ
أَبْيَضٌ يُسْتَسْقَى بِهِ	وَذَاكَ قَوْلُ حَبِّهِ
بَلَغَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ	وَعِنْدَمَا لَاتْنِي عَشْرَ
بُحَيْرِ ذُو التَّجَارِبِ	مَعَ عَمِّهِ رَأَى النَّبِيَّ
لِلْعَالَمِينَ يُحْمَدُ	فَقَالَ هَذَا السَّيِّدُ
عَدُوَّهُ اللَّدُودَا	فَلْتَحَذَرُوا الْيَهُودَا
بِهِ وَمَا بِهِ عُرِفَ	لَعَلَّمَهُمْ بِمَا وُصِفَ
بِهِ فَكُمْ قَدْ سَفَكُوا	فَلَوْ رَأَوْهُ فَتَكُوا
خَيْرٌ وَلَكِنْ ضَيَعُوا	وَكَانَ أَنْ يَتَّبِعُوا
خَوْنَةَ أَشْرَارٍ	لَأَنَّهُمْ فَجَّارٌ

حضوره ﷺ حرب الفجار وحلف الفضول

فِيمَا رَوَى أَهْلُ السَّيْرِ	وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشْرَ
فِي قَوْمِهِ فَصَارَا	قَدْ شَهِدَ الْفَجَارَا
وَلَمْ يَخْضَ قِتَالَا	يُجَهِّزُ النَّبَالَا
فَاجْتَمَعَ الْأَخْيَارُ	وَأَنْتَهتِ الْفَجَارُ
وَأَشْهَدُوا الشُّهُودَا	فَوَثَّقُوا الْعُهُودَا
حَلَفَ الْفُضُولُ فَاعْلَمَ	فِي الْمَوْثِقِ الَّذِي سُمِّيَ
وَلَمْ يَكُنْ مَفْضُولَا	وَحَضَرَ الْفُضُولَا

بَلْ فَاقَهُمْ مَقَامَا وَإِنْ يَكُنْ غُلَامَا
 وَكَانَ نَعْمَ الشَّاهِدُ وَخَيْرَ مَنْ يُعَاهِدُ
 فَعَنَّهُ فِي الْمَنْقُولِ فِي أَشْهَرِ النُّقُولِ
 لَقَدْ شَهِدْتُ حَلْفَا قَدْ كَانَ بَرًّا صَرْفَا
 فَلَا أَرَى حُمْرَ النَّعَمِ بِهِ.. فَحَلَفُ انْبِرَمِ
 فِي دَارِ نَجْلِ جُدْعَا نَ إِنِّي لَوِ ادْعَى
 بِهِ بِلَاتِ تَوَانِ أَجَبْتُ مَنْ دَعَانِي

سفره صلى الله عليه وسلم تاجرا وزواجه من خديجة

فِي الْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ كَانَ مِنَ السَّنِينَا
 وَشَاعَتِ الْأَمَانَةُ عَنْهُ وَالْأَسْتِكَانَةُ
 لِأَفْضَلِ الصِّفَاتِ وَأَحْسَنِ السَّمَاتِ
 فَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ فَضْلِ خَيْرِ النَّاسِ
 مَا جَعَلَ الشَّرِيفَهُ خَدِيجَةَ الْعَفِيفَهُ
 تَدْعُوهُ لِلتَّجَارَةِ فَأَظْهَرَ الْمَهَارَةَ
 إِذْ قَصَدَ الشَّامَ مُتَا جَرًّا أَمِينَا فَآتَى
 بِأَوْفَرِ الْأَرْبَاحِ وَالْيَمَنِ وَالنَّجَاحِ
 وَبَانَ مِنْهُ الْفَضْلُ وَطُهِرَهُ وَالنُّبْلُ
 فَأَعْجَبَ الرَّفِيقَا مَيْسِرَةَ الصَّدِيقَا
 مَوْلَى خَدِيجَةَ الصَّفِيِّ فَجَاءَ يَمْدَحُ الْوَفِيِّ
 بِمَا رَأَى وَأَنْسَا فِيهِ لَدَى خَيْرِ النَّسَا

وَلَمْ تَكُنْ بِحَالٍ	وَلَمْ تَكُنْ بِحَالٍ
وَنَاهَزْتَ سَنِينَا	وَنَاهَزْتَ سَنِينَا
فَرَعَبْتَ فِيهِ فَأَبَدَ	فَرَعَبْتَ فِيهِ فَأَبَدَ
وَخَاتِمُ النَّبِينَا	وَخَاتِمُ النَّبِينَا
فَجَاءَتْ الصَّدِيقَةَ	فَجَاءَتْ الصَّدِيقَةَ
مِنْ أَمْرَهَا فَجَاءَ	مِنْ أَمْرَهَا فَجَاءَ
وَتَمَّ مَا تَمَنَّى	وَتَمَّ مَا تَمَنَّى
تَظْفَرُ بِمِثْلِ الْهَادِي	تَظْفَرُ بِمِثْلِ الْهَادِي
وَأَنْجَبَتْ لَهُ الْوَلَدَ	وَأَنْجَبَتْ لَهُ الْوَلَدَ
وَالصَّاحِبَ الصَّدِيقَا	وَالصَّاحِبَ الصَّدِيقَا
لَأَجَلِ ذَا مَا أَنْسَا	لَأَجَلِ ذَا مَا أَنْسَا
مِنْ قَبْلُ أَوْ مِنْ بَعْدُ	مِنْ قَبْلُ أَوْ مِنْ بَعْدُ
حَتَّى طَوَّاهَا اللَّحْدُ	حَتَّى طَوَّاهَا اللَّحْدُ

تجديد بناء الكعبة

ووضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر في مكانه

قَدْ كَانَ بِالتَّمَامِ	قَدْ كَانَ بِالتَّمَامِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ	مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ
أَنْ غَمَرَ الْعَتِيقَا	أَنْ غَمَرَ الْعَتِيقَا
فَانْهَدَّتِ الْأَرْكَانُ	فَانْهَدَّتِ الْأَرْكَانُ
فَقَرَّرُوا فِي الْحَالِ	فَقَرَّرُوا فِي الْحَالِ
بِنَاءَهُ جَدِيدًا	بِنَاءَهُ جَدِيدًا
لِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ	لِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ
عَلَيْهِ مَا تَنْزَلًا	عَلَيْهِ مَا تَنْزَلًا
سَيْلٌ يَلِي الْحَرِيقَا	سَيْلٌ يَلِي الْحَرِيقَا
وَقَوْضِ الْبُنْيَانِ	وَقَوْضِ الْبُنْيَانِ
بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ	بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ
مُدْعَمًا عَتِيدًا	مُدْعَمًا عَتِيدًا

وَكَانَتِ الْأَحْجَارُ وَمِنْهُمْ النَّبِيُّ
حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ جَمْعُهُمُ الْوَفَاقُ
لَمَّا تَنَازَعُوا عَلَى يَرْفَعُ ثُمَّ يَضَعُ
الْفَسَلَتِ الرِّمَاحُ حَتَّى رَأَى الْمَخْزُومِي
رَأْيًا إِلَيْهِ رَكَنُوا قَالَ يَكُونُ الْحُكْمُ
لِمَنْ يَكُونُ أَوْلَى مِنْ هَاهُنَا فَأَقْبَلَا
فَاسْتَقْبَلُوا الْأَمِينَا وَالْبَشْرَ وَالتَّرْحَابَ
فِي الْحَقِّ فَارْتَضَوْهُ فَبَسَطَ اللَّحَافَا
لِكُلِّ مَعْشَرٍ طَرْفَ فَرَفَعُوهُ وَالْحَجَرَ
ثُمَّ النَّبِيَّ قَامَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ
يَنْقُلُهَا الْأَخْيَارُ وَالطَّاهِرُ النَّقِيُّ
بِنَاؤُهُ وَعَمَّا أَشْرَفَ الْاِفْتِرَاقُ
مَنْ الَّذِي إِلَى الْعُلَى حَجَرَ حَيْثُ سِيحَلُ
وَقَعَقَعَ السَّلَاحُ ذُو النَّبَا الْمَعْلُومِ
وَعَوْلُوا وَسَكَنُوا فِي أَمْرِنَا وَالْقَسَمُ
آتِ إِلَيْنَا مُقْبَلَا مُحَمَّدُ خَيْرُ الْمَلَا
بِالْحُبِّ أَجْمَعِينَا إِذْ كَانَ لَا يُحَابِي
وَمَا قَضَى قَضَوْهُ وَأَخَذُوا الْأَطْرَافَا
بِرَفْعِهِ نَالَ الشَّرْفَ عَلَيْهِ دُونَ مَا ضَجَرَ
بِوَضْعِهِ تَمَامَا فِي الرُّكْنِ دُونَ خَيْفِهِ

وَهَكَذَا رَضُوا بِمَا قَضَى فَلَمْ تَسِلْ دَمًا
وَكَانَتِ الرَّقَابُ لِمَثَلِهَا تُصَابُ

بعض ما عرف به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة

عُرِفَ خَيْرُ الْخَلْقِ فِي قَوْمِهِ بِالصِّدْقِ
وَالْبِرِّ وَالْأَمَانَةِ وَالْجُودِ وَالرِّزَانَةِ
كَانَ وَلَمَّا يُبْعَثُ أَصْدَقُ مَنْ يُحَدِّثُ
بَلَى وَكَانَ أَوْفَرًا مُرُوءَةً وَأَغْزَرًا
بَدَلًا وَأَسْمَى خُلُقًا فِي قَوْمِهِ وَأَشْفَقًا
عُرِفَ بِالْوَفَاءِ وَالنُّبْلِ وَالسَّخَاءِ
يَحْمِلُ كُلَّ الْغَيْرِ وَيُرْتَجَى فِي الْخَيْرِ
يُقَدَّرُ الْأَمَانَةَ وَيَكْرَهُ الْخِيَانَةَ
يَحْتَرِمُ الْوَعُودًا وَيَصْدُقُ الْعَهُودًا
وَيَبْذُلُ الْمَعْرُوفًا وَالْفَأْمَالَ الْوَفَا
وَكَانَ لَيْنَ الْعَرِيَّةِ كَمِثْلِ الْمَظْهَرِ
أَحَبَّهُ النَّاسُ لِدَا وَغَيْرِهِ وَهَكَذَا
صَارَ سِمَ الْأَمِينِ قَبْلَ لَبَعَثِهِ لَهُ لَقَبُ

بعض المبشرات ببعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَيْسَ قَلِيلًا مَا أَتَى مُبَشِّرًا وَمُثَبِّتًا
نُبُوءَةَ الْبَشِيرِ وَالْخَاتِمِ النَّذِيرِ
مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ أَخْبَرَ مُوسَى بِهِ وَبَشَّرًا

عِيسَىٰ وَدَعْوَةَ الْخَلِي	لِ فَأَجَابَهَا الْعَلِي
بِمَبْعَثِ الْأَمِينِ	فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ
وَالْأُمَّ كَالضِّيَاءِ	يَصْعَدُ لِلسَّمَاءِ
رَأَتْهُ يَوْمَ وُلْدًا	مُمَجَّدًا مُحَمَّدًا
وَمَا جَرَى لِلْفِيلِ	وَجَيْشِهِ الْمَخْذُولِ
وَمَا رَأَتْ حَلِيمَةَ	مِنْ نَعَمٍ عَظِيمَةَ
فَهِيَ مُقَدَّمَاتُ	بِهِ مَبَشِّرَاتُ

بَدءُ نَزولِ الوَحْيِ عَلَيْهِ ﷺ

وَحَبِّبِ الْخَلَاءُ	إِلَيْهِ وَالْبَقَاءُ
فِيهِ لَيَالٍ عِدَّةٌ	فِي الْغَارِ فَرْدًا وَحِدَةً
فِي رَمَضَانَ مِنْ ثَلَاثِ	حَجَجٍ مُبْتَهَلًا
يَعْبُدُ مَنْ بَرَاهُ	بِمَا أَرَاهُ اللَّهَ
مُقَلَّبًا لِلْفِكْرِ	وَمُمَعِنًا فِي الْأَمْرِ
وَحِينَ أَرْبَعِينَ	أَكْمَلَهَا سَنِينًا
صَارَ يَرَى الْمَنَامَا	فَيَنْجَلِي تَمَامَا
عَمَّا رَأَهُ كَالْفَلَقِ	حَقًّا وَإِنَّهُ لَحَقُّ
وَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى	عَادَتِهِ إِذَا خَلَا
فِي غَارِهِ مَعزُولُ	إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ
بِأَقْرَأَ فَقَالَ يَدْرَأُ	عَنْ نَفْسِهِ: لَا أَقْرَأُ
فَضَمَّهُ وَضَمَّهُ	حَتَّى إِذَا مَا اغْتَمَّهُ

أَرْسَلَهُ وَقَالَ لَسْتُ بِقَارٍ فَنَطَقُ
فَعَادَ وَهُوَ يَرْجُفُ بِهِ يَقُولُ زَمَلُو
ثُمَّ حَكَى مَا قَدْ جَرَى فَقَالَتِ الْكَرِيمَةُ
كَلَّا فَلَنْ يُخْزِيكََا إِنَّكَ لِلْمَعْرُوفِ
وَإِنَّكَ الْوَصَّالُ لِلْكَلِّ وَالْمَعْدُومَا
تَنْصُرُهُ وَالضَّيْفَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ
ثُمَّ إِلَى الْمُبَجَّلِ أَخَذَتِ الْمُخْتَارَا
فَقَالَ: ذَا الْوَحْيِ قَدَرٌ وَإِنْ أَكُنْ إِذْ تَبَعَدُ
قَالَ: أَنَا مَقْصِيٌّ؟ وَالْوَحْيُ مَا تَوَاتَرَا
مَنْ بَعْدَهَا فَاهْتَمَّا بَلْ رُبَّمَا قَدْ هَمَّا
إِقْرَأْ فَقَالَ: لَا، لَا لَهُ بِسُورَةِ الْعَلَقِ
يُرِيدُ مَا يَلْتَحَفُ نِيَّ أَكَادُ أَخْبَلُ
لَعْرَسُهُ مِنْبَهْرَا خَدِيجَةُ الْعَظِيمَةُ
بِإِذْنِهِ بَارِيكََا عَاتِ بِلَا عَزُوفِ
رَحْمَكَ الْحَمَّالُ تُكْسِبُ وَالْمَظْلُومَا
تَقْرِيهِ، قُلْ لِي كَيْفَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ؟
وَرَقَّةَ بِنِ نَوْفَلِ يُخْبِرُهُ الْأَخْبَارَا
لَكَ، فَأَنْتَ الْمُنْتَظَرُ حَيَّا لَكُنْتُ أَحْمَدُ
قَالَ: كَذَا النَّبِيُّ تَنْزِلًا بَلْ فَتَرَا
نَبِيَّنَا وَاغْتَمَّا لِمَا بِهِ أَلَمَّا

مِنْ شَاهِقٍ أَنْ يَرْمِي	مَنْ عَانَتْ وَهَمٌ
هُمُومُهُ وَتَخْتَفِي	بِنَفْسِهِ كَيْ تَنْتَفِي
يُثْنِيهِ ثُمَّ يَتْرُكُ	فَيَتَرَاءَى الْمَلِكُ
حَتَّى إِذَا مَا أَنْسَا	مَكَانَهُ مُسْتَأْنَسَا
مُرْتَعِدًا مُخْتَلَجًا	عَاوَدَهُ الْوَحْيُ فَجَا
يَقُولُ دَثْرُونِي	خَوْفًا مِنَ الْأَمِينِ
بِأَنَّهُ النَّبِيُّ	وَأَيَقِنَ الرُّضِيَّ
لَيْسَ كَمَا يَخْشَاهُ	وَأَنْ مَا يَغْشَاهُ
أَتَى بِهِ جَبْرِيلُ	بَلْ ذَلِكَ التَّنْزِيلُ

ذكر بدء الدعوة وأول المسلمين إسلاماً

يَدْعُو الْوَرَى بِالرَّفْقِ	بَدَأَ خَيْرَ الْخَلْقِ
وَالصَّحْبَ وَالْحَبِيبَا	فَأَخْبَرَ الْقَرِيبَا
سَمُوا الرَّعِيلَ الْأَوْلَا	سِرًّا فَبَادَرَ الْأُلَى
وَخَيْرُ شَيْخٍ كَرَسَا	فَأَمَنْتَ خَيْرَ النَّسَا
وَخَيْرُ فِتْيَانِ الْعَرَبِ	لَدِينِهِ كُلِّ نَشَبِ
لِخَيْرِ مَوْلَى عُرْفَا	وَخَيْرِ مَوْلَى قَدْ وَفَى
يَقْدُمُهُمْ عَثْمَانُ	وَأَمِنَ الْأَعْيَانُ
وَالْمُعْتَقَ الْعَتِيقِ	عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ
فَأَتَمَرَ النَّبِيُّ	وَأَمَرَ الْعَلِيَّ
وَلَنْ لَذِي الْبَصِيرَةِ	أَنْ أَنْذَرَ الْعَشِيرَةَ

فَقَامَ يَجْمَعُ الْمَلَائِكَةَ
أَمْرَ الْإِلَهِ قَائِلًا
إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ
فَلَانَ عَمَّهُ أَبُو
لَكِنَّ ذَا الْكُفْرِ أَبَا
مِنْ قَوْمِهِ مُمْتَثِلًا
أَنَا الَّذِي قَدْ أُرْسِلًا
طُرًّا بِدِينِ الْحَقِّ
طَالِبِ الْمَهْدَبِ
لَهَبِ ثَنَاهُ فَأَبِي

الجهر بالدعوة

وَلَمْ يَنْزِلْ فِي السَّرِّ
يُنْذِرُ الْأَقْرَبِينَ
حَتَّى أَتَتْ فَاصْدَعْ بِمَا
زَالَ يُنَادِي الْبَادِي
حَتَّى إِذَا مَا اجْتَمَعُوا
قَالَ: أَرَيْتُمْ يُقْبَلُ
قَالُوا: نَعَمْ، مَا جُرِّبَا
قَالَ: أَنَا نَذِيرُ
فَقَالَ أَعْدَى الْقَوْمِ
تَبَّاءُ.. لَذَا تَدْعُونَا؟
إِذْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
مُتَثَلًا لِلْأَمْرِ
وَالصَّاحِبِ الْأَمِينَا
صَعْدَ قِمَّةً وَمَا
وَحَاضِرِ الْوَادِي
لِيَعْلَمُوا لَمْ دَعُوا
إِنْ قُلْتَ خِيَلًا تُقْبَلُ
أَنْ قُلْتَ يَوْمًا كَذِبًا
أُرْسَلَنِي الْخَبِيرُ
لِدَعْوَةِ الْكَرِيمِ
وَقَدْ غَدَا مَلْعُونًا
يُتْلَى مَدَى الزَّمَانِ
ذِي الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَتَبَّ

بعض ما لاقى صلى الله عليه وسلم من المستهزئين
وبدا الإيذاء له والاستهزاء

به غداة صدعا
 كان يقول الساخرو
 ذا ابن أبي كبشة يا
 ومنهم أبو لهب
 وهكذا الجيران
 فمنهم الزنيم
 وابن أبي معيط
 وغير هؤلاء
 كمن رمى السلى ومن
 وحامل اللواء
 فرعون ذي الأمة من
 لما رأى فحلا فهم
 وقد راه حينما
 من باعه الجمالا
 من ينصف المظلوما
 قالوا وهم يستهزئوا
 إيت النبي.. فأتى
 وقاصدا خير الورى
 فجاءه فأسرعا
 للعدل والإنصاف
 يدعو جميع من وعى
 ن الماكرون خسروا:
 تيه من السما النبأ
 وزوجه تبت وتب
 مستهزئون كانوا
 همزة لئيم
 عقبه ذو التفريط
 من كل ذي الأهواء
 وضع فرثا ذا عفن
 لواء الاستهزاء
 هم برضخه فعن
 برأسه ثم أنهزم
 ماطل يوم ظلما
 فجاء ثم قال:
 ويردع الظلوما؟
 ن بالنبي خسئوا:
 مستنجدا ذاك الفتى
 أشرفهم وأطهرا
 إليه خير من دعا
 إلى الشقي الجافي

فَدْعُرَ الشَّقِيَّ إِذْ طَرَقَ النَّبِيُّ
ثُمَّ أَتَى فِي الْحَالِ مُهْرُولًا بِالْمَالِ
فَذَهَلَ الْقَوْمُ لَمَّا رَأَوْا فَكَيْفَ وَلَمَّا؟!
فَقَالَ خَفْتُ لَمَّا رَأَيْتُ فَحَلَاهُمَا
بِأُمِّ رَأْسِي لَوْلَا أَنِّي أَجَبْتُ فِعْلًا
إِسْلَامَ عُمَرَ ثُمَّ حَمَزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أَمِنْ حَمَزَةَ الْأَسَدِ لَمَّا أَرَادَهَا الصَّمَدُ
فَذَاتَ يَوْمٍ صَادًا صَيْدًا وَحِينَ عَادَا
قَالَتْ لَهُ الْإِمَاءُ لَقَدْ جَرَى إِيْدَاءُ
لَابْنِ أَخِيكَ مِنْ أَبِي جَهْلِ الْأَثِيمِ الْمَذْنُبِ
فَثَارَتِ الْحَمِيَّةُ فِي نَفْسِهِ الْأَبِيَّةِ
وَضَرَبَ الْأَثِيمَا ذَا الْخَسَّةِ اللَّئِيمَا
وَقَالَ كَيْفَ تُفْزَعُ مَنْ دِينَهُ أَتَّبِعُ؟
ثُمَّ هَدَاهُ اللَّهُ لِلدِّينِ وَاجْتَبَاهُ
فَكَانَ فَارِسَ النَّبِيِّ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نَسَبِ
وَعُمَرَ اصْطَفَاهُ مَوْلَاهُ إِذْ هَدَاهُ
وَكَانَ كَالسَّيْفِ عَلَى دَاعِي الْهُدَى بَيْنَ الْمَلَآ
حَتَّى دَعَا النَّبِيَّ أَنْ يَهْدِيَ الْعَلِيَّ
لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ رَأْسًا مِنَ الْكِرَامِ
عُمَرَ أَوْ عُمَرَ فَقَا لَ مُخْلِصًا وَمُشْفِقًا

وَخَاضِعًا مُبْتَهَلًا:	إِلَهَنَا يَا ذَا الْعُلَا
أَعَزَّ هَذَا الْخَبْرًا	بِعَمْرٍو أَوْ بِعُمَرَا
أَيُّهُمَا أَحَبُّ	إِلَيْكَ أَنْتَ الرَّبُّ
فَخَرَجَ الْفَارُوقُ	وَإِنَّهُ حَنَّوَقُ
يَبْحَثُ عَمَّنْ تَابَا	يُذِيقُهُ الْعَذَابَا
فَقِيلَ أُخْتُكَ أَعْلَمَا	وَزَوْجُهَا قَدْ أَسْلَمَا
فَجَاءَهَا فَبَطَشَا	بِهَا فَرَقَّ وَانْتَشَا
وَطَلَبَ الْقُرْآنَا	يَقْرُؤُهُ فَلَانَا
وَقَالَ ذَا الْكَلَامِ	قَافِيهِ لَا يِلَامِ
وَقَالَ لِلدَّلِيلِ	بِنَا إِلَى الرَّسُولِ
فَجَاءَهُ فَأَسْلَمَا	وَقَالَ قَوْلًا كَرَمًا:
أَلَيْسَ بِالْبُرْهَانِ	هَذَا هُدَى الرَّحْمَنِ؟
فَقَالَ خَيْرُ النَّاسِ	بَلَى وَرَبُّ النَّاسِ
فَعِنْدَهَا قَالَ عُمَرُ	فَلنُظْهِرِ الْقَوْلَ الْأَبْرُ
فَظْهَرَ الْإِيمَانُ	وَخَسِيَ الشَّيْطَانُ
وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ	عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ

الحصار ومساومة المشركين له ﷺ

عَزَّ بِإِسْلَامِ عُمَرَ	وَحَمَزَةَ اللَّيْثِ الْهَضْرَ
دِينِ الْهُدَى ثُمَّ غَدَا	أَتْبَاعُهُ عَلَى هُدَى

لِلدِّينِ يُظْهِرُونَا	وَالْحَقَّ يُعْلِنُونَا
فَقَالَ قَائِلُ الْمَلَا	وَكَانَ ذَا رَأْيٍ جَلَا
يَا مَعْشَرَ الْقَوْمِ أَلا	نُعْطِي الْفَتَىٰ إِنْ قَبَلَا
أَمْرًا بِهِ يَكْفُ	عَنْ قَوْلِهِ فَتَصَفُّوَا
لَنَا الْأُمُورُ وَقَتَا	قَالُوا فَقُلْ مَا شِئْنَا
ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ	فَقَالَ خُذْ عَلَيَّا
عَهْدًا بِمَا تَشَاءُ	وَكَلُّهُ ثَنَاءُ
يَقُولُ أَنْتَ مِنَّا	كَمَا عَلِمْتَ إِنَّا
إِنْ رُمْتَ جَاهًا كَانَا	أَوْ رُمْتَ مُلْكَاهَانَا
أَوْ كُنْتَ ذَا اعْتِلَالٍ	تَشْفِي بِبَدْلِ الْمَالِ
قَالَ: أَقَدْ فَرَعْنَا	أَبَا الْوَلِيدِ أَنْتَا
قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَا	فَاسْمِعْ وَعِ الْمَقَالَا
ثُمَّ تَلَا مِنْ فُصِّلَتْ	حَتَّىٰ إِذَا مَا بَلَغَتْ
صَاعِقَةً رَجَاهُ	كَفًّا وَسَدَّ فَاهُ
وَعَادَ لِلْقَوْمِ بِمَا	وَعَىٰ وَمَا قَدْ عَلِمَا
وَكَانَ ذَا قَرِيحَةٍ	وَمَحَضَ النَّصِيحَةَ
قَالَ دَعُوا مُحَمَّدًا	وَشَأْنَهُ فَإِنْ عَدَا
عَلَيْهِ عَادَ سَرْنَا	أَوْ عَزَّ فَالْعِزُّ لَنَا
قَالُوا سَحَرْتَ وَأَبُوا	رَأْيَ الْحَكِيمِ وَجَفُّوا
وَكَانَ لَوْ رَضُوا بِمَا	قَدْ قَالَ كَانَ أَحْكَمَا

ثُمَّ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنْ	قَدْ أَمِنَ النَّبِيُّ لَنَا
تَطَّالَهُ وَأَنَّى	فَحَزَبَهُ أَطْمَأْنَا
وَأَعْلَنُوا جَهَارًا	دِينَهُمْ نَهَارًا
وَأَنَّهَمْ إِنْ قَتَلُوا	مُحَمَّدًا يَقْتَتِلُوا
مَعَ قَوْمِهِ جَمِيعًا	تَقَاتِلَا شَنِيعًا
فَقَرَّرُوا الْقَطِيعَةَ	قَطِيعَةً فَظِيعَهُ
أَلَّا يُبَاعَ مِنْ بَنِي	هَاشِمٍ أَيُّ ثَمَنٍ
أَوْ يُشْتَرَى أَوْ يُنْكَحَ	كَذَاكَ لَا يُصْطَلَحُ
مَعَهُمْ مَا لَمْ يَرَى	مُسَلِّمًا خَيْرَ الْوَرَى
لِيَقْتُلُوهُ خَابُوا	وَبِيسَمَا اسْتَطَابُوا
فَاسْتَكْتَبُوا ذَا الْإِثْمِ	كَاتَبَهُمْ بِالظُّلْمِ
وَكَتَبُوا صَحِيفَهُ	كَرِيهَةً سَخِيفَهُ
تُوثِقُ الْإِثَامَا	وَتَقْطَعُ الْأَرْحَامَا
وَمَرَّتِ السَّنُونَا	وَالْقَوْمُ صَامِدُونَا
وَمَعَشَرَ الْإِيمَانِ	يَدْعُونَ لِلرَّحْمَنِ
لَمْ يَثْنِهِمْ لُغُوبٌ	عَنْهُ وَلَا سَغُوبٌ
حَتَّى إِذَا مَا أَحْلَوْلَكَا	أَمْرَهُمْ وَأَشْتَبَكَا
بَدَتْ بِشَائِرِ الْفَرْجِ	تَلُوحُ وَأَنْزَاحُ الْحَرْجِ
أَكَلَتْ الْأَرْضَةَ مَا	عَدَا اسْمَهُ جَلَّ أَعْلَمَا
فِي عُهُدَةِ الْإِثَامِ	كُتِبَ مِنْ كَلَامِ

وَجَاءَ وَحْيُ اللَّهِ
 بِمَا جَرَى فَأَعْلَمَا
 شَكَّ فَقَالَ لَلْمَلَا
 الْأَمْرُ تَعَالَوْا لِنَرَى
 عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدْ قَالَهَا مُحَمَّدٌ
 تَعَالَوْا ابْتَلُوهُ
 قَالُوا لَقَدْ أَنْصَفْنَا
 وَعِنْدَمَا انْجَلَى الْخَبْرُ
 وَكَانَ فِي الْقَوْمِ سِرًّا
 هُمْ هَاشِمُ بْنُ عَمْرٍو
 وَابْنُ عَدِيٍّ الْمُطْعَمُ
 مَعَ أَبِي الْبُخْتَرِ فِي
 فَأَعْلَنُوا النَّقْضَ فَهَمُّ
 فَرَعُونَ وَالْأَمْرُ بِرِمِّ
 فَخَنَسَ الْأَثِيمُ
 وَهَكَذَا الْجَفَاءُ
 ثُمَّ أَتَى الْأَشْرَافُ
 ظُهُورَ دِينِ الْحَقِّ
 فَعَرَضُوا أَنْ يُتْرَكُوا
 لِأَحْمَدَ الْأَوَّاهِ
 نَبِيَّنَا الْعَمَّ فَمَا
 مِنْ قَوْمِهِ قَدْ انْجَلَى
 كِتَابِكُمْ كَيْفَ جَرَى
 فَقَدْ بَلَى وَاللَّهِ
 وَصَدَقَهُ مُؤَكَّدٌ
 إِنَّ خَانَ فَاقْتُلُوهُ
 بَذَا وَمَا جَنَفْنَا
 طَغَوْا وَقَالُوا قَدْ سَحَرَ
 سَاءَهُمْ مَا قَدْ جَرَى
 كَذَا زُهَيْرُ فَادِرٍ
 وَزَمْعَةُ فَاانْتَظَمُوا
 حَلَفَ لِنَقْضِ الْجَنْفِ
 بِرَدِّهِمْ وَالْأَمْرُ تَمُّ
 كَانَ بَلِيلٌ مَدْلِهِمْ
 وَغَيْظُهُ عَظِيمٌ
 يَهْزِمُهُ الْوَفَاءُ
 كُلُّهُمْ يَخَافُ
 لِعَمِّ خَيْرِ الْخَلْقِ
 لِشَأْنِهِمْ وَيَتْرَكُوا

لشأنه النبيا فقال بل عليا
نصحككم فقولوا كلممة تؤول
بها الأمور طرا إليكم فقرا
له بها فرعون ومثلها يكون
فقال قولوا فردا إلهنا فأبدي
ذو الجهل الاعتراضا ولم يكن تغاضي
وقال ذاك المبطل مستهزئا أتجعل
آلهة الكون إل لها واحدا؟ وقال : لا
ذلك لا يكون وأنصرف اللعين

عام الأحران :

وفاة أبي طالب فخديجة رضي الله عنها

في عام عشر عام أحزانه العظام
قد مات عم أحمددا وكان جاءه لدى
مماته فقالا ياعم قل مقالا
إن قلت مطيعا أكن لك الشفيعا
قل فردا الإله واكفر بما سواه
فقال إذ اغواه ذو الجهل واستهواه
والله جل قد قضى هو على ما قد مضى
من دين عبد المطلب ومن مضى من منتسب
فأشفق الرحيم نبينا الكريم

وَقَالَ لَا أَبْرَحُ دَا	عِيَا لَهُ مَدَى الْمَدَى
لَكِنْ إِذَا نُهِيتُ	مَنْ خَالِقِي أَنْتَهَيْتُ
وَلَمْ يَكُنْ حَاشَاهُ	قَطُّ عَصَى مَوْلَاهُ
وَدَامَ الْاسْتِغْفَارُ	لَهُ وَالْإِدْكَارُ
مِنْ دُونِ مَا انْقَطَاعُ	مِنْهُ وَنِعْمَ الدَّاعِي
حَتَّى إِلَى الْوَفِيِّ	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾
أَتَتْ مِنَ السَّمَاءِ	كَفَّ عَنِ الدُّعَاءِ
وَعَاصَ فِي الْأَحْزَانِ	بِمَوْتِ ذَاتِ الشَّانِ
خَدِيجَةَ الَّتِي لَهُ	نِعْمَ الْمُعِينِ حَوْلَهُ
بِعَطْفِهَا وَحُبِّهَا	فَكَانَ مَلَأَ قَلْبَهَا
أَسْتَهْ بِالْمَالِ مَدَدُ	وَأَنْجَبَتْ لَهُ الْوَلَدُ
وَأَمَنْتُ وَمَا اسْتَقَرُّ	الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ بَشَرٍ
بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ	فِي أَوَّلِ الْأَيَّامِ
لِذَا وَذَا تَلَقَّاهُ	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
يَغْتَمُّ ضِعْفَ غَمِّهِ	قَبْلَ لِمَوْتِ عَمِّهِ

الهجرتان إلى الحبشة

أَذِنَ بِالْفِرَارِ	بِالَّذِينَ لِلْأَبْرَارِ
نَبِينَا الْمُخْتَارِ	فَهَاجَرَ الْأَخْيَارِ
وَكَانَ فَوْقَ الْعَشْرِ	عَدَدُهُمْ فَلْتَدْرِ
وَبَيْنَهُمْ عَثْمَانُ	وَزَوْجُهُ فَكَانُوا

لَدَى مَلِيكَ الْحَبَشَةِ	قَدْ أَمْنُوا الْمُنَاوَشَةَ
بُرْهَةَ دَهْرٍ ثَمًّا	قِيلَ لَهُمْ قَدْ عَمَّا
مَكَّةَ دِينَ الْهَادِي	شَعَابَهَا وَالْوَادِي
فَفَرَحُوا وَرَجَعُوا	لِدَارِهِمْ فَفَجَعُوا
لَمَّا رَأَوْا مَا نَقَلَا	إِلَيْهِمْ قَدْ انْجَلَى
كَذِبُهُ فَعَادُوا	لِمِثْلِهَا وَزَادُوا
وَكَانَ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ	فَخَرَّ الشَّبَابُ الْأَخِيرُ
فَبَعَثَتْ خَلْفَ الْمَلَا	قُرَيْشٌ وَفَدَا نَقَلَا
إِلَى النَّجَاشِيِّ الْعَادِلِ	شَيْئًا مِنَ الْأَبَاطِلِ
وَرَاوَدَتْهُ بِالْهَدَا	يَا فَا بَا وَجَدَدًا
مَا كَانَ مِنْ أَمَانٍ	لِعُصْبَةِ الْإِيمَانِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ سَمِعَا	مِنْ جَعْفَرٍ كَمَا وَعَى
قَبْلُ مِنْ أَمْرِ مَرِيْمَا	فَقَالَ إِنَّ ذَا وَمَا
وَرَدَّ فِي الْإِنْجِيلِ	سَيَّانَ فِي التَّفْصِيلِ
وَإِنَّهُ الْحَقُّ وَمَا	عَدَاهُ زَيْغٌ وَعَمَّا

زواجه صلى الله عليه وسلم من سودة بنت زمعة

وَكَانَتْ أَوَّلُ النَّسَا	وَذَاكَ فِي عَامِ الْأَسَى
تَزَوَّجَتْ بَعْدَ خَدِيدِ	جَعَةَ بِخَيْرِ مُهْتَدِ
سَوْدَةَ ثُمَّ سَوْدَةَ	تَبَرَّعَتْ مَحْمُودَةَ
فِي آخِرِ الزَّمَانِ	لِلْبَضَّةِ الْحَصَانِ

الهجرة إلى الطائف

رَغِبَ خَيْرَ الْخَلْقِ فِي نَاصِرٍ لِلْحَقِّ
يُسَنِّدُهُ لِيُرْشِدَا ذَا الْعَالَمِينَ لِلْهُدَى
فَقَامَ مَعَهُ زَيْدٌ يَدْعُو وَلَا يَحِيدُ
عَنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ مُشْمَرًا فِي الْبَيْدِ
وَسَالَكََا لِلطَّائِفِ سَبِيلَ خَيْرِ طَائِفِ
يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
وَكُلُّ مَنْ دَعَاهُمْ فِي دَرَبِهِ قَدْ أَحْجَمُوا
حَتَّى إِلَى الطَّائِفِ جَا وَعَبْدٌ يَالِيلِ رَجَا
وَأَخْوِيهِ فَرَفَضُ وَأَخَوَاهُ مَا عَرَضُ
عَلَيْهِمْ مِنْ رُشْدٍ وَسَبَبٍ لِلسَّعْدِ
نَبِيَّنَا الْمُخْتَارِ وَاسْتَكْبَرُوا وَجَارُوا
وَكُلُّهُمْ قَدْ افْتَرَى إِفْكَاً قَبِيحاً وَازْدَرَى
فَقَامَ خَيْرُ النَّاسِ عَنْهُمْ بِلَا مُؤَاسِ
وَوَظَلَّ يَدْعُو النَّاسَا عَشْرًا وَكَمْ قَدْ قَاسَى
نَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ تُلْجِئُهُ الْغَوْغَاءُ
لِحَائِطِ لِابْنِي رَبِّي عَةً فَجَاءَ يَخْتَبِي
مَنْ سَطَوَةَ الْفُجَّارِ وَصَوْلَةَ الْأَشْرَارِ
وَقَامَ يَدْعُو رَبَّهُ دُعَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

يَشْكُو إِلَى الْمَنَّانِ	مِ الضَّعْفِ وَالْهَوَانِ
يَدْعُو وَيَسْتَعِيثُ:	لَاهُمَّ يَامَغِيثُ
لَا.. لَا تَكَلْنِي لِلْعَدَا	وَلَا إِلَى مَنْ بَعْدَا
مُعْتَصِمًا بِنُورِ	وَجْهِ عَظِيمِ النُّورِ
أَنْ يُغْضِبَ الرَّحْمَانَا	وَمَا سِوَاهَا هَانَا
يَرْجُو رِضَا الْإِلَهِ	وَالْحَوْلُ حَوْلُ اللَّهِ
فَأَشْفَقَا لِلنَّسَبِ	وَبَعَثَا بِالْعَنْبِ
وَعِنْدَمَا مَدَّ يَدَا	هُ ذَكَرَ اللَّهَ لَدَى
تَنَاوُلِ الطَّعَامِ	وَقَالَ لِلْغُلَامِ
لَمَّا رَأَهُ يَعْجَبُ	مِنْ قَوْلِهِ وَيَطْرَبُ:
مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ نَيْنَوَى	قَالَ الَّتِي قَدْ اِحْتَوَى
مَرْبِعُهَا دَارَ النَّبِيِّ	يُونُسَ قَالَ: عَجَبِي!
كَيْفَ عَرَفْتَ فَضْلَهُ؟	قَالَ أَلَسْتُ مِثْلَهُ؟
أَنَا نَبِيٌّ فَنَابِرَى	يَحْضُنُ أَشْرَفَ الْوَرَى
هُنَاكَ قَالَ السَّيِّدَا	نَ عَبْدُنَا قَدْ فَسَدَا
فَسَأَلَاهُ فَأَقْرَ	بِأَنَّ ذَا خَيْرِ الْبَشَرِ
قَالَا عَلَيْكَ دِينُكََا	فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكََا
وَقَامَ لَا يَلْوِي عَلَى	شَيْءٍ حَتَّى إِذَا اعْتَلَى
قَرْنَ الْمَنَازِلِ اسْتَظَلَ	ظِلَّ الْغَمَامِ فَأَطَلَ

جَبْرِيلُ فِي الْأَعَالِ	وَمَلِكُ الْجِبَالِ
نَادَى النَّبِيَّ قَائِلًا	مُرْنِي تَرَانِي مَائِلًا
وَمُطَبِقَ الْجِبَالِ	عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ
فَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ	دَاعِي الْهُدَى وَالرَّفْقِ
بَلْ إِنَّمَا رَجَاءُ	مَنْ رَافِعِ السَّمَاءِ
إِخْرَاجِ ذَاتِ يَوْمٍ	مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا	يُشْرِكُ بِاللَّهِ عِلًّا
قَالَ الْأَمِينُ عِنْدَهَا	مُجَدًّا مَنُوهَا
أَنْتَ رُوُوفٌ مَثَلَمَا	سَمَّاكَ رَافِعُ السَّمَا
ثُمَّ بَوَادِي نَخْلَةٍ	حَيْثُ اسْتِمَاعُ الْجَنَّةِ
لِلنُّورِ يَتْلُوهُ النَّبِيُّ	ذَا الْهَاشِمِيِّ الْعَرَبِيِّ
قَدْ قَرَّرَ الْمُقَامَا	نَبِيَّنَا أَيَّامَا
ثُمَّ أَرَادَ السَّفَرَا	مَيْمَمًا أُمَّ الْقُرَى
فَقَالَ زَيْدٌ كَيْفَا	وَأَخْرَجُوكَ حَيْفَا؟
فَقَالَ يَا زَيْدُ لَمَا	تَرَى مِنْ أَمْرِ عَظْمَا
سَوْفَ يَكُونُ فَرْجٌ	لَهُ وَمِنْهُ مَخْرَجٌ
وَالدِّينُ سَوْفَ يَظْهَرُ	وَاللَّهُ لِي سَيَنْصُرُ
ثُمَّ إِلَى حِرَاءِ	رَحَلِذَا رَجَاءِ
فَبَعَثَ الْخُزَاعِي	لَابْنَ شُرَيْقِ دَاعِ

وَلِسُهَيْلٍ أَنْ يُجِي	رَاهُ فَرَدًّا الْمُرْتَجِي
ثُمَّ إِلَى الْمَطْعَاءِ	الْمُطْعَمِ الشُّجَاعِ
بَعَثَ فَاسْتَجَابَا	وَأَحْضَرَ الْحَرَابَا
وَلَبَسَ السَّلَاحَا	وَقَوْمَهُ فَلَاحَا
مِنْهُ الْوَفَاءُ لَمَّا	لِقَوْمِهِ قَدَّ عَمَّا
بِقَوْلِهِ أَجْرْنَا	مَحَمَّداً وَإِنَّا
نَدْعُوهُ لِلدُّخُولِ	وَكَانَ لِلرَّسُولِ
وَفَاؤُهُ الْمَعْهُودِ	وَجُودُهُ الْمَحْمُودِ
إِذْ قَالَ يَوْمَ أَسْرَا	بِبَدْرِ الْأَسْرَى أَرَى
لَوْ كَانَ حَيًّا مُطْعَمِ	وَجَاءَنِي يُكَلِّمِ
فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى	كُنَّا لَهُمْ أَفْلَتْنَا

عرض الإسلام على القبائل

ثُمَّ إِلَى مَكَّةَ عَا	دَ زَائِدًا إِذَا دَعَا
فِي الْجِدِّ وَالنَّشَاطِ	يَدْعُو بِلَا إِفْرَاطِ
وَقَدْ دَعَا الْقَبَائِلَا	كَثِيرَةً قَلَائِلَا
وَالْجَمْعَ وَالْأَفْرَادَا	ضِعَافًا أَوْ شِدَادَا
كَمِثْلِ كَلْبٍ وَبَنِي	حَنِيفَةَ الَّتِي عُنِي
بِنُصْحِهَا فَأَقْدَعَتْ	فِي رَدِّهَا وَمَا اهْتَدَتْ
وَشَيْخُ آلِ صَعْصَعَةَ	نَدَمَهُ مَا نَفَعَهُ

لَكِنْ سُوَيْدٌ وَإِيَا سَ كَالْغَفَارِي اهْتَدِيَا
وَأَمَّنَ الطُّفَيْلُ وَكَادَ أَنْ يَحُولُ
أَهْلُ الضَّلَالِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَانْتَبَهَهَا
لَمَكْرَهُمْ فَقَدِمَا عَلَى النَّبِيِّ مُسْلِمَا
فَصَارَ ذَا نُورٍ يُضِي وَكَانَ فِي الْقَوْمِ رَضِي
فَوَعَدَ الرَّسُولَا أَنْ يَجْلِبَ الْقَبِيلَا
فَأَبْطَأَتْ لَكِنَّهُ جَاهِدَ مَا أَمَكْنَهُ
حَتَّى أَتَى فِي مَعْشَرِ مِنْ عَشْرَاتِ الْأَسْرِ
وَأَمَّنَ الْأَزْدِي ضَمَّادُ الْأَبِي
وَأَمَّنَتْ بُدُورُ كَانَتْ هِيَ الْبُدُورُ
لِلنُّورِ فِي الْمَدِينَةِ غَشَّتْهُمْ السَّكِينَةُ
بِأَمْرِ ذِي الْجَلَالِ لَيْلًا مِنَ اللَّيَالِ
بَيْنَا النَّبِيَّ بِمَنَى إِذَا بِقَوْمٍ حَسُنَا
أَمْرَهُمْ فِي السِّدِّينِ مِنْ بَعْدِ بِالْتَّمَكِينِ
كَانُوا مِنَ الْأَخْيَارِ مِنْ خَيْرَةِ الْأَنْصَارِ
سِتَّةَ أَبْطَالٍ رَجَا إِسْلَامَهُمْ فَعَرَجَا
يَدْعُوهُمْ فَأَمَّنُوا بِهِ لِمَا تَيَقَّنُوا
بِأَنَّهُ هُوَ النَّبِي مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ
وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَسْعَدُ وَجَابِرُ الْمَمَجَّدِ

وَعُقْبَةُ بْنُ نَابِي وَقُطْبَةُ الْأَقْطَابِ
وَعَوْفُ النَّجَارِيِّ وَسَادِسُ الْأَبْرَارِ
مُصَدِّقُكَ كَذَلِكَ رَافِعُ بْنُ مَالِكِ

زواجه ^{صلى الله عليه} بعائشة
سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ تَزَوَّجَ الْمُطَهَّرَةَ
أَحْمَدُ فِي زَمَانِ سِتِّ سِنِي الْحَصَانِ
عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ وَكَانَ فِي الْحَقِيقَةَ
دُخُولُهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَتَمَّتِ التَّسْعَ اعْلَمَا
أَوَّلَ أَعْوَامِ النَّبِيِّ مَهَاجِرًا بِيْثْرِبِ

الإسراء والمعراج
أُسْرِي قَطْعًا بِالنَّبِيِّ ذَاتَا بَغِيرِ كَذِبِ
مِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالنَّاسُ فِي مَنَامِ
صُحْبَةَ جَبْرِيلَ إِلَى أَقْصَى الْمَسَاجِدِ الْأُلَى
تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ بِهَا رَوَى الرَّوَاةُ
سِتًّا مِنْ الْأَقْوَالِ فِي عَامِهَا كَالْتَالِي
فِي عَامِ مَبْعَثِ النَّبِيِّ لِلطَّبْرِيِّ مُنْتَسِبِ
وَبَعْدَهُ لِلنَّوَوِيِّ بِخَمْسَةِ وَقَدْ رُوِيَ
فِي السَّبْعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبِ سِنِينَا
عَشْرَ خَلَّتْ لِلْبَعْثَةِ وَقِيلَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ

بِسِتَّةِ وَأَشْهُرٍ أَرْبَعَةَ فِي خَبَرِ
وَقَبْلَهَا بِاثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا وَأَرْبَعِ عَشَرَ
قَوْلَانِ مَرْوِيَانِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الشَّانِ
فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ بِمَكَّةِ الْغُرَاءِ
شَقَّ الْمَلَائِكُ الْكِرَاءِ مِ صَدْرِهِ خَيْرَ الْوَرَى
إِمَامِ الْأَوْلِيَانَا طُرًّا وَالْآخِرِينَا
نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي فِدَا النَّبِيِّ الْعَرَبِي
إِذْ يَمْتَطِي مُشْتَاقًا لِرَبِّهِ الْبُرَاقَا
مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِي فِي هِدَاةِ الْأَكْوَانِ
يَصْحَبُهُ جَبْرِيلُ وَحَاطَهُ الْجَلِيلُ
بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ
حَتَّى إِلَى الْقُدُسِ وَصَلَ وَعَنْ بُرَاقِهِ نَزَلَ
صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ
عَرَجَ فَالْتَقَاهُ آدَمُ إِذْ حَايَاهُ
مُعْتَرِفًا بِالثَّابِتِ لَهُ مِنَ الرَّسَالَةِ
وَفِي التِّي تَلِي لَقِي يَحْيَى وَعَيْسَى يَلْتَقِي
يُوسُفَ فِي الثَّلَاثَةِ إِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ
وَفِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ هَارُونَ ثُمَّ السَّادِسَةِ
رَأَى بِهَا الْكَرِيمَا أَعْنِي بِهِ الْكَلِيمَا

ثُمَّ الْخَلِيلُ كَانَ فِي سَابِعَةَ السَّبْعِ اصْطَفِي
 وَكُلُّهُمْ قَدْ شَهِدُوا بِأَنَّهُ الْمُمَجَّدُ
 وَأَنَّهُ الرَّسُولُ ذُو الْفَضْلِ لَا الْمَفْضُولُ
 بَكَى الْكَلِيمُ فَسَأَلَ: فَقَالَ لِلْأَمْرِ الْجَلَلُ
 هَذَا غُلَامٌ يُرْسَلُ بَعْدِي أَرَاهُ يَدْخُلُ
 أَضْعَافُ ضَعْفِ أُمَّتِي مِنْ قَوْمِهِ فِي الْجَنَّةِ
 ثُمَّ بِهِ إِلَى الْعَلَى عَرَجَ حَيْثُ نَزَلَا
 مَنْزِلَهُ الَّذِي عَلَى قُرْبٍ مِنَ اللَّهِ عَلَا
 وَعِنْدَهَا عَرَفَهُ مَوْلَاهُ مَا كَلَّفَهُ
 مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَدْ فَرَضَا خَمْسِينَ فَارْتَضَى الْقَضَا
 عَلَيْهِ لَكِنْ أَشْفَقَا مُوسَى عَلَيْنَا فَارْتَقَى
 نَبِيَّنَا إِلَى الْعَلِيِّ إِلَيْنَا نَعْمَ الْوَلِيِّ
 يُرَاجِعُ اللَّطِيفَا يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَا
 وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى الْخَمْسِ أَقَرَّ
 وَقَدْ رَأَى كُلَّ الْعَجَبِ لَيْلَتَهَا وَلَا عَجَبُ
 إِذْ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ خُصَّ بِالْإِسْرَاءِ
 فَبِالْفُؤَادِ أَوْ نَظَرَ لَيْلَتَهَا رَبُّ الْبَشَرِ
 وَرُؤْيَا الْأَمِينِ قَدْ كَانَ رَأْيِي عَيْنِ
 وَاخْتَارَ وَالْخِيَارُ لِلَّهِ وَالْقَرَارُ

لَمَّا عَلَيْهِ عُرِضًا	مِنَ الشَّرَابِ الْمُرْتَضَى
لَلْبَنِ فَقِيلَ قَدْ	وَقُفَّتَ لِلْفِعْلِ الْأَسَدُ
وَالْخَمْرُ لَوْ رَاقَ لَكََا	كَانَتْ غَوَتْ أُمَّتُكََا
وَالْمَا فَبِالْمَاءِ الْغُرْقُ	فَاخْتَرْتَ الْأَفْضَلَ بِحَقِّ
وَقَدْ رَأَى النَّيْلَ جَرَى	ثُمَّ الْفُرَاتَ فَدَرَى
بِأَنَّ سَاكِنِيهِمَا	إِسْلَامُهُمْ قَدْ حُتَمَا
رَأَى الْجَنَانَ وَرَأَى	خَازِنَهَا تَهَيَّأَ
كَمَا رَأَى الْأَمْلَاكََا	مُصْطَفَاةً هُنَاكََا
تُطِيعُ حِينَ تُؤْمَرُ	تَعْبُدُ لَيْسَ تَفْتَرُ
وَمَالِكَا ذَا النَّارِ	رَأَهُ ذَا الْكُفْرِ هَرَارِ
وَالنَّارَ قَدْ رَأَهَا	بِعَسٍ لِمَنْ يَغْشَاهَا
وَأَكَلُوا مَالَ الْيَتِيمِ	مِمَّ قَدْ رَأَى فِي الْمُثَبَّتِ
ذَلِكَ نَارًا تَدْخُلُ	أَفْوَاهَهُمْ وَتَنْزِلُ
مِن دُبُرِ الْأَثِيمِ	أَكَلَهَا الْمَلُومِ
وَأَكَلَ الرَّبَّيَا فَمَا	أَضْحَمَ بَطْنًا عَظْمًا
فَأَقْعَدَ الْمُرَابِي	يُدَاسُ فِي الْعَذَابِ
يَدُوسُهُ فِرْعَوْنُ	إِذْ يُعْرَضُ اللَّعِينُ
عَلَى الْجَحِيمِ فِي الْغَدَا	ةِ وَالْعَاشِيَّ أَبَدَا
وَذُو الزَّنَا الْغَثُّ النَّتْنُ	طَعَامُهُ فَقَدْ فُتِنُ

رَأَهُ وَالزَّوَانِي	يُدْخَلْنَ فِي أَمَانٍ
مَنْ لَيْسَ مِنْ صُلْبِ الْأَبِ	فِي بَيْتِهِ كَابِنِ حُبِّي
عُلِّقْنَ بِالْأَثْدَاءِ	فِي النَّارِ فِي أَزْدَرَاءِ
وَمَرَّ فِي الذَّهَابِ	بِالْعَيْرِ وَالْإِيَابِ
دَلَّ عَلَى بَعِيرٍ	نَدَّ لِأَهْلِ الْعَيْرِ
وَتَرَكَ الْإِنَاءَ	كَحَالِهِ وَالْمَاءَ
شَرِبَهُ وَأَخْبَرَ	صُبْحًا بِكُلِّمَا جَرَى
قَالَ بَلَغْتُ الْأَقْصَى	بَلْ فَوْقَهُ وَأَقْصَى
مَنْهُ بَلِ السَّمَاءِ	فَقِيلَ صِفْ فَجَاءَ
جَبْرِيلُ بِالْمَسْئُولِ	عَنْهُ إِلَى الرَّسُولِ
أَمَامَهُ فَالْمَسْجِدِ	لَمْ يَكُ قَطُّ أَبَدًا
قَبْلُ رَأَهُ مُطْلَقًا	وَعِنْدَ ذَاكَ طَفَقَا
يَصِفُهُ أَحْسَنَ مَا	يَكُونُ وَصَفُ عُلَمَاءِ
وَالْقَوْمِ صَامِتُونَ	وَلَا يُكَذِّبُونَ
وَمَقْدَمُ الْعَيْرِ أَبَا	نَ وَقْتَهُ فَمَارَبَا
وَكَانَ أَنْ يُصَدِّقُوا	خَيْرٌ وَلَكِنْ مَرَّقُوا
فَضَلَ جُلُّ الْقَوْمِ	كَالْجَاهِلِ الظُّلُومِ
وَرَبَّمَا شَكَّ نَفَرٌ	لَمْ يَكُ حِينَهَا اسْتَقَرَّ
عِنْدَهُمُ الْإِيمَانُ	أَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ

وَتَبَّتْ اللَّهُ عَلَى دِينَ الْهُدَى مِنْ كَمَلًا
إِيمَانُهُ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ لِذَلِكَ حُبِّي ٦٠٠
بَلَقَبَ الصَّادِقِ لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ

بيعة العقبة الأولى

جَا عَشْرَةٌ فِي الْمُعْتَبَرِ وَاثْنَانِ عَامِ اثْنِي عَشْرَ
مِنْ بَعَثَةِ الْمُخْتَارِ مِنْ خَيْرَةِ الْأَنْصَارِ
لِبَيْعَةِ النَّبِيِّ وَهُمْ عَلَى الْمَرْوِيِّ
مُعَاذُ ابْنِ الْحَارِثِ ذَكَوَانُ ثُمَّ الثَّالِثُ
عُوَيْمُ زِدْ عِبَادَةَ ثُمَّ يَزِيدُ فَالْفَتَى
عَبَّاسٌ مَعَهُمْ أَبُو الْهَيْثَمِ ثُمَّ جَاءَ كُلُّ
مَنْ أَسْلَمُوا فِي الْعَامِ قَبْلُ سِوَى الْهَمَامِ
نَجْلُ رِئَابِ جَابِرٍ فَمَا أَتَى فِي الْآخِرِ
بَيْعَةَ هَؤُلَاءِ كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ
وَذَاكَ فِي الْعَقْبَةِ لِذَا بِهَا سُمِّيَتْ

سفارة مصعب إلى المدينة

وَبَعَثَ الرَّسُولُ سَفِيرَهُ يَقُولُ
بِقَوْلِهِ فِي يَثْرِبِ حَيْثُ انْتَصَارُ مُصْعَبِ
بِقُوَّةِ الْبُرْهَانِ وَحِكْمَةِ الْإِيمَانِ
فَنَزَلَ السَّفِيرُ يَحُوطُهُ الْقَدِيرُ

بَنَصْرِهِ بِالْأَسْعَدِ	نَجَلَ زُرَّارَ الْمُهْتَدِي
فَخَرَجَا لِمَعْشَرَ	الْأَشْهَلِ مِثْلَ ظَفَرِ
فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمَا	رِجَالُ شَأْنٍ عَظْمَا
فَاغْتَاظَ سَيِّدَانِ	إِذْ ذَاكَ جَا حِدَانِ
هُمَا أَسِيدُ سَعْدِ	نَجَلَ مُعَاذِ يَبْدِ
فَقَالَ سَعْدُ يَا أَسِي	دُ اَزْجُرْهُمَا أَيَا أُخِي
فَأَخَذَ السَّلَاحَا	أَسِيدُ ثُمَّ رَا حَا
مُهَدِّدًا مُزْمَجِرَا	فَقَالَ مُصْعَبُ أَرَى
أَنْ تَسْمَعَ الْكَلَامَا	وَقَبْلُ لَا مَلَامَا
فَمَا رَضِيَتْ تَقْبِلُ	وَمَا كَرِهَتْ يُعْزَلُ
قَالَ: لَقَدْ أَنْصَفْتَا	فَهَاتِ مَا ذَكَرْتَا
فَأَحْسَنَ الْبَيَانَا	وَقَرَأَ الْقُرْآنَا
مُصْعَبُ حَيْثُ اقْتَنَعَا	أَسِيدُ بَيْنَمَا دَعَا
سَعْدًا فَجَاءَ سَعْدُ	مِثْلَ أَسِيدِ يَعْدُو
وَسَمِعَ الْبُرْهَانَا	فَأَعْلَنَ الْإِيمَانَا
وَعَرَضَ الدِّينَ عَلَى	قَبِيلِهِ فَقَبِلَا
وَهَكَذَا تَغْلَغَلَا	دِينَ الْهُدَى وَدَخَلَا
كُلَّ بُيُوتِ الْخَزْرَجِ	وَالْأَوْسِ دُونَ حَرَجِ
حَتَّى إِذَا مَا خَرَجَا	مُصْعَبُ لِلْمَوْسِمِ جَا

أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ لِحَجِّ مُؤْمِنِينَ

بيعة العقبة الثانية

عَامَ ثَلَاثَةِ عَشْرٍ مِنْ بَعْتَةِ الْهَادِي الْأَبْرَ
بَايَعَ فِي الْحَجِّ النَّبِيَّ خَيْرَةَ أَهْلِ يَثْرِبَ
سَبْعُونَ جَاءُوا وَثَلَاثَةَ رِجَالٍ كَمَلًا
إِيمَانُهُمْ وَأَمْرَاتَانِ كَانَتَا آمِنَتَا
هُمَا كَمَا فِي خَبَرٍ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ دُرِي
أَمْ مَنْيَعِ أَسْمَاءُ وَنَسِيبِ الْأَسْمَى
تَوَاعَدُوا فِي السَّرِّ مَعَ النَّبِيِّ الْأَبْرَ
عَلَى اللَّقَا فِي ظِلْمَةِ لَيْلِهَا فِي الْمَوْعِدِ
لَيْلِهَا فِي الْمَوْعِدِ وَالْمَنْزِلِ الْمُحَدَّدِ
تَقَاطَرَ الْأَنْصَارُ وَالصَّفْوَةَ الْأَخْيَارُ
فَاسْتَقْبَلُوا خَيْرَ الْوَرَى أَعْفَهُمْ وَأَطْهَرَ
أَرْحَمَهُمْ وَأَشْفَقَا أَعْدَلَهُمْ وَأَصْدَقَا
أَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ أَحْرَاهُمْ بِالْحَمْدِ
خَاتِمَةَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ مِ خَيْرٍ مِنْ سَادِ الْوَرَى
جَاءَ وَنَامَ النَّاسُ يَصْحَبُهُ الْعَبَّاسُ
يَكْلُوهُ الرَّحْمَنُ بِرَهَائِهِ الْقُرْآنُ
فَقَامَ عَمُّ أَحْمَدًا مِنْوَهَا مُمَجِّدًا

مُذَكَّرًا بِعَظْمٍ	شَأْنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَا	إِذْ ذَاكَ لَكِنْ صَمَمَا
عَلَى حُضُورِ الْمَجْلِسِ	وَوَضَعَ تِلْكَ الْأُسُسِ
فَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ	فِي قَوْمِهِ مُبْجَلٌ
وَاخْتَارَكُمْ فَقَرَّرُوا	إِنْ كَانَ سَوْفَ يَنْصُرُ
لَدَيْكُمْ أَوْ يُخَذَلُ	فَلتَتْرُكُوهُ أَفْضَلُ
فَقَالَ كَعْبٌ خَذَلَكَا	كَمَا تَشَاءُ وَرَبِّكََا
مِنْ عَهْدِنَا فَإِنَّا	مُبَايَعُوكَ كُنَّا
فَقَالَ أَنْ تُطِيعُوا	أَمْرِي وَلَنْ تَضِيعُوا
فَلَكُمْ الْغُفْرَانُ	وَلَكُمْ الْجِنَانُ
وَتَمْنَعُونِي الْعِدَا	حَمَى الرَّحِيمِ الْوَلَدَا
فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ	أَبْعَدَ نَصْرٍ تَرْحَلُ؟
تَبَسَّمَ الْوَفِيُّ	وَالرَّحْمَةُ الرِّضِيُّ
نَبِينَا فَقَالَ لَا	أَبْرَحُ دَارَكُمْ إِلَى
غَيْرِكُمْ فَأَنْتُمْ	مِنَّا وَنَحْنُ مِنْكُمْ
فَبَادَرَ الْقَوْمُ إِلَى	بَيْعَتِهِ فَأَقْبَلَا
يُصَافِحُ الرَّجَالَا	أَمَّا النَّسَاءُ فَلَا، لَا
ثُمَّ لَكِي يُوثِقُوا	بَيْعَتَهُمْ قَالَ انْتَقُوا
جَمْعًا يَكُونُ نَقْبَا	فَوَافِقُوا وَأَنْتَخِبَا

لذَٰلِكَ أَثْنَا عَشْرًا بِيَانِهِمْ كَمَا تَرَى
أَسْعَدُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مَعَ ابْنِ رَوَاحَةَ الْأَبِيِّ
رَافِعُ فَابْنُ ابْنِ حَرَا مَعَهُ الشَّهْمُ الْبَرَا
عِبَادَةُ الْمُنْذِرِ فَابُ مِنْ ابْنِ دَلِيمِ الْمُنْتَخَبِ
وَهَؤُلَاءِ خَزْرَجُ ثُمَّ الَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ مَعْشَرِ الْأَوْسِ ثَلَاثَةٌ هُمْ عَلَى الْوَلَا
رِفَاعَةُ أَوْ قُلُوبُ أَبِي أَلَدٍ هَيْثُمْ ضَفَّ سَعْدًا وَقُلُوبُ
هُوَ ابْنُ خَيْثَمَةَ ضَفَّ نَجْلَ حُضَيْرٍ قَدْ عُرِفَ
قَوْلُ النَّبِيِّ لِأَوْلَادِهِ أَنْتُمْ لَكُمْ كُفْلًا
وَإِنِّي كَفِيلٌ قَوْمِي أَنَا الرَّسُولُ
وَبِاِكْتِمَالِ مَا قَصَدْتُ بِفَضْلِ مَنْ بَلََا عَمْدُ
رَفَعَ دُونَ مَا عَنَّا سَبْعًا طَبَاقًا فَوْقَنَا
كَشَفَ إِبْلِيسُ الْخَسِيئَةَ سُبُلَ قَبْلِ فَضْلِ الْمَجْلِسِ
أَمْرَهُمْ فَصَاحَا بِحِزْبِهِ : قَدْ لَاحَا
خَطَرُ مَا تَخْشَوْنَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ فَجَنُ
جُنُونَ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالْأَفْتِرَا وَالْإِفْكَ
قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ لِأَفْرَعْنُ وَاللَّهِ
لَكَ عَدُوُّ اللَّهِ يَوْمًا بِإِذْنِ اللَّهِ
هَذَا أَزْبُ الْعَقَبَةِ شَيْطَانُهَا قَدْ انْتَبَهَ

وَقَالَ فِي الْأَنْصَارِ فَتَى عَلَى اقْتِدَارِ
 إِنَّ شِئْتَ قَتَلَهُمْ أَمْرٌ تَنَا فَقَالَ لَمْ نَقْرُ
 وَرَامَ أَهْلَ الْكُفْرِ جَلَاءَ كُنْهُ الْأَمْرِ
 فَأَرْسَلُوا مَنْ يَسْأَلُ عَنْ مَا جَرَى لِيَعْقِلُوا
 فَأَنْكَرَ الْفُجَّارُ وَسَكَتَ الْأَبْرَارُ
 حَتَّى تَأْكُدَ الْخَبِرُ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ فَقُرُ
 قَرَارُ مَكَّةَ عَلَى قِتَالِهِمْ حِينَ خَلَا
 مِنَ الْمَلَا الْمَكَانُوا فَاسْتَنْفَرَ الشَّيْطَانُ
 ٧٠٠ جُنُودَهُ فَطَارَدُوا وَفَدَّ الْهُدَى فَوَجَدُوا
 نَجَلَ عُبَادَةَ فَظَلَّ أَسِيرَ ذِي الشَّرْكِ الْأَضْلُ
 حَتَّى أَتَاهُ الْمُطْعَمُ لِمَا لَهُ مُقَدَّمُ
 مِنَ الْأَيْدِي عِنْدَهُ فَفَكَهَّ وَرَدَّهُ
 لَلْقَوْمِ إِذْ أَقْرُوا لَوْلَمْ يَجِيءْ لَكَرُوا
 فَاسْتُونَفَ الْمَسِيرُ إِذْ حُرِّرَ الْأَسِيرُ

الهجرة إلى المدينة

بَدَتْ بِشَائِرِ الْفَرَجِ وَالْيَمْنِ وَانْتَفَى الْحَرْجُ
 إِذْ جَاءَ الْأَذْنَ بَانَتْقَا لِمَنْ هُمْ أَهْلُ التُّقَى
 بِدِينِهِمْ لِيَثْرِبَ دَارِ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ
 وَكَانَ قَدْ رَأَاهَا فِي النَّوْمِ فَارْتَضَاهَا

وَذَٰكَ بَعْدَ الْعَقَبَةِ بِعَتَهَا الْمُحَبَّبَةَ
 فَبَدَأَتْ طَلَائِعُ الْدُ مَهَاجِرِينَ تَنْتَقِلُ
 وَكَانَ فِي الْخَفَاءِ رَحِيلَ هَؤُلَاءِ
 وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ نَفْرًا مِنْهُمْ صَهِيْبٌ وَعُمْرُ
 وَأَغْلَبَ الْقَوْمَ سَتْرًا خُرُوجَهُ عَمَّنْ كَفَرُ
 وَمَنَعَ الْكُفَّارَ مُسْتَضْعَفِينَ جَارُوا
 عَلَيْهِمْ وَأَخْرَأَ نَبِيْنَا خَيْرَ الْوَرَى
 صَدِيقَهُ لِيَرْحَلَا مَعَا وَأَخْرَ الْجَلَا
 عَلِيٌّ وَالصِّدِّيقُ أَعَدَّ مَا يَلِيقُ
 بِالْأَمْرِ مِنْ مَرْكُوبٍ لَهُ وَلِلْمَحْبُوبِ
 وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَظِرًا نَبِيْنَا أَنْ يُؤْمَرَا
 حَتَّى أَتَاهُ الْأَمْرُ وَقَدْ تَنَادَى الْكُفْرُ
 يَقُودُهُ الشَّيْطَانُ وَنَهَجَهُ الطُّغْيَانُ
 قَالُوا لِنَنْفِهِ أَبِي شُوَيْخٍ نَجْدٍ مُعْرِبَا
 عَنْ خَوْفٍ أَنْ يَغْزُوَ مَعَهُ عَوْنٌ لَهُ قَالَ لُكْعُ
 مِنْهُمْ أَرَى أَنْ يُحْبَسَا حَتَّى يَمُوتَ ذَا أَسَا
 فَقَالَ إِبْلِيسُ وَذَا لَيْسَ بِرَأْيٍ يُحْتَذَى
 فَحَزَبُ ذَلِكَ الْفَتَى لَمُنْقَذُوهُ فَآتَى
 رَأْيَ أَبِي جَهْلٍ مُوَا فَقَالَ لِإِبْلِيسَ هَوَى

مَضْمُونُهُ انْتِخَابُ
مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ فَتَى
بِضَرْبَةِ تَوَاطُؤُوا
يَضِيعُ عِنْدَهَا دَمٌ
وَأَقْبَلَ الشَّرْكَ عَلَى
وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ
بِخُطَّةِ الْأَشْرَارِ
بِالَّذِينَ فُورًا دُونَ مَا
ظَهَرَ عَلَى الصَّدِيقِ
يُخْبِرُهُ بِمَا جَرَى
قَالَ أَلَا أَصْحَبُكَ؟
وَبَيْتِ الطُّغَاةِ
حَلَقَةً حَوْلَ النَّبِيِّ
وَاللَّهُ خَيْرٌ وَاقٍ
وَكَانَ أَمْرٌ لِعَلِيِّ
بِالنَّوْمِ فِي مَرْقَدِهِ
وَأَمِنَّا مَكْرَ الْعِدَا
إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ
إِلَيْكَ نَمَّ قَرِيرًا
جَلَدٌ وَلَا يَهَابُ
يَجْتَمِعُونَ وَمَتَى
عَلَى النَّبِيِّ خَسُّوا
مُحَمَّدٍ بَيْنَهُمْ
فُجُورُهُ فَنَزَلَا
يُخْبِرُ خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَالِإِذْنَ بِالْفِرَارِ
تَأْخِرُ فَقَدِمَا
وَالصَّاحِبِ الرَّفِيقِ
وَمَا عَنِ الْوَحْيِ دَرَى
فَقَالَ ذَلِكَ لَكَ
لَجْرْمِهِمْ فَبَاتُوا
فَدَتُهُ أُمِّي وَأَبِي
مِنْ عُسْبَةِ الشَّقَاقِ
نَعَمَ الرَّفِيقُ وَالْوَلِيُّ
مُسْتَتِرًا بِبُرْدِهِ
لِقَوْلِ أَهْدَى مِنْ هَدَى
لَنْ يَصَلُّوا وَاللَّهُ
عَيْنٍ وَكُنْ صَبُورًا

وَدَارَ بِالْجُهَّالِ يَذُرُوا وَلَا يُبَالِ
فَوْقَهُمُ الْغُبَارَا مُرَدِّدًا جَهَارَا
لَا يُبْصِرُونَ مَعَ شَا هَتَّ الْوُجُوهُ وَمَشَى
مِنْ بَيْنِهِمْ حُرًّا طَلِي قَا صَانَهُ الْمَوْلَى الْعَلِي
وَبُهَتِ الْكُفَّارُ فِي الْعَدِ وَاسْتَطَارُوا
إِذْ فُوجِئُوا بِابْنِ أَبِي طَالِبِ الشَّهْمِ الْأَبِي
يَنَامُ فِي سَرِيرِ هَادِي الْوَرَى الْبَشِيرِ
أَمَّا النَّبِيُّ وَرَفِي قُ دَرَبِهِ الْبَرُّ الْوَفِي
فَعَادِرًا لَيْلًا إِلَى حَيْثُ الْأَمَانُ وَالْوَلَا
وَالْتَجَا لِلْغَارِ فِي كَنْفِ الْجَبَّارِ
وَقَدْ تَجَلَّى حَقًّا أَكْثَرَ حُبِّ صَدَقَا
فِي مَسَلِكِ الْوَفِيِّ مُرَافِقِ النَّبِيِّ
فَكَانَ يَعْدُو فِيرَا هُ سَائِرًا خَيْرُ الْوَرَى
أَمَامَهُ طَوْرًا وَتَا رَةً يَرَاهُ قَدْ أَتَى
مَنْ خَلْفَهُ فَقَالَ مَا خَطْبُكَ؟ قَالَ رَبِّمَا
أَتَى مِنَ الْخَلْفِ الطَّلَبُ أَقِيكَ ثُمَّ قُلْتُ هَبْ
أَتَوْا مِنَ الْأَمَامِ أَكُونُ مِنْهُ حَامِ
وَصَعَدَا لِلْجَبَلِ فَكَانَ خَيْرُ مُرْسَلِ
مُعْتَمِدًا عَلَى أَبِي بَكَرٍ صُعُودًا بِأَبِي

أَفْدِيهِمَا إِذْ وَصَلَا	لَلْغَارِ ثُمَّ دَخَلَا
مَنْ بَعْدَمَا قَدْ سَدَا	جُلَّ الْجُحُورِ سَدَا
نَجَلُ أَبِي قُحَافَةَ	مَنْ غَيْرَ مَا مَخَافَةَ
ثُمَّ بِجِسْمِهِ قَفَلُ	بَاقِي الشَّقُوقِ فَنَزَلُ
فِي الْغَارِ بُشْرَى الْغَارِ	بِسَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَنَامَ وَالْأَفَاعِ	تَنَهَشُ دُونَ الدَّاعِ
فِي جَسَدِ الصَّدِيقِ	وَلَمْ يَبْنِ لَضِيقِ
وَمَا بَدَا مِنْهُ ضَجْرُ	لَكِنَّ دَمْعَهُ أَنْهَمَرُ
فَاسْتَيْقَظَ الرَّسُولُ	مُسْتَفْهَمَا يَقُولُ:
مَا الْأَمْرُ؟ قَالَ خَيْرًا	فَدَتِكَ نَفْسِي غَيْرًا
أَنِّي لُدَغْتُ فَتَفَلُّ	عَلَى الْمَكَانِ فَبَطَلُ
سُمِّ الْأَفَاعِي مِثْلَمَا	بَطَلَ كَيْدُ اللَّؤْمَا
بِقُدْرَةِ الْقَدِيرِ	وَدَعْوَةِ النَّذِيرِ
وَجَدَّ أَهْلُ الْكُفْرِ	وَبَالَغُوا فِي الْمَكْرِ
وَالْكَيْدِ وَالِدَهَاءِ	يُعْطُونَ فِي سَخَاءِ
لِكُلِّ مَنْ لَّهُمْ أَتَى	بِالْمُصْطَفَى أَوْ مِيَّتَا
مَائَةَ نَاقَةَ فَهَبُ	يَسْعَى بِجَدِّ فِي الطَّلَبِ
كُلُّ مَنْ اسْتَطَاعَا	سَادَةً أَوْ رِعَاعَا
وَعَصَبَةُ الْإِيمَانِ	فِي كَنْفِ الرَّحْمَنِ

وَهَكَذَا أَيَّامًا وَثَلَاثَةً تَمَامًا
 وَمَعَشَرَ الْفُجَارِ وَعُصْبَةَ الْأَشْرَارِ
 تَرُصِدُ كُلَّ دَرْبٍ فِي أَهْبَةِ لِلْحَرْبِ
 بَلْ وَصَلُوا لِلْبَابِ وَسَيِّدُ الْأَحْبَابِ
 يَقُولُ لِلرَّفِيقِ لَا تَخْشَ أَيَّ ضَيْقِ
 فَإِنَّا اثْنَانِ هُنَا لَكِنَّ رَبِّي مَعَنَا
 وَمَنْ عَطَاءَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْأَوَّاهِ
 آلَ رَفِيقِهِ أَوْلَا ءَ كُلُّهُمْ تَفَضَّلَا
 فَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْفَضْلُ فَضْلُ اللَّهِ
 يُرَاقِبُ الْكُفَّارًا وَيَجْلِبُ الْأَخْبَارَا
 وَابْنُ فَهَيْرَةَ لَهُ دُورٌ وَكَانَتْ مِثْلَهُ
 أَسْمَاءُ لِلزَّادِ تُعَدُّ وَلِنَطَاقِهَا تَقْدُ
 لِيُصْبِحَ النَّطَاقُ نَطَاقُهَا الْبَرَاقُ
 مِنْ يَوْمِهَا مُثْنَى وَهِيَ بِهِ تُكْنَى ٨٠٠
 أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَدْ لِرِحْلَةِ الْخَيْرِ أَعْدُ
 رَاحِلَتَيْنِ وَآكْتَرَى لَهَا دَلِيلًا كَفْرَا
 وَوَأَعْدَاهُ لَثَلَا ثِ بَعْدَهَا فَلْيُقْبَلَا
 فَجَاءَ فِي الْمِيعَادِ بِرِحْلِهِ وَالزَّادِ
 وَأَخَذَ الرِّكْبَ عَلَى خِلَافِ مَا تُخِيلَا

فَقَدَ تَوَجَّهَ إِلَى الْإِلَهِ	فَقَدَ تَوَجَّهَ إِلَى الْإِلَهِ
بَسِيرَهُ بِرُكْبٍ	بَسِيرَهُ بِرُكْبٍ
حَتَّى إِلَى الْبَحْرِ وَصَلَ	حَتَّى إِلَى الْبَحْرِ وَصَلَ
وَسَالِكًا مُنْفَرِدًا	وَسَالِكًا مُنْفَرِدًا
يُوصِلُ سَيْرَ اللَّيْلِ	يُوصِلُ سَيْرَ اللَّيْلِ
وَوَجْهَهُ لِيَثْرِبَ	وَوَجْهَهُ لِيَثْرِبَ
حَتَّى إِذَا تَيَقَّنَا	حَتَّى إِذَا تَيَقَّنَا
لَا حَظَّ لَهُ ظِلٌّ رَأَى	لَا حَظَّ لَهُ ظِلٌّ رَأَى
لِخَيْرٍ مَن هَدَاهُ	لِخَيْرٍ مَن هَدَاهُ
وَأَبْصَرَ الصَّدِيقَ	وَأَبْصَرَ الصَّدِيقَ
رَاعِي غَنِيمَاتٍ فَجَا	رَاعِي غَنِيمَاتٍ فَجَا
فَجَاءَهُ بِمَا طَلَبَ	فَجَاءَهُ بِمَا طَلَبَ
دَرًّا كَفَى النَّبِيَّ	دَرًّا كَفَى النَّبِيَّ
وَقَدْ بَدَتْ آيَاتُ	وَقَدْ بَدَتْ آيَاتُ
تُؤَيِّدُ الرَّسُولَ	تُؤَيِّدُ الرَّسُولَ
كَالنَّشْرِ لِلتُّرَابِ	كَالنَّشْرِ لِلتُّرَابِ
فَأَيُّهُمْ رَأَى	فَأَيُّهُمْ رَأَى
إِذْ مَرَّ فِي سَلَامٍ	إِذْ مَرَّ فِي سَلَامٍ
يُمَجِّدُ الرَّحْمَنَ	يُمَجِّدُ الرَّحْمَنَ
جَنُوبٌ تُمَّتَ عَدْلُ	جَنُوبٌ تُمَّتَ عَدْلُ
هَادِي الْوَرَى لِلْغَرْبِ	هَادِي الْوَرَى لِلْغَرْبِ
حَاذَاهُ يَسْعَى فِي عَجَلٍ	حَاذَاهُ يَسْعَى فِي عَجَلٍ
دَرْبًا خَلَا مِنَ الْعَدَا	دَرْبًا خَلَا مِنَ الْعَدَا
بِالْيَوْمِ لِلْمَقِيلِ	بِالْيَوْمِ لِلْمَقِيلِ
حَيْثُ مُهَاجِرُ النَّبِيِّ	حَيْثُ مُهَاجِرُ النَّبِيِّ
بِأَنَّهُ قَدْ أَمِنَا	بِأَنَّهُ قَدْ أَمِنَا
هُ لِلْمَقِيلِ هَيْئًا	هُ لِلْمَقِيلِ هَيْئًا
مَوْلَاهُ وَأَصْطَفَاهُ	مَوْلَاهُ وَأَصْطَفَاهُ
وَحَبَّذَا الرَّفِيقُ	وَحَبَّذَا الرَّفِيقُ
إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو رَجَا	إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو رَجَا
مَنْ لَبَنَ حِينَ حَلَبَ	مَنْ لَبَنَ حِينَ حَلَبَ
فَدَتَهُ نَفْسِي رِيًّا	فَدَتَهُ نَفْسِي رِيًّا
هُنَا وَمُعْجَزَاتُ	هُنَا وَمُعْجَزَاتُ
وَتُعْجِزُ الْعُقُولَا	وَتُعْجِزُ الْعُقُولَا
عَلَى حُمَاةِ الْبَابِ	عَلَى حُمَاةِ الْبَابِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ؟	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ؟
وَالْقَوْمُ كَالنِّيَامِ	وَالْقَوْمُ كَالنِّيَامِ
وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَا	وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَا

وَأَشْرَسُ الْأَشْرَارِ وَتَوَالِبَابِ الْغَارِ
حَيْثُ بِهِ قَدْ اسْتَتَرَ فَلَمْ يَبْنِ لَهُ أُتْرَ
وَذَلِكُمْ سُرَاقَهُ قَدْ شَاقَهُ مَا سَاقَهُ
أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْقَلَا مِنْ إِبْلِ لِمَنْ عَلِي
رَكِبَ الْهُدَى قَدْ عَثَرَ وَجَاءَهُ مِنْ خَبْرًا
أَنْ قَدْ رَأَى بِالسَّاحِلِ قَوْمًا عَلَى الرُّوَاهِلِ
يَرَاهُمْ وَصَدَقَا ذَا الصِّدْقِ مَعَ مَنْ صَدَقَا
فَقَالَ: لَا، بَلْ ذَاكََا عَيْنٌ لَنَا هُنَاكََا
ثُمَّ انْبَرَى يُلَاحِقُ بِفَرَسٍ يُسَاقُ
عَوَاصِفَ الرِّيَّاحِ وَغَاصَ فِي السَّلَاحِ
يُضْمِرُ شَرَّ الشَّرِّ لَخَيْرِ أَهْلِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَالْفَضَاءِ وَسَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَبَيْنَمَا تَأْهَبَا لِلْبَطْشِ بِالْقَوْمِ كَبَا
حِصَانُهُ فَسَقَطَا عَنْهُ فَقَامَ لِقَطَا
قَدَاحَهُ فَلَمْ تَجِي لَهُ عَلَى مَا يَرْتَجِي
وَمَعَ ذَاكَ رَكَبَا أَيضًا وَقَدْ تَأْهَبَا
لِلْبَطْشِ وَالْفُجُورِ شُلَّتْ يَدُ الْكُفُورِ
وَمَرَّةً أُخْرَى عَشَرَ حِصَانُهُ لَا بَلْ حَفَرَ
فِي الْأَرْضِ بَلْ سَاخَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مُوْغَلَا

فَصَاحَ بِالْأَمَانِ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
وَقَالَ بَعْدَمَا طَلَبَ عَهْدًا سَأَصْرِفُ الطَّلَبَ
فَصَارَ عَوْنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَدُوًّا ذَا إِحْنٍ
وَشَاةٌ أُمَّ مَعْبَدٍ عَجْفَاءُ بَلْ لَمْ تَرِدِ
مَاءً وَلَا تُطِيقُ رَعِيًّا كَمَا يَلِيقُ
رَأَى النَّبِيَّ حَالَهَا فَقَالَ هَذِي مَا لَهَا؟
لَمْ تَسْعَ فِي الْمَجَالِ قَالَتْ مِنْ الْهُزَالِ
قَالَ أَتَأْذِنِينَ بِحَلْبِ مَا يَكْفِينَا
قَالَتْ فَدُونِكَ الْإِنَا وَلَيْسَ فِي الشَّاةِ غِنَى
عَجْفَاءُ عَازِبٌ فَهَلْ يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَمَلٍ
سَمَى الْإِلَهَ وَمَسَحَ ضَرَعًا وَقَرَّبَ الْقَدَحَ
فَدَرَّتِ الشَّاةُ بِمَا نَحَى السُّغُوبَ وَالظَّمَا
وَعَمَّ الْإِرْتِـسْوَاءُ وَأَمْتَلَأَ الْإِنَاءُ
وَغَابَ هَادِي الْأُمَّةِ فَجَاءَ بَعْلُ الْمَرْأَةِ
فَهَالَهُ مَا قَدْ رَأَى مِنْ قَدَحٍ قَدْ مَلَأَا
بَلَبِنٍ فَقَالَ مَا أَلِ خَبِرُ قَالَتْ قَدْ نَزَلَ
بِنَا الْغَدَاةَ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مُبَجَّلٌ
وَحَكَتِ الْحِكَايَةَ وَرَوَتِ السُّرُويَةَ
قَالَ صِفِيهِ فَانْبَرَتْ تَصِفُهُ وَعَجَزَتْ

عَنْ وَصَفِهِ وَإِنْ تُعَدُّ
فَقَالَ ذَا الرَّسُولُ
لَنَا مِنَ الْحَرَامِ
وَقَدْ هَمَمْتُ أَنِّي
لَمَّا أُطِقُ وَإِنْ أُطِقُ
وَالْجَنُّ شَعْرًا تَبْلُغُ
ثُمَّ أَبُو بَرِيدَهُ
يَعْقِدُهَا إِذْ أَسْلَمَا
حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ
إِذْ قَدْ أَتَى يَبْحَثُ عَنْ
تَدْفَعُهُ لِمَنْ أَتَى
فَعَادَ بِالْإِيمَانِ
وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ
بِمَقْدَمِ النَّبِيِّ
فَصَارَ دَابُّ الْقَوْمِ
خُرُوجَهُمْ يَنْتَظِرُونَ
حَتَّى يُطَلَّ الظُّهْرُ
ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى
وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ

قَدْ قَالَتْ الْقَوْلَ الْأَسَدُ
مَنْ أَمْرُهُ مَنْقُولُ
بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ
أَتْبَعَهُ لَكِنِّي
أَكُنْ رَفِيقَهُ الْمُحَقُّ
مَكَّةَ أَيْنَ بَلَغُوا
رَأَيْتَهُ الْعَتِيدَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ عَلِمَا
وَكَانَ ذَا آثَامِ
مَا اتَّفَقَتْ فُرَيْشُ أَنْ
بِالْمُصْطَفَى لَوْ مَيِّتَا
وَالْيَمْنَ وَالْأَمَانَ
أَتَتْهُمُ الْأَخْبَارُ
فَدَاهُ كُلُّ حَيٍّ
مِنْ صُبْحِ كُلِّ يَوْمٍ
نَ خَيْرٍ مِنْ يَنْتَظِرُ
وَيَسْتَشِيطُ الْحَرُّ
بُيُوتَهُمْ تَقِيلاً
حَالَهُمْ وَقَرَّ

أَمْرُهُمْ حَتَّى سَعَى سَاعٍ يَقُولُ طَلَعَا
عَلَيْكُمْ الْبَدْرُ فَبَا دَرُوا سِرَاعًا طَرَبَا
وَهُمْ يَكْبُرُونََا كَمَا يُرْحَبُونََا
بِخَيْرِ قَادِمِ قَدَمٍ فِي حَاضِرٍ أَوْ فِي الْقَدَمِ
أَوْ قَابِلِ الْأَيَّامِ مِنْ سَائِرِ الْأَنَامِ
فَلثَمَانٍ مِنْ رَبِي عِجَاءٍ مَوْكِبِ النَّبِيِّ
قُبَاءٍ فَا نَحَازُ إِلَى عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ نَزَلَا
عَلَى ابْنِ خَيْثَمَةَ أَوْ نَجَلِ الْمُهَدَّمِ رَوَا
أَنَّ النَّبِيَّ أَقَامَا أَرْبَعَةَ تَمَامَا
أَوْ زَادَ ثُمَّ أَسَّسَا أَوَّلَ مَسْجِدٍ رَسَا
ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ فِي سَكِينِهِ
وَفِي الطَّرِيقِ جَمَعَا أَوَّلَ جُمُعَةٍ وَعَى
مُؤَرِّخُو الْإِسْلَامِ لِأَفْضَلِ الْأَنَامِ
فِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ حَيْثُ الْمَعْرُوفِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَا وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَى
قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَهْلِ النَّدَى الْأَبْرَارِ
قَالُوا لَهُ إِلَيْنَا وَسَتَقَرُّ عَيْنَا
فَإِنَّا أَهْلُ الْعَدَدِ وَإِنَّا أَهْلُ الْجَلْدِ
وَهُوَ يَقُولُ نَاقَتِي بِأَمْرِ رَبِّ الْعِزَّةِ ٩٠٠

مَأْمُورَةٌ فَخَلُّوا عَنْهَا فَلَا تَضِلُّ
حَتَّىٰ إِلَىٰ حَيْثُ بَنَىٰ مَسْجِدَهُ بَعْدَ هُنَا
تَوَقَّفَتْ فَبَرَكْتَ فَنَهَضَتْ فَرَجَعَتْ
فَبَرَكْتَ كَالأَوَّلِ فَكَانَ خَيْرَ مَنْزِلٍ
وَعِنْدَهَا تَرَجَّلًا أَفْضَلُ مَنْ تَنْزَلًا
عَلَيْهِ وَحَيُّ اللَّهِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ
وَفِي بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالَهُ الْأَخْيَارِ
قَدْ حَلَّ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ضَيْفًا النَّبِيِّ
وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا مُكْرَمًا كَرِيمًا
بِهَا إِلَىٰ أَنْ اكْتَمَلَ بِنَاءُ بَيْتِهِ فَحَلَّ
فِيهِ وَقَدْ أَتَاهُ بِأَهْلِهِ مَوْلَاهُ
زَيْدٌ وَجَاءَ حَوْلَهُ آلُ أَبِي بَكْرٍ لَهُ
وَلَمْ تَجِئْ زَيْنَبُ مَعَ ذَاكَ فَزَوَّجَهَا امْتَنَعَ
ثُمَّ أَتَتْهُ بَعْدَ مَا نُصِرَ فِي بَدْرِ كَمَا
وَرَدَ فِي الْآثَارِ عَنِ صَفْوَةَ أَخْيَارِ

أول أعماله ﷺ في المدينة

أَوَّلُ أَعْمَالِ النَّبِيِّ فَدَيْتُهُ فِي يَثْرِبَ
بِنَاؤُهُ الْمَسْجِدَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي اصْطَفَى
لِمَسْجِدِ النَّبِيِّ مِنْ رَبِّهِ الْعَلِيِّ

وَهُوَ مَكَانٌ مَبْرُكٌ وَهُوَ مَكَانٌ مَبْرُكٌ
 بِمَرْبِدٍ مُقَامٍ بِمَرْبِدٍ مُقَامٍ
 ثُمَّ اشْتَرَى الْمَرْبِدَ مِنْ ثُمَّ اشْتَرَى الْمَرْبِدَ مِنْ
 بِذَلِكَ لِلْيَتِيمِ بِذَلِكَ لِلْيَتِيمِ
 ثُمَّ بَنَى الْمَسَاكِنَا ثُمَّ بَنَى الْمَسَاكِنَا
 وَدُونَهَا تَرَاحِي وَدُونَهَا تَرَاحِي
 بَيْنَ بَنِي الْأَنْصَارِ بَيْنَ بَنِي الْأَنْصَارِ
 أَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ أَعْنِي الْمُهَاجِرِينَ
 وَضَمَّ كُلَّ مُسْلِمٍ وَضَمَّ كُلَّ مُسْلِمٍ
 وَعَاهَدَ الْيَهُودَا وَعَاهَدَ الْيَهُودَا
 لِيُضْمَنَّ الْوَتَامَا لِيُضْمَنَّ الْوَتَامَا
 وَالْأَمَنَ لِلْجَمِيعِ وَالْأَمَنَ لِلْجَمِيعِ
 وَغَيْرَهُ مِنْ جَارٍ وَغَيْرَهُ مِنْ جَارٍ
 لَكِنَّ أَهْلَ الشُّرْكَ لَكِنَّ أَهْلَ الشُّرْكَ
 تَأْمَرُوا مَرَارَا تَأْمَرُوا مَرَارَا
 خَلْفَ ذَوِي النَّفَاقِ خَلْفَ ذَوِي النَّفَاقِ
 وَمَعْشَرَ الْيَهُودِ وَمَعْشَرَ الْيَهُودِ
 إِذْ غَاظَهُمْ أَنْ أَمَنَا إِذْ غَاظَهُمْ أَنْ أَمَنَا
 مُنْطَلِقًا لِلدِّينِ مُنْطَلِقًا لِلدِّينِ

طَيْبَةَ دَارِ الْأَوْفِيَا ۚ الْأَتْقِيَاءَ الْأَزْكَيَا
إِلَى جَمِيعِ الْأَرْضِ بِطَوْلِهَا وَالْعَرْضِ

بدء السرايا بعد الإذن بالقتال

أُذِنَ بِالْقِتَالِ مِنْ إِلَهِ الْعَالِي
لِعُصْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
لَمَّا تَمَادَى الظُّلْمُ ضُدَّهُمْ وَالْإِثْمُ
مِنْ مَعْشَرِ الطُّغْيَانِ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ
فَبَدَأَ الْمُخْتَارُ تَرْتِيبَ مَا يُخْتَارُ
لِذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ بِحِزْمِهِ الْمَشْهُورِ
فَعَاهَدَ الْقَبَائِلَ وَطَارَدَ الْقَوَافِلَ
تِلْكَ الَّتِي لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ مَكَّةَ حُكِي
أَنَّ النَّبِيَّ سَيَّرَ سَرِيَّةً فَأَمَّرَا
حَمْزَةَ عَمَّهُ الْأَسَدَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ وَرَدَ
عَنْ أَهْلِ سِيرَةِ النَّبِيِّ بِأَنَّ حَمْزَةَ الْأَبِي
نَزَلَ سَيْفَ الْبَحْرِ أَوَّلَ عَامِ هِجْرِي
فِي رَمَضَانَ فِي ثَلَاثِينَ مُقَاتِلًا عَلَى
أَهْبَةِ الْأَسْتَعْدَادِ لِلطُّعْنِ وَالْجِلَادِ
فَلَقِيَ الْقَوْمَ نَعَمَ عَشْرَةَ أَضْعَافٍ وَلَمْ
يَهَبْهُمْ بَلْ صَفَّاهُمْ رِجَالَهُ وَأَصْطَفَّاهُمْ

جَيْشُ الْعَدَا مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِكُلِّ حَدَبٍ
ثُمَّ تَنَالَتْ السَّرَا يَا تَفْتَدِي خَيْرَ الْوَرَى
أَبْرَهُمْ وَأَرْفَقَا أَرَأْفَهُمْ وَأَشْفَقَا
أَوْفَاهُمْ وَأَعْدَلَا أَصْدَقَهُمْ وَأَكْمَلَا
صَلَّى مِنْ اصْطَفَاهُ عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ

أول غوة له صلى الله عليه وسلم الأبياء أو ودان

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَا أَفْضَلُ مِنْ غَزَا عَزَا
نَقَلَةُ الْأَخْبَارِ لَسَيْدِ الْأَبْرَارِ
بِأَنَّهُ فِي سَنَةِ ثَنْتَيْنِ أَيَّ لِلْهَجْرَةِ
وَذَاكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ خَرَجَ سَيْدُ الْبَشَرِ
بِنَفْسِهِ يَقُودُ قَوْمًا هُمُ الْأُسُودُ
وَبَلَّغُوا سَبْعِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ
فَقَصَدَ الْأَبْوَاءَ وَعَقَدَ اللَّوَاءَ
لِعَمِّهِ الْغَضَنْفَرِ وَإِنَّهُ بِهِ حَرِي
وَحَلَفَ الْمَدِينَةَ تَحْفُهَا السَّكِينَةُ
لِابْنِ عُبَادَةَ وَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يُقَدِّمًا
ثُمَّ إِلَى وَدَانَ وَصَلَ عَالِ الشَّانِ
مُعْتَرِضًا قَوَافِلًا مَكَّةَ فِيمَا نُقِلَا
وَلَمْ يَجِدْ كَيْدًا رَجَعَ لِدَارِهِ بَدْرًا طَلَعَ

مُكَلَّلًا بِالنَّصْرِ مَحَالِفًا لِلضَّمْرِ

غزوة بواط

وَفِي رِبْعِ الْأَوَّلِ عِلْمَ خَيْرٍ مُرْسَلِ
بِأَنَّ نَجْلَ خَلْفٍ لَعِيرٍ مَكَّةَ اصْطُفِي
وَمَائَةٌ رَجَالٌ لَدَيْهِمْ جَمَالٌ
أَحْمَالُهَا يُقَالُ نَفِيسَةٌ ثِقَالٌ
فِيمَا رَوَوْا أَلْفَانَ وَنِصْفَ أَلْفٍ دَانَ
فِرَاقَ لِلنَّبِيِّ فِي مَائَتِي أَبِي
إِذْ ذَاكَ أَنْ يَعْتَرِضَا طَرِيقَهُ ثُمَّ مَضَى
لِعَزْمِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى بُوَاطٍ فَعَلِمَ
بِالْعَيْرِ قَدْ مَضَتْ رَجَعُ كَالْبَدْرِ نُورُهُ سَطَعَ
وَكَانَ لِلسَّعْدَيْنِ شَأْنٌ فَشَأْنُ ذَيْنِ
أَنَّ كَانَ حَامِلُ اللُّوَا خَالَ النَّبِيَّ قَدْ رَوَى
رَوَاتُهَا وَابْنُ مَعَا ذِلْمَدِينَةَ رَعَا

غزوة سفوان

فِي ثَانِ عَامِ هِجْرِي أَغَارَ كُرْزُ الْفَهْرِي
عَلَى الْمَوَاشِي فَانْتَقَلَ خَبَرُهُ عَلَى عَجَلٍ
إِلَى مَسَامِعِ النَّبِيِّ فَهَبَّ يَفْئِدِيهِ أَبِي
وَمَعَهُ سَبْعُونَ هَادُونَ مَهْدِيُونَا

يُطَارِدُ الْأَشْرَارَا وَيَقْمَعُ الْكُفَّارَا
حَتَّىٰ إِلَىٰ سَفْوَانِ بَلَغَ عَالِي الشَّانِ
أَيَقْنُ أَنْ قَدْ هَرَبَا ذَا اللَّصِّ ثُمَّ انْقَلَبَا
بِالْيَمَنِ وَالسَّكِينَةِ وَالرُّشْدَ لِلْمَدِينَةِ
وَكَانَ فِي يَدِ عَلِيٍّ لَوَاؤُهُ صَلَّى الْعَلِي
عَلَيْهِ وَالْمَدِينَةَ زَيْدٌ بِهَا مُثَبَّتٌ

غزوة ذي العشيرة

وَفِي جُمَادَى خَرَجَا نَبِينَا حِينَ رَجَا
عَيْرًا بِهَا أَمْوَالُ كَثِيرَةٌ يُقَالُ
إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعَتْ لِأَجْلِهَا مَا وَسَعَتْ
وَهَذِهِ الْعَيْرُ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي الرَّجْعَةِ
فِي غَزْوَةِ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
وَلَمْ يَكُنْ نَبِينَا عَلَى الْخُرُوجِ مُؤْمِنًا
أَكْرَهَ فِيمَا اقْتَرَبَا مِنْ مَعَهُ قَدْ ذَهَبَا
مِنْ مَائَتَيْنِ أَوْ أَقَلَّ عَلَى ثَلَاثِينَ جَمَلٍ
يَعْتَقِبُونَ فَوْصَلُ لَذِي الْعُشَيْرَةِ نَزَلَ
لَمَّا رَأَى تَا الْعَيْرِ عِي رَا مَا بِهَا مِنْ مَطْمَعٍ
فَقَرَّرَ الرَّجُوعَا لِأَهْلِهِ مُطِيعَا
لِرَبِّهِ وَعَقْدَا نَبِينَا عَقْدًا بَدَا

مِنْهُ الرَّشَادُ إِذْ بُرِمَ مَعَ مُدْلِحٍ صَلِحٌ سَلِمَ
بِهِ الْجَمِيعُ مِنْ أَثَرِ أَيِّ اعْتَدَا أَوْ أَيِّ شَرِّ
وَكَانَ لِلُّوَى اجْتَبَى حَمْزَةَ وَاصْطَفَى أَبَا
سَلَمَةَ الْمَخْزُومِي لَطِيبَةَ الْخَدُومِ

سرية نخلة

كَانَ بِشَهْرِ رَجَبٍ إِرْسَالَ أَحْمَدَ النَّبِيِّ
سَرِيَّةَ ابْنِ جَحْشٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ إِذْ يَمْشِ
أَحَدُهُمْ وَيَرْكَبُ آخِرَ حَيْثُ يَعْقُبُ
ذَلِكَ ذَا وَسَلَّمَا خَيْرُ الْوَرَى الْقَائِدَ مَا
أَرَادَهُ أَنْ يَفْعَلَا كِتَابَةَ لَكِنْ عَلَى
أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَا إِذَا مَضَى ذَهَابَا
يَوْمَيْنِ ثُمَّ لَمَّا رَأَى الْكِتَابَ ثَمَّا
رَأَى النَّبِيَّ آمِرَا بِالسَّيْرِ حَتَّى يَحْضُرَا
فَوَرَا إِلَى نَخْلَةِ يَرُ صِدْقُ فَرِيشَا فَأَقْرُ
بَطَاعَةَ النَّبِيِّ فِي أَمْرِهِ الرُّضِيِّ
وَصَحْبُهُ أَطَاعُوا لَكِنَّهُمْ أَضَاعُوا
بَعِيرَ سَعْدِ خَالٍ نَبِينَا الْمَفْضَالَ
فَالْتَمَسَ الْبَعِيرَ عَتَا بَةً وَسَعْدًا فَثَبَتَا
أَنْهُمَا تَخَلَّفَا وَنَجَلُ جَحْشٍ وَقَفَا

حَيْثُ لَهُ الْأَمْرُ صَدَرَ
وَلَيْسَ فِي الْمَقَالِ
وَمَرَّتِ الْعَيْرُ فَلَمْ
يَجُوزْ فِي الْمُحَرَّمِ
وَهِيَ غَدَاً فِي الْحَرَمِ
ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْكُرْمَا
بَعْضُهُمْ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ
بِالسَّهْمِ فِي الْإِسْلَامِ
وَأَسْرُوا اثْنَيْنِ سِوَا
صَحْبِ النَّبِيِّ فَقَلَا
أَنَّ النَّبِيَّ اسْتَنْكَرَا
وَشَنَّعَ الْكُفَّارُ
شُبُهَةً حَظَرَ الزَّمَانَ
فَهُمْ لِذَلِكَ هَاجُوا
وَهُمْ أَوْلَاءُ نَفَرُوا
وَأَخْرَجُوا الرَّسُولَا
مِنْ دَارِهِمْ فِي الْحَرَمِ
فَنَزَلَ الْقُرْآنُ
عَلَيْهِ مِنْ عَدَاءِ
يُطِيعُ سَيِّدَ الْبَشَرِ
أَمْرٌ بِالْأَقْتِتَالِ
يَرَوْنَ قِتَالًا قَدْ عَلِمَ
كَلًّا وَلَا فِي الْحَرَمِ
وَمَالَهُ مِنْ ذَمِّ
عَلَى الْقِتَالِ فَرَمَى
أَوَّلَ مَقْتُولِ رُمِي
فِي رَجَبِ الْحَرَامِ
هُ وَعَلَى الْعَيْرِ احْتَوَى
مَا فَعَلُوهُ نُقْلًا
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْرًا
ذَاكَ وَقَدْ أَثَارُوا
حَيْثُ الْوَرَى فِي مَأْمَنِ
كُلُّهُمْ وَمَاجُوا
مِنْ الْهُدَى وَكَفَرُوا
وَصَحْبَهُ الْعُدُولَا
مِنْ دُونَ أَيِّ مَأْتَمِ
مُبَيِّنًا مَا كَانُوا
لِلدِّينِ فِي الْخَفَاءِ

وَأَهْلِهِ، وَفِي الْعَلَنُ فَذَاكَ أَكْبَرُ إِذْنُ
مَنْ قَتَلَ مُشْرِكٍ كَفَرَ بَدِينِ سَيِّدِ الْبَشَرِ
ثُمَّ وَدَى ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ خَيْرُ الْوَرَى ذُو الْكَرَمِ
وَوَهَبَ الْكُفَّارًا ذَا الْعَيْرِ وَالْأَسَارَى

غزوة بدر الكبرى

كَانَ بِشَهْرِ الصَّوْمِ خُرُوجِ هَادِي الْقَوْمِ
لِغَزْوَةِ الْفُرْقَانِ يَوْمِ التَّقَى الْجَمْعَانِ
بِمَاءِ بَدْرِ فَظْفَرَ حَزْبُ الْهُدَى يَمَنْ كَفَرَ
فَقَدْ أَتَتْ أَخْبَارُ جَاءَ بِهَا الْأَخْيَارُ
مِمَّنْ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ لِرِصْدِ عَيْرِ لِأَبِي
سُفْيَانَ أَنَّ الْعَيْرَ وَتَحْمِلِ الْكَثِيرَ
مُرُورَهَا قَرِيبُ فَجَهَّزَ الْحَبِيبُ
مَنْ شَاءَ مِنْ صَحَابِهِ فَهَبَّ مَنْ كَانَ بِهِ
مَيْلٌ فَمَا أَلْحَا خَيْرُ الْوَرَى بَلْ صَحَا
بِأَنَّ مَنْ شَاءَ خَرَجَ أَوْ لَا يَشَا فَلَاحِرَجُ
لِأَجْلِ ذَا فَإِنَّ مَنْ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَلَنِ
كَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَنَيْفٍ فِي الْمُثَبَّتِ
لَدَيْهِمْ جِمَالٌ سَبْعُونَ بَلْ يُقَالُ
يَعْتَقِبُونَ: أَحْمَدُ عَلِيٌّ ثُمَّ مَرْتَدُ

وَفَرَسَانَ فَرَسٌ	عَلَى الزَّبِيرِ يُحْبَسُ
وَفَرَسٌ يُقَادُ	يَمْلِكُهُ الْمَقْدَادُ
وَدَفَّعَ الْأَوَاهُ	لِمَصْعَبِ لَوَاهُ
وَلِعَلِيٍّ عِلْمَ الْ	مُهَاجِرِينَ قَدْ جَعَلَ
وَعَلَّمَ الْأَنْصَارِ	لِابْنِ مُعَاذِ جَارِ
وَمَعَ الْأَعْمَى جَعَلًا	أَبَا لُبَابَةَ عَلَى
مَنْ خَلْفَهُ لِيَمُضَ	خَيْرَ جُيُوشِ الْأَرْضِ
يَقُودُهُ النَّبِيُّ	يَكَلِّؤُهُ الْعَلِيُّ
يَعْتَرِضُ الْعَيْرَ وَقَدْ	قَدَّرَ غَيْرَهَا الصَّمَدُ
فَبَلَغَتْ أَخْبَارُ	مَا فَعَلَ الْمُخْتَارُ
عَيْرَ أَبِي سُفْيَانَ	فَطَلَبَ الْأَمَانَ
لَهَا وَفَرَّ هَارِبًا	مِنْ حِينِهِ مُغْرِبًا
بِعَيْرِهِ وَأَرْسَلًا	مُسْتَنْجِدًا إِلَى الْمَلَا
مِنْ قَوْمِهِ لِيَنْفِرُوا	لِغَوْتِهِ فَبَادَرُوا
يُجَهِّزُونَ لِمَلَا	قَاةِ النَّبِيِّ جَحْفَلًا
خِيُولَهُ تُقَدَّرُ	مَائَةً أَوْ هِيَ أَكْثَرُ
وَأَبِلُ ذَاتُ عَدَدٍ	وَبَيْنَمَا هُمْ فِي كَمَدٍ
تَذَكَّرُوا بِكُرًا وَمَا	بَيْنَهُمْ فَأَحْجَمَا
بَعْضُهُمْ وَقَالُوا	لَرُبَّمَا نَغْتَالُ

مِنْ خَلْفِنَا فَظَهَرَ	إِبْلِيسُ فِيمَا ذُكِرَا
فِي هَيْئَةِ ابْنِ مَالِكٍ	يَدْعُو إِلَى الْمَهَالِكِ
إِلَى الْقِتَالِ قَائِلًا	أَكْفِيكُمْ أَيَا الْمَلَا
وَإِنِّي لَجَارٌ	لَكُمْ فَلَا تَحْتَارُوا
فَعِنْدَ ذَاكَ خَرَجَ الـ	قَوْمُ رِيَاءٍ لِلْأَجَلِ
ثُمَّ أَتَاهُمْ مَنْ عَلمَ	بِأَنَّ عَيْرَهُمْ سَلِمَ
فَقَالَ ذُو رَأْيٍ رَشِدٌ	لِمَا الْقِتَالُ؟ فَلْنَعُدْ
لَكِن رَأْسَهُمْ أَبَا	جَهْلٍ عِنَادًا قَدْ أَبِي
وَقَالَ: لَا، بَلْ نَذْهَبُ	لِمَاءِ بَدْرٍ نَشْرَبُ
نَنْحَرُ ثُمَّ نَطْرِبُ	نَمْرَحُ نَلْهُو نَلْعَبُ
فَلَمْ نَزَلْ نَهَابُ	وَيُحْسَبُ الْحِسَابُ
لَنَا وَتَحْفَظُ الْعَرَبُ	لَنَا الْمَكَانَ الْمُنتَخَبُ
لَكِن ذَا الرَّأْيِ الْأَسَدُ	نَجَلُ شُرَيْقِ الْأَسَدِ
رَأَى الرَّجُوعَ أَسْلَمَا	لِقَوْمِهِ وَأَحْزَمًا
وَقَدْ أَطَاعَ نُبَلَا	ءَ زَهْرَةَ الشَّيْخِ فَلَا
يُعَلِّمُ مِنْ زَهْرَةَ مَنْ	مَعَ أَبِي جَهْلٍ فَتَنَ
فَكَانَ ذَاكَ نَصْرًا	لَهُمْ وَكَانَ فَخْرًا
وَهُمْ ثَلَاثُ مَائَةٍ	أَوْ نَحْوَهَا فِي الْمُثَبَّتِ
وَهُمْ رَهْطُ الْمُصْطَفَى	بِمِثْلِهَا لَكِن قَفَا

أَثَرَهُمْ يَحُولُ وَبَيْنَهَا فَرَكَنُوا
وَبَيْنَهُمُ الْجَهْلُ فَصَارَ جَيْشُ الْكُفْرَةِ
لِرَأْيِهِ وَأَذَعُنُوا نَبِينَا إِذْ سَأَلَا:
أَلْفًا كَذَاكَ قَدْرَهُ فَقِيلَ: تَسْعًا طَوْرًا
كَمْ يَنْحَرُونَ إِبِلًا؟ فَقَالَ: أَلْفٌ أَوْ أَقْلٌ
وَيَنْحَرُونَ عَشْرًا وَحَطَّ جَيْشُ الْكُفْرِ
بِمِائَةِ كَذَا حَصْلٌ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنْ أَلِ
بِقُرْبِ مَاءِ بَدْرِ قَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ
سَوَادِي بِذَلِكَ الْمَحَلِّ وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ
وَقَوْلُهُ الْبُرْهَانُ مِنْ عُدَّةٍ وَعَدَدٍ
مَا هِيَ الْكُفَّارُ فَكَّرَهُ الْأَمْرَ نَفَرٌ
أَسْمَاعَ جَيْشِ أَحْمَدَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّبِيِّ
وَجَادَلُوا خَيْرَ الْبَشَرِ بِالظَّفْرِ الْكَبِيرِ
وَعَدَّهُ الْعَلِيِّ فَهُوَ بِذَا أَحَقُّ
بِالْجَيْشِ أَوْ بِالْعَيْرِ فَاجْتَمَعَ الرَّسُولُ
وَوَعْدُ رَبِّي حَقُّ وَقَالَ هَا أَشِيرُ
وَصَحْبُهُ الْعُدُولُ رَأْيَاتُ رُونَ فِيهِ
عَلِيٍّ وَاسْتَخِيرُ فَأَحْسَنَ الصَّدِيقُ
خَيْرًا لِمُبْتَغِيهِ قَوْلًا كَذَا الْفَارُوقُ
قَوْلًا كَذَا الْفَارُوقُ

بَعْدَهُمَا الْمَقْدَادُ	وَكُلُّهُمْ أَجَادُوا
فِي قَوْلِهِمْ فَأَتْنِي	عَلَيْهِمْ وَتَنِي
يَسْتَهْدِفُ الْأَنْصَارَا	يُرِيدُ أَنْ يُشَارَا
عَلَيْهِ مِنْهُمْ فَالْعَدَدُ	عَدَدُهُمْ وَالْعَهْدُ حَدُّ
مَنْعَهُمْ إِيَّاهُ	مَنْ كُلِّ مَنْ عَادَاهُ
فِي دَارِهِمْ وَلَمْ يَرِدْ	خَارِجَهَا فِيمَا اعْتَمَدْ
فَنَطَقَ الْقَائِدُ سَعْدُ	بِذُنِّ مِعَاذٍ فَصَدَعَ
بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ	وَالنَّصْرِ فِي السَّرَّاءِ
كَانَ وَفِي الضَّرَّاءِ	لِخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ
وَقَالَ: خُضْ إِنْ شِئْتَا	ذَا الْبَحْرِ، مَهْمَا قُلْتَا
فَنَحْنُ سَامِعُونَ	لَكَ وَطَائِعُونَ
فَسُرَّ خَيْرُ النَّاسِ	طُرّاً بِلَا إِلْبَاسِ
بِذَا وَقَالَ: حَسْبِي	سَيَرُوا فَإِنْ رَبِّي
وَعَدَنِي نَصْرًا عَلَى	أَعْدَائِهِ مُكْمَلًا
وَإِنِّي لَوَاقِقُ	بِأَنَّهُ مُحَقَّقُ
لِصَدَقِ وَعْدِ رَبِّي	فَهَآنَا وَرَبِّي
كَأَنَّمَا أَرَى هَلَا	كَهُمْ قَرِيبًا أَقْبَلَا
فَذِي لَهُمْ مَصَارِعُ	أَرَى بِهَا مَضَاجِعُ
لِزُعَمَاءِ الْكُفْرِ	غَدًا بِيَوْمِ بَدْرِ

وَعِنْدَ ذَاكَ سَلَّمَا جَيْشُ الْهُدَى وَصَمَّمَا
فَالْحَرْبُ لَا مَنَاصَا مِنْهَا وَلَا خَلَاصَا
بِغَيْرِ الْإِتِّحَادِ وَالطَّعْنِ وَالْجَلَادِ
مِنْ بَعْدِ الْإِتِّكَالِ عَلَيْهِ ذِي الْجَلَالِ
وَالْحَزْمُ يَقْتَضِي الْحَذَرَ وَالْبَحْثَ عَنْ كُلِّ أَثَرٍ
لِلْخَصْمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ لِأَجْلِ ذَا فَالْجَيْشُ قَدْ
نَزَلَ قُرْبَ الْمَاءِ وَرُسِلَ السَّمَاءِ
تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ عَلَيَّ أَفْضَلَ مَنْ قَدْ أُرْسِلَا
فَخَرَجَ الْمُخْتَارُ هَدَفُهُ الْأَخْبَارُ
وَمَعَهُ الرَّفِيقُ فِي الْهَجْرَةِ الصَّدِيقُ
فَوَجَدَا ذَا خُبْرٍ شَيْخًا بِقُرْبِ بَدْرِ
فَبَادَرَاهُ بِالسُّؤَالِ لَقَالَ: لَا. وَأَنْشَأَ
بَلْ تُخْبِرَانِي أَوْلَا فَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ: لَا
بَلْ أَنْتَ قُلُّ مَا تَعْقِلُ نُنْبِئُكَ عَمَّا تَسْأَلُ
قَالَ: يُقَالُ: خَرَجَ يَوْمَ كَذَا فَإِنْ نَجَا
مِنْ كَذِبٍ مَنْ أَخْبَرَا فَهُمْ هُنَا كَمَا أَرَى
وَقَالَ مِمَّنْ لِلنَّبِيِّ؟ فَقَالَ: مِنْ مَاءِ أَبِي
فِدَاؤُهُ وَقَدْ صَدَقَ فِي كَلِّمَا بِهِ نَطَقَ
وَفِي الْمَسَاءِ سَيَّرَا عَيْونَهُ خَيْرُ الْوَرَى

فَعَثَرُوا عَلَيَّ غُلًّا	مَيْنَ لَجَيْشِ جَهْلًا
يَسْتَقِيانِ الْمَاءَ	لِقَوْمِهِمْ مَسَاءَ
فَقَبْضَ الزُّبَيْرِ	عَلَيْهِمَا الْخَبِيرُ
مَعَ عَلِيِّ وَابْنِ وَقَّاصٍ	صِ الْمَجَابِ حَقًّا
وَأَخْرَيْنَ فَأَتَوْا	بِالْخَادِمِينَ وَرَجَوْا
إِذْ أَخْبَرَا بِجَيْشِ	قَدَمٍ مِنْ قُرَيْشِ
أَنَّهِمَا لِلْعَيْرِ	وَلَيْسَ لِلنَّفِيرِ
فَضَرَبُوهُمَا فَقَا	لَ الْمُصْطَفَى قَدْ صَدَقَا
ذُرُوهُمَا وَاسْتَخْبَرَا	عَنْ جَيْشِهَا أُمَّ الْقُرَى
قَالَا قُرَيْشُ خَلْفَ ذَا	لِكَ الْكَثِيبِ وَإِذَا
سَأَلْتَنَا لَتَعْلَمَا	مَنْ قَدْ أَتَى فَلْتَفْهَمَا
أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَتَتْ	بِكُلِّ مَا قَدْ مَلَكَتْ
مِنْ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ	وَجَبْرُوتِ الْقُوَّةِ
وَعَدَدًا رِجَالًا	فِيْمَنْ أَتَى فَقَالَ
خَيْرُ جَمِيعِ الرُّسُلِ	رَمَتْ بِكُلِّ ثِقَلِ
تَمْلِكُهُ قُرَيْشُ	وَذَاكَ بئْسَ الْجَيْشُ
جَيْشًا يَصُدُّ عَنْ سَبِي	لِ اللَّهِ يَكْرَهُ النَّبِي
وَبَيْنَمَا الْأَمْرُ احْتَلَكَ	وَخَوْفُ مَا يَأْتِي مَلِكُ
مَشَاعِرِ الْبَعْضِ إِذَا	بَشَائِرُ النَّصْرِ فَذَا

يَنْزِلُ بِالْمَكَانِ	غَيْثٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
مَنْ آمَنُوا فِيمَا بَدَأَ	يُمَهِّدُ الْأَرْضَ لَدَى
بِقُدْرَةِ الْجَبَّارِ	وَحَلًّا لَدَى الْكُفَّارِ
وَصُورِ جَيْشِ بَدْرٍ	وَمِنْ سَمَاتِ النَّصْرِ
إِلَى مَكَانٍ مُهْدَاً	قَبْلَ جَحَافِلِ الْعَدَا
وَالطَّعْنِ وَالنِّزَالِ	يُنَاسِبُ الْقِتَالَ
جَيْشِ مُحَمَّدٍ مَحَلِّ	وَكَانَ أَوْلَا نَزْلٍ
لِجَيْشِ الْأَتْقِيَاءِ	كَانَ بِأَدْنَى مَاءٍ
أُمِرْتُ كَيْ نَتَّخِذَا	قَالَ الْحُبَابُ أَبْذَا
حَرْبٍ تَرَى هَذَا الْمَحَلِّ	ذَلِكَ دِينَا أَمْ هُوَ الْ
هُوَ الْمَكِيدَةُ كَمَا	قَالَ النَّبِيُّ إِنَّمَا
بُ: بَلْ لَعَلَّ الْأَصُوبَا	رَأَيْتَهَا قَالَ الْحُبَا
مَاءٍ إِلَيْهِمْ بِأَبِي	نُزُولِنَا بِأَقْرَبِ
فَهُوَ خَيْرٌ مِنْزِلِ	فَدَيْتُ خَيْرٌ مُرْسَلِ
هَ: خَلَفْنَا وَنَبْنِيَا	ثُمَّ نَغُورُ الْمِيَا
يَرَى الْعَدُوَّ بِلَلَا	حَوْضًا فَتَشْرَبُ وَلَا
رَأَيْكَ هُوَ الْأَسْلَمُ	قَالَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ
إِسْلَامِنَا فَالْأُمَّةُ	لَتَنْجَلِي عَظْمَةَ
أَرَاؤُهُ يُبَدِيهَا	لِكُلِّ فَرْدٍ فِيهَا

وَوَاجِبُ الْقَائِدِ أَنْ
وَعَبَّأَ الْجَيْشَ النَّبِيَّ
وَبَعْدَمَا اسْتَقْرَأَ
مَصَارِعَ الْكُفَّارِ
وَالْأَمْرُ مَا رَأَهُ
فَإِنَّ كُلَّ مَنْ ذَكَرَ
وَبَاتَ جَيْشَ الْمُؤْمِنِينَ
يَغْشَاهُمُ النُّعَاسُ
عَادَتُهُمْ فِي الْحَرْبِ
وَذَاكَ مِثْلُ حَالِ
حَيْثُ تَبَيْتُ لَيْلَهَا
مِمَّا يُخْبِي الْغَدَّ
وَفِي الصَّبَاحِ جَمَعَتْ
بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى تَرَى
لِمَا لَهَا مِنْ عَدَدٍ
وَالْاِكْتِشَافِ الْمَسْرَحِ
حَوْلَ الْحَمَى بِجَوْلَةٍ
أَوْ نَحْوَهَا لِكِنَّهُ
كَمَا أَرَى الْبَلَايَا
يُذْعَنُ لِلرَّأْيِ الْحَسَنِ
فَدَاهُ أُمِّي وَأَبِي
مَنْزِلُهُ تَحْرَى
يَرَاهُمْ فِي النَّارِ ١٢٠٠
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
قَدْ قُتِلُوا فَيَمَنْ كَفَرَ
نَهَجَعًا فِي مَأْمَنٍ
أَمْنَةً وَالنَّاسُ
أَنْ يَرْكُنُوا لِلرُّعْبِ
جَمَاعَةَ الْجُهَّالِ
فِي قَلْقٍ يَا وَيْلَهَا
فَفِيهِ خِزْيٌ أَبَدٌ
جُمُوعَهَا وَاجْتَمَعَتْ
أَنَّ لَهَا أَنْ تَظْفِرَا
وَعُدَّةٌ وَجَلْدٌ
قَامَ عُمَيْرُ الْجُمَحِيِّ
قَالَ ثَلَاثُ مَائَةٍ
قَالَ أَقْوَمُ إِنَّهُ
تَحْتَمِلُ الْمَنَايَا

فَلَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ حَتَّى نَرَاهُ يَقْتُلُ
أَحَدَنَا فَإِنْ جَرَى ذَاكَ فَلَا عَيْشًا أَرَى
ثُمَّ حَكِيمٌ قَالَ لِعُتْبَةَ الْمَقَالَا
مَضْمُونُهُ أَنْ نَدْعَا مُحَمَّدًا وَنَرْجِعَا
فَاسْتَصَوَّبَ الْحَكِيمُ مَا قَدْ رَأَى حَكِيمٌ
فَقَامَ يَدْعُو لِسَلَا مِ صَارِخًا عَلَى الْمَلَا
يَقُولُ إِنِّي لَا أَرَى فِيمَا يَكُونُ ظَفَرَا
فَالْخَيْرُ فِي أَنْ نَذَرَا مُحَمَّدًا فَإِنْ جَرَى
أَنَّ النَّبِيَّ يُغْلَبُ فَشَأْنُهُ وَالْعَرَبُ
أَوْ عَزَلْنَا لَنَا عَدَاوَةً مِنْ بَيْنِنَا
فِيَّانَهُ مَتَى يُصَبُّ بَعْضُهُمْ أَوْ الْعَطْبُ
فِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ نَرَى قَرِيبًا قَدْ قَتَلَ
قَرِيبَهُ فَتَنَبْتُ عَدَاوَةً لَا تَخَفْتُ
لَكِنَّ رَأْسَ الْكُفْرِ رَأْسَ الْخَنَى وَالْمَكْرِ
أَبَى السَّلَامَ وَأَصَرَ عَلَى الْقِتَالِ وَجَهَرَ
بِالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ حِينَ دَعَا الْمُنَادِي
بِالنَّارِ لِابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَثَارَ كُلُّ آثِمِ
تَقَابَلِ الْجَمْعَانَ فَقَامَ عَالِي الشَّانِ
يَدْعُو يَقُولُ رَبِّي ذَهِي قُرَيْشُ حَسْبِي

وَعَدُّكَ لِي بِالنَّصْرِ وَرَدَّ كَيْدَ هَؤُلَاءِ
وَالْحَزْمُ يَقْتَضِي الْحَذَرَ نَجَلَ مُعَاذٍ إِذْ أَمَرَ
يَكُونُ لِلنَّبِيِّ وَعِنْدَهُ رَكَائِبُ
وَقَالَ إِنْ كَانَ الظُّفْرُ عَدُونًا عَلَى النَّجَا
فَخَلَفْنَا قَوْمَهُمْ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ
يُقَابِلُ الْعَدَا بَدَا وَالْعَدْلُ كُلُّهُ ظَهَرَ
فَبَيْنَمَا يُعَدُّ بَيْنَهُمْ إِذْ غَمَزَا
عَنِ الصُّفُوفِ فَطَلَبَ مَا قَدْ رَأَاهُ حَقًّا
إِذْ قَالَ قَدْ أَوْجَعْتَنِي لَذَا أَقْدَنِي قَالَ يُسْ
أَهْمَهَا أَنْ يَسْتَوِيَ فِيهِ الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ

فَكَشَفَ الرَّسُولُ عَنْ بَطْنِهِ يَقُولُ
دُونَكَ خُذْ حَقَّكَ فَارَ تَمَى عَلَيْهِ فِي الْأَثَرِ
يَلْتَمُهُ فَاسْتَعْلَمَهُ: لَمْ فَعَلْتَ ذَا لِمَهُ؟
قَالَ: حَضَرْنَا مَا تَرَى وَأَنْتَ سَيِّدُ الْوَرَى
فَأَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ ذَيْلَ عَهْدِي
حَيًّا فَذَاكَ مَطْلَبِي فَقَالَ خَيْرًا النَّبِيِّ
فِيهِ فَنَالَ مَا سَعَى إِلَيْهِ إِذْ لَهُ دَعَا
وَأَصْطَفَتْ الصُّفُوفُ وَلَيْسَ تَمَّ خَوْفُ
فِي قَلْبٍ مَنْ قَدْ بُشِّرَا بِالنَّصْرِ تَمَّ انْتَصَرَا
وَمَعَ ذَاكَ أَخَذَ الْ حَيْطَةَ لِلْأَمْرِ الْجَلَلُ
خَطَّطَ عَبَّأَ الْجُنُودَ دَ طَالِبًا أَنْ يَرْكُنُوا
لِعَوْنِ رَبِّهِمْ وَلَا يُبَادِرُوهُمْ أَوْلَا
إِنْ كَاثَرُوهُمْ نَضَحُوا بِالنَّبْلِ ذَاكَ أَصْلَحُ
وَإِنْ غَشَوْهُمْ سَلُّوا سَيُوفَهُمْ لَا قَبْلُ
وَعَادَ لِلْعَرِيشِ مُرَاقِبًا لِلْجَيْشِ
يَدْعُو وَيَسْتَعِيثُ وَرَبَّهُ الْمَغِيثُ
يَقُولُ فِيمَا قَدْ ثَبَتَ إِلَيْنَا مَتَى انْتَهَتْ
هَذَا فَمَنْ سَيَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ أَنْتَ الْأَحَدُ
وَبَيْنَمَا الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَرَجَّلا

أَسْوَأُ جَيْشِ الْمُشْرِكِيَّةِ مِنْ خُلُقًا وَقَدْ حُكِيَ
بِأَنَّهُ أَقْسَمَ أَنْ يَشْرَبَ أَوْ لِيَهْدَمَ
حَوْضَهُمْ وَقَدْ قُتِلَ مِنْ دُونِهِ فِيمَا نُقِلَ
قَتَلَهُ الْغَضَنَفَرُ حَمْزَةً فِيمَا يُؤَثَّرُ
وَكَانَ ذَا أَوَّلِ قِتَّةٍ لَمْ تُمْ بَعْدُ بَرَزَتْ
كَوْكَبَةً مِنْ أَشْرَفِ فُرْسَانَ ذَاكَ الْمَوْقِفِ
مِنْ جَانِبِ الْكُفَّارِ وَجَانِبِ الْأَبْرَارِ
فَمِنْ هُنَاكَ عَتَبَةٌ وَنَجْلُهُ وَشَيْبَةٌ
وَمِنْ هُنَا عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ الْأَبِيِّ
عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنْ رَهْطِ خَيْرِ وَارِثِ
لِلرُّسُلِ الْكِرَامِ نَبِيِّنَا الْإِمَامِ
فَقُتِلَ الْكُفَّارُ وَسَلِمَ الْأَبْرَارُ
غَيْرَ عُبَيْدَةَ فَقَدْ أُصِيبَ ثُمَّتَ رَقْدُ
وَبَعْدَ أَيَّامٍ غَدَا يُعَدُّ بَيْنَ الشُّهَدَا
وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ فَالْتَحَمَ الْأَبْطَالُ
وَالْتَجَأَ النَّبِيُّ لِلَّهِ وَالْعَلِيُّ
حَاشَاهُ لَيْسَ يَخْذُلُ قَاصِدَهُ الْمُتَكَلِّمُ
عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِ الْجَلِيلِ سُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِنْ تَهْلِكُنْ إِلَهِي

ذَا الْجَمْعَ لَنْ تُعْبَدَ قَطُّ	فِي الْأَرْضِ بَعْدُ وَنَشَطُ
يَدْعُو إِلَى أَنْ سَقَطَا	رِدَاؤُهُ فَهَبَطَا
جَبْرِيلُ بِالْبَشَائِرِ	مَنْ الْإِلَهَ الْقَادِرِ
تَحُوطُهُ الْمَلَائِكُ	هُمْ جُنْدُهُ الْمُبَارِكُ
وَأَنْهَزَمَ الشَّرْكَ وَفَرَّ	إِبْلِيسُ شَيْخُهُمْ أَقْرُ
بِأَنَّهُ غَدَا يَرَى	مَا لَا يَرُونَ وَأَنْبَرَى
طَاغِيَةَ الْقَوْمِ أَبُو	جَهْلٍ وَحِينَ هَرَبُوا
عَنْهُ عَلَاهُ حَدَّثَا	الْأَنْصَارِ ذَاكَ حَدَّثَا
بِهِ ابْنُ عَوْفٍ وَقَتْلُ	سَبْعُونَ مُشْرِكًا كَمَلُ
وَمِثْلُهُمْ أُسَارَى	قَدْ وَقَعُوا حَيَارَى
وَفَازَ بِالشَّهَادَةِ	مِنْ مَعْشَرِ السَّعَادَةِ
عَشْرٌ مَنْ قَدْ أُسِرَا	وَمَاتَ مِمَّنْ كَفَرَا

غزوة بنى سليم ١٣٠٢

وَبَعْدَ بَدْرٍ انشَغَلُ	كُلُّ فَرِيْقٍ بِالْعَمَلِ
فَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ	دُ وَالْمُنَافِقُ لُهُوَا
بِمَا عَلَيْهِ جُبُلُوا	مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَعْمَلُ
أَمَّا الْهُدَاةُ الْمُهْتَدُونَ	نَ الرَّآكِعُونَ السُّجَّدُ
فَاشْتَغَلُوا بِنَشْرِ	دِينِ الْهُدَى وَالْبِرِّ
وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى	ذَاكَ إِلَيْهِمْ نُقِلَا

أَنَّ سُلَيْمًا تَحْتَشِدُ لِلاَعْتِدَا عَلَى الْبَلَدِ
بَاغَتْهَا النَّبِيُّ وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
فِي مَائَتِي مَغْوَارٍ مِنْ خَيْرَةِ الْأَبْرَارِ
فَانْهَزَمَ الْأَعَادِي وَتَرَكَوا بِالْوَادِي
إِبْلَهُمْ فَأَصْبَحَتْ غَنِيمَةً وَقُسِّمَتْ
فَوْرًا لَجُنْدِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ
عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَقَامِ مُدَّةٍ
يَوْمَيْنِ فِي دَارِ الْعِدَا لِيَرْهَبُوهُ أَبَدًا

صفوان وعمير يتآمران لقتله ﷺ

لَمْ تَنْسَ مَكَّةَ أَثَرَ وَقَعَةَ بَدْرٍ فَأَتَمَّرَ
عُمَيْرٌ فِي الْحَجْرِ مَعَا صَفْوَانَ حَيْثُ أَجْمَعَا
أَنَّ عُمَيْرًا يَقْتُلُ نَبِيَّنَا فَيَحْمِلُ
صَفْوَانَ دَيْنَهُ كَذَا عِيَالَهُ إِنْ نَفَّذَا
عُمَيْرُ ذَاكَ فَعَمِدَ يَشْحَذُ سَيْفَهُ وَجَدَ
سَيْرًا إِلَى الْمَدِينَةِ لِهَذِهِ الرِّذِيلَةِ
وَبَيْنَمَا يَنْيخُ بِالْبَابِ لَا يَصِيخُ
عُمَيْرٌ إِذْ رَأَى عُمَرَ ذَاكَ الْعَدُوَّ فَابْتَدَرَ
يَجْرُهُ إِلَى النَّبِيِّ يَقُولُ جَاءَ بِأَبِي
أَنْتَ.. عَدُوُّ اللَّهِ وَإِنِّي وَاللَّهِ

أَخْشَاهُ قَالَ أَحْمَدُ	أَرْسَلَهُ لِي وَالْأَحَدُ
يَعْصِمُ خَيْرَ النَّاسِ	مِنْ بَطْشِ كُلِّ قَاسٍ
فَقَالَ مَا جَاءَ بَكَ؟	قَالَ بُنَيَّ ذَلِكَا
أَسْرَتُمُوهُ قَالَ مَا	بِالْ سَلَّاحِ؟ قَالَ: مَا
أَغْنَى بَدْرٍ قُبْحَا	قَالَ النَّبِيُّ: بَلْ ضُحَى
كُنْتَ وَصَفْوَانِ تَرَى	وَحَدَكُمَا حَيْثُ جَرَى
بَيْنَكُمَا فِي الْحَجْرِ	مَا قُلْتُمَا عَنْ بَدْرٍ
ثُمَّ اتَّفَقْتُمَا عَلَيَّ	قَتْلِكَ لِي فَقَالَ: لَا
أُنْكِرُ ذَا بَلٍ أَشْهَدُ	أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ
خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ	أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ
فَلَمْ يَكُنْ ثُمَّ أَحَدٌ	يَسْمَعُنَا عَدَا الصَّمَدِ
فَهُوَ الَّذِي نَبَأَكَا	بِمَا جَرَى هُنَالِكَا

غزوة بنى قينقاع

أَشْعَلَ نَصْرُ بَدْرٍ	حَقْدَ طُغَاةِ الْكُفْرِ
فَلَمْ تَزَلْ يَهُودُ	تَكِيدُ مَا تَكِيدُ
لِلدِّينِ رَغْمَ الْعَهْدِ	مَعَ نَبِيِّ الرَّشْدِ
وَكَانَ فِيهِمْ أَسْوَأُ	مِنْ غَيْرِهِ وَالسَّيِّئِ
وَقَيْنِقَاعُ أَرْدَلُ	مِنْ غَيْرِهَا وَأَنْكَلُ
وَحِينَ بَانَ الْغَدْرُ	مِنْهَا وَفَاحَ الْكُفْرُ

غَزَاهُمْ النَّبِيُّ وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
فَغَلَّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَدْبَرُوا هُرَابًا
فَأَحْكَمَ الْحَصَارَ عَلَيْهِمْ جَهَارًا
مُدَّةَ نِصْفِ شَهْرٍ فَأَذْعَنُوا لِلْأَمْرِ
فُكِّتِ الْجَلَاءُ عَلَيْهِمْ وَبَاؤُوا
بِغَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

غزوة السويق

أَغَارَ جَيْشُ الشُّرْكِ وَالْإِفْكِ
مَعَ أَبِي سُفْيَانَ يَعِدُّهُ بِهَتَانَا
بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ وَالْفَوْزِ بِالثَّمِينِ
لَكِنَّهُ قَدْ جَبْنَا حِينَ أَتَى فِظْعَنَا
بَعْدَ اغْتِيَالِ اثْنَيْنِ وَحَرَقِ حَائِطَيْنِ
فَبَلَغَ الْهَادِي الْخَبْرَ فَجَمَعَ الْجُنْدَ وَكَرَّ
عَلَى الْعَدَا لَكِنَّمَا جَمَعُهُمْ قَدْ هَزَمَا
وَقَدْ رَمَوْا زَادًا يُعَدُّ غَنِيمَةً وَهُوَ عَدَدُ
مِنِ السَّوِيقِ اشْتَهَرَا سُمًّا لَهَا بَيْنَ الْوَرَى

غزوة ذي أمر

أَتَى لِأَحْمَدَ الْخَبْرَ مِنْ قَادِمٍ مِنْ ذِي أَمْرٍ
بِأَنَّ تَمَّ جَلَبَهُ مُحَارِبٌ وَتَعَلَبَهُ

تَجَمَّعُوا الْحَرْبَ مُحَمَّدٌ وَالصَّحْبُ
فَجَهَّزَ الرَّسُولُ جَيْشًا بِهِ يَصُولُ
عَلَيْهِمْ فَعَلِمُوا بِأَمْرِهِ فَاَنْهَزَمُوا
وَصَعَدُوا أَعْلَى الْجَبَلِ صُعُودًا ذُلًّا وَخَبَلًا
فَحَلَّ مَاءَ ذِي أَمْرِ نَبِيَّنَا وَثُمَّ قَرَّ
شَهْرًا لِيَدْخُلَ الرَّهْبَ مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ الْعَرَبِ

مقتل كعب الأشرف

مِنْ أَشْهَرِ الْمَوْجُودِ مِنْ حَنْقِ الْيَهُودِ
مَا أَظْهَرَ ابْنَ الْأَشْرَفِ لَدَيْنَا الْمُشْرَفِ
مَنْ بَعْدَ بَدْرِ إِذْ ذَهَبَ لِلْمُشْرِكِينَ فَنَدَبَ
قَتَلَاهُمْ ثُمَّ هَجَا خَيْرَ الْوَرَى مُبْتَهَجًا
وَأَلَّبَ الْأَعْدَاءَ وَأَكْثَرَ الْهَجَاءِ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَنْ لَعَدُوَّ اللَّهَ
فَقَامَ نَجْلٌ مَسْلَمَةٌ فِي فِئَةٍ مُسْتَسْلَمَةٍ
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ بِالْأَمْرِ، فِي الْمَنْقُولِ
أَنَّهُمْ تَقَوُّوا عَلَى النَّبِيِّ نَزَلُوا
بِحَصْنِ كَعْبٍ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَجَهْرًا
بِحُبِّهِ لِيَطْمَئِنَّ لَهُمْ وَعِنْدَمَا أَمِنَ
قَامُوا بِشَدِّ شَعْرِهِ وَطَعْنَهُ فِي نَحْرِهِ

ثُمَّ بِرَأْسِهِ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ أَقْبَلَا
فَرِيقٌ نَجَلِ مَسَلَمَةَ قَائِدِ تِلْكَ الْمَلْحَمَةِ

غزوة بحران

وَفِي ثَلَاثِ مِائَةٍ قَامَ شَفِيعُ الْأُمَّةِ
بَغَزْوِ بَحْرَانَ وَلَمْ يَلْقَ عَدُوَّهُ وَثَمَّ
أَقَامَ شَهْرَيْنِ بِلَا حَرْبٍ وَبَعْدُ قَفَلَا

سرية زيد بن حارثة

مِنْ بَعْدِ بَدْرِ عِلْمًا جَمَعَ قُرَيْشٌ أَنْمَا
رِحْلَةً صَيْفِهِمْ غَدَا طَرِيقُهَا مُهَدَّدَا
وَدَرَبُهَا بِالسَّاحِلِ مِنْ أخطرِ الْمَرَاحِلِ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَجَهَّزُوا عَيْرَهُمْ
يَقُودُهَا صَفْوَانٌ وَحَمَلُهَا أَثْمَانٌ
مِنْ وَرَقٍ وَمِنْ أَوَا نِ طَبِيبَاتِ الْمُحْتَوَى
فَقَرَّرَ رَأْيَهُمْ عَلَى طَرِيقِ نَجْدٍ فَانْجَلَى
خَبْرُهُمْ لِأَفْضَلِ مُنَبِّأٍ وَمُرْسَلِ
إِذْ جَاءَهُ مُخْبِرًا سَلِيطُ فِيمَا أَثْرَا
فَجَهَّزَ الْحَبِيبُ وَحَبَّابُ الْأَرِيبُ
زَيْدٌ مِنَ الْجَيْشِ مِائَةً مُعْتَرِضًا تِلْكَ الْفَيْئَةَ
فَدَاهَمُوا بِالْقَرْدَةِ صَفْوَانَ وَالْقَافِلَةَ

فَغَنِمُوهَا بَعْدَمَا أَنْ فَرَّ صَفْوَانُ وَمَا
قَاوِمَ نَصْفِ سَاعِهِ وَتَرَكَ الْبِضَاعَةَ
وَعَادَ زَيْدٌ سَالِمًا وَيَحْمِلُ الْغَنَائِمَا

غزوة أحد

لَمْ تَنْسَ مَكَّةَ مَرًّا رَةَ الَّذِي لَهَا جَرَى
مِنْ ذُلَّةِ بَبَدْرٍ بِقَتْلِهَا وَالْأَسْرِ ١٤٠٠
لِذَا أَعَدَّتْ فِي كَمَدٍ قُرَيْشٌ جَيْشًا ذَا عَدَدٍ
وَعُدَّةٍ وَمَمَالٍ فَهَبَ لِلْقِتَالِ
قُرَيْشٌ وَالْأَحْلَافُ وَجَمَعَهُمُ آلَافُ
فَبَعَثَ الْعَبَّاسُ مِنْ أَخْبَرَ خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
بِخَبْرِ الْأَقْوَامِ وَكَانَ ذَا إِسْلَامٍ
يَكْتُمُهُ عَنْهُمْ إِلَى أَنْ حَانَ وَقْتُهُ انْجَلَى
وَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْأَنَامِ تَرَصَّدُ
عُيُونُهُ وَتَرْقُبُ كُلَّ الْجِهَاتِ تَحْسِبُ
تَحْرُكُ الْأَشْرَارِ عَبَدَةَ الْأَحْجَارِ
حَتَّى أَتَاهُ الْخَبْرُ أَنَّهُمْ تَجْمَهَرُوا
بِسَبْحَةِ قُرْبِ أَحَدٍ فَجَمَعَ الْقَوْمَ يُعَدُّ
خَطَطَهُ لِيَمْنَعُوا بِأَسِّ الْعَدَا وَيَدْفَعُوا
عَنِ الْمَدِينَةِ الْخَطَرَ وَكَانَ رَأْيُهُ الْأَبْرُ

فَقَالَ فَلَنْبِقَ هُنَا نَدْفَعُ عَنْ حَرَمِنَا
وَأَعْجَبَ الْمُنَافِقَا ذَا الرَّأْيِ حَيْثُ وَأَفْقَا
عَلَيْهِ لَا إِيْمَانَا لَكِنْ لَشَيْءٍ كَانَا
يُضْمِرُهُ قَدْ افْتَضَحَ إِذْ عَادَ عَنْهُمْ وَصَدَحَ
بِالْحَقِّ وَالْعَدَاوَةَ لِمَعْشَرَ الْهَدَايَةِ
أَمَّا النَّبِيُّ فَخَضَعَ لِرَأْيٍ مِنْ قَدْ امْتَنَعَ
عَنِ الْبَقَاءِ دَاخِلَا طَيِّبَةَ حَيْثُ عَادِلَا
عَنْ رَأْيِهِ تَفَادِيَا لِلْخُلْفِ بَلْ مُوَاسِيَا
خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ
وَأَنَّهُ بِالصَّبْرِ فَوَزَّهُمُ بِالنَّصْرِ
وَحِينَ صَلَّى الْعَصْرَا لَبَسَ - وَهُوَ أَدْرَى
دَرْعَيْنِ - أَنَّمَا الْقَدْرُ لَيْسَ يَرُدُّهُ الْحَذْرُ
لَكِنَّمَا أَجْرَى السَّبَبُ أَفْضَلُ مِنْ قَدْ احْتَسَبُ
فَنَدِمَ الصَّحَابُ قَالُوا لِمَ الذَّهَابُ؟
وَقَدْ رَأَى خَيْرَ الْبَشَرِ مُقَامِنَا الرَّأْيِ الْأَبْرُ
فَقَالَ قَائِلُهُمْ يَا خَيْرَ خَلْقٍ يُعْلَمُ
فَالرَّأْيُ مِثْلَ مَا تَرَى قَالَ: وَلَكِنْ حُظْرَا
عَلَى نَبِيِّ لَبَسَا لِأُمَّتِهِ أَنْ يَجْلِسَا
مِنْ قَبْلِ حُكْمِ الْبَارِي فِيهِ وَفِي الْفُجَارِ

وَاسْتَعْرَضَ الْكَتَائِبَا عَصْرًا وَقَامَ ذَاهِبَا
بَهَا إِلَى الْمَيْدَانِ وَبَاتَ عَالِي الشَّانِ
لَيْلَتَهُ بِقُرْبِ مَيْدَانِهَا بِالْدَّرْبِ
وَفِي الصَّبِيحَةِ مَعَا رَأْسِ النَّفَاقِ رَجَعَا
تُلْتُ مَنْ جَاءَ الْمَحَلِّ بَلْ كَانَ هَمٌّ بِالْفِشْلِ
طَائِفَتَانِ وَالْعَلِيِّ مَوْلَاهُمَا نَعَمَ الْوَلِيِّ
أَثْنَاهُمَا عَنِ الْخَطَا فَصَبْرًا وَانضَبَطَا
وَعَبَّأَ الْجَيْشَ النَّبِيِّ وَقَالَ - يَفْدِيهِ أَبِي
لِمَعْشَرِ الرُّمَاءِ حَذَارِ أَنَّا يَاتِي
خِيَالَةَ الْأَعْدَاءِ لَنَا مِنَ الْوَرَاءِ
وَبَدَأَ الْقِتَالَ وَالطَّعْنَ وَالنِّزَالَ
فَحَامِلُ اللُّوَاءِ مِنْ جِهَةِ الْأَعْدَاءِ
طَلْحَةُ وَهُوَ أَشْجَعُ شُجْعَانُهُمْ وَأَبْرَعُ
فِي الْحَرْبِ جَاءَ طَالِبَا نِدَاءً لَهُ مُغَالِبَا
فَبَرَزَ الزُّبَيْرُ وَإِنَّهُ الْخَبِيرُ
بِالْحَرْبِ فَاقْتَلَعَهُ وَرَأْسَهُ خَلَعَهُ
ثُمَّ تَوَالَى حَامِلُو لَوَائِهِمْ فَقَاتَلُوا
جَمِيعُهُمْ وَاسْتَبَسَلُوا وَكُلُّهُمْ قَدْ قَتَلُوا
فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ آلِ عَبْدِ الدَّارِ

عَشْرَةٌ وَمَوْلَى لَهُمْ تَتَالَوْا قَتَلَى
تَحْتَ لَوَائِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَاَنْخَذَلَا
جَيْشُ الْعَدَا وَانْهَزَمَا حَيْثُ اللّٰوَا تَحَطَّمَا
وَأَعْمَلَ الْهُدَاةُ قَتَلَا إِذِ الْعُدَاةُ
تَحْسَبُهُمْ فَرَارَا أَتَانَا أَوْ حَمَارَا
فَرَّ مِنَ الْقَسْوَرَةِ ثُمَّ الْجَمَاعَةُ الَّتِي
تَكْفَلَتْ بِالرَّمِي قَدْ رَأَتْ هَزِيمَةَ الْعَدَدِ
فَنَسِيَتْ أَوْ حَسِبَتْ أَنَّ الْأُمُورَ حُسِمَتْ
فَارْتَكَبَتْ أَمْرًا جَلَلًا إِذْ نَزَلَتْ عَنِ الْجَبَلِ
فَسَنَحَتْ لَخَالِدٍ سَانِحَةَ الْمُجَالِدِ
فَانْقَضَ مِنْ خَلْفِ عَلِيٍّ كَتِيبَةَ الْهُدَى بَلَى
كَذَا أَرَادَ الْبَارِي وَهُوَ قَضَاءُ جَارِ
وَكَانَ خَيْرًا أَبَدًا إِذْ عَلِمُوا أَنَّ الرَّدَى
مَكْمَنُهُ فِي هَجْرٍ أَمْرٍ وَلِيٍّ الْأَمْرِ
فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ وَدَبَّ رُعْبٌ عَجِيبٌ وَالْعَجَبُ
ثَبَاتُ خَيْرِ الْخَلْقِ مَكَانَهُ لِيُبْقَى
رُوحَ النَّضَالِ وَالْفِدَا فِي الْمُسْلِمِينَ سَرْمَدَا
وَانْقَشَعَ الْغُبَارُ فَأُحْصِيَ الْخَسَارُ
سَبْعِينَ مِنْ صَحْبِ النَّبِيِّ فَازُوا بِخَيْرِ مَا رَبَّ

وَهِيَ الشَّهَادَةُ كَمَا مَثَلُهُمْ قَدْ كَلِمَا
 وَكَانَ خَيْرٌ مِنْ كَلِمٍ خَيْرَ شَفِيعٍ فَسَلِمَ
 وَخَيْرُ كُلِّ الشُّهَدَا قَدْ كَانَ عَمَّ أَحْمَدَا
 وَقَتَلَ النَّبِيَّ عَدُوَّهُ أَبِي
 إِذْ جَاءَ يَعْدُو قَائِلًا أَيْنَ مُحَمَّدٌ فَلَا
 نَجَوْتُ إِنْ نَجَا فَهَمَّ بِقَتْلِهِ مَنْ كَانَ ثَمَّ
 فَقَالَ لَا تُرَمَّا هُ فَأَصَابَهُ كَمَا
 كَانَ لَهُ تَوَعَّدَا وَالصِّدْقُ وَعَدُّ أَحْمَدَا
 خَدَشَهُ فِي الصِّدْرِ فَقَالَ وَهُوَ يَجْرِي
 قَتَلَنِي وَلَوْ بَصَقَ عَلَيَّ مِتُّ وَصَدَقَ
 وَحَدَّثَتْ عَجَائِبُ فِي كُلِّهَا مَنَاقِبُ
 عَظِيمَةً تَطُولُ مِنْ ذَلِكَ الرَّسُولُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ يُثْنِي عَلَيَّ مَوْلَاهُ
 يَقُولُ: لَا هُمْ لَكَ الْ حَمْدُ إِلَهِنَا الْأَجَلُ
 فَلَيْسَ قَابِضٌ لِمَا بَسَطَتْ رَبِّي كَمَا
 لَا بَاسِطٌ لِمَا لَهُ قَبَضَتْ رَبِّي كُلَّهُ
 وَلَيْسَ هَادِيًا لِمَنْ أَضَلَّتْ وَالْعَكْسُ إِذَنْ
 بَعَكَسَهُ وَلَا لِمَا مَنَعَتْ مُعْطِ عُلَمَا
 وَلَا لِمَا أُعْطِيَتْ مَا نَعُّ وَلَا يَمْنَعُ مَا

أَعْطَيْتَهُ رَبِّي وَلَا
لِمُبْعَدٍ أَبْعَدْتَهُ
فَأَبْسُطْ عَلَيْنَا رَبَّنَا
وَرَحْمَاتِكَ وَمَنْ
تُمْ النَّعِيمَ رَبَّنَا
فَلَا يَزُولُ أَوْ يَحُورُ
لِلْعَوْنِ يَوْمَ الْعَيْلَةِ
إِنِّي عَائِدٌ بِكَ
خَلَقْ وَمَا أَعْطَيْتَنَا
وَحَبِّ الْإِيمَانَا
كَرْهُهُ وَالْفُسُوقَا
وَرَشْدًا فَارْزُقْنَا
بِالصَّالِحِينَ لَا نَكُنْ
وَمُسْلِمِينَ رَبَّنَا
وَقَاتِلِ الْكُفَّارَا
قَدْ كَذَّبُوا رُسُلَكَ
سَبِيلُهُمْ رَبِّ اجْعَلْ
مَعَ الْعَذَابِ رَبَّنَا
فَقَاتِلِ الْكُفَّارِ مِنْ
مُقَرَّبٍ وَلَوْ عَلَا
أَوْ مُبْعَدٍ قَرَّبْتَهُ
مِنْ بَرَكَاتِكَ هُنَا
فَضْلِكَ وَالرِّزْقِ وَمَنْ
ذَاكَ الْمُقِيمَ هَبْ لَنَا
لِإِنَّا لَنَطْمَحُ
وَالْأَمْنِ فِي الْمَخَافَةِ
مِنْ شَرِّ مَا هُوَ لَكَ
وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا
زِينَهُ وَالْعَصِيَانَا
[وَفَرَجِنَ الضِّيقَا]
إِلَهِنَا أَلْحَقْنَا
يَا رَبَّنَا مِمَّنْ فُتِنَ
تَوَفَّنَا وَأَحْيِنَا
رَبِّي فَهُمْ جِهَارَا
وَالصِّدْقِ عَنْ سَبِيلِكَ
عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ الْمُحِنَ
يَا غَوْثَنَا وَعَوْنَنَا
أَهْلَ الْكِتَابِ وَأَحِنَ

سرية بنى أسد

تَشَجَّعَ الْكُفْرُ لِمَا لِلْمُسْلِمِينَ عُلَمًا
مِنْ نَكْبَةٍ بِأَحَدٍ فَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ
يُحَدِّثُ النَّفْسَ بِأَنَّ يَقْتُلُ أَوْ يَنْهَبُ مِنْ
بِعَثِهِ الْإِلَهَ بِالْعَدْلِ جَلَّ اللَّهُ
فَاجْتَمَعَتْ بَنُو أَسَدٍ نَجَلِ خُزَيْمَةَ وَقَدْ
أَتَتْهُمْ سَرِيَّةٌ سَقَتَهُمُ الرَّدِيَّةَ
يَقُودُهَا الْفَتَى أَبُو سَلَمَةَ الْمُجَرَّبُ
فَانْهَزَمُوا وَتَرَكَوْا مَالَهُمْ وَسَلَكُوا
مَسَالِكَ الْفِرَارِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
فَغَنِمَ الْبَعَثُ الْغَنِمَ وَإِبِلَ الْقَوْمِ وَلَمْ
يَلْقُوا قِتَالًا فَآتَى بِهَا إِلَى النَّبِيِّ الْفَتَى

بعث عبد الله بن أنيس

وَالْهُذَلِيُّ خَالِدٌ أَيْضًا لَهُ مَقَاصِدُ
لِغَزْوِ دَارِ الْهَجْرَةِ أَتَى شَفِيعَ الْأُمَّةِ
خَبَرَهُ فَأَرْسَلَا نَجَلِ أَنْيسٍ قَائِلًا
اقْضِ عَلَيَّ فَآتَى بِرَأْسِهِ وَثَبَّتَا
بِأَنَّهُ أَعْطَاهُ عَلامَةً عَصَاهُ

بعث الرجيع

مِنْ قَارَةَ وَمِنْ عَضَلٍ قَوْمٌ أَتَوْا عَلَى عَجَلٍ

جَاءُوا مِنَ الرَّجِيعِ	لِغَرَضٍ شَنِيعِ
وَزَعَمُوا الدِّينَ انْتَشَرَ	بَيْنَهُمْ وَقَدْ ظَهَرَ
وَطَلَبُوا أَنْ يُرْسَلَ	إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَ
مَنْ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ	وَيَنْشُرُ الْإِيمَانَ
فَبَعَثَ الْهَادِي نَفْرًا	هُمْ عَشْرَةٌ فِي الْمَعْتَبَرِ
وَمَرْتَدًا أَمِيرًا	أَوْ عَاصِمًا جَدِيرًا
فَاسْتَصْرَحُوا لِحَيَانَا	عَلَيْهِمْ فَبَانَا
غَدْرَهُمْ وَالْمَكْرَ	لِعَاصِمٍ وَالْأَمْرَ
بَانَ لِمَنْ قَدْ أَمِنُوا	لِعَوْدِهِمْ وَرَكَنُوا
إِذْ أَسْرُوا خَبِيبًا	وَزَيْدًا النَّجِيبَا
لِلْبَيْعِ فِي أَهْلِ الْحَرَمِ	فَصَلَبَ الْخَبِيبَ ثُمَّ
كَذَلِكَ زَيْدٌ قَدْ قُتِلَ	وَعَاصِمٌ فَمَا نَزَلَ
مِنْ فَدْفَدٍ فِي صَحْبِهِ	حَتَّى تَوِيَّ أَكْرَمُ بِهِ

مأساة بئر معونة

تَزَامَنَا مَعَ الرَّجِيعِ	عَ قَبْلِ رَفْعِ الْحَرَجِ
كَانَتْ مُصِيبَةُ النَّبِيِّ	مِنْ بَعْدِهَا بِالْأَصْعَبِ
سَبْعُونَ مِنْ قُرَاءِ	ذَا الْمَنْهَجِ الْوَضَاءِ
قَدْ ذَهَبُوا غَدْرًا كَمَا	بَعَثَ الرَّجِيعَ ظُلْمًا
فَكَانَتْ الْفَجِيعَةُ	فَظِيْعَةُ شَنِيعَةُ

إِذْ جَاءَ عَامِرٌ مَلَأَ عَبُّ الْأَسِنَّةِ إِلَى
 نَبِينَا فَمَا امْتَنَعَ عَنْ دِينِهِ وَمَا اتَّبَعَ
 وَقَالَ أَرْسِلْ مَعَنَا لِأَهْلِنَا مَنْ يَرْعَنَا
 يُقْرِئُنَا فَنَفِّقَهُ مِنْهُ ، سَنَرَعِي حَقَّهُ
 وَذَا أَبُو الْبَرَاءِ جَارٌ وَذُو وِلَاءِ
 فَأَرْسَلَ السَّبْعِينَ مِنْ خَيْرِ الَّذِينَ
 قَدِ قَرَأُوا الْقُرْآنَا وَآمَنُوا إِيمَانَا
 فَبَعَثُوا حَرَامًا لِابْنِ الطُّفَيْلِ ، قَامَا
 بِقَتْلِهِ وَاسْتَنْفَرَا شَيْعَهُ وَغَدَرَا
 أَجَابَتِ الْعُصَيْيَةَ وَرَعِلَ لِلْمَعْصِيَةِ
 فَكَتَلُوا الْقُرَاءَ جَمِيعَهُمْ فَبَاءَ
 بِالْخَزِيِّ عَامِرٌ إِلَى لِقَاءِ رَبِّنَا عَلَا
 فَجَاءَ عَمْرُو الضَّمْرِيِّ يُخْبِرُ خَيْرَ الْبَشَرِ
 خَبَرَهُمْ وَقَدْ قَتَلُوا مُسْتَأْمِنِينَ إِذْ نَزَلُوا
 مَعَهُمَا لِيَثَارَا بِذَلِكَ مِمَّا قَدْ جَرَى
 لِقَوْمِهِ وَقَدْ وَدَا ذِينَ مُعَلِّمِ الْهُدَى

غزوة بنى النضير

كَانَ مِنَ الْعُهُودِ قَدَمًا مَعَ الْيَهُودِ
 تَقَاسَمُ الدِّيَاتِ وَرَدُّ كُلِّ آتِ

بِالْمَكْرِ وَالْأَذْيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي
لَمْ يَدْفَعُوا يَوْمَ أَحَدٍ عَنْهَا بَصَاعٍ أَوْ بَمُدٍّ
فَقَيْنُقَاعٌ لَمْ تَفِ أَمَّا النَّضِيرُ فَلَقَدْ
أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ أَتَى إِلَيْهِمْ وَثَبَتَا
بِأَنَّهُ قَدْ وَجَدَا أَنَّهُمْ مِمَّا وَدَا
عَلَيْهِمْ نَصِيبٌ فَقَدِمَ الْحَبِيبُ
دَارَهُمْ وَطَلَبَا عَوْنًا فَقَالُوا مَرْحَبًا
لَكِنَّهُمْ تَأَمَّرُوا لَقَتْلَهُ وَمَكَّرُوا
فَجَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى نَبِيِّنَا مِنَ الْعُلَى
مُنْبَأً بِمَا اخْتَمَرَ مِنْ كَيْدِ أَقْدَرِ الْبَشَرِ
وَقَدْ غَدَا وَشَيْكََا تَنْفِيدُ مَا قَدْ حَيْكََا
فَغَادَرَ الْمَكَانَا وَآثَرَ الْأَمَانَا
وَبَعَثَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ يَقُولُ:
فَلتَخْرُجُوا مِنْ دَارِي لَسْتُ لَكُمْ بِجَارٍ
وَبَعْدَ عَشْرٍ مِنْ نَرَى فَقَطَّعُ رَأْسَهُ حَرَى
بَسِيفٍ عَدَلْنَا فَهَبْ كُلُّ النَّضِيرِ لِلْهَرَبِ
فَبَعَثَ الْمُنَافِقُ يَقُولُ لَا أُؤَافِقُ
وَإِنِّي أَطَاعُ فِي الْقَوْمِ لَا تَرَاعُوا

وَعَطَفَانُ جَارٌ	فَالْخَوْفُ مِنْكُمْ عَارٌ
فَبَعَثُوا رَسُولًا	يُنَبِّئُ الرَّسُولًا
يَقُولُ لَسْنَا نَرَحُلُ	فَمَا أَرَدْتُمْ فافْعَلُوا
فَرَفَعَ التَّكْبِيرًا	وَمَجَّدَ الْكَبِيرًا
نَبِيُّنَا وَأَمْرًا	بِالزَّحْفِ حَيْثُ قَرَرًا
قَتَالَهُمْ فَلَجَأُوا	إِلَى الْحِصُونِ خَسُوا
فَضْرَبَ الْحِصَارًا	عَلَيْهِمْ جَهَارًا
وَأَمَرَ النَّبِيُّ	وَأَمْرَهُ سَنِيًّا
بِقَطْعِ لِيْنِهِمْ فِدْبَ	رُعْبٍ عَظِيمٍ وَذَهَبَ
وَهُمْ انْتَصَارَ رَأْسِ	خِزْيِ النَّفَاقِ النَّحْسِ
فَأَذَعَنُوا لِأَمْرِ	جَيْشِ الْهُدَى وَالْبِرِّ
بِأَنْ يُغَادِرُوا وَيَتَ	رُكُوا سِلَاحَهُمْ ثَبَتَ
أَنَّهُمْ قَدْ خَرَبُوا	بُيُوتَهُمْ وَهَرَبُوا

غزوة بدر الثانية

وَبَيْنَمَا جَمْعُ أَحَدٍ	يُذَمُّ ذَا وَذَا حُمِدٌ
تَوَاعَدَ الْجَمْعَانِ	بَدْرًا لِيَوْمِ ثَانٍ
وَذَاكَ بَعْدَ عَامٍ	يَكُونُ بِالتَّمَامِ
وَحَادَثَتْ أُمُورٌ	فِي بَعْضِهَا شُرُورٌ
وَبَعْضُهَا مَحْمُودٌ	فَقَدْ جَلَّتْ يَهُودٌ

وَقَدْ أَخَافَ الْعَرَبَا	مَنْ حَوْلَهُ وَأَرْهَبَا
نَبِيَّنَا الْأَعْدَاءَ	وَأَمَّنَ الْأَرْجَاءَ
وَهَيَّا اللَّقَاءَ	وَعَقَدَ اللَّوَاءَ
لِلْجَيْشِ أَعْطَاهُ عَلِيٌّ	وَمَجَّدَ الْمَوْلَى الْعَلِيَّ
وَابْنَ رِوَاحَةَ جَعَلَ	خَلِيفَةً ثُمَّ رَحَلَ
أَمَّا أَبُو سُفْيَانَ	وَوَعَدَهُ قَدْ حَانَ
فَهُوَ إِلَى مِجَنِّهِ	وَصَلَ ثُمَّ إِنَّهُ
وَصَلَ فِي الْأَفِينِ	ثُمَّ رَأَى فِي الْحَيْنِ
أَنْ يَتْرُكَ الْقِتَالَ	خَوْفًا وَلَكِنْ قَالَ
يَا قَوْمِ هَذَا الْعَامُ	قَحَطٌ فَلَا نَلَامُ
مَتَى نَعُودُ مِنْ هُنَا	لِدَارِنَا مِنْ حِينِنَا
وَإِنِّي لَرَاغِعٌ	فَلْتَرْجِعُوا فَطَاوَعُوا
أَمَّا النَّبِيُّ فَوَفَى	بِالْوَعْدِ ثُمَّ انْصَرَفَا
بِجَيْشِهِ وَقَدْ سَلِمَ	مِنْ كُلِّ كَيْدٍ وَغَنَمَ
بِالْبَيْعِ وَالْوَفَاءِ	وَرَهْبَةِ الْأَعْدَاءِ

غزوة دومة الجندل

مَنْ بَعْدَ بَدْرٍ اسْتَتَبَ	الْأَمْنُ وَهَابَتِ الْعَرَبُ
أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى	مَدَى شُهُورٍ نُقْلًا
مِنْ بَعْدِهَا بَأْنَا	هُنَاكَ مَنْ تَجَنَّى

بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ قَدْ	جَمَعَ الْأَعْرَابَ وَجَدَ
يَقْطَعُ كُلَّ دَرْبٍ	وَمُعَلْنَا لِلْحَرْبِ
فَجَمَعَ الْقَوْمَ النَّبِيَّ	وَقَامَ يَفْدِيهِ أَبِي
بَغَزَوْهُمْ فَيَكْمُنُ	نَهَارَهُ وَيَظْعَنُ
لَيْلًا لَكَيْلًا تَعْلَمَا	بِهِ الْعِدَا فَتَسَلَمَا
حَتَّى أَتَى لِدُومَةَ الْ	جَنْدَلِ وَهُوَ إِذْ يَحُلُّ
بِرَبْعِهَا لَمْ يَجِدْ	مِنْ أَهْلِهَا مِنْ أَحَدٍ
فَبَعَثَ الْخَيُْولَا	تُطَارِدُ الْفُلُولَا
وَعَنِمَ الْمَغَانِمَا	مِنْهُمْ وَعَادَ سَالِمَا
مُؤَادِعَا لِلْأَمْنِ	حَذِيفَةَ بْنَ حِصْنِ

غزوة الأحزاب (الخذق)

عَشْرُونَ هُمْ أَشْرَارُ	بَنِي النَّضِيرِ دَارُ
فِي الْعُرْبِ يَنْفُثُونَ	سُمَّ الْأَفَاعِي دُونَا
كَلَلِ أَوْ دُونَ مَلَلِ	حَتَّى إِذَا الْحَقْدُ اكْتَمَلَ
تَحْزَبُ الْأَحْزَابُ	تَقُودُهَا كِلَابُ
بَنِي النَّضِيرِ لِلْهَلَا	كُ فَالَيْنَا نَقْلَا
أَنَّ قُرَيْشًا وَكُنَا	نَةَ وَمَنْ تَمَكَّنَا
مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَا	نَ وَسُلَيْمِ أَلْفَا
جَيْشًا يَقُودُهُ أَبُو	سُفْيَانَ ثُمَّ ذَهَبُوا

إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ
فَهُمُ الْوَفَّ عَشْرَهُ
بَعْضُ الثَّقَاتِ أَكْثَرُ
مَعَ النَّبِيِّ جَمَعًا
فَبَلَغَتْ أَخْبَارُ
نَبِينَا فَعَقْدًا
فِي الرَّأْيِ مِنْ أَشَارَا
خَيْرُ الْأَنَامِ مَا رَأَى
مِنْ فَوْرِهِ فَأَوْعَزَا
بِالْحَفْرِ أَرْبَعِينَا
وَهَكَذَا لِكُلِّ
وَشَارَكَ الرَّسُولُ
لَاهُمْ عَيْشَ الْآخِرَةِ
كَذَاكَ لِلْأَنْصَارِ
وَضَهَرَتْ آيَاتُ
فَجَفْرَةٌ وَصَاعُ
أَلْفٌ كَذَاكَ فَادِرُ
قَدْ شَبِعُوا وَفَضَلَا
أَكْثَرُ مِمَّا كَانَا
وَاعْتَرَضَ الْقَوْمَ حَجْرُ
غَرَّهُمْ ذَاكَ الْعَدَدُ
وَذَاكَ فِيمَا ذَكَرَهُ
مِنْ كُلِّ مَنْ يُعْتَبَرُ
إِلَى الشُّيُوخِ الرُّضْعَا
مَا جَمَعَ الْكُفَّارُ
مَجْلِسَ رَأْيِ رَشَدَا
بِخَنْدَقٍ فَاخْتَارَا
سَلْمَانَ ثُمَّ بَدَأُ
لِفِرْقَةٍ أَنْ تُنْجِزَا
ذِرَاعًا أَجْمَعِينَا
عَشْرَةَ بِالْمِثْلِ
فِي حَفْرِهِ يَقُولُ
رَحْمَاكَ لِلْمُهَاجِرَةِ
أُولِي النَّهْيِ الْأَخْيَارِ
لِلنُّورِ بَيِّنَاتُ
وَشَبِعَ الْجِيَاعُ
بِحَفْنَةٍ مِنْ تَمْرٍ
مِنْ ذَا وَذَا عَنِ الْمَلَا
يَرُونَهُ عِيَانَا
فَضْرَبُوا وَمَا انْكَسَرَ

فَدَتَهُ أُمِّي وَأَبِي	ثُمَّ شَكَّوهُ لِلنَّبِيِّ
وَقَالَ إِنِّي لَأَرَى	ضَرْبَهُ فَكَبَّرَا
ضَرْبَ ثُمَّ أَخَذَا	مِنْ هَهُنَا الشَّامَ كَذَا
وَقَالَ قَوْمٌ أَبْشُرُوا	مِنْ بَعْدِهَا يُكَبِّرُ
صَنَعَاءُ وَالشَّامُ هُمَا	أَعْطَيْتُ فَارِسَ كَمَا
سَاعَتَهَا صَارَ مَدْرُ	لَنَا وَذَلِكَ الْحَجَرُ
جَاءَ الْعِدَا فَرَكْنَا	وَمِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا
ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ	لِصِدْقٍ وَعَدِ اللَّهُ
فَمُؤْمِنٌ لَا إِمَّعَهُ	وَكَلٌّ مَنْ كَانَ مَعَهُ
فَزَادَهُمْ تَسْلِيمًا	بَلْ صَدَّقُوا الرَّحِيمَا
أَمْرًا جَدِيدًا قَدْ جَرَى	وَبُهْتَ الْكُفْرُ يَرَى
لِلْعَرَبِ فِي حَرْبٍ لَهَا	إِذْ لَمْ يَرَوْهُ قَبْلَهَا
شَيْئًا مَخُوفًا يَتَّقَا	حِينَ رَأَوْا ذَا الْخَنْدَقَا
وَأَحْكَمُوا الْحَصَارَا	فَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا
يَزِلُّ حَيْبِي فِي الْخِضَمِّ	أَمَّا قُرَيْظَةٌ فَلَمْ
مِنَ الْعُهُودِ مَا مَضَى	يَحِثُّهَا لَتَنْقُضَا
خَبِثَهُمْ بئْسَ الْمَلَا	مَعَ النَّبِيِّ فَانْجَلَى
وَاخْتَلَطَ النَّهَارُ	وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ
نَ خَسَّوْا وَمَحَقُوا	بِاللَّيْلِ وَالْمُنَافِقُو
دَاخِلَهُمْ مِنَ الْعَفْنِ	قَدْ أَظْهَرُوا الَّذِي كَمَنْ

فَأَرْجَفُوا إِرْجَافًا	لَيَنْشُرُوا الْخَلَافًا
وَزَعَمُوا النَّبِيَّا	وَرَبَّنَا الْعَلِيَّا
مَا وَعَدَا إِلَّا غُرُو	رَأَ كُتُبُوا وَخَسَرُوا
وَلَمْ يَكُنْ جَيْشُ الْعَدَا	لِذَا الْحَصَارِ مَهْدَا
فَسَأَمُوهُ وَاسْتَقَرُّ	رَأَيْهِمْ أَنْ لَا مَفَرُّ
مِنْ افْتِحَامِ الْخَنْدَقِ	فَنَفَّذَ الْأَمْرَ الشَّقِيَّ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ	فِي نَفَرِ ذِي جَدِي
نَازَلَهُ عَلِيٌّ	فَهَلَكَ الشَّقِيُّ
أَمَّا رَفِيقَاهُ فَقَدْ	فَرَّا وَمَا عَلَى أَحَدٍ
لَوْى ضِرَارٌ لَا وَلَا	عَكْرَمَةٌ بَلْ خُذَلَا
ذَانِ فَاتَرَا النَّجَا	ةً مُدْبِرِينَ خَرَجَا
مَنْ حَيْثُ كَانَا اقْتَحَمَا	فَهَرَبَا لَيْسَلَمَا
وَبَقِيَ الْحَالُ تَنَا	ضِحًا بِنَبْلِ زَمَنَا
وَقَتَلَ الْأَعْدَاءُ	سِتًّا وَعَشْرًا فَاءُوا
إِلَى الْجَحِيمِ وَبَنُو	يَهُودَ قَدْ تَفَنَّنُوا
فِي الْغَدْرِ ثُمَّ أَعْلَنُوا	حَقْدَهُمْ وَبَيَّنُّوا
مَكْرًا لِلذَّكَ النَّبِيِّ	رَاوِدَ بَعْضَ الْعَرَبِ
يُعْطِيهِمْ حَبَاءً	إِنْ أَعْلَنُوا الْجَلَاءَ
فَيَفْشِلُ الْحَصَارُ	فَأَبَتْ الْأَنْصَارُ
فَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ	وَخْتَلَطَ النَّهَارُ

ظَلَامٌ ظُلْمٍ عَمَّا	بَالِيْلٍ وَاذْلَهَمَّا
نَصْرًا لِمُصْطَفَاهُ	حَتَّىٰ أَرَادَ اللَّهُ
نُعَيْمِ الَّذِي أَتَىٰ	آمَنَ بِاللَّهِ الْفَتَىٰ
مُسْلِمًا لِلَّهِ	إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ
يَفْعَلُ فَرْدٌ أَسْلَمًا	وَقَالَ مُرْنِي قَالَ مَا
إِنْ اسْتَطَعْتَ إِنَّا	فَخَذَلْنَا عَنَّا
نَصْرًا عَلَى النَّفِيرِ	نَرْجُو مِنَ الْقَدِيرِ
بِمَظْهَرٍ وَدُودِ	جَاءَ إِلَى الْيَهُودِ
عَلِمْتُمْ مُقَدِّمًا	وَقَالَ إِنِّي كَمَا
قَالُوا وَنَعَمَ الْحَبُّ	لِنَاصِحٍ مُحِبُّ
وَالْجَيْشُ إِمَّا ظَعَنَّا	فَقَالَ أَنْتُمْ هُنَا
لَأَقِيْتُمْ مُحَمَّدًا	مِنْ هَاهُنَا عَنْكُمْ غَدًا
بِكُمْ فَقَالُوا مَا الْمَفْرُ	مُنْفَرِدِينَ فَظَفَرُ
مَنْهُمْ فَقَالُوا حَسَنًا	قَالَ خُذُوا رَهَائِنَا
وَلِقُرَيْشٍ حَذْرًا	رَأَيْتَ ثُمَّ شَمَّرًا
فَلْتَحْذَرُوا الْأَرَاذِلَا	وَعَطْفَانِ قَائِلَا
عَنْ وَعَدْتُمْ وَأَجْمَعُوا	لَأَنَّهْمُ قَدْ رَجَعُوا
مِنْكُمْ إِلَى مُحَمَّدٍ	عَلَى اجْتِلَابِ عَدَدٍ
أَنْ تَهْجُمَ الْكِلَابُ	فَطَلَبَ الْأَحْزَابُ
يَهُودُ رَهْنًا فَحَصَلَ	وَيَهْجُمُوا فَطَلَبَ الـ

بِذَلِكَ التَّسْلِيمِ	لَمَّا رَوَى نَعِيمٌ
لَهَوُلًا وَهَوُلًا	وَهَكَذَا تَخَاذُلًا
وَهَاجَ ثُمَّ مَاجَا	جَمَعَهُمْ وَرَاجَا
بَيْنَهُمْ ذَاكَ الْخَبْرُ	نَارَ الْهَشِيمِ وَانْتَشَرَ
وَجَاءَتِ الْجُنُودُ	أَرْسَلَهَا الْمَعْبُودُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَآ	ثِكَّةِ جُنْدِ ذِي الْعَلَى
وَهَكَذَا عَمَّ الْفَزَعُ	وَهَبَّ رِيحٌ فَاقْتَلَعَ
خِيَامَهُمْ فَجَبَنُوا	وَقَرَّرُوا أَنْ يَظْعَنُوا
فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ	رَسُولَهُ يَقُولُ
انظُرْ لَنَا مَا الْخَبْرُ	فَجَاءَهُ يُبَشِّرُ
بِمَا رَأَاهُ مِنْ فِرَا	رِ كُلِّ مَنْ قَدْ كَفَرَآ
وَوَحْدَهُ الْعَلِيِّ	حِينَ دَعَا النَّبِيَّ
هَزَمَهُمْ تَعَالَى	وَزَادَهُمْ خَبَالًا

غزوة بنى قريظة

مِنْ وَقَعَتِ الْأَحْزَابِ عَا	دَ خَيْرٌ مِنْ كَانَ وَعَى
عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى	لَبَيْتِهِ فَقَالَ
جِبْرِيلُ فَا الْمَلَائِكُ	لَمْ تَسْتَرِحْ وَلِيَهْلِكُ
بُنُوقْرِیْظَةَ وَلَا	تَضَعُ سِلَاحَكَ إِلَى
أَنْ يَحْكُمَ الْعَلِيُّ	فِيهِمْ، دَعَا النَّبِيَّ

مُؤذِنِيهِ أَنْ مَنْ كَانَ مُطِيعاً وَرَكَنَ
لِلدِّينِ فَلْيُصَلِّ ذَا الْعَصْرِ فِي مَحَلِّ
بَنِي قُرَيْظَةَ فَمَنْ هُمُ الَّذِي كَانَ فِطْنُ
لَأَنَّ ذَا اسْتَعْجَالَ وَآخِرُونَ قَالُوا
فِيهَا نُصَلِّي الْعَصْرَ لَذَا وَذَا أَقْرَأَ
وَوَصَلَ النَّبِيُّ وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
وَفَرَضَ الْحِصَارَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَارَا
لَهُمْ زَعِيمٌ خُبْرًا وَكَانَ لِلْحَقِّ يَرَى
إِحْدَى ثَلَاثٍ مِنْهَا الْإِسْلَامُ زَاغُوا عَنْهَا
فَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى حُكْمِ رَسُولِ ذِي الْعُلَى
فَنَزَلُوا عَلَيْهِ تَا رِكِينَ مَا قَدْ ثَبَتَا
أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ
أَنْبَاهُمْ بِالْقَتْلِ لَيْسَ لَهُ مِنْ مِثْلِ
فَنَزَلُوا وَأَمْرًا بِحَبْسِهِمْ خَيْرُ الْوَرَى
فَشَفَعَ الْأَوْسُ فَقَا لَ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَشْفَقَا
تَرْضَوْنَ حُكْمَ حَكَمٍ مِنْكُمْ خَلَا مِنْ تُهُمٍ
قَالُوا: نَعَمْ رَضِينَا وَإِنَّ سَعْدًا فِينَا

نَعَمَ الْأَمِينُ الْمُؤْمِنُ وَخَيْرٌ مَنْ يُؤْتَمَنُ
 فَحَكَمَ الْحَكِيمُ سَدَّ عَدُوِّ فِيهِمْ وَمَا رَجَعُ
 عَنْ حُكْمِهِ النَّبِيُّ بَلْ قَالَ وَالْعَلِيُّ
 مِنْ فَوْقِ سَبْعِ قَدْحِكُمْ بِمَا حَكَمْتَ وَلِيَعْمُ
 بِالْقَتْلِ كُلِّ ذَكَرٍ بَلَغَ فِي الْمُعْتَبَرِ
 وَلِلذَّرَارِيِّ السَّبْيِ وَالْ مَالُ فَبِالتَّقْسِيمِ حَلُ
 لِلْمُؤْمِنِينَ فَاَنْتَهَى أَمْرُ الْيَهُودِ السُّفْهَى

مقتل أبي رافع

قَدْ كَانَ مِنْ طُغَاةِ يَهُودِ بَلْ دُعَاةِ
 أَذِيَّةِ الْمُخْتَارِ نَجْلُ حَقِيقِ الْعَارِ
 فَاسْتَأْذَنَ الْخَزْرَجُ فِيهِ هِ مِثْلَمَا ابْنُ الْأَشْرَفِ
 قَتَلَهُ الْأَوْسُ بِإِذْنِ نِ الْمُصْطَفَى وَحِينِئذِ
 أُذُنَ لَكِنْ حَذْرًا مِنْ قَتْلِ غَيْرِ النَّظْرَا
 فَقَصَدَ الْمُجَاهِدُ نِ دَارَهُ وَالْقَائِدُ
 نَجْلُ عَتِيكَ فِدْنَا مِنْ حِصْنِهِ وَهَهْنَا
 صَعَدَ مُحْتَالًا إِلَى حَيْثُ الْكُفُورُ فَعَلَا
 هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ فَمَاتَ دُونَ زَيْفِ
 لَكِنَّهُ إِذْ نَزَلَ سَقَطَ ثُمَّ حُمَلَا

لَأَنَّهُ قَدْ كُسِرَا	سَاقًا فَأَفْضَلَ الْوَرَى
مَسَحَهَا فَالْتَأَمَا	فَوْرًا وَعَادَ مِثْلَمَا
كَانَ كَأَنَّ مَا قَدْ شَكَا	كَسْرًا قُبَيْلَ ذَلِكََا
وَعَادَتِ السَّرَايَا	تُوزَعُ الْمَنَايَا
عَلَى الْعِدَا وَتَرْعَبُ	كُلَّ كَفُورٍ يَرْهَبُ
جُنْدَ رَسُولِ اللَّهِ	بِقُدْرَةِ الْإِلَهِ
وَتَنْشُرُ الدِّينَ النَّقِي	فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ

غزوة بني المصطلق

عَلِمَ خَيْرٌ مَتَّقٍ	جَمَعَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
جَمَعَهُمْ لِحَرْبِ	أَفْضَلَ مِنْ لِلْعُرْبِ
وَالْعَالَمِينَ أُرْسَلَا	فَجَمَعَ الْأَفَاضِلَا
مَنْ صَحْبِهِ فَخَرَجُوا	لِحَرْبِهِمْ وَنَهَجُوا
نَهَجَ الْمَبَاغِتَةَ فِي	مَا عَنْهُمْ قَدْ اصْطَفَى
وَالْقَوْمَ غَافِلُونَ ثُمَّ	عَلَى الْمُرَيْسِعِ هَجَمَ
خَيْرُ الْوَرَى فَمَا وَجَدَ	مِنْهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَحَدَ
فِي وَجْهِهِ فَغَنِمَا	إِبْلَهُمْ وَالْغَنِمَا
ثُمَّ سَبَى السَّبَايَا	أَفْضَلَ ذَا الْبَرََايَا
حَيْثُ اصْطَفَى جَوْبِرِيَه	نَبِينَا صَارَتْ هِيَه
أُمَّا لَنَا فَعَتَقَا	قَبِيلَهَا أَهْلُ التُّقَى

وَفِي الْمُرَيْسِعِ ظَهَرَ قُبْحُ النَّفَاقِ وَانْتَشَرَ
 فَابْنُ أَبِي سَلُولٍ يَقُولُ فِي الرَّسُولِ
 لَنُخْرِجَنَّهُ غَدًا خَابَ الْخَسِيسُ إِذْ غَدَا
 يَمْنَعُهُ أَنْ يَدْخُلَا طَيِّبَةَ نَجْلِهِ بَلَى
 وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ هُرَا
 مِنْ الْخِصَامِ بِسَبَبِ دَعْوَةِ جَهْلٍ فِي الْعَرَبِ
 وَبِالرَّحِيلِ أَمْرًا مُهَجِّرًا خَيْرَ الْوَرَى
 لِيُشْغَلَ الْأَقْوَامَا فَيَتْرُكُوا الْمَلَامَا
 وَظِلَّ بَاتٍ وَغَدَا يَسِيرُ حَتَّى بَرَدَا
 مَا فِي النُّفُوسِ مِنْ أَثَرِ قَوْلِ مُنَافِقٍ فَجَرَّ
 قَدْ أَفَكَ الْأَفَاكُو نَ خَسِئُوا فَلَاكُوا
 عَرَضَ الْحِصَانِ الْأَفْضَلِ بَلْ عَرَضَ خَيْرِ مُرْسَلِ
 فَقَدْ غَدَتِ لِلْحَاجَةِ عَائِشُ حَوْلَ السَّاحَةِ
 فَفَقَدَتِ عَقْدًا لَهَا فَغَادَرَتْ مَحَلَّهَا
 تَبَغِيهِ حَيْثُ رَحَلَا مِنْ بَعْدِهَا عَنْهَا الْمَلَا
 فَجَلَسَتْ تَنْتَظِرُ رَجُوعَهُمْ إِنْ ذَكَرُوا
 مَكَانَهَا فَرَقَدَتْ وَاسْتَيْقَظَتْ إِذْ سَمِعَتْ
 صَفْوَانَ حِينَ اسْتَرْجَعَا مُنْدَهَشًا لِمَا وَعَى
 أَنَّ الَّتِي يَرَى هُنَا عَرَسَ النَّبِيِّ فِدْنَا
 يُنِيخُ ثُمَّ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا لَتَرْكَبَ نَقْلُ

أَنْ رَكَبَتْ فَانْطَلَقَا وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَطَقَا
 أَوْ نَطَقَتْ حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الْجَيْشِ مَتَى
 تَهَيَّؤُوا لِلْمَنْزِلِ فَخَاضَ كُلُّ مَقُولِ
 لِلسُّوءِ فِي الشَّنَاعَةِ وَالْإِفْكَ تِلْكَ السَّاعَةِ
 وَفِي الْمَدِينَةِ انْتَشَرَ بُهْتَانُ كُلِّ مَنْ فَجَرَ
 وَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي وَلَا تَرَى مِنَ الْأَمْرِ خَلَا
 أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ كَمَا تَعَوَّدْتَهُ مِنْ
 حَنَانِهِ إِذْ تَشْتَكِي وَذَاتَ يَوْمٍ تَتَكِي
 عَلَى رَفِيقَةٍ بَدْرَ مِنْهَا الَّذِي أَجْلَى الْخَبَرِ
 فَاسْتَأْذَنْتِ خَيْرَ الْأَنَا مِ أَنْ تَكُونَ زَمَنًا
 بَبَيْتِ أَهْلِهَا إِلَى زَوَالِ مَا قَدْ حَصَلَ
 مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَثَرِ عَنَاءِ ذَلِكَ السَّفَرِ
 وَهِيَ تُرِيدُ الْخَبْرًا مِنْ أُمَّهَا وَمَا تَرَى
 فِي أَمْرِهَا فَذَكَرَتْ لَهَا كَلَامًا عَلِمَتْ
 مِنْهُ الْحَقِيقَةَ وَلَمْ تَكُنْ تُصَدِّقْ وَثَمَّ
 جَاءَ الرَّؤُوفُ سَائِلًا عَنْ حَالِهَا قَالَتْ أَلَا
 يُجِيبُهُ عَنِّي أَحَدٌ؟ فَسَكَّتُوا أَمَا الصَّمَدُ
 فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَا يُبْرِئُ الْحَصَانَا
 فَخَسَى النَّفَاقُ وَوُئِدَ الشَّقَاقُ
 وَحَدَّ لِلْقَذْفِ نَفْرَ قَدْ فَجَرُوا فِيمَنْ فَجَرَ

سرايا بين المريسيع والحديبية

بَعْدَ الْمُرَيْسِيْعِ بَعَثَ بَعْضَ الْبُعُوْثِ فَحَدَّثَ
أَنَّ بَعَثَ ابْنَ عَوْفٍ لِمَعْشَرَ مَعْرُوفٍ
وَهُمْ بَنُو كَلْبٍ وَقَدْ أَسْلَمَ جَمْعَهُمْ وَرَدَّ
أَنَّ ابْنَ عَوْفٍ قَدْ نَكَحَ بِنْتَ رَيْسِيْعِهِمْ وَصَحَّ
أَنَّ عَلِيًّا قَدْ بَعَثَ إِلَى بَنِي سَعْدٍ يَحْتِ
سَيْرًا إِلَيْهِمْ يَكْمُنُ نَهَارَهُ وَيَظُنُّ
بِاللَّيْلِ حَتَّى بَاغَتْهَا جَمْعَهُمْ وَثَبَّتَا
أَنَّ سَرِيَّةً إِلَى وَادِي الْقُرَى قَدْ جُعِلَا
قَائِدَهَا الصِّدِّيقُ وَهُوَ بِهَا حَقِيْقٌ
وَقِيلَ بَلْ زَيْدُ بْنُ حَا رِثَةٌ ذَا مَا رَجَحَا
لَلْقَوْمِ مِنْ فَنَارِهِ قَدْ أَجْمَعُوا الْحَقَارَةَ
فَسَاقَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ بَيْنَ أَسِيرٍ وَسَبِي

صلح الحديبية

رَأَى مَنْنَامَ حَقٍّ يَوْمًا نَبِيَّ الْحَقِّ
بِأَنَّهُ قَدْ يَمَّمَا وَصَحْبُهُ فَقَدَمَا
عَلَى الْحَرَامِ فَاغْتَمَرَ حَلَقَ بَعْضٌ وَأَقْتَصَرَ
بَعْضٌ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي رُؤْيَا الْبَشِيرِ
فَأَخْبَرَ الصَّحْبَ بِمَا رَأَى وَكُلُّ سَلَّمَا
بِأَنَّ ذَاكَ وَقَعُ ذَا الْعَامِ حَيْثُ سَارَعُوا

وَغَسَلَ الثِّيَابَا	فَاسْتَنْفَرَ الْأَعْرَابَا
وَهُمْ بِتِلْكَ السَّفْرَةَ	وَخَرَجُوا لِلْعُمْرَةَ
مِنَ الْمئينِ سُرْعَا	أَلْفٌ تَزِيدُ أَرْبَعَا
لِرَاكِبٍ قَدْ عَلِمَا	بِلَا سِلَاحٍ غَيْرِ مَا
بِذِي الْحَلِيفَةِ أَبِي	وَقَلَّدَ الْهُدْيِ النَّبِي
وَسَاقَهُ مُعْتَمِرَا	فِدَاؤُهُ وَأَشْعَرَا
بِأَنَّ قَوْمًا قَرَرُوا	ثُمَّ أَتَاهُ الْخَبْرُ
صَحَابَهُ ثُمَّ اسْتَمَعَ	صَدَّ النَّبِيِّ فَجَمَعَ
أَلَّا تَرُونَ الْأَفْضَلَا	لِرَأْيِهِمْ وَسَأَلَا:
عُمَرَتْنَا فَإِنْ بَدَا	لِحَالِنَا أَنْ نَقْصِدَا
صَارَ قِتَالُهُمْ سَدَدًا؟	مِنْهُمْ لَنَا صَدٌّ فَقَدْ
مِنْ بَيْنِهِ الصِّدِّيقُ	أَقْرَبُ ذَا فَرِيقُ
وَالْغَيْرِ الطَّرِيقَا	فَوَكَّلَ الرَّفِيقَا
عَقَدَتِ الْعَزْمَ لَصَدِّ	أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَقَدْ
عَنْ أَشْرَفِ الْبَقَاعِ	وَقَدْ وَخَيْرِ دَاعِ
وَأَخْرَجَتْ جَيْشًا حَوَى	فَنَزَلَتْ بِذِي طَوَى
مَعَ خَالِدٍ مُنَافِسَا	لِمَائَتَيْنِ فَارِسَا
مُنَاوِنَا حَيْثُ بَدَا	مُعْتَرِضًا بَعَثَ الْهُدَى
فُرْصَتَهُ لِيَطْعَنَا	مُؤَاذِيَا تَحْيِينَا
لَوْ غَفَلُوا فِي لَحْظَةِ	فِي الظَّهْرِ عِنْدَ الْغَفْلَةِ

لَكِنَّ وَحْيَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
نَزَلَ بِالصَّلَاةِ فِي الْخَوْفِ لِلنَّجَاةِ
فَفَوَّتَتْ عَلَى الْعَدَا فُرْصَتَهُمْ لِلْاِعْتِدَا
وَسَارَ رَكْبُ الْحَقِّ بِنُورِ رَبِّ الْخَلْقِ
حَتَّى أَتَى الْمَرَارَا فَبَرَكْتَ نَهَارَا
هُنَاكَ نَاقَةُ النَّبِيِّ فَدَتَهُ أُمِّي وَأَبِي
فَقَالَ مَنْ قَدْ أُرْكَسَا لِلْفَيْلِ يَوْمًا حَبَسَا
نَاقَتَنَا مَاذَا الْخُلُقُ خَلَقَهَا وَإِنَّ حَقَّ
عَلَيَّ إِنْ أَتَوْا بِمَا مِنَ الْأُمُورِ عَظَمَا
لِحُرْمَاتِ اللَّهِ أَقْرَهُ وَاللَّهُ
ثُمَّ إِلَى حَوْضِ قَلْبِي لِمَاؤُهُ بِالْمَنْزِلِ
عَمِدَ فَاسْتَقَوْا فَغِي ضَ الْمَاءِ أَعْطَى الْمُبْتَغِي
سَهْمًا رَمَاهُ فِيهِ فَالْمَا جَرَى لِفِيهِ
وَبَدَأَ السَّاعُونََا لِلصُّلْحِ يَقْدُمُونََا
عَلَى النَّبِيِّ أَقْبَلَا بِدَيْلٍ يُنْذِرُ الْمَلَا
فَقَالَ أَفْضَلُ الْوَرَى جِئْتَكُمْ مُعْتَمِرَا
وَلَمْ أَجِئْ مُقَاتَلَا فَإِنْ تَشَاءُ فُرَيْشُ لَا
تَكُونُ حَرْبٌ أَبَدَا وَإِنْ أَرَادُوا الرِّشْدَا
فَلْيَدْخُلُوا فِي مَا دَخَلُ غَيْرُهُمْ فِيهِ حَصَلُ
أَوْ فَضَّلُوا الْقِتَالََا فَوَالَّذِي تَعَالَى

بَعَثَنِي لَا أَتْرُكُ ذَا الْأَمْرِ حَتَّى أَدْرِكُ
مَدَاهُ أَوْ يَدِ رُكْنِي مَوْتِي وَمَا إِنْ أَنْشِي
فَبَعَثْتُ فُرَيْشَ مِنْ لِلْغَدْرِ لَيْسَ يُؤْتَمَنُ
فَقَالَ خَيْرُ مَرْسَلٍ كَمَثَلِ مَا لِلأَوَّلِ
قَدْ قَالَ ثُمَّ يَقْبَلُ بَعْدَ الْحَلِيسِ الْأَعْقَلِ
فَقَالَ إِذْ رَأَهُ مِنْ عَزِهِ مَوْلَاهُ
أَتَاكُمْ مِنْ أَنْتَمِي لِمَنْ لِبُدْنٍ عَظْمَا
فَاسْتَقْبَلُوهُ بِالْإِبِلِ مَرْسَلَةً وَكَانَ كُلُّ
مِنْهُمْ يَلْبِي فَرَجَعُ لِلْقَوْمِ بَعْدَمَا افْتَنَعُ
بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْلَحُوا بَصَدِّهِ أَوْ يَصْلِحُ
إِرْجَاعُ سَيِّدِ الْوَرَى وَقَدْ أَتَى مُعْتَمِرَا
وَعِنْدَهَا قَالَ الْفَتَى عُرْوَةَ يَا قَوْمِ أَتَى
هَذَا بِرُشْدٍ يَنْفَعُ أَلَا دَعُونِي أَسْمَعُ
فَجَاءَهُ مُحَاوِرَا مُجَادِلَا مُنَاوِرَا
ثُمَّ إِلَى الْقَوْمِ رَجَعُ مُنَاصِحَا فَمَا وَقَعُ
أَمَامَهُ قَدْ أَخْبِرَا بِهِ جَمِيعَا، ذَكَرَا
بِأَنَّ مَا قَدْ عَايْنَا مِنْ طَاعَةِ الْقَوْمِ هُنَا
لَمْ يُرَقَطْ لِأَحَدٍ لَهُ نَظِيرٌ فِي بَلَدٍ
وَقَدْ أَتَاكُمْ يَعْضُ رُشْدَا فَلَ تَعْتَرِضُوا
لَمْ يُرِضْ ذَا بَعْضَ الشَّبَا بِ الطَّائِشِينَ فَأَبَى

جَمَاعَةٌ فَخَرَجُوا لَيْلًا فَلَمَّا عَرَجُوا
 عَلَى مُعَسِّكَرِ الْهُدَى حَبَسَهُمْ مِّنْ اهْتَدَى
 إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَسَسِ وَذَاكَ قَائِدُ الْحَرَسِ
 وَهُوَ الْوَفِيُّ وَالْبَطْلُ ثُمَّ أَتَى بِهِمْ فَحَلَّ
 وَثَاقَهُمْ خَيْرُ الْبَشَرِ الْأَرْأَفُ الْأَرْحَمُ الْأَبْرُ
 ثُمَّ دَعَا سَفِيرًا يَبْعَثُهُ خَبِيرًا
 فَاخْتَارَ أَوْلَىٰ عَمْرٍ لَكِنَّهُ قَدْ اعْتَذَرَ
 وَقَالَ خَيْرٌ مِّنْ سَعَى فِي الْأَمْرِ عُثْمَانُ دَعَا
 إِذْ ذَاكَ عُثْمَانُ النَّبِيِّ لِمَا لَهُ مِنْ نَّسَبِ
 فِي الْقَوْمِ وَالْأَيْدِي بَيْنَ قُرَيْشِ الْوَادِي
 فَجَاءَهُمْ عُثْمَانُ مُحَاوِرًا فَكَانُوا
 فِي صَفِّهِ جَمِيعًا لَكِنْ هُنَا أُذِيعَا
 فِي جَيْشِ أَفْضَلِ الرُّسُلِ بِأَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ
 وَذَا لِأَنَّ الْقَوْمَا قَدْ أَخْرَوْهُ يَوْمًا
 لِذَاكَ قَدْ دَعَا النَّبِي لِبَيْعَةٍ فِي الْكُتُبِ
 تَعْرِفُ وَالْقُرْآنُ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 بِشَّارِهِ مَوْلَاهُ بِمَا ارْتَضَاهُ اللَّهُ
 عَمَّنْ بَظِلِّ الشَّجَرَةِ بَايَعَ خَيْرَ الْبَرَرَةِ
 وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ لَا بُدَّ مِنْ حَلِّ حَسَنِ
 يُرْضِي الْمَلَا وَلَا تُرَى قُرَيْشٌ فَيَمَنْ قُهِرَا

فَأرْسَلَتْ سُهَيْلًا وَحَمَلَتْهُ قَوْلًا
أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ ذَا الْعَامِ لَا تَقُولُ
الْأَعْرَابُ أَنْ قَدْ دَخَلَا مَكَّةَ عُنُوءَ فَلَا
تَرَى لَنَا مَا كَانَا يَرَى لَنَا مَا كَانَا
فَقَالَ إِذْ رَأَاهُ مَنْ خَصَّهُ مَوْلَاهُ
بِنُورِهِ قَدْ سَهَلَا أَمْرُكُمْ فَأَقْبَلَا
سُهَيْلٌ يَعْضُ عَلَيَّ خَيْرِ الْأَنَامِ وَالْمَلَا
أَنْ يَرْجِعُوا ذَا الْعَامَا وَبَعْدَهُ إِنْ رَامَا
أَتَوْا فَيَمَكُثُوا ثَلَاثًا ثَا وَالسَّلَاحُ مَثَلَا
هُوَ السُّيُوفُ تُحْتَسَبُ وَلِيَحْفَظُوهَا فِي الْقُرْبِ
وَالْحَرْبُ عَشْرًا تَوْقَفُ وَأَيُّ شَخْصٍ يَعْرِفُ
بِأَنَّهُ فِي هَؤُلَاءِ أَوْ هَؤُلَاءِ دَخَلَا
بِالْعَهْدِ مِنْهُمْ يُعْتَبَرُ وَمَنْ أَرَادَ بِالْأَثَرِ
دُخُولَ عَهْدِ دَخَلَا وَمَنْ قُرَيْشٍ مَنْ إِلَى
مُحَمَّدٍ فَرِيْرِدُ لَا الْعَكْسُ هَكَذَا وَرِدُ
وَبَيْنَمَا الْكِتَابُ يَكْتُبُهُ الْكِتَابُ
جَاءَ بِقَيْدٍ يَرْسُفُ مَنْ بِاهْتِدَاءٍ يَعْرِفُ
فَرَدَّهُ مُطْمَئِنًّا لَهُ النَّبِيُّ وَهِنَا
أَتَتْ نِسَاءً فَأَبَى إِرْجَاعَهُنَّ مُعْرِبَا
عَنْ كَوْنِ ذَلِكَ لَمْ يَرِدْ فِي الْعَهْدِ وَالْعَهْدُ حَمْدُ

ثُمَّ النَّبِيِّ قَدْ أَمَرَ
 فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ
 مِنْهُمْ لِأُمَّ سَلَمَةَ
 أَنَّ الصَّحَابَةَ رَأَوْا
 طَاعَةَ أَمْرِكَ فَقَمُوا
 لِلنَّحْرِ حَلْقًا يَحْلِقُوا
 أَنَّ الَّذِي كَانَ أَمْرًا
 صَوَابَهُ فَأَقْبَلُوا
 أَوْ كَادَ بَعْضُ بَعْضًا
 وَصَعِبَ الْأَمْرُ عَلَيَّ
 أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ
 مِنْ بَعْدِهَا عَلَيَّ حَذَرَ
 أَبُو بَصِيرٍ الْفَتَى
 إِلَى النَّبِيِّ فَرَدَّهُ
 مُسْعِرَ حَرْبٍ فَالتَّحَقَّ
 إِسْلَامُهُ فَهَرَبَا
 تَعَدُّوْا عَلَيَّ الْقَوَافِلِ
 نَبِيْنَا قُرَيْشٍ أَنْ
 لِلدِّينِ بَعْضُ الْقَادَةِ
 بِالنَّحْرِ كُلِّ مَنْ حَضَرَ
 فَاقَامَ يَشْكُو مَا وَجَدَ
 فَقَالَتْ الْحَقُّ أَعْلَمَهُ
 مَشَقَّةً وَمَا أَبَوْا
 بِالنَّحْرِ يَنْحَرُوا وَضَمُّ
 وَعِنْدَهَا تَحَقَّقُوا
 خَيْرُ الْوَرَى بِهِ ظَهَرَ
 حَلْقًا وَنَحْرًا يَقْتُلُ
 رَضِيَ وَحِبًّا مُحَضًّا
 عُمَرَ وَالْقَوْمَ إِلَى
 مَبَشِّرًا فَكَانُوا
 وَبَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ فَرَّ
 أَفَلَتَ ثُمَّ قَدْ أَتَى
 لِلْعَهْدِ حَيْثُ عَدَّهُ
 بِهِ جَمِيعٌ مِنْ سَبَقِ
 وَقَدْ غَدَوْا عَصَابًا
 فَاسْتَنْجَدَتْ بِالْكَامِلِ
 يَضُمُّهُمْ وَقَدْ رَكْنَ
 أَوْلُو النَّهْيِ وَالسَّادَةَ

عُثْمَانُ عَمْرُو خَالِدٌ أُسْدُ الْوَعْيِ الْأَمَاجِدُ

مكاتبة الملوك

وَحِينَ لِلصُّلْحِ اطمَأَنَّ أَرَادَ خَيْرَ الْخَلْقِ أَنْ
يَنْشُرَ دِينَ الْحَقِّ بَيْنَ الْوَرَى بِالرَّفْقِ
فَبَعَثَ الرُّسُلَ إِلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ مَثَلًا
إِلَى النَّجَاشِيِّ كَتَبَ يَدْعُوهُ فَالْحَقُّ أَحَبُّ
ثُمَّ إِلَى الْمُقَوْقِسِ فَكَانَ كَالْمُسْتَأْنَسِ
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَعْدًا وَمَا اهْتَدَى ثُمَّ هَدَى
بَغَلَّتْهُ دُلْدُلٌ مَعَ جَارِيَتَيْنِ وَامْتَنَعَ
وَالْمَلِكِ الْغَشُومِ كَسْرَى هُوَ الظُّلُومِ
مَزَقَ مَزَقَ الْعَلِيِّ سُلْطَانَهُ لِيَنْجَلِي
بِالْوَحْيِ أَنَّهُ قُتِلَ عَلَى يَدِ ابْنِهِ نُقْلُ
أَنَّ النَّبِيَّ أَخْبَرَ بِذَلِكَ سَاعَةَ جَرَى
وَالْقَيْصَرُ اسْتَبَانَ عِلْمَ أَبِي سُفْيَانَ
فَعَرَفَ الْحَقَّ وَدَ كُنْ حُبَّهُ الْمُلْكَ عَلَا
وَمَنْذَرُ الْبَحْرَيْنِ آمَنَ بِالْيَقِينِ
وَمَلِكُ الْيَمَامَةِ طَمَعَ فِي الرِّيَاسَةِ
فَعَابَهُ وَرَفَضَا ذَاكَ النَّبِيَّ الْمُرْتَضَى
وَالْحَارِثُ الْغَسَّانِي لَمْ يَرْضَ بِالْإِيمَانِ
وَمَلِكَا عُمَانَ ءَامَنَ بِالْقُرْآنِ

كِلَاهُمَا وَسَلَّمَا لَلْحَقِّ حِينَ عَلِمَا

غزوة الغابة

مَعَ رَبِّصَاحٍ أَرْسَلَا أَفْضَلَ مَنْ قَدْ أَرْسَلَا
إِبِلَ ظَهْرٍ يَرْتَعِي وَمَعَهُ ابْنُ الْأَكْوَعِ
وَهُمْ كَذَلِكَ أَغَا رَ ابْنُ الْفَزَارِيِّ وَبَغَى
فَاسْتَأَقَ كُلَّ الْإِبِلِ وَقَتَلَ الرَّاعِي الْوَلِيَّ
إِذْ ذَاكَ صَاحَ سَلَمَهُ هِيََا صَبَاحَ عِلْمَهُ
بِأَمْرِ رَبِّهِ النَّبِيِّ فَفَدَاهُ أُمِّي وَأَبِي
وَوَاطَبَ ابْنَ الْأَكْوَعِ مَطَارِدًا لَمْ يَدْعِ
عَدُوَّهُ حَتَّى التَّحَقَّ بِهِ النَّبِيُّ فَسَبَقَ
بَطْعَنَةَ قَتَادَةَ عَدُوَّهُ فَقَادَهُ
إِلَى الرَّدَى فَأَدْبَرَا رَفَاقُ مَنْ قَدْ كَفَرَا
وَاسْتَرْجَعَ السَّرْحَ وَمَا لَدَى الْعَدُوِّ غَنِمَا
نَبِينَا فَرَجَعَا بِالنَّصْرِ خَيْرُ مَنْ دَعَا

غزوة خيبر

خَيْبَرُ وَكَرُّ الدَّسِّ وَلَبُّ كُلِّ الرَّجْسِ
حَيْثُ بِهَا قَدْ اجْتَمَعَ خُبْتُ الْيَهُودِ وَاتَّسَعَ
فِيهَا التَّأْمَرُ عَلَى دِينِ الْهُدَى وَاكْتَمَلَا
وَكَانَ مِنْ ذَا الْبَابِ تَحْزُبُ الْأَحْزَابِ
مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا يَحْتِثُّهُمْ مَنْ كَمِنَا

مُخَالَفِي الْعُهُودِ	بِهَا مِنْ الْيَهُودِ
بِصُلْحِهِ نَبِينَا	لِذَا فَحِينَ أَمِنَا
أَحْمَدُ أَنْ تَهَيَّأَ	جَانِبَ مَكَّةَ رَأَى
حَدًّا لِمَنْ بِهَا قَبِعَ	لَهُ الْمَنَاخُ لِيَضَعَ
بَشْرَ أَحْمَدَ الصَّمَدِ	وَفِي الْحُدَيْبِيَّةِ قَدِ
وَكَانَ ذَاكَ خَيْبَرًا	بِمَغْنَمٍ قَدْ كَثُرَا
وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ	فَخَرَجَ النَّبِيُّ
أَيُّ أَرْبَعٍ وَعَشْرِهِ	وَهُوَ جَيْشُ الشَّجَرِ
سَاحَةَ خَيْبَرَ نَقَلَ	مِنَ الْمَعِينِ فَنَزَلَ
أَنَّ النَّبِيَّ اخْتَارَا	مَنْ نَقَلَ الْأَخْبَارَا
فِي يَوْمِهِ الْمَوَالِ	لِرَايَةِ الْقِتَالِ
يُحِبُّهُ الْمَوْلَى عَلَا	مِنَ الرَّجَالِ رَجَلَا
فَكُلُّهُمْ رَجَاهَا	وَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ
فَسَاقَهَا إِلَى عَلِيٍّ	لِنَفْسِهِ أَمَّا الْعَلِيُّ
فَجَاءَ وَهُوَ أَرْمَدُ	فَقَدَّ دَعَاهُ أَحْمَدُ
بِأَصْرَتِيهِ فَشَفِي	فَبَصَقَ النَّبِيُّ فِي
أَحْسَنَ وَجْهِهِ .. نُقْلًا	فَقَامَ بِالْأَمْرِ عَلِيٌّ
مَرْحَبَهُمْ وَأَنْتَقَلَا	أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَا
حَصْنَا وَحَيْثُ نَزَحُوا	إِلَى الْحِصُونِ يَفْتَحُ
إِلَيْهِمْ يُحَاصِرُ	لِغَيْرِهِ يُبَادِرُ

هَذَا وَذَاكَ يُعْلِنُ هَزِيمَةً وَيَذْعِنُ
وَيَوْمَهَا رَأَى الْحَبِيْبُ بُ جَعْفَرًا قَالَ النَّبِي
أَبِكَ كُنْتُ أَفْرَحُ أَكْثَرَ أُمَّ مَا يَفْتَحُ
مَنْ خَيْبَرَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ مَا التَّقِينَا
وَمَكَرَتْ يَهُودُ وَمَكَرَهَا مَعَهُودُ
فَوَضَعَتْ سُمًّا لِأَحَدٍ مَدَّ بِلَحْمٍ فَأَفْتَضَحُ
لَأَنَّ مَا اللَّحْمُ أَقْرَبُ بِأَنَّهُ سُمٌّ ذَكَرُ
رَوَاتُهَا أَنَّ الذَّرَا عَ حَدَّثَتْ خَيْرَ الْوَرَى
وَاخْتَارَ لِلزَّوْجِ طَيِّبَةَ الْمِزْجِ
نَبِيْنَا صَفِيَّةَ وَجَعَلَ الْعَطِيَّةَ
مِنْهَا لَهَا الْعَتَقَ وَكَأ نَتَّ أَسَلِمَتْ هُنَالِكَ
وَفِي الطَّرِيقِ قَدْ رَقَدَ نَبِيْنَا وَكَانَ جَدُّ
فِي السَّيْرِ لَيْلًا وَأَمَرَ بِلَالٍ سَيِّدُ الْبَشَرِ
أَنْ يَكْلَأَ الصَّبَّاحَا فَإِنْ رَأَهُ لِأَحَا
أَيْقِظْهُ لِيَسْجُدَا لِرَبِّهِ فَارْقُدَا
مَنْ نَصَبَ بِلَالُ وَذَاكَ كَانَ حَالُ
خَيْرِ الْوَرَى وَالْقَوْمِ فَلَمْ يَقُمْ مِنْ نَوْمِ
فَرَدُّ حَتَّى إِذَا كَوَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَغَدَتْ
فَوْقَ الرَّؤُوسِ أَحْمَدَا قَامَ لَهُ نَفْسِي الْفِدَا

يَسْأَلُ مَاذَا قَدْ جَرَى قَالَ بِلَالٌ مَا تَرَى
فَإِنَّمَا كَانَ قَبْضٌ سِتِي الَّذِي لَكَ عَرَضٌ
فَأَمَرَ الْمُنَادِي بِتَرْكِ ذَاكَ الْوَادِي
حَتَّى إِذَا مَا ابْتَعَدُ صَلَّى الْغَدَاةَ أَحْمَدُ
وَقَبَلَهَا كَمَا وَعَى مُسْلِمٌ كَانَ رَكْعَا

فتح فذك صلحا

وَنَجَلٌ مَسْعُودٍ سَلَكُ طَرِيقَهُ إِلَى فِدْكَ
يَدْعُو لِدِينِ الْحَقِّ بِأَمْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ
يَهُودَهَا فَأَبْطَأُوا عَلَيْهِ ثُمَّ لَجَأُوا
لِلصُّلْحِ حِينَ خَيْبَرَا فَتَحَهَا خَيْرُ الْوَرَى

فتح وادي القرى

وَقَاوَمَتْ وَاوَدِي الْقُرَى يَوْمًا لَمَّا كَانَتْ تَرَى
أَنَّ لَهَا لِقْوَهُ تُغَالِبُ النَّبُوَّةَ
وَفِي الصَّبَاحِ دَفَعُوا يَهُودَهَا مَا جَمَعُوا
وَصَالَحَتْ يَهُودُ تَيْمَاءَ وَالْعُهُودُ
لَهُمْ عَلَى الْبَقَاءِ مِنْ غَيْرِ مَا جَلَاءِ

عمرة القضاء

لِعُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ مُعَلِّمِ الْبَرِيَّةِ
خَرَجَ فِي صَحْبِ كِرَا مِ بَعْدَ عَامٍ ذُكِرَا

وَمَعَهُ أَلْفَانِ	فِي الصُّلْحِ وَالْأَمَانِي
كَيَّ لَا يَكُونُ حَرْجٌ	وَبِالسَّلَاحِ خَرَجُوا
سَيُوفَهُمْ ثُمَّ لَدَى	فَتَرَكَوهُ مَا عَدَا
مِنْ جَيْشِ خَيْرِ النَّاسِ	جَمَعَ مِنَ الْحُرَّاسِ
يَعْتَمِرُونَ خَلَعُوا	ثُمَّ أَتَوْا فَشَرَعُوا
وَلَيْنَ يَدْرِي مَنْ حَضَرَ	عَنِ الْمَنَاكِبِ مُهْرٌ
أَشَاعَ مَنْ قَدْ زَعَمَا	أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَمَا
وَهَكَذَا قَدْ طَافُوا	أَنَّهُمْ ضِعَافٌ
وَأُخْتَهَا وَوَقَفَا	ثُمَّ سَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا
مَكَّةَ حَتَّى خَرَجَا	جَمَعَ قُرَيْشٍ خَارِجَا
بِمَا أَرَادَ سَائِرَا	بَعْدَ ثَلَاثِ ظَافِرَا
وَنَعَمَ كَانَ الرِّكْبُ	نَبِيَّنَا وَالصَّحْبُ
مَيْمُونَةَ النَّبِيِّ جَا	وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَا
جَعْفَرَ وَهِيَ نَقْلَا	عَنِ الثَّقَافَةِ أَرْسَلَا
الْأَمْرَ إِلَى الْعَبَّاسِ	أَنْ جَعَلَتْ فِي النَّاسِ

معركة مؤتة

جَا لِعَظِيمِ بَصْرَى	أَرْسَلَ مِنَ بِالْبُشْرَى
ذَاكَ الرَّسُولَ وَقَضَى	رَسُولُهُ فَاغْتَرَضَا
مُحَمَّدَ رَسُولَ	غَدْرًا عَلَى رَسُولِ
بَيْلِ الْأَثِيمِ فَاتَّضَحَ	رَبِّ الْبَرِيَّةِ شُرْحَ

تَأْدِيبُ تَلُكُمُ الْعَرَبِ	لِلْمُصْطَفَى أَنْ قَدْ وَجَبَ
لِذَلِكَ جَيْشًا مَا اجْتَمَعَ	وَالرُّومِ أَيْضًا فَجَمَعَ
مَذْبُوعَ النَّذِيرِ	قَبْلَ لَهُ نَظِيرِ
آلَافِ الْمَثَبَتِ	عِدَادِهِ ثَلَاثَةَ
زَيْدًا وَبَعْدَ جَعْفَرًا	أَنَّ النَّبِيَّ أَمْرًا
سَدَ ذَلِكَ الَّذِي اجْتَمَعَ	فَابْنَ رَوَاحَةَ وَبَعْدَ
مِنْ جَيْشِ سَيِّدِ الْبَشَرِ	عَلَيْهِ أَمْرٌ مِنْ حَضَرَ
أَعَدَّ جَيْشًا لَا يُعَدُّ	أَمَّا الْعَدُوُّ فَلَقَدْ
فَقِيَصَرُ فِي مَائَةِ	لِمَا لَهُ مِنْ كَثْرَةِ
جَيْشًا مِنَ الْعَرَبِ عَرِمَ	أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ يَضُمُ
فَمَاتَ عَالِي الشَّانِ	ثُمَّ التَّقَى الْجَمْعَانَ
جَعْفَرُ ثُمَّ نَازِلًا	زَيْدٌ وَبَعْدَ قُتْلَا
يَزَلُ يَرْفَرُ الْعِلْمَ	نَجْلُ رَوَاحَةَ فَلَمْ
لَهُ بِهِ مُقَاتَلًا	بَيْنَ يَدَيْهِ حَامِلًا
سَادَةَ تَلُكُمُ الْفَرَقِ	حَتَّى أُصِيبَ فَاتَّفَقَ
سَيْفِ الْإِلَهِ الْخَالِدِ	عَلَى الْأَمِيرِ خَالِدِ
إِذْ لَمْ يَزَلْ يُجَالِدُ	فَكَانَ نَعَمَ الْقَائِدِ
حَتَّى نَجَوْا وَهُوَ	يُخَادِعُ الْعَدُوَّ
لَقَبَهُ إِذْ عُرِفَا	بِذَلِكَ نَالَ شَرَفَا
كَانَ بِهَا يُبَاهِي	بِوَصْفِ سَيْفِ اللَّهِ

غزوة فتح مكة

صُلِحَ الْحُدَيْبِيَّةَ نَصًّا بَأَنَّ مَنْ كَانَ خَلَصًا
لِحَلْفِ قَوْمٍ كَانَا مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَا
فَحَالَفَتْ خُزَاعَهُ مَنْ خُصَّ بِالشَّفَاعَةِ
وَحَالَفَتْ بَكْرُ قُرَيْبٍ شَاءَتْمْ صَارَ كُلُّ حَيٍّ
مَنْ ذِينَ فِي أَمَانٍ بَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
مَنْ خُصِمَهُ لَكِنَّمَا بَكْرُ رَأَتْ أَنْ تَهْجُمَا
عَلَى خُزَاعَةِ الَّتِي كَانَتْ هُنَا فِي غَفْلَةٍ
وَمَعَ بَكْرٍ شَارِكَا بَعْضُ قُرَيْشٍ ذَلِكَ
كَانَ بِهِ الْعَهْدُ انْتَقَضَ فَجَاءَ مِنْ حَثٍّ وَحَضٍّ
كُلُّ مَنْأَهُ نَصْرٌ مَنْ ظَلَمْتَهُ بَكْرٌ
مَعَ قُرَيْشٍ فَآتَى نَبِينَا مِثْلَ الْفَتَى
رئيس مَكَّةَ أَبِي سُفْيَانَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ
تَجْدِيدَ عَهْدٍ يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُمْ
قَدْ نَقَضُوهُ فَرَجَعَ بِخَيْبَةٍ مَعَ الْفَزَعِ
لَمَّا رَأَى وَعَلِمَا مِمَّا عَلَيْهِ عَزَمَا
أَبْرُ كُلِّ الْخَلْقِ وَإِنَّهُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ الْخُزَاعِيِّ عِلْمٌ بِالْوَحْيِ.. ذَلِكَ فَهُمْ
مَنْ كَوْنَهُ اسْتَعَدَّا نَبِينَا وَجَدَّا
فِي الطَّبْرَانِ الْمُخْبِرِي رَوَايَةَ لِلْخَبْرِ

عَنْ أَمْنَانَ الرَّزَّانِ عَائِشَةَ الْحَصَانِ
 ثُمَّ أَتَى الْخَزَاعِيَّ يَشْكُو لِخَيْرِ دَاعٍ
 فَأَعْلَنَ اسْتِنْفَارًا وَكَتَمَ الْأَخْبَارًا
 عَنْ أَيِّ وَجْهِ يَقْصِدُ وَهُوَ بِذَلِكَ يَجْهَدُ
 أَلَّا تَعِيَ قُرَيْشٌ حَتَّى يَصِيرَ الْجَيْشُ
 بِقُرْبِهَا فَتَخْضَعُ جُمُوعُهَا وَتَخْنَعُ
 وَقَدْ أَرَادَ حَاطِبٌ إِخْبَارَهُمْ يَكَاتِبُ
 مُحَذَّرًا فَأَخْبَرَ إِلَيْنَا خَيْرَ الْوَرَى
 بِأَمْرِهِ ثُمَّ اعْتَذَرَ فَقَبِلَ الْعُذْرَ الْأَبْرَ
 نَبِينًا مِنْ يَدْرِي بِمَا لِأَهْلِ بَدْرٍ
 وَمِنْهُمْ ابْنُ بَلْتَعَةَ فَمَا لَهُمْ قَدْ وَسَعَهُ
 ثُمَّ بِجَيْشِهِ خَرَجَ يَسْأَلُ رَبَّهُ الْفَرْجَ
 وَأَنْ يُعَمِّيَ عَلَيَّ مَكَّةَ حَتَّى يَنْزِلَا
 بِهَا فَيَحْقِنَ الدَّمَ وَيُعِزَّ الْحَرَمَا
 وَغَادِرَ الْمَدِينَةَ تَحْفَهُ السَّكِينَةَ
 بِجَيْشِهِ الْمُظْفَرِ خَيْرِ جَمِيعِ الْبَشَرِ
 وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَصَلَ لِقُرْبِ مَكَّةَ نَزَلَ
 إِذْ بِأَبِي سُفْيَانَ يَأْتِيهِ حَيْثُ كَانَ
 خَرَجَ يَلْمَسُ الْخَبَرَ فَاصْطَادَهُ عَلَى الْأَثَرِ
 عَمَّ النَّبِيَّ فَأَتَى بِهِ إِلَيْهِ ثَبَتَا

أَنَّ النَّبِيَّ أَعْطَى إِذَا أَتَى دَارَ أَبِي
أَوْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَوْ كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ
أُولَئِكَ الْأَلَى هَدَرَ وَوَزَعَ الْجَيْشَ ثَلَاثَ
كُلِّ فَرِيْقٍ مِنْ خَلَا نُقْطَةَ الْإِلْتِقَاءِ
مِنْ رَبَّنَا بِالَّذِينَ وَدَخَلَ الْحَرَامَ مَا
تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَعِنْدَ ذَلِكَ أَوَّلُ
أَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَ مَا فَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
ثُمَّ بِجَوْفِ الْكَعْبَةِ صَلَّى وَبَعْدَ خُطْبَا
فِي الدِّينِ ثُمَّ بَيْنَا أَظْهَرَ حِلْمًا لَا يُرَى
فَقَدْ عَفَا وَأَطْلَقَا وَنَشَرَ الصَّفْحَ فَعَمَّ
أَمَانَهُ مِنْ أَخْطَا سُفْيَانَ قَالَهَا النَّبِيُّ
أَغْلَقَ دَارَهُ وَلَوْ طُرًّا سِوَى الْأَشْرَارِ
دَمَاءَهُمْ خَيْرُ الْبَشَرِ ثَ فَرَّقَ فَدَخَلَ
طَرِيقَ غَيْرِهِ إِلَى بِخَيْرٍ كُلِّ جَاءِ
وَالْحَقُّ وَالْيَقِينِ مُطَاطَعَاتِ مَا
وَلَمْ يَكُنْ يُبَاهِي مَا فَعَلَ الْمُبْجَلُ
وَأَبْطَلَ الْإِثَامَ قَدْ سَادَهُ الْإِسْلَامُ
نَبِيِّ هَذِي الْأُمَّةِ خَارِجَهَا فَرَّغَبَا
أَحْكَامَهُ وَهَاهُنَا لَهُ نَظِيرٌ فِي الْوَرَى
جَمْعَهُمْ وَأَعْتَقَا دِينَ الْهُدَى تِلْكَ الْأُمَّةُ

وَكَانَ قَدْ هَدَرَ دَمٌ	تَسْعَةَ أَشْخَاصٍ فَتَمَّ
إِعْدَامُ خَمْسَةِ وَمَا	بَقِيَ مِنْهُمْ سَلَمًا
بِعَفْوِ خَيْرِ الْخَلْقِ	مِنْ ذَبْحِهِ وَالشَّنِقِ
وَرَدِّ مِفْتَاحِ الْحَرَمِ	لِحَائِزِيهِ فِي الْقَدَمِ
وَقَالَ ذَا يَوْمٍ وَفَا	وَيَوْمٍ بَرٍّ وَصَفَا
وَنَشَرَ السَّلَامَا	وَحَرَّمَ الْحَرَامَا
وَمَنَعَ الدِّمَاءَ	وَقَالَ مَنْ قَدْ شَاءَ
مَنْ لَهٗ قَدْ قُتِلَا	ذُو رَحِمٍ أَنْ يُعْقَلَا
أَوْ دَمٍ مَنْ قَدْ قَتَلَهُ	أَرَادَ كَمَا كَانَ ذَاكَ لَهُ
وَخَافَتِ الْأَنْصَارُ	أَنْ يَقْعُدَ الْمُخْتَارُ
عَنْهُمْ بِمَكَّةَ وَلَ	كَنَّ الْوَفِيِّ قَالَ لَا
يَكُونُ ذَاكَ أَبَدًا	ثُمَّ الرَّؤُوفُ قَعْدَا
تَسْعًا وَعَشْرًا جَدِّدًا	دِينَ الْهُدَى وَبَدِّدَا
كُلَّ الشُّرُورِ وَكَسَرَ	الْأَصْنَامَ فَالْحَقُّ ظَهَرَ

غزوة حنين

فِي قَعْرِ أَوْطَاسٍ اجْتَمَعَ	جَمْعُ هَوَازِنَ وَمَعَ
جَمْعُ هَوَازِنَ جُمُوعِ	عُ قَيْسِ عَيْلَانَ هُمُ
وَمَنْ لَهُمْ يَنْتَسِبُ	وَمَالِكًا قَدْ نَصَبُوا
فَقَادَ لِلدَّمَارِ	جَمْعَهُمْ وَالْعَارِ
إِذْ سَاقَ كُلَّ الْمَالِ	وَالزَّوْجَ وَالْأَطْفَالَ

وَعِنْدَمَا جَاءَ الْخَبْرُ رَأَى بُشْرَى مَغْنَمٍ
وَقَدْ تَجَهَّزَ النَّبِيُّ وَعَزَمَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ
فَجَاءَ بِالرُّمَاءِ ثُمَّ عَلَى الْكُفَّارِ
هَجَمَ وَالْكَفَّارُ عَلَى حُمَاةِ الدِّينِ
لَكِنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ لَمْ نَدَاؤُهُ إِلَيْهِ
حَتَّى أَتَاهُ النَّصْرُ إِلَى أَنْهَزَامٍ لَاحِقٍ
ثُمَّ تَفَرَّقَ الْعِدَا بِنَخْلَةٍ وَالْبَعْضُ قَدْ
وَجَلُّهُمْ بِالطَّائِفِ فَلَا حَقَّتْ خَيْلُ النَّبِيِّ
قَدْ سَلَكَوهُ حَتَّى وَمِنْ حُنَيْنٍ تَبِعَ الْ
حَصْنَ ثَقِيفٍ فَمَكَثَ بَيْنَهُمُ الرَّعْبُ وَلَ
بِذَا إِلَى خَيْرِ الْبَشَرِ مِنْ إِبِلٍ وَغَنَمٍ
فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ أَبِي عَلَى قِتَالِهِمْ جَلِي
وَعَقَدَ الرَّايَاتِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
مَنْ مَكَّمَنَ أَغَارُوا فَهَزَمُوا فِي الْحَيْنِ
يَكُنْ لِيُهْزَمَ فَضَمَّ مَنْ ثَبَتُوا لَدَيْهِ
حَيْثُ اسْتَحَالَ الْأَمْرُ بِالْكَفْرِ مُفْنٍ مَاحِقٍ
فَبَعْضُهُمْ قَدْ وَجَدَا جَعَلَ أَوْطَاسَ سَنَدٍ
أَصْبَحَ مِثْلَ الطَّائِفِ كَلَّا بِكُلِّ سَبَبٍ
صَارُوا فُلُولًا شَتَّى مِنْهَزَمِينَ لَجَبَلٍ
مُحَاصِرًا دَهْرًا وَبَثَّ كُنْ شِدَّةَ الرَّمِيِّ عَلَى

جَمَعَ الصَّحَابَةَ دَفَعُ لَلانكفاءِ وَمَنَعُ
 مِنْ فَتْحِ حِصْنِ الطَّائِفِ فَعَادَ غَيْرَ خَائِفِ
 عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ يَا إِلَهِي
 أَنْتَ كَثِيرُ الْمَنَنِ فَاهْدِ ثَقِيفًا وَأَتْنِي
 بِهَا وَقَدْ تَحَقَّقَا رَجَاؤُهُ وَصَدَقَا
 رَبِّ دَعَاهُ بِالرَّحِيحِ مِ وَالرُّؤُوفِ السَّمْحِ
 ثُمَّ الْغَنَائِمِ قَسَمَ بَعْدَ تَرَوِّحَيْهِ تَمَّ
 إِيشَارُ مَنْ تُوُلِّفَا بِجُلِّهَا فَعُرِفَا
 شَيْءٌ مِنَ الْوَجْدِ لَدَى ٢٢٠٠ أَنْصَارِ دِينَ أَحْمَدَا
 فَقَامَ فِيهِمْ فَخَطَبَ حَتَّى بَكَوْا بَيْنَ الْعَرَبِ
 وَقَالَ قَوْلُهُ تَقَا لُ دَائِمًا إِلَى اللَّقَا:
 لَوْ سَلَكَ الْأَنْصَارُ شَعْبًا يَرَى الْمُخْتَارُ
 يَسْأَلُكَهُ وَلَوْلَا هَجْرَتُهُ فَالْأَوْلَى
 بِهِ هُمُ اللَّهْمَا فَارْحَمَهُمْ وَعَمَّا
 مَعَ بَنِي الْأَنْصَارِ حَفْدَةَ الْأَنْصَارِ
 ثُمَّ أَتَى وَفَدُّهُوَ زَنْ يُرِيدُ مُحْتَوَى
 مَغْنَمِ تِلْكَ الْحَرْبِ فَقَالَ خَيْرُ الْعَرَبِ
 أُعْطِيكُمْ الْعِيَالَا أَوْ تَرْغَبُونَ الْمَالَا
 فَفَضَّلُوا الْعَرِضَ عَلَى كُلِّ الْعَرُوضِ نَفَلَا

لَلْقَوْمِ كُلِّ عَرَضٍ أَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ
سَكَنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ
ثُمَّ إِلَى الْحَرَامِ فِي شَهْرِهِ الْحَرَامِ
غَادَرَ فَأَعْتَمَرَ حَلَّ وَلِلْمَدِينَةِ ارْتَحَلَ

غزوة تبوك

مِنْ بَعْدِ مُؤْتَةِ وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ارْتَفَعَ
لَعَلَّمْ خَيْرٍ مِنْ دَعَا أَنْ هَرَقَلَ جَمْعًا
جَيْشًا كَبْحَرِ طَامٍ مِنْ لَحْمٍ مَعَ جُذَامِ
وَالرُّومِ أَيْضًا يَقْصِدُ هَدْمًا لِمَا مُحَمَّدٌ
بَنَاهُ مِنْ أَسَاسِ دِينَ الْهُدَى لِلنَّاسِ
وَكَانَ ذَلِكَ حِينَ قَا ظَ الْحَرِّ وَالظَّلَّ انْتَقَى
جَمِيعُ مَنْ لِلدَّعَا رَكْنَ لَا الْمَعْمَعَةَ
وَالْعَامُ عَامُ عُسْرَةٍ وَالنَّاسُ فِي مَخْمَصَةٍ
لَكِنْ مِنْ اصْطَفَاهُ هَادٍ لَنَا مَوْلَاهُ
كَانَ يَرَى مَا لَا يَرَا هُ غَيْرُهُ مِنَ الْوَرَى
فَقَرَّرَ الْغَزْوَ وَقَدْ أَعْلَنَ مَا بِهِ قَصْدُ
وَكَانَ قَبْلُ إِنْ أَرَا دَ جِهَةً خَيْرُ الْوَرَى
وَرَى وَلَمْ يُـوَرِّي فِي هَذِهِ لِلْعُسْرِ
بَلْ قَدْ أَبَانَ الْقَصْدَا لَكِي يُثِيرَ الْجَدَا
ثُمَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ حَثٌ فَبَدَلُوا وَلَوْ بَرَتْ

مَتَاعَهُمْ كُلُّهُنَا
مِنْهُ أَتَى الصِّدِّيقُ
ثُمَّ أَتَاهُ يَجْرِي
مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ
كَمِثْلِهِ قَدْ أَنْفَقُوا
وَمِنْهُمْ عَثْمَانُ
بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ
أَيَّامَهُ فَلَا ضَرَرَ
وَمَعَ ذَا فَثَمَّ مَا
وَتَمَّ مِنْ تَخَلُّفَا
ثُمَّ تَخَلَّفَ ثَلَاثًا
فَنَدِمُوا فَتَابُوا
تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ الْعِنَا
تَحَرَّكَ الْجَيْشُ إِلَى
وَجُودُ زَادَ الرَّاكِبِ
وَوَهَّجَتْ آيَاتُ
مِثْلَ هُطُولِ الْمَطْرِ
وَقَدْ جَرَى الْمَاءُ لَدَى
وَالْوَجْهَ فِي مَكَانٍ
وَفِي تَبُوكٍ عَسْكَرًا

جَاءَ بِمَا تَمَكَّنَا
بِكُلِّ مَا يُطِيقُ
مُهْرُولاَ بِشَطْرِ
عُمَرَ فِي رَجَالٍ
وَطَالَ مَا تَصَدَّقُوا
صَارَ لَهُ مَكَانٌ
أَمَّنَّهُ فِي بَاقٍ
بَعْدُ بِمَا مِنْهُ صَدْرٌ
مَنْ لَمْ يَجِدْ فَاغْتَمَّا
مُنَافِقًا وَمَا وَفَى
ثَلَاثَةَ بَلَاءٍ عَذْرٍ جَلَا
فَقَبِلَ التَّوَابُ
فَانْقَلَبَ الْعِنَا هُنَا
تَبُوكَ سَاعَةَ غَلَا
وَمَرَّ كِبَ لِرَّاكِبِ
هُنَا وَمَعَجَزَاتُ
بَدَعُوهُ الْمُدَّتْ
غَسَلَ نَبِيَّنَا الْيَدَا
قَدْ غَارَ مُذْ زَمَانَ
بِجَيْشِهِ فَاَنْتَشَرَا

خَبَرُهُ فَفَرَّقَا	لِذَلِكَ إِذْ تَفَرَّقَا
جَيْشُ الْعَدُوِّ فَغَدَا	ذَلِكَ نَصْرًا حُمَدَا
لِذَلِكَ أَدْعَنْتَ قَبَا	ثَلْ هُنَاكَ فَجَبِي
جَزَيْتَهَا الصَّحَابُ	وَكَانَ حِينَ آبُوا
تَأْمَرَ الْمُنَافِقُو	نَ فِي الطَّرِيقِ سَحَقُوا
لِقَتْلِهِ فَاكَشَفَا	أَمْرَهُمْ وَعَرَفَا
حَذِيفَةَ السَّرِّ وَقَد	أَخْفَاهُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ
وَجَاءَ جَيْشُ الْحَقِّ	بِهَدْيِهِ وَالصِّدْقِ
إِلَى الْمَدِينَةِ فَعَمَّ	بِالْعَفْوِ سَيِّدُ الْأُمَمِ
كُلَّ الْمُخَلْفِينَ	وَكَانَ مُؤْمِنُونَ
ثَلَاثَةً يَقِينَا	تَخَلَّفُوا وَحِينَا
قَدِمَ خَيْرُ النَّاسِ	جَاءُوا بِإِلْبَاسِ
فَسَأَلُوا فَاعْتَرَفُوا	بَأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا
بِغَيْرِ عُدْرٍ فَتَرَكَ	أَمْرَهُمْ لِمَنْ مَلَكَ
سُبْحَانَهُ فَتَابُوا	فَغَفَرَ التَّوَابُ
لَكِنَّهُ حِينَ قَدِمَ	كَانَ بِحَزْمٍ مَا عُدِمَ
هَدَمَ مَسْجِدَ الضَّرَّاءِ	رَ ، وَالنَّفَاقِ جَهْرًا
بِفَضْحِهِ الْقُرْآنُ	فَلَمْ يَعُدْ أَمَانُ
لَهُمْ وَلَا يَصَلِّي	عَلَيْهِمْ تَجَلَّى

كُفِرْهُمْ إِذْ هَمُّوا بَقَتْلِهِ فَاغْتَمُّوا
إِذْ فَضَحَ الْوَحْيُ خَبِيءَ عَةَ النَّفُوسِ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ جَلَّ مَنْ اصْطَفَاهُ

حجة الوداع

قَدْ حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكَرٍ وَحِينَ ذَهَبُوا
نَزَلَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْ مُشْرِكِي الْإِسَاءَةِ
فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ يَعْدُو بِهَا أَبُو الْحَسَنِ
فَيَنْبِذَ الْعُهُودَا إِلَيْهِمْ شُهُودَا
وَذَاكَ تَاسِعَ السَّنِيِّ مِنْ فِي الصَّحِيحِ الْبَيْنِ
ثُمَّ جَرَى مَا قَدْ جَرَى فِي عَامِ تَسْعِ ظَهْرَا
دِينَ الْهُدَى فَأَقْبَلَا مِنْ كُلِّ فَجِّ الْمَلَا
يُعْظَمُونَ الدِّينَا إِذْ عَمَّهُمْ يَقِينَا
أَمِنْ هُمْ شُهُودُ عَلَيْهِ فَالْوُفُودُ
تَقَاطَرَتْ إِذْ اكْتَمَلْ دِينَ الْهُدَى وَالْأَمْنُ حَلْ
وَبَعْدَ عَامِ حَجَّا نَبِينَا فَعَجَّا
مُلَبِّيًا مِنْ حَرَمِ طَيْبَةَ حَتَّى الْحَرَمِ
فِي جَوْأَمِنْ عَمَّا قَالَ الشَّفِيعُ أَمَّا
أَنَا فَإِنِّي أُجْمَعُ حَجًّا لَهُ فَاجْتَمَعُوا

وَذَاكَ عَامَ عَشْرٍ مِنْ عَدْنَا بِالْهَجْرِي
فَجَاءَتِ الْقَبَائِلُ وَاجْتَمَعَ الْأَفَاضِلُ
فَاكْتَمَلَتْ أُلُوفُ مَائَةٌ أَوْ تَنْوُفُ
وَفِي الْحَلِيفَةِ اغْتَسَلَ صَلَّى وَبَعْدَهَا أَهْلُ
بِعُمْرَةٍ فِي حَجٍّ وَعَمَّ كُلَّ فَجٍّ
جَمَعَ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ يَسُوقُ دُونَمَا حَرَجَ
هَدِيًّا لَهُ قَدْ قَلَّدَا وَالْكُلُّ كَانَ قَلَّدَا
نَبِينَا فِيمَا فَعَلَ أَوْ لَمْ يُقَلِّدْهُ سَأَلُ
فَعَلِمَ الْحُكْمَ وَمَا خَالَفَ فِيمَا عَلِمَا
فَسَارَ بِالنَّاسِ إِلَى مَكَّةَ حِينَ دَخَلَا
مَسْجِدَهَا طَافَ سَجَدَ خَلْفَ الْمَقَامِ وَاجْتَهَدَ
حَيْثُ سَعَى الْأَشْوَاطَا سَبْعًا وَمَا تَبَاطَا
وَمَا تَحَلَّلَ فَكَأَنَّ نَ قَارِنَا وَذَلِكََا
قَدْ كَانَ فَعَلَ الْبَعْضُ وَالْبَعْضُ كَانَ الْمَرَضِي
إِفْرَادُهُ تَمَتَّعَا بَعْضٌ وَحِينَمَا سَعَى
لِعُمْرَةٍ تَحَلَّلَا وَكُلُّهُمْ مَا فَعَلَا
أَقْرَهُ النَّبِيَّ وَفَعَلَهُ الْمَرَضِي

وَأَكْمَلَ الْحَجَّ عَلَى مَا تَعْلَمُونَ نُقْلًا
أَنْ خَاطَبَ الْقَوْمَ النَّبِيَّ كَمَا أَتَى فِي الْكُتُبِ
وَبِالْقُرْآنِ وَصَّى وَحَثَّ ثُمَّ نَصَّا
عَلَى الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ ثُمَّ كَانَ سَأَلًا
عَنْ نَفْسِهِ إِنْ تُسْأَلُوا عَنِّي فَمَا الْقَوْلُ اعْقَلُوا
قَالُوا شَهِدْنَا أَنَّكَ بَلَغْتَ مَا قَدْ جَاءَكَ
فَقَالَ يَا اللَّهُمَا فَاشْهَدُوا وَالْأَمْرُ تَمَّ

إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى

أُمُّ الْمَصَائِبِ الَّتِي حَلَّتْ بِخَيْرِ أُمَّةٍ
بَلْ كُلٌّ مِنْ فِي ذِي الدُّنَا هِيَ الَّتِي حَلَّتْ هُنَا
بِمَوْتِ مُحَمَّدٍ الْخَصَا لٍ مَنْ أَتَى مُخْلِصًا
بِدَعْوَةِ الْحَقِّ الْبَشَرِ مِنْ كُلِّ طُغْيَانٍ وَشَرٍّ
فَقَدْ أَتَى فِي الْخَبَرِ بِأَنَّ خَيْرَ الْبَشَرِ
قَدْ كَانَ حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ حِينَهَا نَزَلَ
عَلَيْهِ فِيمَا نَزَلَ مِنْ وَحْيٍ رَبَّنَا عَلَا
سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي سُورَةِ النَّصْرِ بِكِي
رَفِيقَهُ الصِّدِّيقُ حِينَ رَفَى الرَّفِيقُ
مَنْبَرَهُ فَقَالَا: إِلَهُنَا تَعَالَى
خَيْرَ عِبَادٍ بَيْنَ مَا عِنْدَ إِلَهِ عُلَمَا

وَزَهْرَةَ الدَّنْيَةِ وَبَدَأَ الصَّوْدَاعَ
 تَتَرَى عَلَيْهِ صَلَّى قِيلَ لَهُ إِنَّا نَرَى
 أَشَدَّ مِمَّا يَجِدُ قَالَ لَذَا فَأَجْرْنَا
 وَرَبِّمَا عَلَى النَّبِيِّ هُوَ يَفِيْقُ فَيَقُو
 بِسْمِ شَاةٍ خَيْبَرًا بَأَنَّهُ فِي الْقَدْرِ
 ثُمَّ يَقُولُ لِنَسَا عَسَى أَكُونُ فَفَهُمْ
 لَهُنَّ أَنْ يَمَكُثَ فِي مِنْ دُورِهِنَّ فَانْتَحَبَ
 عَائِشَةَ الْحِصَانَ ثَانِيَهُمَا فِي الْغَارِ
 وَقَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَقُوا
 مِنْهَا عَلَيْهِ يَقْعُدُ ثُمَّ بِهِ جِيءَ إِلَى

فَاخْتَارَ مَا فِي الْحَضْرَةِ يَأْتِيهِ وَالْأَوْجَاعُ
 عَلَيْهِ رَبِّي جَلًّا مَا بِكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
 أَحَدُنَا وَأَبْعَدُ مُضَاعَفٌ بِهِ لَنَا
 أَغْمِي ثُمَّ بِأَبِي لُ إِنَّمَا أَمْزَقُ
 وَالْآنَ حَانَ مَا أَرَى أَوَانَ قَطْعِ أَبْهَرِي
 تَهَ فَأَيْنَ ذَا الْمَسَا مِنْ أَنَّهُ مِنَ الْمُهْمِ
 مَا يَشْتَهِي وَيَصْطَفِي مَنْزِلَ مَنْ هِيَ الْأَحَبِ
 بِنْتِ رَفِيعِ الشَّانِ فِي هَجْرَةِ الْمُخْتَارِ
 سَةِ أَفَاقِ فَعَزَمَ سَبْعَ دَلَاءٍ يُهْرَقُوا
 لِلنَّاسِ حَتَّى يَعْهَدُ مِنْبَرَهُ فَأَنْزَلَا

عَنْ كَتَفِي عَلِيٍّ وَالْفَاضِلِ الْأَبِيِّ
 فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ وَقَالَ لَ دَاعِيَا إِلَى التُّقَى
 أَلَا عَلَى الْيَهُودِ لِعَائِنِ الْمَعْبُودِ
 وَلَعَنَ النَّصَارَى مَعَهُمْ جَهَارًا
 فَهَوًّا وَهَوًّا كِلَاهُمَا قَدْ جَعَلَا
 قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ الْأَهْوَاءِ
 وَقَالَ لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي رَبًّا وَخُذُوا
 مِنِّي الْحُقُوقَ حَالًا فَمَنْ أَخَذَتْ مَا لَا
 لَهُ وَمَنْ جَلَدَتْ ظَهْرًا لَهُ أَوْ كُنْتُ
 أَصَبْتُ عَرْضَهُ فَذَا مَالِي وَظَهْرِي وَكَذَا
 عِرْضِي فَلْيَقْتَدِ هُنَا مِنِّي وَنَحْنُ فِي الدُّنَا
 وَبَعْدُ بِالْأَنْصَارِ أَنْصَارِهِ الْأَخْيَارِ
 أَوْصَى وِلَاةَ الْأَمْرِ طُرًّا دَوَامَ الدَّهْرِ
 ثُمَّ بِهِ اشْتَدَّ الْوَجَعُ وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ فَرْعُ
 حِينَ دَعَا الْمُؤَذِّنُ إِلَى الْعِشَاءِ يُعْلَنُ
 حُضُورَهَا فَهَمَّا بِهَا وَقَدْ أَلَمَّا
 بِهِ مِنَ الْإِعْيَاءِ مَا جَعَلَهُ يُرِيدُ مَا
 مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ كَفَا يَةً لَغُسْلِ غُرْفَا
 مِنْهُ عَلَيْهِ فَنَهَضَ ثُمَّ عَلَيْهِ مِ الْمَرَضِ
 أَغْمِي ثُمَّ يَسْأَلُ هَلِ الصَّلَاةُ فَعَلُوا

وَهَكَذَا تَكَرَّرًا ذَاكَ وَبَعْدُ جَهْرًا
 بِأَمْرِهِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ مِنْ تَوَلَّى
 مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرَ عَلَى مَا شَاءَ رَبُّنَا عَلَا
 وَدَامَ يَشْكُو الْمَرْضَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَضَى
 مِنْ بَعْدِهَا وَقَدْ تَرَكَ فِينَا صِرَاطًا مَنْ سَلَكَ
 سِوَاهُ ضَلَّ وَأَضَلَّ نَعُودُ بِالْإِلَهِ جَلَّ
 ثُمَّ الْعَبِيدَ أَعْتَقَا كُلًّا وَقَدْ تَصَدَّقَا
 بِمَا لَهُ مِنْ مَالٍ وَلَمْ يَكُنْ بِالْغَالِي
 بِلِ سَبْعَةَ وَلَمْ يَزِدْ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَجَدْ
 دِرْعَ لَهُ مَرهُونَةً لَدَى الْيَهُودِ اثْبَتُوا
 بِأَنَّهُ اسْتَدَانَا مِنْهُمْ شَعِيرًا كَانَا
 يُطْعِمُهُ الْأَهْلَ وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عُلْمَا
 وَكَانَ وَقْتُ الْحَيْنِ فِي ضَحْوَةِ الْإِثْنَيْنِ
 مِنْ يَوْمِ ثَانِي عَشْرِ شَهْرِ الرَّبِيعِ شَهْرِ
 مَوْلِدِهِ فَقَدْ كَشَفَ سِتْرًا رَأَى الصَّلَاةَ صَفَّ
 فَسُرَّ ثُمَّ ابْتَسَمَا يُشِيرُ أَنْ يُتَمَّمَا
 بِهِمْ إِمَامُهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَهُوَ الْأَنْسَبُ
 وَضَحْوَةُ أَسْرًا إِلَى الْحِصَانِ الزَّهْرَا
 سِرًّا بِهِ أَبْكَاهَا ثُمَّ بِهِ أَرْضَاهَا
 فَهُوَ بِمَوْتِ يَسْبِقُ وَهِيَ بِهِ تَلْتَحِقُ

وَاسْتَاكَ ثُمَّ ذَكَرَا مَوْلَاهُ حَيْثُ آثَرَا
وَجَهَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى يَلْقَاهُ رَاضٍ جَلَّى
وَأَسْلَمَ الرُّوحَ إِلَى بَارِئِهَا الْمَوْلَى عَلَا
خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَخَيْرِ الْأَصْفِيَاءِ

نِسَاؤُهُ ﷺ

زَوْجَاتُهُ تَسْعُ رَحْلَ عَنْهُنَّ وَاثْنَتَانِ حَلَّ
بِهِنَّ قَبْلَهُ الْفَنَى بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مَنَى
سَادَاتِ كُلِّ عَصْرٍ تَزَوَّجَتْ بِالْبَدْرِ
خَيْرِ مُنْبَأٍ وَمَا بُعِثَ إِذْ ذَاكَ أَعْلَمَا
وَهِيَ أُمُّ كُلِّ مَنْ لِلنَّبِيِّ مِنْ نَجْلِ
عَدَا ابْنَ مَارِيَةَ إِدِ رَاهِمٍ فَهُوَ قَدْ وَهَبَ
مِنْهَا لِخَيْرِ الْخَلْقِ وَهِيَ لَهُ بِالرَّقِّ
وَمَا تَزَوَّجَ عَلَى بِنْتُ خُوَيْلِدٍ إِلَى
أَنْ دُفِنَتْ وَفَاءَ لَهَا لِمَا قَدْ جَاءَ
عَنْهَا مِنَ الْوَفَاءِ وَالنَّصْرِ وَالسَّخَاءِ
كَانَتْ لَهُ تُوَاسٍ مِنْ دُونِ كُلِّ النَّاسِ
وَصَدَّقْتَهُ قَبْلَ كُلِّ مَنْ خَلَقَ إِلَهُ جَلَّ
لِذَا وَذَا قَدْ بُشِّرَتْ بِقَصْرِهَا وَحَظِيَّتْ
كَذَاكَ بِالسَّلَامِ مِنْ أَفْضَلِ الْكِرَامِ

مَلَائِكِ الرَّحْمَنِ	كَذَا مِنَ الْمَنَانِ
بَعْدَ خَدِيجَةَ عَلِيٍّ	سَوْدَةَ أَوْ قَدْ نُقِلَا
عَلَى الْحِصَانِ قَدْ عَقِدَ	مِنْ قَبْلِهَا وَقَدْ وَرَدَ
تَنَازُلُ الرَّزَانِ	سَوْدَةَ لِلْحِصَانِ
وَأَنَّ عَائِشَةَ كَا	نَتْ بِنْتَ سِتِّ ذَلِكََا
قَدْ كَانَ يَوْمَ عَقْدَا	عِنْدَ الْحَرَامِ وَلَدَى
دُخُولِهِ قَدْ بَلَغَتْ	تَسْعَاً بِطَيْبَةِ أَتَتْ
بِذَلِكَ الْأَنْبَاءِ	وَلَمْ تَكُنْ نِسَاءِ
خَيْرِ الْوَرَى مِنْهُنَا	بِكَرِّ سَوَاهَا، إِنَّا
لَهَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَيَّ	كُلَّ النِّسَاءِ مَا عَلَا
كَمَا عَلَيَّ الثَّرِيدُ	سَوَاهُ أَوْ تَزِيدُ
وَمِنْ نِسَائِهِ تُرَى	حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرََا
جَمِيلَةً صَفِيَّةَ	عَابِدَةَ تَقِيَّةَ
طَلَّقَهَا يَوْمًا نَزَلَ	عَلَيْهِ وَحْيُ اللَّهِ جَلَّ
أَتَى بِهِ جِبْرِيلُ	مُعَاتِبَا يَقُولُ
تُطَلِّقُ الصَّوَامَةَ	وَأَنَّهَا الْقَوَامَةَ
فَرَاغِعَنَّ وَهَنَا	رَاجِعَهَا نَبِيَّنَا
ثَانِيَةَ اللَّوَاتِي	مِثْنِ مِنَ الزَّوْجَاتِ
بِنْتُ خُزَيْمَةَ الَّتِي	قَدْ عُرِفَتْ فِي الْمُثَبَّتِ

مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ بِأُمِّ كُلِّ حَيٍّ^١
 مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَمَا عَاشَتْ سَوَى، فِيمَا نَمَى
 لَعَلَّمَنَا شَهْرَيْنِ لَدَيْهِ قَبْلَ الْحَيْنِ
 وَبِنْتُ جَحْشٍ زَيْنَبُ مِنْهُنَّ وَهِيَ تُنْسَبُ
 لَعَمَّةِ النَّبِيِّ جَاءَ مِنَ الْعَلِيِّ
 الْأَمْرُ بِهَا وَهِيَ لَدَى مَنْ كَانَ يُنْسَبُ ابْتَدَا
 إِلَيْهِ بِالتَّبَنِيِّ وَالْحَقُّ غَيْرُ الظَّنِّ
 فَلَمْ يَكُنْ خَيْرَ الْوَرَى أَبَا لَهُ بَلْ ذَا جَرَى
 كَانَ بِعُرْفِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ مَا أَسَاسِ
 فَبَيْنَ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ بُهْتَانُ
 فَزَوْجِ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ نَبِينَا نَعْمَ الْوَلِيِّ
 كَانَ لَهَا الْمُدَبِّرُ وَهِيَ بِذَا تَفْتَخِرُ
 وَهِيَ التَّقِيَّةُ الَّتِي لَمْ تَأْتِفْكَ فِي الْمُثَبَّتِ
 كَانَتْ عَلَى الصَّدِيقِ بَلْ كَانَتْ الصَّدِيقِ
 لَهَا زَمَانُ الْإِفْتِرَا وَكُلُّ إِفْكٍ قَدْ جَرَى
 وَكَانَتْ الْأَطْوَلُ يَدُ أَيُّ أَكْرَمِ النِّسَاءِ تُعَدُّ
 وَمِنْ نِسَاءِ أَحْمَدَا هِنْدُ بِنَةُ الَّذِي لَدَى
 سَفَرِهِ يُعْتَبَرُ زَادًا لِمَنْ يُسَافِرُ
 صُحْبَتَهُ وَهِيَ أُمُّ سَلَمَةَ الَّتِي عُلِمَ

بِأَنَّهَا مِنْ بَعْدِمَا كَانِ ابْنُهَا تَيْتَمًا
تَزَوَّجَتْ خَيْرَ الْبَشَرِ وَكَانَ رَأْيُهَا الْأَبْرَ
ثُمَّ مِنَ الزَّوْجَاتِ زَوْجَاتِهِ الْأَمَّاتِ
لَنَا الَّتِي لِقَوْمِهَا قَدْ عَتَقْتَ مِنْ يَوْمِهَا
وَذَاكَ فِي الْمُحَقَّقِ يَوْمِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
أَضَحَتْ جُوَيْرِيَّةٌ ضِمًّا مِنْ سَبِيهِمْ وَقَدْ قُسِمَ
إِذْ هِيَ مِنْ نَصِيبِ ثَا بِتِ بِذَلِكَ حُدَّثَا
كَانَتْ جَمِيلَةً لَبِيبًا بَةً فَجَاءَتْ لِلنَّبِيِّ
تُرِيدُ أَنْ تُعَانَا فِي عِتْقِهَا فَكَانَا
لَهَا نَصِيبٌ أَوْفَرُ حَيْثُ غَدَتْ تُعْتَبَرُ
فِي عِصْمَةِ الْمَعْصُومِ لَمْ يَكُ بِالْمَلُومِ
وَتَمَّ عِتْقُ أَهْلِهَا جَمِيعِهِمْ لِأَجْلِهَا
وَرَمَلَةَ ابْنَتِ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ
مِنْ أَفْضَلِ الزَّوْجَاتِ نَعَمَ الْفَتَاتِ يَأْتِي
وَالِدُهَا وَهُوَ إِلَى ذَاكَ عَلَى دِينَ الْمَلَا
مِنْ قَوْمِهِ فَتَجَمَّعُ عَنْهُ الْفِرَاشُ تَمْنَعُ
لَأَنَّهُ مَا عَبَدَا مَوْلَاهُ أَوْ تَشْهَدَا
وَمِنْ كَرِيمَاتِ النِّسَاءِ وَمَنْ بِهِنَّ يُؤْتَسَا
فِي الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ وَأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ

صَفِيَّةُ ابْنَتُ حَيٍّ	تِلْكَ الَّتِي مِنْ قَوْمِ حَيٍّ
خَيْبَرَ إِذْ لَهَا انْتَقَى	نَبِيُّنَا فَأَعْتَقَا
وَكَانَ ذَلِكَ الْمَهْرُ	لَهَا فَتَمَّ الْأَمْرُ
وَأَخِرُ الزَّوْجَاتِ	لَهُ فِي ذِي الْحَيَاتِ
هِيَ الَّتِي تَزَوَّجَا	بِهَا غَدَاةَ خَرَجَا
لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ	مِنْ خَيْرَةِ النِّسَاءِ
كَانَتْ، وَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ	بَعْدَ وَفَاتِ زَيْنَبِ
بِنْتِ الْهَلَالِيِّ فَعِ	وَهِيَ بِلَا مَنَازِعِ
شَقِيْقَةٌ مَيْمُونَةٌ	لَأُمَّنَا مَيْمُونَةٌ
فَهَؤُلَاءِ هُنَّا	زَوْجَاتُهُ وَعَنَّا
ذَكَرُ اللَّوَاتِ مَا دَخَلَ	بِهِنَّ لَكِنْ قَدْ حَصَلَ
عَقْدٌ لِهِنَّ ذَكَرُوا	ثِنْتَانِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ
كَذَا السَّرَارِيِّ وَذَكَرُ	نَحْوِ الثَّلَاثِ فَادَّكِرُ

أولاده صلى الله عليه وآله

ثَلَاثَةٌ أَبْنَاءُ	خَيْرِ الْوَرَى وَجَاءُوا
بِذِكْرِ رَابِعٍ وَمَا	سَلَّمَ جُلُّ الْعُلَمَا
بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ	وَكُلُّهُمْ يَعُودُ
لَأُمَّنَا ابْنَةُ خُوَيْدٍ	بِلِدِّ سِرَاجِ كُلِّ حَيٍّ
مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ	مِنَّا وَمِنْ كُلِّ الْأُمَّمِ

فَهُوَ ابْنُ تِلْكَ الْجَارِيَةِ	فِيمَا عَدَا ابْنَ مَارِيَةَ
وَكُلُّهُنَّ أَجْمَعُ	ثُمَّ الْبَنَاتُ أَرْبَعُ
خَدِيجَةَ الْكَرِيمِ	مِنْ أُمَّنَا الرَّحِيمِ
قَاسِمُهُمْ وَالطَّاهِرُ	مِنَ الذُّكُورِ يُذَكَّرُوا
ثَالِثُهُمْ وَاللَّهُ	وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ
رَاهِمِ ذَاكَ الْمُنْتَسِبِ	هُوَ ابْنُ مَارِيَةَ ابْنِ
لِلْعَالَمِينَ فَجَلًّا	لِخَيْرٍ مِنْ قَدْ أُرْسِلَا
وَنَشَرَ السَّلَامَا	بِنُورِهِ الظَّلَامَا
فَزَيْنَبُ وَعَدَدَا	أُمَّ بَنَاتُ أَحْمَدَا
كُلُّشُومٍ ثَمَّتْ تَضَمَّ	فَقُلُّ رُقَيْيَةَ وَأُمِّ
مَا مِثْلُهَا النِّسَاءُ	فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءُ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ	وَكُلُّ مَوْلُودٍ لَهُ
سِوَى الْبَتُولِ فَاطِمَةَ	قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ اعْلَمَهُ

الخاتمة نسأل الله تعالى حسنها

عام تشابيل ١٤٣٣ العمي	في غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ
إِذْ عَمَّنِي فَضْلُ الصِّمْدِ	فَجَرًّا جَرَى الَّذِي أَوْدَ
شَذَا عَطُورِ السَّيْرِ	فَتَمَّتْ الْمُثِيرَةُ
قَلِيلَةَ الْمَعَانِي	ضَعِيفَةَ الْمَبَانِي
وَلَمْ تَكُنْ لِتُجْدِي	وَلَا تَفِي بِالْقَصْدِ

دُونَ قَبُولِ أَكْمَلٍ لَهَا مِنَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ
فَإِنْ يَقَعُ قَبُولٌ أَوْ أَمَكَنَ الْوُصُولُ
بِهَا إِلَى الشِّفَاعَةِ فَنَعِمَتِ الْبِضَاعَةُ
إِلَّا... رَبِّحْتُ أَنِّي بِحُبِّهِ أَغْنِي
صَلَّى عَلَيْهِ رَبِّي وَآلِهِ.. وَحَسْبِي
أَنِّي هُنَا الْكَرِيمُ وَالرَّازِقُ الرَّحِيمُ
بِهَا طَرَقْتُ بَابَهُ مُنْتَظِرًا ثَوَابَهُ
وَمَنْ رَجَى النَّوَالَ مِنَ الْكَرِيمِ نَالًا
أَبْيَاتُهَا (تَشَاوَشًا) ^{٥٠١} (مَنِّي) الْغَشَاءُ وَالْعَشَاءُ
ثُمَّ بِهَا رَجَوْتُ رَبِّي لِمَنْ بَلَوْتُ
فَأَشْبَهَا الْجَدَّ أَبَا بَكَرٍ إِذَا مَا وَهَبَا
شِفَاعَةَ النَّبِيِّ بَعْدَ رِضَا الْعَلِيِّ
ثُمَّ صَلَاحَ الْحَالِ وَالْأَهْلِ وَالْمَمَالِ
وَالْمَالِ وَالْأَعْمَالِ وَكُلِّ أَمْرِ غَالِ
عَلَيْهِمَا فِي ذِي الدُّنَا وَبَعْدَهَا يَا رَبَّنَا
أَحْسَنَ إِلَى الْبِرِّ الْوَفِيِّ وَالْآخِرِ الْمُتَّصِفِ
بِأَجْمَلِ الْمَعَانِي كَيْفَ بِمَنْ أَغْنَانِي
رَبِّي بِهِ أَغْنَاهُ مَوْلَاهُ عَنِ سِوَاهُ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باعث الرسل الأبرار المصطفين الأخيار رحمة للعالمين
وهداية للصالحين، وندارة للغافلين؛ والصلاة والسلام الأتمان الأكملان
على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبينا ونبينا
محمد عبدالله ورسوله، ومصطفاه من خلقه، وعلى آله وصحبه.
وبعد: فهذا تعليق خفيف وضعته لتسهيل الانتفاع بهذه المنظومة التي
كنت وضعتها منذ بعض الوقت في سيرة الحبيب ﷺ وقد اجتهدت في
تنقيتها مما في بعض كتب السيرة من الروايات التي يشك في صحتها.
وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك بعض التوفيق، كما جعلتها من
مجزوء الرجز تسهيلا لحفظها متحاشيا كل لفظ يصعب فهمه على من
ليس له نصيب كبير في علوم اللغة، بل حرصت ألا أخرج في لغتها
كثيرا عن لغة عامة الناس، راجيا من العلي القدير أن ينفع بها كل من
تبصر فيها أو أبصرها أو ظن بها وبنائظها خيرا فدعا له.

قال الناظم غفر الله ولوالديه:

زُويِّدُ الأَذانَ * ذُو العَجْزِ والنُّقْصانِ
أَمَلُهُ القَبُولُ * وَالْفَوْزُ إِذْ يَقُولُ
بِالحَمْدِ واسْمِ اللَّهِ * ثُمَّ صَلَاةِ اللَّهِ

بَدَأْتُ وَالسَّلَامِ * عَلَى الْهُدَى الْإِمَامِ
وَاللهِ الْأَطْهَارِ * وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ

بدأت النظم بما ينبغي أن يبدأ به وهو حمد الله تعالى وذكر اسمه امتثالاً لقوله ﷺ: « كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع » وإن كان الظاهر هو بدئي بتعريف نفسي، وذكرت اسمي: زايد الاذان بالتحقير فرارا مما قد يدخل على النفس من العجب في مثل هذه المواقف، أعاذنا الله من أن يكون للشيطان والرياء والسمعة والعجب مدخل إلى نفوسنا، ثم ثنيت بالصلاة والسلام على الحبيب نبينا محمد سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الأطهار من كل رجس، وصحابته الأبرار المبلغين عنه بكل أمانة وتجرد.

وَبَعْدُ ذِي مَقَالِهِ * وَضَعْتُهَا عَجَالَهُ
فِي سَيْرَةِ النَّبِيِّ * أَلْمُصْطَفَى الرَّضِيِّ
سَمَّيْتُهَا مُحْتَسِبًا * وَرَاغِبًا وَرَاهِبًا
بِالنَّسْمَةِ الْمُثِيرَةِ * شَذَا عَطُورِ السَّيْرِ
وَأَنْنِي بِذَاكَ * إِلَهِنَا رِضَاكَ
رَجَوْتُ فَارِضَ رَبِّي * عَنِّي فَأَنْتَ حَسْبِي
وَاحْفَظْ عَلَيَّ الدِّينَا * وَثَبَّتْ أَلْيَقِينَا
وَوَالِدِيَّ فَارْحَمِ * هُمَا وَكُلَّ مَنْتَمِ

إِلَيْهِمَا وَوَالِدَيْ * هِمَا وَكُلَّ ذِي يَدٍ
عَلَيَّ بِالْإِحْسَانِ * مِنْ مُسْلِمٍ آسَانِي
وَأَصْلِحِ الْأَوْلَادَا * وَالزَّوْجَ وَالْأَحْفَادَا
وَالصَّحْبَ وَالْإِخْوَانَ * وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ
وَأُمَّةَ الْإِسْلَامِ * تَنْجُو مِنَ اللَّئَامِ
وَكُنْ لَنَا مُعِينَا * وَنَاصِرَا .. آمِينَ

وبعد حمدي لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى وآله
وصحبه، أسوق لك أيها الراجي معرفة شيء عن نبيك ﷺ هذه
المنظومة التي هي عجالة سريعة خفيفة، وقد وضعتها في سيرة النبي
المصطفى الرضي في كل أحواله ﷺ، وسميتها: «النسمة المثيرة شذا
عطور السيرة» كما أني وضعتها محتسبا الثواب عند الله تعالى وراغبا
فيما عنده، وراغبا بأسه سبحانه، أي أني أرجو بوضعها والتعليق
عليها أن يثيبني الله ويجزيني الجزاء الأوفى ويجنبي كل ما أخشاه من
بأس في الدنيا والأخرى. ثم إنني دعوت ربي متوسلا له بعملتي هذا أن
يرضى عني فهو حسبي ونعم الوكيل، وأن يحفظ علي ديني، ويثبت
يقيني به سبحانه، ويغفر لوالدي ويرحمهما هما وجميع ما لهما من
ذرية تنتمي إليهما ولو بعدت، ويغفر لوالديهما، ولكل من له علي
فضل من المسلمين بعلم علمني إياه أو مال واساني به في ساعة عسرة.

ثم أسأله سبحانه صلاح الذرية والزوج والحفدة، وأن يصلح شأن كل صاحب لي وأخ بالنسب أو أخ في الله، وجميع الأهل من قبيلة وعشيرة، وجيران.

وأرجو الله بفضله أن يحفظ أمة الإسلام من كيد الأعداء، وأن يكون ناصرًا لها ومعينًا عليهم.

نسبه ﷺ

قَدْ حَفِظَ الْأَطْهَارُ * وَالصَّفْوَةُ الْأَخْيَارُ
أُرُومَةُ النَّبِيِّ * خَيْرِ الْوَرَى النَّقِيِّ
نَسَبَهُ نَقِيًّا * مُهَذَّبًا رَضِيًّا
فَكَانَ أَنْقَى النَّاسِ * أَصْلًا بِلَا التَّبَاسِ
فَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدٌ * عَدِ الْمُطَلَّبِ وَيَنْتَسِبُ
لِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ * مَنَاكِ بْنِ زَيْدِ
أَعْنِي قُصِيِّ بْنِ كِلَابِ * بِنَجْلِ مَرَّةٍ أَعْقَلِ
كَعْبِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ * فَهَرِ الْهُمَامِ الْغَالِبِ
فَمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ * نَجْلِ كِنَانَةَ أَدْرِ
خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ * إِلْيَاسَ ذَاكَ أَدْرِكَهْ
فَمُضَرَ نِزَارِ * مَعَدُّ الْأَخْيَارِ
عَدْنَانَ ثُمَّ مَا اتَّحَدَ * بَعْدَ الثُّقَاتِ فِي أَحَدِ

في هذه الأبيات سردت أسماء آبائه ﷺ منتهيا إلى عدنان؛ لما يروى في ذلك أنه ﷺ كره أن يرفع فوق عدنان، فهو: نبي الملة وشفيع الأمة محمد ﷺ بن عبدالله بن عبدالمطلب (شعبة الحمد) ابن هاشم (عمرو) بن عبدمناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأمه: آمنة بنت وهب بن زهرة بن كلاب، فهي زهرية نسبة إلى بني زهرة، بطن من قريش، وتجمع معه ﷺ نسبا في كلاب بن مرة. وقد جعل الله نبيه من أعلى وأطهر أهل الأرض نسبا، وأشرفهم قبيلة وقد صح عنه ﷺ قوله: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم.

مولده ﷺ

فِي دَارِ عَمِّهِ أَبِي * طَالِبِ الشَّهْمِ الْأَبِيِّ
فِي الْبَلَدِ الْمَعْمُورِ * وُلِدَ فِي الْمَشْهُورِ
صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ * فَصِيمَ نَدْبِ عَيْنِ
فِي ثَانِ عَشْرِ فَاعْقِلِ * شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

وتَاسِعُ الشَّهْرِ حُكِي * تَصْحِيحُهُ فِي الْفَلَكَ
عَامَ أَطَلَّ الْفَيْلُ * وَقَدْ غَزَا الرِّذِيلُ
أَبْرَهَةَ الْحَرَامَا * فَانْهَزَمَ انْهَزَامَا
وَأُمُّهُ الرَّحِيمَةُ * آمَنَةُ الْكَرِيمَةُ
رَأَتْ كَأَنَّ نُورَا * يُنَوِّرُ الْقُصُورَا
فِي الشَّامِ وَالْفِضَاءِ * مِنْ جِسْمِهَا أَضَاءِ

ولد نبينا ﷺ في بيت عمه أبي طالب في شعب بني هاشم بمكة وذلك صبيحة يوم الاثنين؛ ولذلك ندب صوم ذلك اليوم من كل أسبوع؛ لما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه الطويل: أن رسول الله ﷺ سئل عن صومه، قال: فغضب رسول الله ﷺ.. الحديث وفيه قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين قال: «ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت، أو أنزل علي فيه..» رواه مسلم في صحيحه. وكان مولده على ما حققه بعض المؤرخين، في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، ويروى في يوم اثني عشر، وكان ذلك في العام الأول لحادثة الفيل الشهيرة حين غزا أبرهة الأشرم مكة فأمر سيدها يومئذ وهو عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ سكانها بالخروج منها قائلا عبارة المشهورة: «أنا رب إبل وللبيت رب يحميه» فحمى الله بيته وأرسل الطير الأبابيل تحمل العذاب والهلاك للغزاة، كما هو صريح في سورة الفيل، ويرى

الفلكيون أن التاسع من ربيع الأول هو الصحيح وأن مولده يوافق العشرين أو الثاني والعشرين من شهر أبريل سنة إحدى وسبعين وخمسمائة لميلاد المسيح عليه السلام.

وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ رأت عند مولده الشريف كأن نورا يخرج منها تضيء له قصور الشام، ويروى وقوع إرهابات عجيبة عند مولده ﷺ، منها: سقوط أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى الفرس، وخمدت النار التي يعبدها الجوس لأول مرة في تاريخها، وانهدت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت تلك البحيرة. روى ذلك البيهقي وأنكره بعض العارفين بالأسانيد من المتأخرين.

فرح جده به وتسميته له

وَفَرِحَ الْجَدُّ لَدَى * مَوْلِدِهِ وَأَنْشَدَا
سَمِيَّتُهُ مُحَمَّدَا * وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عُهُدَا
لَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ * قَدَّرَ ذَاكَ فِي الْأَزَلِّ

لما ولدت آمنة بنت وهب سيد ولد آدم أرسلت إلى جده عبدالمطلب تبشيره بمولد حفيده، فجاء فرحا وحمل المولود المبارك ودخل به الكعبة شاكرًا لله على ما رزقه، وسماه محمداً، وهو اسم لم يكن قبل ذلك

معروفا في القوم، وإنما جاء على لسانه إلهاما من الله، ويروى أنه ﷺ ولد مختونا، وقيل: ختنه جده يوم سابعه كما كانت العرب تفعل بأبنائها. وقيل: أيضا إن الذي سماه محمدا هي أمه إثر رؤيا بشرتها باسمه، ولا مانع أن يكونا قد اتفقا على ذلك بقدر من الله؛ لأن الله كتب اسمه محمدا في الأزل، وأنزله في كتابه العزيز، فسمياه بذلك رجاء أن يحمد في الدنيا والأخرى فكان ما أراد، والله سبحانه وتعالى أعلم، ورد العلم إليه أسلم.

رضاعه ﷺ

وَحَضَنَتْهُ بَرَكَهٗ * فَائِزَةٌ بِالْبَرَكَهٗ
فَأَرْضَعَتْ ثُوَيْبَهٗ * نَبِيْنَا حَقِيْبَهٗ
فَجِيءَ بِالنِّسَاءِ * يَرْغَبْنَ فِي الْعَطَاءِ
مُقَابِلَ الْإِرْضَاعِ * لِكُلِّهِنَّ دَاعٍ
فَانْقَلَبَتْ حَلِيْمَهٗ * عَزِيْزَةٌ كَرِيْمَهٗ
تَحْمِلُ خَيْرَ رَاضِعٍ * وَقَدْ رَأَى الْمَرَاضِعَ
مَنْ قَدْ أَرْدَنَ الْمَالَ * إِرْضَاعَهُ مُحَالًا
لَأَنَّهٗ يَتِيْمٌ * فَرَفَدَهُ عَدِيْمٌ
لَكِنَّهُ شَتَّانَا * مَا بَيْنَ مَا قَدْ كَانَا

وَمَا ظَنَّ إِذْ عَا * دَتِ الْأَتَانُ تَسْعَى
كَأَنَّهَا حِصَانٌ * مُطَهَّمٌ مُصَانٌ
وَدَرَّتِ الضُّرُوعُ * وَمَاسَتِ الْفُرُوعُ
كُلُّ بِفَضْلِ اللَّهِ * لِمَوْقِعِ الْأَوَاهِ

كانت الفائزة بحضانة رسول الله ﷺ هي مولاته بركة أم أيمن وهي التي عادت به فيما بعد إلى مكة بعد وفاة أمه ، كما سيأتي . وأول من أرضعته من المراضع غير أمه ، هي ثويبة مولاة عمه أبي لهب مع ابن لها يقال له مسروح كانت أرضعت معه قبل ذلك حمزة عم النبي ﷺ كما أرضعت بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، ثم شاء الله أن تأتي المراضع من بني سعد يبحثن عن من يرضعنه من الصغار مقابل المال وكانت عادة العرب وبالأخص أهل الحضر كقريش أن يسترضعوا أولادهم في البادية لتتقوى أجسامهم وأيضا يتربوا على فصاحة العرب الخلقاء وإتقان أفصح اللغات فعرض رسول الله ﷺ فيمن عرض على نسوة بني سعد فكن إذا أخبرن أنه يتيم يتركه خشية ألا يكون وراء إرضاعه نفع مالي ، ويشاء الله ألا تجد حليلة غيره فتأخذه خشية أن تعير بأنها لم تجد رضيعا ترضعه كباقي النسوة ، فتبدأ شآبيب البركات تتصبب عليها من كل حدب وصوب .

وأول ما رأت من بركته ﷺ إدرار ثديها على غير العادة فور وضعها

المبارك في حجرها ، كما درت ناقثها العجفاء إدارارا لم يعهد منها من قبل ، ثم إنها جاءت إلى مكة في الصباح على أتان هزيلة عجفاء لا تكاد تخطو بها ، فلما كان المساء وعادت بخير الخلق تحمله أصبحت أتانها كأنها من أقوى جياذ الخيل فهي تعدو بها أمام الجميع لا تكاد تلحق ، ثم تتالت عليها النفحات كما أخبر بذلك ثقة أهل السير نقلا عنها .

روى ابن إسحاق قال : كانت حليمة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت : فخرجت على أتان لي قمراء ، أي بيضاء فيها كدرة ، معنا شارف لنا ، وهي الناقة المسنة ، قالت : والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلي ذلك اليتيم فلاآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعت في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم نام، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا هي حافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشبعا فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمين والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، قلت والله إنني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم حتى إن صواحي ليقطن لي يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك اربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي. فيقطن: والله إن لها لشأنا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع

حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا
حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض
بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة
والخير حتى مضت سنتاه وفصلته.

شق صدره صلى الله عليه وسلم

وَلَمْ يَزَلْ مُبَارَكًا * هُنَاكَ أَوْ هُنَالِكَ
أَوْ هَاهُنَا فَلَمَّا * لِأَرْبَعِ أَتَمًّا
وَفَدُّ الْمَلَائِكِ أَتَى * ضَحَى يَرَاهُمْ الْفَتَى
بِعَيْنِهِ إِذْ شَقُّوا * فِي صَدْرِهِ لِيَنْقُوا
فُوَادَهُ مِنْ كَلِّمَا * لَا يَنْبَغِي لِلْكَرْمَا
وَمَنْذُ ذَاكَ مَا خَطَرَ * بِبَالِهِ قَطُّ خَطَرُ
وَمَا أَتَى مُسْتَنْكَرًا * يَوْمًا وَلَا مُسْتَقْدَرًا
حَاشَاهُ لَا بَلَّ كَانَا * بَيْنَ الْوَرَى قُرَانَا

أرضعت حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامين كاملين وكان خلال ذلك يشب
شبابا لا يشبه الغلمان، كما أخبرت عنه مرضعته، تقول: فلم يبلغ
سنتين حتى كان غلاما جفرا، قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص
على مكثه فينا؛ لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلت لها: لو
تركت ابني عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم

نزل بها حتى رده معنا .

وهكذا تسنى حليلة أن تبقي رسول الله ﷺ عندها سنتين أخيرين ، وفي السنة الرابعة له أو الخامسة ، وقع له أمر عجب ، وذلك أن الملائكة بأمر الله شقوا صدره ليخرجوا من قلبه ما لا ينبغي أن يكون في قلوب الأنبياء من حظوظ الشيطان .

أخرج مسلم في الصحيح - ولم يذكر التاريخ - عن أنس رضي الله عنه أن رسول ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة فقال : « هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني : ظئره أي مرضعته - فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون .» هنا خافت حليلة على رسول الله ﷺ ، فأسرعت ترده إلى أمه خشية أن يلحقه أذى عندها . وقد تكررت حادثة شق صدر رسول الله ﷺ ، فقد روى الإمام أحمد وغيره أن صدره الشريف شق وهو ابن عشر سنين وأشهر ، ومعلوم أن مكثه في بني سعد كان أربع سنين لا غير حيث كانت حادثة الشق الأولى كما مر قريبا . وروى الشيخان أن شقا لصدره قد وقع له وقد تجاوز الخمسين من العمر حين أسري به إلى بيت المقدس ، وفي دلائل النبوة للبيهقي أنه شق صدره مرة رابعة .

تَيْتَمُهُ ﷺ وَكَفَالَةَ جَدِّهِ ثُمَّ عَمَّهُ لَهُ
ضَمَّ أَبَاهُ اللَّحْدُ * وَهُوَ جَنِينٌ بَعْدُ
وَهُوَ ابْنُ سِتِّ ضَمًّا * مِثْلَ أَبِيهِ الْأُمِّ
فَحَازَهُ وَقَدْ حَنَا * عَلَيْهِ جَدُّهُ هُنَا
وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ مَاتَا * مُعَيْلُهُ فَبَاتَا
فِي حِضْنِ عَمِّهِ أَبِي * طَالِبِ الشَّهْمِ الْأَبِيِّ
فَكَانَ أَحْنَى مِنْ كَفَلٍ * أَفْضَلَ ذِي يُتَمِّ حَصَلٍ

لا خلاف أن رسول الله ﷺ تربي يتيم الأبوين ، فقد خاطبه ربه مانا عليه فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ وقد توفي عبدالله بن عبد المطلب والد أفضل وأشرف مولود ، وهو ابنه محمد رسول الله ﷺ فقد مات أبوه وهو مازال جنينا في بطن أمه ، كما رجحه ابن إسحاق في السيرة ووافقه ابن سعد في ترجيح ذلك وهذا هو المشهور عند غالب السيريين . وذكر بعض العلماء أن موت عبدالله كانت ورسول الله ﷺ في المهد ، وقيل : ابن شهرين ، وقيل : أكثر من ذلك ، وينشدون في ذلك رجزا ينسبونه لعبدالمطلب يوصي ابنه أبا طالب برسول الله ﷺ يقول فيه :

أَوْصِيكَ يَا عَبْدَ مَنْفٍ بَعْدِي
بِمُؤْتَمِّ بَعْدِ أَبِيهِ فَرْدٍ

فَارَقَهُ وَهُوَ ضَجِيعُ الْمَهْدِ

والمشهور الأول ، وهو أنه ﷺ ولد بمكة يتيم الأب عام الفيل صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، كما تقدم . وأن عبدالله ابن عبدالمطلب والد رسول الله ﷺ مات بالمدينة حيث كان في زيارة لأخوال أبيه من بني عدي بن النجار أرسله إليهم والده عبدالمطلب لي جلب له تمرا من المدينة ، فكفل عبدالمطلب حفيده كأحسن ما تكون الكفالة ، وهو في رعاية أمه آمنة بعد أوبته من ديار بني سعد بن بكر بن هوازن ، فلما بلغ السادسة زارت به أمه أخوال جده من بني النجار ، وفي أثناء عودتها به أدركتها المنية في الطريق بين مكة والمدينة عند موضع يسمى الأبواء ، فحملته مولاته وحاضنته أم أيمن إلى جده عبدالمطلب فأخذ يحوطه بكل عناية ، ثم لما بلغ الثامنة من عمره مات جده ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب فقام على رعايته كما كان جده أو أفضل .

يروى أهل السير من حرص عبدالمطلب وابنه أبي طالب على العناية برسول الله ﷺ الشيء الكثير ، من ذلك قالوا : إن عبدالمطلب أرسل محمدا ﷺ ذات مرة في إثر إبل له ضلت فاحتبس عليه فحزن لذلك حزنا شديدا وأخذ يطوف بالبیت ويدعو الله أن يردّه إليه ، فلما عاد له بالإبل أقسم ألا يبعثه في حاجة له أبدا وألا يفارقه بعد هذا ، وكان لعبد

المطلب مجلس وفراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه غيره يجلس حوله بنوه ويجلس النبي ﷺ مع جده عبدالمطلب على فراشه دون غيره من أبنائه .

ويروي السيريون عن أبي طالب أنه كان شديد لاعتناء بالنبي ﷺ وأنه كان لا ينام إلا والنبي حوله ، ولا يخرج إلا معه ، ويخصه بالطعام ولا يأكل إلا عندما يحضر رسول الله ﷺ ، وظل على هذا الحال حتى توفي عام الأحزان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الاستسقاء به ﷺ

قَدْ اسْتَقَوْا مِنْ جَدِّبٍ * أَصَابَهُمْ بِالْحَبِّ
وَهُوَ صَغِيرٌ فَانْسَكَبَ * صَبًّا كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ
وَذَاكَ قَوْلُ حَبِّهِ * أبيضُ يُسْتَسْقَى بِهِ

روى أهل السير ، ومنهم ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب أقحط الوادي ، وأجدب العيال ، فهلم فاستسق . فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن (القاموس : الدجن لباس الغيم الأرض وأقطار السماء والمطر الكثير) تجلت عنه سحابة قثماء ، حوله أغيلمة ، فأخذه أبو

طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبع الغلام، وما في السماء
قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق، وانفجر
الوادي، وأخضب النادي والبادي، وإلى هذا أشار أبو طالب بقوله:
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ * ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

قصة بحيرى الراهب

وَعِنْدَمَا لَاتْنِي عَشْرَ * بَلَغَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ
مَعَ عَمِّهِ رَأَى النَّبِيَّ * بَحِيرَ ذُو التَّجَارِبِ
فَقَالَ هَذَا السَّيِّدُ * لِلْعَالَمِينَ يَحْمَدُ
فَلْتَحَذَرُوا الْيَهُودَا * عَدُوَّهُ اللَّدُّودَا
لَعَلَّمَهُمْ بِمَا وُصِفَ * بِهِ وَمَا بِهِ عُرِفَ
فَلَوْ رَأَوْهُ فَتَكَبَّرُوا * بِهِ فَكَمْ قَدْ سَفَكُوا
وَكَانَ أَنْ يَتَّبِعُوا * خَيْرًا وَلَكِنْ ضَيَّعُوا
لَأَنَّ هُمْ فُجَّارٌ * خَوْنَةٌ أَشْرَارٌ

تقدم أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ كان شديد الحرص على
اصطحابه حيثما ذهب، فعندما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة
وذكر البعض: وشهرين وأياما، اصطحبه أبو طالب وهو راحل في تجارة
له إلى الشام في رحلة مكة السنوية المعتادة، فلما وصلت القافلة التي
فيها أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ إلى بلدة تدعى بصرى وهي في

أطراف الشام، نزلوا قرب دير لراهب بها اسمه جرجيس ويدعى بحيرى فخرج إليهم على خلاف عادته، لأن قوافل مكة كانت تمر به دائما ولم يكن ينزل إليهم ولا يسألهم عن شيء، وفي هذه المرة خالف عادته فنزل إليهم وأكرمهم بالضيافة وتفرس في رسول الله ﷺ فعرفه بأوصافه المثبتة لديهم في كتبهم القديمة، فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا، ولا تسجد إلا لنبي، وإنني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وأنا نجد في كتبنا، ثم سأل الراهب أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود، فبعثه أبو طالب مع بعض غلمانته إلى مكة.

هذه القصة رواها علماء الأثر بصيغ مختلفة يزيد بعضهم هنا ويحذف هنالك، ومن أوثق ما روي فيها ما أخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فحلوا رواحهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد

العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي، وإنني أعرفه بخاتم البوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهاهم به - وكان هو ﷺ في رعي الإبل - قال أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، التفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه، وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا، إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفرايتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبايعوه - الراهب - وأقاموا معه عنده. قال: فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده وزوده الراهب من الكعب والزيت». انتهى الخبر وفيه زيادة: فرده مع أبي بكر وبلال وضعفها العلماء، والله تعالى أعلم.

حضوره ﷺ حرب الفجار وحلف الفضول

وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشَرَ * فِيمَا رَوَى أَهْلُ السَّيْرِ
قَدْ شَهِدَ الْفَجَارَا * فِي قَوْمِهِ فَصَارَا
يُجَهِّزُ النَّبَالَ * وَلَمْ يَخُضْ قِتَالَا
وَأَنْتَهتِ الْفَجَارُ * فَاجْتَمَعَ الْأَخْيَارُ
فَوَثَّقُوا الْعُهُودَا * وَأَشْهَدُوا الشُّهُودَا
فِي الْمَوْثِقِ الْمُسَمَّى * حَلَفَ الْفُضُولُ ثَمَا
قَدْ حَضَرَ الْفُضُولَا * وَلَمْ يَكُنْ مَفْضُولَا
بَلْ فَاقَهُمْ مَقَامَا * وَإِنْ يَكُنْ غُلَامَا
وَكَانَ نَعْمَ الشَّاهِدُ * وَخَيْرَ مَنْ يُعَاهِدُ
فَعَنَّهُ فِي الْمَنْقُولِ * فِي أَشْهَرِ النُّقُولِ
لَقَدْ شَهِدْتُ حَلْفَا * قَدْ كَانَ بَرًّا صِرْفَا
فَلَا أَرَى حُمْرَ النَّعَمِ * بِهِ .. فَحَلَفَ أَنْبَرَمُ
فِي دَارِ نَجْلِ جُدْعَا * نَ إِنِّي لَوُ أَدْعَى
بِهِ بِلَا تَوَانِ * أَجَبْتُ مَنْ دَعَانِي

عندما بلغ رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وقيل أكثر وقعت حرب
الفجار بين قريش ومن شايعها من كنانة وبين قبائل قيس عيلان، وكان
قائد قريش وكنانة حرب بن أمية والد أبي سفيان لمكانته في قريش

شرفا وسنا، وكان الظفر في أول النهار لقيس عيلان على قريش وكنانة، حتى إذا توسط النهار مالت الكفة لقريش وكنانة على قيس عيلان. وقد عرفت هذه الحرب بحرب الفجار؛ لأن الفريقين فجرا فيها بانتهاك حرمت الحرم والأشهر الحرام، وكان سبب هذه الحرب الفاجرة أن قيس عيلان قتل رجلا من قريش فتداعى الفريقان للقتال كما هو شأن العرب في الجاهلية. وقد حضر رسول الله ﷺ هذه الحرب صحبة أعمامه وهو غلام فلم يمارس قتالا ولكن روي أنه ﷺ كان يجمع النبال التي تتساقط على قومه من جهة الأعداء فيعطيها للمقاتلين من قومه.

وقد استشكل بعض أهل العلم اشتراكه الرمزي ﷺ في هذه الحرب الفاجرة، وهو المعصوم منذ خلقه الله من الفجور؛ لما تقدم من خبر شق صدره ونزع حظ الشيطان منه، فأجيب عن هذا الاستشكال بأن قيس عيلان كانت هي المعتدية على أهل الحرم، ورد المعتدي مطلوب شرعا خصوصا إذا تطلب الأمر دفاعا عن المقدسات والحرمات، كما هو الحال هنا.

حلف الفضول

بعد انقضاء هذه الحرب الفاجرة تداعت قبائل قريش من: بني هاشم، وبني المطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتيم ابن

مرة، فاجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه ليعقدوا حلفا يناهض الحمية الجاهلية وتنافي روحه روحها فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغريهم من الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت». وهذا لفظ ابن إسحاق.

ذكر ابن هشام في سبب التناذي لعقد هذا الحلف أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي وحبس عنه حقه فاستدعى عليه الأحناف: عبدالدار، ومخزوما وسهما، وجمحا وعديا، فلم يكثرثوا له، فعلا جبل أبي قبيس ونادى بأشعار يصف بها ظلامته رافعا صوته، وهي:

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ * بِيْطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ
وَمُحْرَمٍ أَشَعَتْ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ * يَا لِّلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجْرِ وَالْحَجْرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ مَكَارِمُهُ * وَلَا حَرَامَ لَشَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدْرِ

فمشى في ذلك الزبير بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ قائلا: ما لهذا مترك. فاجتمعت القبائل من قريش التي مضى ذكرها آنفا فقاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي بعدما أبرموا هذا الحلف الذي نوه به رسول الله ﷺ.

سفره ﷺ تاجرا وزواجه من خديجة
في الخمس والعشرين * كان من السنينا
وشاعت الأمانه * عنه والاستكانه
لأفضل الصفات * وأحسن السمات
فشاع بين الناس * من فضل خير الناس
ما جعل الشريفه * خديجة العفيفه
تدعوه للتجاره * فأظهر المهارة
إذ قصد الشام متا * جرا أمينا فأتى
بأوفر الأرباح * واليمن والنجاح
وبان منه الفضل * وطهره والنبل
فأعجب الرفيقا * ميسرة الصديقا
مولى خديجة الصفي * فجاء يمدح الوفي
بما رأى وأنسا * فيه لدى خير النسا
ولم تكن بحال * ترغب في الرجال
وناهزت سنينا * تبلغ الأربعينا
فرغبت فيه فأب * لغت صديقة أحب
وخاتم النبينا * ناف على العشرينا
فجاءت الصديقه * تبلغه الحقيقه

مِنْ أَمْرِهَا فَجَاءَ * يَخْطُبُهَا ابْتِدَاءً
وَتَمَّ مَا تَمَنَّى * وَمَا تَمَنَّتْ أَنِّي
تَظْفَرُ بِمِثْلِ الْهَادِي * فِي حَاضِرٍ أَوْ بَادٍ
وَأَنْجَبَتْ لَهُ الْوَلَدَ * وَكَانَتْ الرُّكْنَ السِّنْدَ
وَالصَّاحِبَ الصَّدِيقَا * وَالزَّوْجَ وَالرَّفِيقَا
لَأَجْلِ ذَا مَا أَنْسَا * لِغَيْرِهَا مِنَ النِّسَا
مِنْ قَبْلُ أَوْ مِنْ بَعْدُ * حَتَّى طَوَّأَهَا اللَّحْدُ

لم يكن لرسول الله ﷺ عمل معين في أول حياته، وإن روي أنه ﷺ رعى الغنم لأهل مكة على قراريط، وعندما بلغ الخامسة والعشرين خرج إلى الشام يتاجر في مال لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل أن يتزوجها، وذلك فيما رواه ابن إسحاق: أنها كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش أهل تجارة، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما يتداوله أهل مكة من خبر صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكريم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل رسول الله ﷺ عرضها، وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة.

ولما رجع إلى مكة ورأت خديجة في مالها من البركة وأثر الأمانة ما لم تر من قبل هذا وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من عذب الخصال وكريم الشمائل، ورجاحة الفكر والعقل، وصدق المنطق، وأمانة النهج، وجدت ضالتها المنشودة في الرجل الذي تحلم بمثله كل امرأة ذات عقل وفضل.

وكان السادات من قريش يحرصون على عليها زوجة فتأبى عليهم ذلك، فلما رأت من رسول الله ﷺ ما رأت ووقع في قلبها تحدثت بذلك إلى صديقة لها تدعى نفيسة، فذهبت تلك الصديق إليه ﷺ فتفاته أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك وخاطب فيه أعمامه فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوا إليه فتم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين فيما يروى، وأصدقها عشزين بكرة، وكان عمرها إذ ذاك أربعين سنة وكانت يومها أفضل نساء مكة نسبا وحسبا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

ولم يكن لرسول الله ﷺ ذرية إلا منها باستثناء إبراهيم فأمه جارية قبطية كما هو معروف. أما أولاده ﷺ من خديجة فهم: القاسم وبه كان يكنى ثم بناته الأربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ثم عبدالله الطيب الطاهر، وهذان كان يلقب بهما، فهي ثلاثة أسماء لسمى

واحد هو عبدالله بن رسول الله ﷺ . وكل أبنائه ماتوا صغاراً ، أما البنات فقد أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن ثم متن جميعاً قبله إلا فاطمة فقد عاشت ستة أشهر بعد موت رسول الله ﷺ ثم لحقت به رضي الله عنهن جميعاً .

تجديد بناء الكعبة

ووضعه ﷺ الحجر في مكانه

قَدْ كَانَ بِالْتَّمَامِ * لْخَمْسَةِ أَعْوَامٍ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ * عَلَيْهِ مَا تَنْزَلًا
أَنْ غَمَرَ الْعَتِيقَا * سَيْلُ يَلِي الْحَرِيقَا
فَأَنْهَدَتِ الْأَرْكَانُ * وَقَوْضَ الْبُنْيَانُ
فَقَرَّرُوا فِي الْحَالِ * بِالْكَسْبِ مِ الْحَلَالِ
بِنَاءَهُ جَدِيدًا * مُدَعَّمًا عَتِيدًا
وَكَانَتْ الْأَحْجَارُ * يَنْقُلُهَا الْأَخْيَارُ
خَيْرَهُمُ النَّبِيُّ * الطَّاهِرُ النَّقِيُّ
حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ * بِنَاؤُهُ وَعَمَّ
جَمَعَهُمُ الْوِفَاقُ * أَشْرَفَ الْإِفْتِرَاقُ
لَمَّا تَنَازَعُوا عَلَيَّ * مِنَ الَّذِي إِلَى الْعُلَى
يَرْفَعُ ثُمَّ يَضَعُ الْ * حَجَرَ حَيْثُ سَيَحُلُ

فَسَلَّتِ الرَّمَاحُ * وَقَعَقَ السَّلَاحُ
حَتَّى رَأَى الْمَخْزُومِي * ذُو النَّبِيِّ الْمَعْلُومِ
رَأْيًا إِلَيْهِ رَكَنُوا * وَعَوَّلُوا وَسَكَنُوا
قَالَ يَكُونُ الْحُكْمُ * فِي أَمْرِنَا وَالْقَسْمُ
لِمَنْ يَكُونُ أَوْلَى * آتِ إِلَيْنَا مُقْبِلًا
مَنْ هَهُنَا فَأَقْبِلَا * مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْمَلَا
فَاسْتَقْبَلُوا الْأَمِينَا * بِالْحُبِّ أَجْمَعِينَا
وَالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ * إِذْ كَانَ لَا يُحَابِي
فِي الْحَقِّ فَارْتَضَوْهُ * وَمَا قَضَى قَضَوْهُ
فَبَسَطَ اللُّحَافَا * وَأَخَذُوا الْأَطْرَافَا
لِكُلِّ مَعْشَرٍ طَرْفٍ * بَرَفَعَهُ نَالَ الشَّرْفِ
فَرَفَعُوهُ وَالْحَجْرُ * عَلَيْهِ دُونَ مَا ضَجَرَ
ثُمَّ النَّبِيِّ قَامَا * بِوَضْعِهِ تَمَامَا
بِيَدِهِ الشَّرِيفَه * فِي الرُّكْنِ دُونَ خَيْفَه
وَهَكَذَا رَضُوا بِمَا * قَضَى فَلَمْ تَسَلْ دَمَا
وَكَانَتِ الرَّقَابُ * لِمِثْلِهَا تُصَابُ

قبل بعثة رسول الله ﷺ بخمس سنين جرف الكعبة المشرفة سيل
عرم أوشكت على الانهيار بسببه، وكانت مع ذلك قد أصابها حريق

علما بأن بنيانها كان قديما ولم تكن مسقوفة، مما سهل على اللصوص تسورها وسرقة ما في جوفها من كنوز لها؛ لأجل كل هذا قررت قريش تجديد بنائها، ثم اتفق رجال قريش على ألا يدخلوا في عمارتها إلا طيبا، فلا يدخلون فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يتهيبون هدمها، ثم ابتدأ الوليد بن المغيرة المخزومي الهدم، ويروى أنه لما أراد البدء في الهدم قال: «اللهم إني لا أريد إلا الإصلاح» أو عبارة نحو ذلك، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء واستمروا في الهدم حتى وصلوا قواعد إبراهيم عليه السلام، ثم جزأوا الكعبة وجعلوا لكل قبيلة من قبائل قريش جزءا خاصا بها، فجمعت كل قبيلة حجارتها على حدة وأخذوا في بنائها، وتولى البناء بناء رومي اسمه (باقوم) على ما يروى، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر الخلاف ليالي بلغت أربعاً أو خمساً، واشتد حتى كادوا يتحاربون في البلد الحرام، إلا أن حكيماً من حكمائهم هو أبو أمية بن المغيرة المخزومي وفقه الله لرأي سديد عرضه عليهم فركنوا إليه، وهو أن يحكموا أول داخل عليهم من باب المسجد فوافقوا، فشاء الله أن يكون ذلك الداخل هو خير الخلق نبينا محمد ﷺ فتباشروا بذلك قائلين: هذا الأمين، هذا محمد رضينا. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداء

فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه أخذه ﷺ بيده الشريفة ووضعه في مكانه، فرضي القوم وانطفأت الفتنة التي كادت تأتي على كل شيء، ونال من أكرمه الله وشرفه بالرسالة شرف وضع الحجر في موضعه، مع أنه لم يكن شريكاً لهم في ذلك النزاع على من ينال الشرف.

وقد قصرت بقريش النفقة الطيبة، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحواً من ستة أذرع، وهي التي تعرف بالحجر وبالخطيم، ورفعوا بابها عن الأرض، ثم لما بلغ البناء خمسة عشر ذراعاً سقفوه على ستة أعمدة، وأصبحت الكعبة بعد انتهاء بنائها هذا ذات شكل مربع تقريباً، ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً.

آثار تتعلق ببناء الكعبة :

روى البيهقي في الدلائل والحاكم في المستدرک والطبري في تفسيره أن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاق به ذرعاً فأرسل الله عز وجل إليه السكينة، وهي ریح خجوج، أي شديدة، لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية فبنى إبراهيم، فكان يبني ساقاً كل يوم، حتى إذا بلغ موضع الحجر قال لابنه أبغني حجراً، فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد

الحجر الأسود ركب في موضعه فقال له ابنه : من أين لك هذا؟ قال :
جاء به من لم يتكل على بنائك ، جاء به جبريل عليه السلام من
السماء فأتمه .

وروى البيهقي في الدلائل أيضا بسند صحيح من طريق آخر بمعناه
وزاد فيه أنه عندما انهدم بنته العمالقة ، وعندما انهدم للمرة الثانية
بنته جرهم ، وعندما انهدم للمرة الثالثة بنته قريش ، ورسول الله ﷺ
يومئذ رجل شاب .

وروى عبدالرزاق والذهبي بسند صحيح أنه عندما أرادوا هدمه إذ
هم بحية على سور البيت فروعتهم ، فلم يقدرُوا على هدمه فاجتمعت
قريش عند البيت وتضرعوا إلى الله ؛ ليزيل عنهم هذا البلاء ، فأرسل
الله طائرا فغرز مخالبه في قفا الحية ، ثم انطلق بها حتى انتهى بها نحو
أحياد ، فتمكنت قريش من هدم الكعبة لإعادة البناء . وروى عبدالرزاق
بسند صحيح : أنه عندما أكملوا البناء ساق الله إليهم سفينة من أرض
الروم فانكسرت قريبا من جدة فخرجت قريش ليأخذوا خشبها
فوجدوا روميا نجارا عندها ، فأخذوا الخشب بإذنه ، وقدموا بالخشب
والنجار الرومي ؛ ليبنى لهم عرش الكعبة .

بعضٌ مما عرف به ﷺ قبل البعثة
عُرِفَ خَيْرُ الْخَلْقِ * فِي قَوْمِهِ بِالصِّدْقِ

وَالْبِرُّ وَالْأَمَانَةُ * وَالْجُودُ وَالرِّزَانَةُ
فَكَانَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ * أَصْدَقَ ذِي مَقَالَةٍ
بَلَى وَكَانَ أَوْفَرًا * مُرُوءَةً وَأَغْزَرًا
بَدَلًا وَأَسْمَى خُلُقًا * فِي قَوْمِهِ وَأَشْفَقًا
عُرِفَ بِالْوَفَاءِ * وَالنُّبْلِ وَالسَّخَاءِ
يَحْمِلُ كُلَّ الْغَيْرِ * وَيُرْتَجَى فِي الْخَيْرِ
يُقَدَّرُ الْأَمَانَةُ * وَيَكْرَهُ الْخِيَانَةَ
يَحْتَرِمُ الْوَعُودًا * وَيَصْدُقُ الْعَهُودًا
وَيَبْذُلُ الْمَعْرُوفًا * وَالْفَأْمَأُوفًا
وَكَانَ لَيْنَ الْعَرِيِّ * كَمَا جَمِيلَ الْمَظْهَرِ
أَحَبَّهُ النَّاسُ لِنَدَا * وَغَيْرِهِ وَهَكَذَا
صَارَ سِمَ الْأَمِينِ قَبْ * لَبَّ بَعَثَهُ لَهُ لَقَبُ

كان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأعزهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وألينهم عريكة، وأعفهم نفسا وأكرمهم وأجودهم بالخير، وأبرهم عملا، وأوفاهم عهدا، وآمنهم أمانة، حتى سماه قومه الأمين، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تخاطبه ﷺ: «إنك لتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف

وتعين على نوائب الحق» .

فقد جمع النبي ﷺ منذ نشأته خير ما في طبقات الناس من خصال فكان صنفاً جديداً من الناس لا تعرف البشرية له شبيهاً من البشر فكان ذا فكر عميق، ورأي صائب ونظر سديد، وكان يستعين بالصمت الطويل على طول التأمل وإدمان الفكر والاستكانة إلى الحق فتأمل بعقله الخصب، وفطرته الصافية صحائف الحياة، وشئون الناس وأحوالهم، فعاف ما يروج بين الناس من خرافات ونأى عنها، ثم عايش الناس على بصيرة من أمرهم، فما وجد حسناً شارك فيه، وإلا عاد إلى عزلته. فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ولا يحضر أعياد الأوثان، بل كان منذ نشأته الأولى مبغضاً وناظراً لتلك العبادات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه من تلك المعبودات الزائفة، بل كان لا يصبر على ذكر أسماء نحو اللات والعزى. ولا شك أن عناية الله أحاطته بالحفظ من تلك الترهات ونوازع النفس منذ شق صدره الأول. أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: إزاري، إزاري. فشد عليه إزاره، فما رؤيت له عورة بعد ذلك» .

وروى ابن الأثير، وصححه الحاكم والذهبي، وضعفه ابن كثير قال :
قال رسول الله ﷺ : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون
غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى
أكرمني برسالته . قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة : لو
أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمرُ بها كما يسمر الشباب .
فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا
فقلت : ما هذا ؟ فقالوا عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب
الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا حر الشمس . فعدت إلى صاحبي
فسألني ، فأخبرته ، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة
فأصابني مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بسوء . »

بعض المبشرات ببعثته ﷺ

لَيْسَ قَلِيلاً مَا أَتَى * مُبَشِّرًا وَمُثَبِّتًا
نُبُوءَةَ الْبَشِيرِ * وَالْخَاتِمِ النَّذِيرِ
مِنْ ذَاكَ مَا قَدْ أَخْبَرَا * مُوسَى بِهِ وَبَشْرًا
عِيسَى وَدَعْوَةَ الْخَلِي * لِفَأَجَابَهَا الْعَلِي
بِمَبْعَثِ الْأَمِينِ * فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ
وَالْأُمَّمِ كَالضُّيَاءِ * يَصْعَدُ لِلسَّمَاءِ
رَأْتَهُ يَوْمَ وُلْدَا * مُمَجِّدًا مُحَمَّدًا

وَمَا جَرَى لِلْفِيلِ * وَجَيْشِهِ الْمَخْذُولِ
وَمَا رَأَتْ حَلِيمَهُ * مِنْ نِعْمٍ عَظِيمَةٍ
فَهِيَ مُقَدَّمَاتُ * بِهِ مَبَشِّرَاتُ

تقدم ذكر أغلب الإرهاصات التي تقدمت أو صاحبت مولده ﷺ ولأن الباب التالي هو الحديث عن بدء نزول الوحي عليه ﷺ رأيت أن أذكر بعض تلك الإرهاصات المبشرة بنبوته ﷺ تمهيدا لذلك الباب العظيم .

فمن ذلك ما جاء عنه ﷺ أن موسى كليم الله أخبر بمبعث نبينا ﷺ وبشر به عيسى عليه السلام كما جاء في كتاب الله تعالى في سورة الصف : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ . وروى الإمام أحمد وابن إسحاق أنه ﷺ قال : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأن نورا خرج منها ، أضاءت له بصري من أرض الشام » . وعن ابن إسحاق وأحمد والحاكم بسند صحيح أن والدته آمنة قالت : « ووقع حين ولدته وإنه لو وضع يديه بالأرض ، رافعا رأسه إلى السماء » ، وتقدم ما رواه البيهقي في الدلائل وضعف سنده : أنه حين ولد سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ، وخدمت النار التي كان يعبدها المجوس

وغاضت بحيرة ساوة.

ومن الإرهاصات التي لا شك فيها قصة أصحاب الفيل وإرسال الله عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة السجيل ، وليس ما رأته حليلة من بركته إلا أقوى إرهاص من إرهاصات نبوته ﷺ .

بدء نزول الوحي عليه ﷺ

وَحُبِّبَ الْخَلَاءُ * إِلَيْهِ وَالْبَقَاءُ
فِيهِ لَيْالٍ عِدَّةٌ * فِي الْغَارِ فَرْدًا وَحَدَّةٌ
فِي رَمَضَانَ مِنْ ثَلَاثِ * حِجَجٍ مُبْتَهَلًا
يَعْبُدُ مَنْ بَرَاهُ * بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ
مُقَلَّبًا لِلْفِكْرِ * وَمُمَعِنًا فِي الْأَمْرِ
وَحِينَ أَرْبَعِينَ * أَكْمَلَهَا سَنِينًا
صَارَ يَرَى الْمَنَامَا * فَيَنْجَلِي تَمَامَا
عَمَّا رَأَى كَالْفَلَقِ * حَقًّا وَإِنَّهُ لَحَقُّ
وَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى * عَادَتِهِ إِذَا خَلَا
فِي غَارِهِ مَعزُولٌ * إِذْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ
بِأَقْرَأُ فَقَالَ يَدْرَأُ * عَنْ نَفْسِهِ : لَا أَقْرَأُ
فَضَمَّهُ وَضَمَّهُ * حَتَّى إِذَا مَا اغْتَمَّهُ
أَرْسَلَهُ وَقَالَ : * إِقْرَأْ فَقَالَ : لَا ، لَا

لَسْتُ بِقَارٍ فَنَطَقَ * لَهُ بِسُورَةِ الْعَلَقِ
فَعَادَ وَهُوَ يَرْجُفُ * يُرِيدُ مَا يُلْتَحَفُ
بِهِ يَقُولُ زَمَلُو * نِي أَكَادُ أَخْبَلُ
وَقَصَّ مَا كَانَ جَرَى * لِعَرْسِهِ مُنْبَهراً
فَقَالَتِ الْكَرِيمَةُ * خَدِجَةُ الْعَظِيمَةُ
كَأَنَّ فُلانَ يُخزِيكَ * بِإِذْنِهِ بَارِيكَ
إِنَّكَ لِلْمَعْرُوفِ * آتٍ بِأَعْرُوفِ
وَإِنَّكَ الْوَصَّالُ * رَحِمَكَ الْحَمَّالُ
لِلْكَلِّ وَالْمَعْدُومِ * تَكْسِبُ وَالْمَظْلُومِ
تَنْصُرُهُ وَالضَّيْفِ * تَقْرِيه قُلِّي كَيْفَا
يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ * عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ
ثُمَّ إِلَى الْمُبْجَلِ * وَرَقَّةَ بِنِ نَوْفَلِ
أَخَذَتِ الْمُخْتَارَا * يُخْبِرُهُ الْأَخْبَارَا
فَقَالَ ذَا الْوَحْيِ قَدَرُ * لَكَ فَأَنْتَ الْمُنْتَظَرُ
وَإِنْ أَكُنْ إِذْ تَبَعْدُ * حَيًّا لَكُنْتُ أَحْمَدُ
قَالَ: أَنَا مَقْصِيٌّ؟ * قَالَ: كَذَا النَّبِيُّ

لما بلغ نبينا ﷺ أو قارب الأربعين من عمره، حبب الله إليه الخلو
بنفسه والاستغراق في التأمل؛ ولذا بدأ يهجر الناس فيأخذ الزاد

لليالي ذوات العدد، ويذهب إلى غار حراء على رأس جبل قريب من وادي مكة يعرف اليوم بجبل الرحمة، وكان يتحنث فيه طيلة شهر رمضان يأكل مما جاء به من زاد، ويطعم من يمر به من المساكين، ويقضي وقته في التفكير في هذا الكون وقدرة مبدعه، وعبادة الله الواحد بما يهديه الله إليه من أنواع الطاعات، وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة جزءا من تدبير الله له، فهو بمثابة الإعداد له لتحمل ما يستقبله من أعباء تبليغ دين الله والذب عنه.

فلما أتم الأربعين من السنين بدأت أوائل بشائر النبوة، وكان أول ذلك الرؤى الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح واستمر ذلك، فيما يروى ستة أشهر، فكانت مدتها جزءا من ستة وأربعين جزءا من سني النبوة التي بلغت ثلاثا وعشرين سنة، وفي رمضان من سنته الثالثة من سنين العزلة بغار حراء أراد الله العلي أن يفيض من رحمته على العالمين فأكرم خير خلقه بأفضل الرسالات بادئا ذلك بنزول جبريل عليه السلام على نبينا ﷺ في مساء يوم من أيام رمضان يروى أنه يوم الاثنين، بأول آي الذكر الحكيم.

أخرج البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو

بغار حراء فيتحنث فيه يتعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزودُ لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على الوفية خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: «مالي، وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله لا يخريك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فقالت له خديجة: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن

يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتري
الوحي، كما يأتي أنفا.

فترة الوحي ثم عودته

وَالْوَحْيُ مَا تَوَاتَرَ * تَنْزُلًا بَلْ فَتْرًا
مِنْ بَعْدِهَا فَاهْتَمَّا * نَبِيْنَا وَاغْتَمَّا
بَلْ رَبَّمَا قَدْ هَمَّا * لِمَا بِهِ أَلَمَّا
مِنْ عَنَتٍ وَهَمَّ * مِنْ شَاهِقٍ أَنْ يَرْمِي
بِنَفْسِهِ كَيْ تَنْتَفِي * هُمُومُهُ وَتَخْتَفِي
فِيْتَرَاءَى الْمَلِكُ * يُثْنِيهِ ثُمَّ يَتْرُكُ
مَكَانَهُ مُسْتَأْنَسًا * حَتَّى إِذَا مَا أَنْسَا
عَاوَدَهُ الْوَحْيُ فَجَا * مُرْتَعِدًا مُخْتَلِجًا
خَوْفًا مِنَ الْأَمِينِ * يَقُولُ دُتُّرُونِي
وَأَيَّقِنِ الرَّضِيَّ * بِأَنَّهُ النَّبِيُّ
وَأَنَّ مَا يَغْشَاهُ * لَيْسَ كَمَا يَخْشَاهُ
بَلْ ذَلِكَ التَّنْزِيلُ * أَتَى بِهِ جِبْرِيلُ

جاء في سيرة ابن هشام ما ملخص معناه أن رسول الله ﷺ لما جاءه
الوحي في المرة الأولى كان يخشى أن يقول الناس عنه إنه شاعر أو
مجنون، وكان يقول لنفسه: إن تحدث الناس عني بها لأعمدن إلى

جبل شاهق ولأرمين نفسي منه لأستريح من ذلك ، قال : فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسي إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ، فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طربي حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مقامي ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة حتى جلست إلي فخذها ملتصقا بها فقالت : يا أبا القاسم ! أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فانطلقت إلى ورقة وأخبرته ، فقال : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول لي له : فليثبت فرجعت خديجة وأخبرته بقوله . واختلفت الروايات في مدة فترة الوحي ، والصواب أن ذلك كان أياما ، وقد جاء في فتح الباري من رواية ابن سعد عن ابن

عباس رضي الله عنهما ما يفيد ذلك .

وبقي رسول الله ﷺ في أيام الفترة محزوناً تعتره الحيرة والدهشة .
روى البخاري في التعبير قال : وفتّر الوحي فترة حتى حزن
النبي ﷺ حزناً عداً - أي أسرع - منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق
الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبنى له جبريل
فقال : يا محمد ! إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ
نفسه فيرجعُ ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك ، فإذا أوفى
بذروة الجبل تبنى له جبريل فقال له مثل ذلك وعلى هذا استمر الحال
حتى عاوده جبريل بالوحي بأمر الله العلي . أخرج البخاري في كتاب
التفسير : باب ﴿ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ عنه ﷺ قال : « فبينما أنا أمشي
سمعت صوتاً في السماء ، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي
جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه حتى
هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت : زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله
تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ . ثم تتابع الوحي .
ويحسن هنا ألا نغادر موضوع نزول الوحي حتى نذكر بأقسامه أو
مراتبه التي كان يأتي بها رسول الله ﷺ ، فهي كما ذكر العلماء ومنهم
ابن القيم ، سبعة أولها الذي بدأ به ، وهو : الرؤيا الصادقة . والثاني : ما
كان يلقيه الملك في روعه من غير أن يراه ، كما روي عنه ﷺ أنه قال :

«إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بالطاعة».

النوع الثالث من أنواع الوحي: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وكان يراه الصحابة أحيانا كما في حديث الإسلام الذي أخرجه مسلم وغيره عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الرابع من أنواع الوحي: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشد عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وإن كان على راحلة بركت به، كما روي أنه حصل للناقة لما نزلت عليه سورة الأنعام وهو على ظهرها، وقد جاءه مرة وفخذه الشريفة على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترضها.

النوع الخامس: كان يرى الملك على صورته التي خلقه الله عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحي إليه، كما جاء في سورة النجم.

السادس: ما أوحى الله إليه ليلة الإسراء والمعراج، وهو فوق السماوات من فرض الصلاة وغيرها.

السابع: كلام الله له مباشرة من دون حجاب، كما كلم موسى عليه السلام، ذكره البعض من أهل العلم.

بدء الدعوة

وأول المسلمين إسلاما

بَدَأَ خَيْرُ الْخَلْقِ * يَدْعُو الْوَرَى بِالرَّفْقِ
فَأَخْبَرَ الْقَرِيبَا * وَالصَّحْبَ وَالْحَبِيبَا
سِرًّا فَبَادَرَ الْأَلَى * سَمُوا الرَّعِيلَ الْأَوْلَا
فَأَمَنْتَ خَيْرَ النَّسَا * وَخَيْرُ شَيْخٍ كَرَسَا
لِدِينِهِ كُلِّ نَشَبٍ * وَخَيْرُ فِتْيَانِ الْعَرَبِ
وَخَيْرُ مَوْلَى قَدْ وَفَى * لَخَيْرِ مَوْلَى عُرْفَا
وَأَمِنَ الْأَعْيَانَ * يَقْدُمُهُمْ عَثْمَانُ
عَلَى يَدِ الصَّدِيقِ * وَالْمُعْتَقِ الْعَتِيقِ
وَأَمْرَ الْعَلِيِّ * فَأَثَمَرَ النَّبِيَّ
أَنْ أَنْذَرَ الْعَشِيرَةَ * وَلَنْ لَذِي الْبَصِيرَةَ
فَقَامَ يَجْمَعُ الْمَلَا * مِنْ قَوْمِهِ مُمْتَثَلَا
أَمْرَ الْإِلَهِ قَائِلَا * أَنَا الَّذِي قَدْ أُرْسَلَا
إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ * طُرًّا بِدِينِ الْحَقِّ
فَلَانَ عَمُّهُ أَبُو * طَالِبِ الْمُهَذَّبِ
لَكِنَّ ذَا الْكُفْرِ أَبَا * لَهَبٍ تَنَاهُ فَأَبَى

بعد أن اطمأن قلب رسول الله ﷺ إلى أنه هو النبي المنتظر وأصبح

بعون الله جاهزا للتبليغ جاءه الأمر صريحا بدعوة الناس إلى الإيمان بخاتمة رسالات الله المهيمنة عليها جميعا: ﴿يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْثِرَ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿جد الجد إذا فالأمر صريح والطريق واضح، ومن المعلوم أن مكة هي مركز دين العرب ومستقر سدنة الكعبة والقيمين على شئون الأوثان والأصنام التي هي مقدسات أهل الشرك يومئذ، وهؤلاء المشركون هم هدف الدعوة قبل غيرهم من جميع الناس، فكان من الطبيعي أن يبدأ البشير النذير ﷺ بهم دعوته بادئا بالصقهم به، وبكل من تطمئن نفسه إلى ودهم من آل بيته والمقربين منه ممن يتوسم فيهم الخير لما يعرف فيهم من حب الخير والذين هم يعرفونه بالصدق والأمانة والصلاح في كل تصرفاته، فبادر بالإيمان منهم جماعة لم يشكوا قط في عظمة رسول الله، وصدق حديثه، وجلال قدره، فاشتهر هؤلاء بأنهم السابقون الأولون، وكان أولهم مبادرة إلى التصديق أعرفهم به ﷺ: زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، ومولاه زيد بن حارثة، وخير فتيان قريش علي بن أبي طالب وصديقه ﷺ الوفي أبو بكر الصديق. فهؤلاء أسلموا عند أول وهلة دون تردد، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. ثم بدأ الصديق ينشط في الدعوة إلى جانب رسول الله ﷺ وكان

رجلا سهلا يحبه الجميع؛ لما عرف عنه من حسن الخلق وبذل المعروف وكان القوم يترددون عليه لأمانته في تجارته، وحسن مجالسته، وعلمه بأحوال الناس، فاستثمر كل ذلك بذكاء جم في الدعوة إلى دين الحق يدعو إليه من يثق به ممن يغشاه من قومه. فأسلم بدعوته كل من: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فغدا هؤلاء الثمانية هم الرعيل الأول السابقون إلى الخير.

ومن أوائل المسلمين بلال بن رباح، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر ابن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان ابن مظعون وأخواه قدامة وعبدالله، وعبيد بن الحارث بن المطلب وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخباب بن الأرت، وعبدالله بن مسعود، وخلق سواهم. فهؤلاء هم السابقون الأولون، وهم من قریش جميعا. ثم دخل الناس أرسالا في الإسلام، حتى فشا الحديث عن الإسلام في كل أرجاء مكة وتحدث به الناس.

كان إسلام أولئك السابقين في السر، وكان رسول الله ﷺ يجتمع بهم في الخفاء ويعلمهم ويرشدهم؛ لأن الدعوة كانت لم يؤمر بالجهر بها بعد رسول الله ﷺ، وكانت الآيات والسور التي تنزل في هذه

قصيرة لتناسب ذلك الجو الهادئ، وتشتمل على تحسين تزكية النفوس، وتقبيح تلويثها بأموال الدنيا، وتسير بالمسلمين في جو مخالف لما يشيع بين أفراد المجتمع سواهم فتصف الجنة والنار، والمصير إليهما كأن السامع يراه رأي العين.

وكان من أوائل ما نزل الأمر بالصلاة، وكانت فرضت أول الأمر ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، وذلك قال العلماء قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قاله مقاتل بن سليمان. وقال ابن حجر: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل فرض شيء من الصلاة قبل الصلوات الخمس أم لا؟ فقليل: إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

وذكر ابن هشام أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا إذا حضرت الصلاة ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، وقد رأى أبو طالب النبي ﷺ وعلياً يصليان مرة فكلهما في ذلك، فلما أخبراه الخبر وأطلعاه على الأمر أمرهما بالثبات. اهـ وذكر غير واحد أن أبا طالب أمر جعفر رضي الله عنه أن يكون ثالثهما في تلك الصلاة ففعل وكان ذلك سبب إسلامه، والله أعلم.

ومرت ثلاث سنين والدعوة تسير في سرية كاملة بين بعض الأفراد الموثوقين، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تسير بثبات

على الأخوة والتعاون لتبليغ الرسالة وتمكينها ثم تنزل القرآن بتكليف رسول الله ﷺ بمصارحة قومه وعشيرته بأنه رسول الله إليهم خاصة وإلى الناس عامة، وأن ما هم عليه من عبادة الأوثان والأصنام التي لا تنفع ولا ترفع، إنما هو الضلال عين الضلال.

الجهر بالدعوة

وَلَمْ يَزَلْ فِي السَّرِّ * مُمْتَثِلًا لِأَمْرِ
يُنْذِرُ الْأَقْرَبِينَ * وَالصَّاحِبَ الْأَمِينَا
حَتَّى أَتَتْ فَاصْدَعْ بِمَا * صَعَدَ قِمَّةً وَمَا
زَالَ يُنَادِي الْبَادِي * وَحَاضِرِ الْوَادِي
حَتَّى إِذَا مَا اجْتَمَعُوا * لِيَعْلَمُوا لِمَ دُعُوا
قَالَ: أَرَيْتُمْ يُقْبَلُ * إِنْ قُلْتُ خَيْلًا تُقْبَلُ
قَالُوا: نَعَمْ، مَا جُرْبًا * أَنْ قُلْتَ يَوْمًا كَذْبًا
قَالَ: أَنَا النَّذِيرُ * أَرْسَلَنِي الْخَبِيرُ
فَقَالَ أَعْدَى الْقَوْمِ * لِدَعْوَةِ الْكَرِيمِ
تَبَّأ، لَذَا تَدْعُونَا؟ * وَقَدْ غَدَا مَلْعُونَا
إِذْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ * يُتْلَى مَدَى الزَّمَانِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ * ذِي الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَتَبَّ

بينما رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى دين الحق سرا إذ جاءه الأمر من

العلي بدعوة الأقرنين من قومه: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فبدأ ببني هاشم فدعاهم فحضروا الدعوة، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا فوق الأربعين رجلا، فبادر أبو لهب ابن هاشم بمخاطبة رسول الله ﷺ قائلا: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصُّبَاةَ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدَّهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به. فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعا القوم رسول الله ﷺ ثانية، وقال: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا». فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين

عبدالمطلب . فقال أبو لهب : هذه والله السوأة . خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا ، وانفض المجلس على هذا .

وبعدما تأكد النبي ﷺ من حماية أبي طالب له بفضل الله ومنه بينما يبلغ عن ربه صعد ذات يوم على جبل الصفا وصرخ : يا صباحاه ! فاجتمع إليه من بالوادي من بطون قريش ودعاهم إلى توحيد الله والتصديق برسالته . أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على جبل الصفا فجعل ينادي : « يا بني فهر ، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : - أي رسول الله ﷺ - رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . » قال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ فعم وخص فقال : « يا معشر قريش ! أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد !

أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن
لكم رحماً سأبليها ببلالها» .

بعض ما لاقى صلى الله عليه وآله من المستهزئين

وَبَدَأَ الْإِيذَاءُ * لَهُ وَالِاسْتِهْزَاءُ
بِهِ غَدَاةٌ صَدَعَا * يَدْعُو جَمِيعَ مَنْ وَعَى
كَانَ يَقُولُ السَّخِرُوا * نَ الْمَاكِرُونَ خَسِرُوا
ذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ يَا * تِيهِ مِنَ السَّمَاءِ النَّبَأُ
وَمِنْهُمْ أَبُو لَهَبٍ * وَزَوْجُهُ تَبَّتْ وَتَبَّ
وَهَكَذَا الْجَيْرَانُ * مُسْتَهْزِئُونَ كَانُوا
فَمِنْهُمْ الزَّيْنِمُ * هُمَزَةٌ لَيْمٌ
وَابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ * عَقْبَةُ ذُو التَّفْرِيطِ
وَوَغَيْرُهُمْ هَؤُلَاءِ * مِنْ كُلِّ ذِي الْأَهْوَاءِ
كَمَنْ رَمَى السَّلَى وَمَنْ * وَضَعَ فَرْتًا ذَا عَفْنِ
وَحَامِلُ اللَّوَاءِ * لَوَاءِ الْإِسْتِهْزَاءِ
فَرَعُونَ ذِي الْأُمَّةِ مَنْ * هَمَّ بِرِضْخِهِ فَعَنَّ
لَمَّا رَأَى فَحَلًّا فَهَمَّ * بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَنْهَزَمَ
وَقَدْ رَأَهُ حِينَمَا * مَا طَلَّ يَوْمَ ظَلَمَا
مَنْ بَاعَهُ الْجَمَالَ * فَجَاءَ ثُمَّ قَالَ:

مَنْ يُنصِفُ الْمَظْلُومَ * وَيَرْدَعُ الظَّالِمَ
 قَالُوا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ * نَبَا النَّبِيِّ خَسِئُوا:
 آيَةُ النَّبِيِّ.. فَأَتَى * مُسْتَنْجِدًا ذَاكَ الْفَتَى
 وَقَاصِدًا خَيْرَ الْوَرَى * أَشْرَفَهُمْ وَأَطْهَرَ
 فَجَاءَهُ فَأَسْرَعَا * إِلَيْهِ خَيْرٌ مَنْ دَعَا
 لِلْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ * إِلَى الشَّقِيِّ الْجَافِي
 فَذُعِرَ الشَّقِيُّ * إِذْ طَرَقَ النَّبِيُّ
 ثُمَّ أَتَى فِي الْحَالِ * مُهْرُولًا بِالْمَالِ
 فَذَهَلَ الْقَوْمُ لَمَّا * رَأَوْا فَكَيْفَ وَلَمَّا
 فَقَالَ خَفْتُ لَمَّا * رَأَيْتُ فَحَلَّاهُمَا
 بِأُمَّ رَأْسِي لَوْلَا * أَنِّي أَجَبْتُ فِعْلًا

بمجرد أن أنزل الله على نبيه ﷺ قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أعلن
 على رؤوس الأشهاد أنه رسول الله إلى الناس كافة وأن ما يعبدوه قومه
 من دون الله إنما هي أوثان لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا أخرى لمن
 يعبدونها، فثارت ثائرة المشركين وبدأوا بالتفنن في أساليب الإيذاء
 لعلهم يصدونه عن تبليغ الحق، وهيئات.

ومن أساليبهم القدرة تلك أنهم كانوا إذا مر بهم بين أصحابه من
 المستضعفين سخرؤا منهم وتغامزوا فيهم وضحكوا عليهم: ﴿وَإِذَا

مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿١٩٠﴾ وكان من سخريتهم به ﷺ أنهم إذا مر بهم ضحكوا وقالوا: هذا ابن أبي كبشة ينزل عليه الوحي من السماء.

ومن أسليبتهم الباطلة القدرة في إيذائه ﷺ على سبيل المثال، لا الحصر: اتهامهم له بالجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. واتهموه كذلك بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَحْرٌ كَذٰبٌ﴾. واتهموه بالإتيان بالأساطير، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وكان بين القوم مستهزئون كانوا هم الأشد إيذاء له ﷺ، وكان على رأسهم عمه أبو لهب بن عبد المطلب، وزوجه أم جميل، فكان أبو لهب يجول خلف النبي ﷺ في موسم الحج والأسواق لتكذيبه وربما ضربه بالحجارة فأدمى عقبه، وكانت امرأته: أروى بنت أمية أم جميل لا تقل عن زوجها في عداوتها للنبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلا، وكانت امرأة سليطة تبسط لسانها في النبي ﷺ وتكثر عليه الافتراء والدس وتؤجج نار الفتنة ضده فكان جزاؤها أن وصفها القرآن بحمالة الحطب، كما جاء في سورة المسد التي نزلت فيها مع زوجها.

ومن إيدائها: أنها لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ذهبت إلى رسول الله ﷺ فجاءته وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفي يدها فهر: قدر ملء الكف من الحجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر! أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجونني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. ثم أنشدت: مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا. ثم انصرفت فقال أبو بكر: يا رسول الله! أما تراها رأتك؟ فقال ما رأيتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

وهكذا كان جيرانه ﷺ من المشركين يؤذونه، قال ابن إسحاق: كان نفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته، أبا لهب، والحكم ابن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، لم يسلم منهم إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجرا ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بني عبد مناف! أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق. وأخرجه البخاري.

وأخرج البخاري أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن

النبي ﷺ كان يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط ثم جاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني عنه شيئاً لو كانت لي منعة ، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض مرحاً ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، ثم سمى جماعة فقال : اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، ، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وأميمة بن خلف وعقبة بن أبي معيط ، وعد السابع فلم يحفظه ، قال : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ في قلب بدر . وكان أميمة بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ . وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من رسول الله ﷺ وقد وصفه القرآن بتسع صفات تدل على حاله ، وهي قول سبحانه : ﴿ وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَهَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ .

أما فرعون هذه الأمة : أبو جهل بن هشام فله شأن آخر ، فقد كان إذا رأى رسل الله ﷺ يصلي نهاه وتوعده ، حتى إن رسول الله ﷺ أغلظ له

القول فدل أبو جهل على رسول الله بأنه أعز أهل مكة ناديا، وتمادى في غيه وطغيانه، روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بينكم؟ فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته لأطأن على رقبتة ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأن رقبتة، فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقا من نار، وهؤلاء أجنحته، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا.

وذكر ابن إسحاق في السيرة حديث الأراشي الذي اشترى منه أبو جهل الإبل ومطله بأثمانها، فجاء نادي قریش يريد من ينجده ليسترد ماله من أبي جهل، فدلوه سخرية على رسول الله ﷺ فجاءه فانطلق معه إلى دار عدو الله فاسترد له منه حقه بتمامه، وعندما سأله قومه عن صنيعه ذاك قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته حتى ملئت رعبا ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط، الله لو أبیت لأكلني. ويلاحظ في محاولة وطء عنقه ﷺ أن النظم فيه أن فحلاهم بالعدو، وفي الخبر نهر من النار، فكلاهما رواية.

الهجرتان إلى الحبشة

أَذِنَ بِالْفِرَارِ * بِالذِّينِ لِلأَبْرَارِ
نَبِيْنَا الْمُخْتَارِ * فَهَاجَرَ الأَخْيَارِ
وَكَانَ فَوْقَ العَشرِ * عَدَدَهُمُ فَلْتَدْرِ
وَبَيْنَهُمُ عُثْمَانُ * وَزَوْجُهُ فَكَانُوا
لَدَى مَلِكِ الحَبشَةِ * قَدْ أَمِنُوا المُنَآوَشَةَ
بُرْهَةَ دَهْرٍ ثَمًّا * قِيلَ لَهُمْ قَدْ عَمَّا
مَكَّةَ دِينَ الهَادِي * شِعَابَهَا وَالأَوَادِي
فَفَرِحُوا وَرَجَعُوا * لِدَارِهِمْ فَفَجِعُوا
لَمَّا رَأَوْا مَا نَقَلَا * إِلَيْهِمْ قَدْ انجَلَى
كَذِبُهُ فَعَادُوا * لِمِثْلِهَا وَزَادُوا
وَكَانَ مِنْهُمْ جَعْفَرُ * فَخَرُّ الشَّبَابِ الأَخِيرُ
فَبَعَثَتْ خَلْفَ المَلَا * قُرَيْشُ وَفَدَا نَقَلَا
إِلَى النِّجَاشِي العَادِلِ * شَيْئًا مِنَ الأَبَاطِلِ
وَرَاوَدَتْهُ بِالأَهْدَا * يَا فَأبَا وَجَدَدَا
مَا كَانَ مِنَ أَمَانِ * لِعُصْبَةِ الإِيمَانِ
مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعَا * مِنْ جَعْفَرٍ كَمَا وَعَى
قَبْلُ مِنْ أَمْرِ مَرِيْمَا * فَقَالَ إِنَّ ذَا وَمَا
وَرَدَ فِي الإِنجِيلِ * سِيَّانِ فِي التَّفْصِيلِ

وَأِنَّهُ الْحَقُّ وَمَا * عَدَاهُ زَيْغٌ وَعَمَّا

لأجل الحفاظ على الدين كانت هجرتنا المسلمين إلى الحبشة قبل إسلام حمزة وعمر، فرارا بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان. فقد روى ابن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملك لا يظلم عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه» فخرجنا إليه حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلما.

وروى ابن سعد أنهم خرجوا متسللين سرا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، أو اثني عشر رجلا وخمس نسوة، حتى انتهوا إلى الشعبية، منهم الراكب والماشي ووفق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجارة حملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وخرجت قريش في أثرهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا. وكان ضمن المهاجرين الهجرة الأولى: أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجه أم المؤمنين فيما بعد أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها، وعثمان بن

مظعون، ومصعب بن عمير، وعثمان بن عفان، وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البيهقي: «أن عثمان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ كانا أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام». وهذه هي الهجرة الأولى، ولم يمكث المهاجرون طويلا حتى بلغتهم أخبار أن أهل مكة قد أسلموا فقرروا العودة إلى وطنهم في شوال من تلك السنة التي هاجروا فيها. وعندما اقتربوا علموا بأن الذي بلغهم ليس صحيحا، وأن نار العداوة ما زالت مشتعلة، فرجع منهم البعض فورا إلى الحبشة، ومن دخل منهم مكة دخلها متسللا أو في جوار رجل من قريش.

بعودة الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى اشتد الأذى على المسلمين من عشائريهم، فلم ير رسول الله ﷺ بد من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى، وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من التي قبلها، فقد استيقظت قريش لها وقررت إحباطها، إلا أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر فوصلوا إلى النجاشي دون أن تدركهم قريش. وكان عددهم في هذه المرة فوق الثمانين من الرجال (٨٢ - ٨٣) وقرابة العشرين من النساء (١٨ - ١٩).

عز على المشركين أن يجد المسلمون المهاجرون إلى الحبشة مأمنا لأنفسهم ودينهم فاختاروا رجلين من رجالاتهم جلدتين لبيبين هما:

عمرو بن العاص ، وعبدالله بن أبي ربيعة ، وكانا يومئذ لما يسلما بعد وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقتة ، وبعد أن ساق الرسولان تلك الهدايا إلى بطارقة النجاشي وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمين ، اتفق البطارقة على أن يشيروا على النجاشي بطردهم ، ثم حضر الرجلان بهداياهما إلى النجاشي ثم قال له : أيها الملك إنه قد أتى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

وقالت البطارقة : صدقا أيها الملك ، فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم . ولكن رأى النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية ، وسماع أطرافها جميعا ، فأرسل إلى المسلمين فحضروا وكانوا قد اتفقوا على الصدق كائنا ما كانت النتيجة . فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ وكان جعفر بن أبي طالب هو المتكلم باسمهم فقال : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على هذا حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه

وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن وآباؤنا نعبد من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. ثم مضى جعفر يعدد عليه خصال الإسلام ثم قال: فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من دين الله: فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم. فقال له النجاشي فاقراً علي، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته كذلك، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، فخرجا وقال عمر لعبدالله بن

ربيعة: والله لآتينهم غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبدالله بن ربيعة: لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا ولكن عمرا أصر على رأيه. فلما كان الغد عادا إلى النجاشي فقال عمرو: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح، ففزعوا ولكن أجمعوا على الصدق كائنا ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم قال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عودا من الأرض ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقتة فقال: وإن تناخرتم والله.

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، أي آمنون بلسان الحبشة. ثم قال: من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم. ما أحب أن لي دبيرا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم، والدبر: الجبل بلسانهم. ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به، وأقام المسلمون عنده في خير جوار بخير دار. وهكذا أخفقت حيلة المشركين وفشلت مكيدتهم وأيقنوا أن ضغائنهم

لا قيمة لها خارج سلطانهم. فبدأوا يدبرون مكائد أخرى غيرها ربما
أشد وقعا، وأنكى وأخبث وأسوأ.

إسلام حمزة ثم عمر

آمنَ حَمَزَةُ الأَسَدُ * لَمَّا أَرَادَهَا الصَّمَدُ
فَذَاتَ يَوْمٍ صَادَا * صَيْدَا وَحِينَ عَادَا
قَالَتْ لَهُ الإِمَاءُ * لَقَدْ جَرَى إِيْدَاءُ
لَابْنِ أَخِيكَ مِنْ أَبِي * جَهْلِ الأَثِيمِ المَذْنِبِ
فَنَارَتِ الحَمِيَّةُ * فِي نَفْسِهِ الأَبِيَّةِ
وَضَرَبَ الأَثِيمَا * ذَا الخِصَّةِ اللُّئِيمَا
وَقَالَ كَيْفَ تُفْرَعُ * مَنْ دِينَهُ أَتَّبِعُ
ثُمَّ هَدَاهُ اللّٰهُ * لِلدِّينِ وَاجْتَبَاهُ
فَكَانَ فَارِسَ النَّبِيِّ * أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نَسَبِ
وَعَمْرُ اصْطَفَاهُ * مَوْلَاهُ إِذْ هَدَاهُ
وَكَانَ كَالسَّيْفِ عَلَى * دَاعِيِ الهُدَى بَيْنَ المَلَا
حَتَّى دَعَا النَّبِيَّ * أَنْ يَهْدِيَ العَلِيَّ
لِنُصْرَةِ الإِسْلَامِ * رَأْسًا مِنَ الكِرَامِ
عُمْرًا أَوْ عَمْرًا فَقَا * لَ مُخْلِصًا وَمُشْفِقَا
وَخَاضِعًا مُبْتَهَلَا * إِلَهِنَا يَا ذَا العُلَى

أَعَزَّ هَذَا الْخَبْرًا * بَعَمْرٍو أَوْ بَعْمَرًا
 أَيُّهُمَا أَحَبُّ * إِلَيْكَ أَنْتَ الرَّبُّ
 فَخَرَجَ الْفَارُوقُ * وَإِنَّهُ حَنْوُوقُ
 يَبْحَثُ عَمَّنْ تَابَا * يُذِيقُهُ الْعَذَابَا
 فَقِيلَ أُخْتُكَ اعْلَمَا * وَزَوْجُهَا قَدْ أَسْلَمَا
 فَجَاءَهَا فَبَطَشَا * بِهَا فَرَقَّ وَانْتَشَا
 وَطَلَبَ الْقُرْآنَا * يَقْرُؤُهُ فَلَانَا
 وَقَالَ ذَا الْكَلَامِ * قَافِيهِ لَا يُلَامِ
 وَقَالَ لِلدَّلِيلِ * بِنَا إِلَي الرَّسُولِ
 فَجَاءَهُ فَأَسْلَمَا * وَقَالَ قَوْلًا كَرُمَا
 أَلَيْسَ بِالْبُرْهَانِ * هَذَا هُدَى الرَّحْمَنِ
 فَقَالَ خَيْرُ النَّاسِ * بَلَى وَرَبُّ النَّاسِ
 فَعِنْدَهَا قَالَ عُمَرُ * فَلَنْظَهَرَ الْقَوْلَ الْأَبْرُ
 فَظَهَرَ الْإِيمَانَ * وَخَسِيَ الشَّيْطَانَ
 وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ * عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ

خرج كعادته حمزة للصيد مبكرا، وهو ما زال على ما عليه قومه
 وبينما رسول الله ﷺ عند جبل الصفا لحق به أبو جهل فنال منه وآذاه
 وكانت بالقرب مولاة لعبدالله بن جدعان فرأت ما كان من عدو الله

من تناول على رسول الله ﷺ فلما رأت حمزة مقبلا من رحلة صيده متوشحا قوسه استقبلته بالخبر فغضب لذلك، وكان أعز فتیان قريش وأشدّهم شكيمة، فخرج يسعى لا يقف لأحد ولا يلتفت لشيء يريد عدو الله أبا جهل حتى دخل المسجد فوقف على رأس أبي جهل ثم شتمه وقال: تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم، وثار بنو هاشم، فقال أبو جهل: دعو أبا عمارة فإنني سببت ابن أخيه سبا قبيحا. وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة بطل لم يقبل أن يهان ابن أخيه، ثم شرح الله صدره للإسلام فتمكن من فؤاده وأعز الله به دينه والمسلمين في ساعة العسرة.

وانبلج نور الحق أيضا في قلب رجل آخر كان من أعدى أعداء الدين فشرح الله صدره للحق فكان نصرا وعزا للمسلمين، إنه الفاروق عمر، الذي أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام، وذلك أن النبي ﷺ سأل الله أن يهديه للإسلام فهداه بمنه وكرمه.

أخرج الترمذي عن ابن عمر والطبراني عن ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم جميعا، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام» فكان عمر أحبهما إلى الله فهداه للخير.

وتروى في إسلام عمر رضي الله عنه روايات تتفاوت في الصحة فقد كان مع ما عرف به من الجفاء والشدة على المسلمين فيه نزعة تميل به إلى الخير أحياناً، وكان ربما لأن قلبه إذا مر به موقف يتطلب اللين، ومن ذلك حسبما يروى أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته فجاء إلى الحرم ودخل في ستر الكعبة والنبي ﷺ قائم يصلي، وقد استفتح سورة الحاقة، فجعل عمر يستمع إلى القرآن ويعجب من تأليفه. قال: فقلت في نفسي هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال: قلت: كاهن، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ﴾ تنزيل مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ إلى آخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي. روى هذه القصة ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب، وروى ابن إسحاق قريباً منها عن عطاء ومجاهد.

وقد أعز الله الإسلام بإسلام عمر، وفي هذا روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب». وروى ابن إسحاق في السيرة عن عمر رضي الله عنه قال: «لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة. قال: قلت أبو جهل فأتيته حتى ضربت عليه بابه، فخرج إلي وقال: أهلاً وسهلاً، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله

وبرسوله ﷺ ، وصدقت بما جاء به . قال : فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به .»

وروى ابن إسحاق أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .»

وروى ابن سعد عن صهيب الرومي رضي الله عنه أنه قال : «لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودعا إليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت ، وانتصفنا من غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به .» وروي أن رسول الله ﷺ سما عمر الفاروق ؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل .

وفي سبب إسلام عمر القصة المشهورة ، وملخصها أنه كان في طريقه إلى النبي ﷺ لينال منه فلقبه نعيم بن عبد الله العدوي فلما علم منه ما يريد ، أخبره أن أخته وزوجها قد أسلما ، فغضب عمر وذهب إلى أخته وزوجها ، ووجد معهما خباب بن الأرت ، فضرب أخته حتى سال الدم منها ، فرق لها ثم وجد معهم آيات من سورة طه فقرأها بعد أن اغتسل بأمر أخته لما أخبرته أنه عليه أن يغتسل أولا ؛ لأنه نجس ثم أعلن إسلامه وذهب إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه ، ورد جوار

خاله العاص ليضرب ويضرب كما هو حال المستضعفين من المسلمين
إلى أن أعز الله الإسلام.

هذه القصة هي الأكثر شهرة في سبب إسلام عمر رضي الله عنه
ولكن أهل الحديث يضعفونها، ولذا أخرجتها واختصرتها كثيرا. وعلى
كل حال فإن الله تعالى استجاء لدعاء نبيه فأعز الإسلام والمسلمين
بإسلام عمر رضي الله عنه وأرضاه.

مساومة المشركين له ﷺ

عَزَّ بِإِسْلَامِ عُمَرَ * وَحَمَزَةَ اللَّيْثِ الْحُصْرَ
دِينُ الْهُدَى ثُمَّ غَدَا * أَتْبَاعُهُ عَلَيَّ هُدَى
لِلدِّينِ يُظْهِرُونَا * وَالْحَقَّ يَعْزِلُونَا
فَقَالَ قَائِلُ الْمَلَا * وَكَانَ ذَا رَأْيٍ جَلَا
يَا مَعْشَرَ الْقَوْمِ أَلَا * نُعْطِي الْفَتَى إِنْ قَبَلَا
أَمْرًا بِهِ يَكْفُ * عَنْ قَوْلِهِ فَتَصَفُّوْا
لَنَا الْأُمُورَ وَقَفَّتَا * قَالُوا فَقُلْ مَا شِئْنَا
ثُمَّ أَتَى النَّبِيَا * فَقَالَ خُذْ عَلَيَّا
عَهْدًا بِمَا تَشَاءُ * وَكُلُّهُ ثَنَاءُ
يَقُولُ أَنْتَ مِنَّا * كَمَا عَلِمْتَ إِنَّا
إِنْ رُمْتَ جَاهًا كَانَا * أَوْ رُمْتَ مُلْكًا هَانَا

أَوْ كُنْتَ ذَا اعْتِلَالٍ * تَشْفَى بِبَدْلِ الْمَالِ
قَالَ : أَقْدَفَرُغْتَا * أَبَا الْوَلِيدِ أَنْتَا
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ * فَاسْمَعْ وَعِ الْمَقَالَا
ثُمَّ تَلَا مِنْ فُصِّلَتْ * حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَتْ
صَاعِقَةً رَجَاهُ * كَفَاءً وَسَدْفَاهُ
وَعَادَ لِلْقَوْمِ بِمَا * وَعَى وَمَا قَدْ عَلِمَا
وَكَانَ ذَا قَرِيحِهِ * وَمَحَضَ النَّصِيحِهِ
قَالَ دَعُوا مُحَمَّدًا * وَشَأْنَهُ فَإِنْ عَدَا
عَلَيْهِ عَادِ سَرْنَا * أَوْ عَزَّ فَالْعِزُّ لَنَا
قَالُوا سَحَرْتَ وَأَبَوَا * رَأَى الْحَكِيمِ وَجَفَوَا
وَكَانَ لَوْ رَضُوا بِمَا * قَدْ قَالَ كَانَ أَحْكَمَا

هدى الله بمنه للإسلام حمزة عم النبي ﷺ وعمر رضي الله عنهما
فأعز الله بإسلامهما الفئة الصالحة : محمدا وأصحابه ، ودين الحق
وأهله في كل زمان ومكان ، وبعد إسلام هذين العملاقين زالت عن
المشركين في مكة غشاوة الاغترار بالقوة ، وأيقنوا ألا قبل لهم بهذه
الدعوة إلا بالحيلولة إن نفعت فقررروا أن يحاولوا ثني رسول الله ﷺ عن
دعوته بالإغراء بشيء من زخرف الفاني لعل وعسى .
روى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة

ابن ربيعة، وكان سيّدا، قال يوما وهو في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش! ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون، فقالوا: بلى، يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضا. قال: فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، أو نحوا من هذا الكلام.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ * ثُمَّ مَضَى رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرؤها عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عَتَبَةٌ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى
بِيَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا فَسَجَدَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ
فَأَنْتَ وَذَلِكَ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّ عَتَبَةَ اسْتَمَعَ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِّثْلَ
صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. فَحَامَ مَذْعُورًا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: أَنْشَدَكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ، وَذَلِكَ مَخَافَةٌ أَنْ يَقَعَ النَّذِيرُ. وَقَامَ عَتَبَةٌ إِلَى
أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ
الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟
قَالَ: وَرَائِي أَنِّي سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ
بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسَّحْرِ، وَلَا بِالكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قَرِيشِ! أَطِيعُونِي
وَاجْعَلُوا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزَلُوهُ، فَوَاللَّهِ
لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تَصَبَّه الْعَرَبُ فَقَدْ
كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ، وَعِزُّهُ
عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ. قَالُوا: سَحَرَكِ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ
بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ.

الحصار

لَقَدْ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنْ * قَدْ أَمِنَ النَّبِيُّ وَلَنْ
تَطَّالَهُ وَأَنْنَى * فَحَزَبُهُ أَطْمَأَنَّ
وَأَعْلَنُوا جِهَارًا * دِينَهُمْ نَهَارًا
وَأَنَّهَمْ إِنْ قَتَلُوا * مُحَمَّدًا يَقْتَتِلُوا
مَعَ قَوْمِهِ جَمِيعًا * تَقَاتِلًا شَنِيعًا
فَقَرَّرُوا الْقَطِيعَةَ * قَطِيعَةً فَظِيعَةً
أَلَّا يَبَاعَ مِنْ بَنِي * هَاشِمٍ أَيْ ثَمَنٍ
أَوْ يُشْتَرَى أَوْ يُنْكَحَ * كَذَاكَ لَا يُصْطَلَحُ
مَعَهُمْ مَا لَمْ يَرَى * مُسَلِّمًا خَيْرَ الْوَرَى
لِيَقْتُلُوهُ خَابُوا * وَبِيسَمَا اسْتَطَابُوا
فَاسْتَكْتَبُوا ذَا الْإِثْمِ * كَاتِبَهُمْ بِالظُّلْمِ
وَكَتَبُوا صَحِيفَهُ * كَرِيهَةً سَخِيفَهُ
تُوثِقُ الْآثَامَا * وَتَقْطَعُ الْأَرْحَامَا
وَمَرَّتِ السِّنُونَا * وَالْقَوْمُ صَامِدُونَا
وَمَعْشَرُ الْإِيمَانِ * يَدْعُونَ لِلرَّحْمَنِ
لَمْ يَثْنِهِمْ لُغُوبٌ * عَنْهُ وَلَا سُغُوبٌ
حَتَّى إِذَا مَا أَحْلَوْلَكَ * أَمْرُهُمْ وَاشْتَبَكَ

بَدَتْ بِشَائِرِ الْفَرَجِ * تَلُوحُ وَأَنْزَاحَ الْحَرْجِ
 أَكَلَتِ الْأَرْضَةَ مَا * عَدَا اسْمُهُ جَلَّ أَعْلَمًا
 فِي عَهْدَةِ الْآثَامِ * كُتِبَ مِنْ كَلَامِ
 وَجَاءَ وَحْيُ اللَّهِ * لِأَحْمَدَ الْأَوَّاهِ
 بِمَا جَرَى فَأَعْلَمًا * نَبِيَّنَا الْعَمَّ فَمَا
 شَكَّ فَقَالَ لِلْمَلَا * مِنْ قَوْمِهِ قَدْ انْجَلَى
 الْأَمْرُ تَعَالَوْا لِنَرَى * كِتَابِكُمْ كَيْفَ جَرَى
 عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ * فَقَدْ بَلَى وَاللَّهِ
 قَدْ قَالَهَا مُحَمَّدٌ * وَصَدَقَهُ مُؤَكَّدٌ
 تَعَالَوْا ابْتَلَوْهُ * إِنْ خَانَ فَاقْتُلُوهُ
 قَالُوا لَقَدْ أَنْصَفْنَا * بِذَا وَمَا جَنْفْنَا
 وَعِنْدَمَا انْجَلَى الْخَبْرُ * طَغَوْا وَقَالُوا قَدْ سَحَرُ

بدا لأبي طالب الأمر جلياً، فبعد هذه الأحداث العظام التي تتالت
 على قريش في مدة وجيزة، وهي: إسلام حمزة، ثم إسلام عمر، ثم
 رفض رسول الله ﷺ مساومتهم وجميع عروضهم للكف عن الدعوة
 فعلم من تجاربه الطويله وعلمه بالقوم أنهم لن يسكتوا على هذا كله
 وأنهم لا بد أن يدبروا أمراً لأذية رسول الله ﷺ كما حاول من قبل
 أبو جهل رضخه بحجر، وغيرها من وسائل الأذية، بل إنهم ساوموا أبا

طالب أن يبادلهم ابن أخيه محمدا بعمارة بن الوليد ليقتلوه، فقال قولته المشهورة: أعطيكم ابني تقتلوه وتعطوني ابنكم أغذوه لكم. تأكد بهذا لدى أبي طالب أن القوم لا بد أن يدبروا أمرا، وكان حقا ما توقع فإنهم قد أجمعوا على أن يقتلوه علانية في دار الندوة فقام أبو طالب في قومه من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف ودعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فأجابوه إلى ذلك مجمعين مسلمهم وكافرهم لم يتخلف منهم إلا أبو لهب. علمت قريش بالأمر فأيقنوا أنهم إن قتلوا رسول الله ﷺ فإن وادي مكة سيسيل بدمائهم مما قد يفضي إلى استئصال شأفتهم فمالوا عن ذلك إلى تدبير ظلم آخر يكون دون القتل، لكن فوق ما كان منهم من ظلم وأذية حتى ذلك الوقت.

اجتمع المتآمرون في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه، وكتبوا ذلك في صحيفة فيها عهد وميثاق: «ألا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل». كتبها بغيض بن عامر فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده، أو غيره. وعلقت الصحيفة التي فيها ميثاق الظلم

والجور وقطيعة الرحم في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب
وحبسوا في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة .
اشتد الحصار، وقطعت عن المحاصرين كل المواد، فلم يكن المشركون
يتركون طعاما يدخل مكة ولا بيعا إلا بادروه فاشتروه كي لا يحصل
منه المحاصرون على شيء، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل
الأوراق والجلود، حتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم
وصبيانهم يتضاغون من الجوع، وكان لا يصل إليهم إلا القليل سرا ولا
يخرجون من الشعب لا لشراء الحوائج إلا في الأشهر فإذا خرج رسول
الله وأصحابه في الموسم دعوا الناس إلى الإسلام فيعترضهم أبو لهب .
وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة
كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعوا الاشتراء .
وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحا إلى عمته خديجة رضي الله
عنها، وقد تعرض له مرة عدو الله أبو جهل فتعلق به ليمنعه، فتدخل
بينهما أبو البختری ومكنه من حمل القمح إلى عمته . وكان أبو طالب
يخاف الاغتيال على رسول الله ﷺ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم
يأمر رسول الله ﷺ أن يضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد
اغتياله فإذا نام الجميع أمر أحد أبنائه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع
على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم .

نقض الصحيفة

وَكَانَ فِي الْقَوْمِ سِرًا * ةً سَاءَهُمْ مَا قَدْ جَرَى
هُمُ هَاشِمُ بْنُ عَمْرٍو * كَذَا زُهَيْرٌ فَادِرٌ
وَأَبْنُ عَدِيٍّ الْمُطْعَمُ * وَزَمْعَةٌ فَانْتَظَمُوا
مَعَ أَبِي الْبُخْتَرِ فِي * حَلْفٍ لِنَقْضِ الْجَنْفِ
فَأَعْلَنُوا النِّقْضَ فَهَمُّ * بَرَدَهُمْ وَالْأَمْرُ تَمَّ
فِرْعَوْنُ وَالْأَمْرُ بَرْمٌ * كَانَ بَلِيلٌ مُدْلِهِمْ
فَخَنَسَ الْأَثِيمُ * وَغَيْظُهُ عَظِيمٌ
وَهَكَذَا الْجَفَاءُ * يَهْزِمُهُ الْوَفَاءُ

مرت ثلاثة أعوام كاملة ورسول الله ﷺ والمسلمون وبنو هاشم وبنو
المطلب محاصرون في شعب بني هاشم، ذلك الحصار الظالم الذي
قصد المشركون به تسليم النبي ﷺ لهم ليقتلوه كما زعموا. وفي شهر
الحرم من السنة العاشرة للبعثة أراد الله بمنه إنهاء تلك المعاناة، ونقض
تلك الصحيفة الظالمة، فقد كانت قريش في الأصل منقسمة بشأنها
بين راض وكاره، وإن كانت الغلبة في الأصل للراضين بها، إلا أن
الكارهين ربما كانوا يتحينون الفرصة لعمل شيء ما، وفي يوم بدء
التحرك لنقض الصحيفة قام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي -
وكان يصل بني هاشم في السر فيحمل لهم الطعام مستخفيا إذا أظلم

الليل - قام بالحركة الأولى ، فذهب إلى زهير بن أبي أمية الخزومي وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب ، وقال له : يا زهير ! أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وأخوالك بحيث تعلم ؟ فقال : ويحك فما أصنع وأنا رجل واحد ؟ أما والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها . قال : قد وجدت رجلا . قال : فمن ؟ قال : أنا . قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثا . فذهب إلى المطعم بن عدي ، فذكره أرحام بني هاشم وبني المطلب ابني عبدمناف ، ولامه على موافقته لقريش على هذا الظلم ، فقال المطعم : ويحك ، ماذا أصنع وإنما أنا رجل واحد ؟ قال : قد وجدت ثانيا . قال من ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثا . قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : أبغنا رابعا . فذهب إلى أبي البخترى بن هشام فقال له نحوا مما قال للمطعم ، فقال وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك . قال : أبغنا خامسا . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم . فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم فاجتمعوا عند الحجون ، وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة وقال زهير : أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير عليه حلة ، فطاف

بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

وكان أبو جهل في ناحية المسجد فقال: كذبت والله لا تشق. فقال زمعة: بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. وقال هشام: نحوا من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، تُشور فيه بغير هذا المكان.

وكان أبو طالب جالسا في ناحية المسجد، وإنما جاءهم لأن الله كان قد أطلع رسوله ﷺ على أمر الصحيفة وأنه أرسل عليها الأربعة فأكلت جميع ما فيها من قطيعة وظلم، إلا ذكر الله عز وجل فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبا خلىنا بينكم وبينه، وإن كان صادقا رجعتن عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت. وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل، قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأربعة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله. ثم نقض الصحيفة وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب، وقد رأى

المشركون تلك الآية البينة، ولكنهم هم كما أخبر عنهم الخبير جل جلاله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ وقد أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرا إلى كفرهم، وتكذيبا إلى تكذيبهم.

آخر وفود قريش إلى أبي طالب

ثُمَّ أَتَى الْأَشْرَافُ * كَلَّهُمْ يَخَافُ
ظُهُورَ دِينِ الْحَقِّ * لِعَمِّ خَيْرِ الْخَلْقِ
فَعَرَضُوا أَنْ يَتْرَكُوا * لِشَأْنِهِمْ وَيَتْرَكُوا
لِشَأْنِهِ النَّبِيَّ * فَقَالَ بَلْ عَلَيَّا
نُصْحَكُمْ فَقُولُوا * كَلِمَةَ تَوْؤُلُ
بِهَا الْأُمُورُ طُرًّا * إِلَيْكُمْ فَقَرَأَ
لَهُ بِهَا فَرَعَوْنَ * وَمِثْلُهَا يَكُونُ
فَقَالَ قُولُوا فَرْدًا * إِلَيْنَا فَأَبْدَى
ذُو الْجَهْلِ الْاِعْتِرَاضَا * وَلَمْ يَكُنْ تَغَاضَى
وَقَالَ ذَاكَ الْمُبْطَلُ * مُسْتَهْزِئًا أَتَجْعَلُ
آلِهَةَ الْكُوفِنِ إِلًا * هَا وَاحِدًا؟ وَقَالَ: لَا
ذَلِكَ لَا يَكُونُ * وَأَنْصَرَفَ اللَّعِينُ

خرج رسول الله ﷺ من الحصار واستمر على ما كان من النشاط في تبليغ ما أمره الله بتبليغه، فهو يدعو زوار مكة بنفس الهمة العالية

التي يدعو بها أهل مكة . واستمر المشركون على ما كانوا من الصد عن سبيل الله ، وإن كانوا قد أوقفوا الحصار والمقاطعة ، كل ذلك وأبو طالب يحوط رسول الله ﷺ بعنايته ورعايته ، وإن كان قد كبر وبدأت قواه تخور ، فهو رجل ناهز الثمانين من العمر وقد أنهكه الحصار فبدأت الأمراض تنهش جسده المنهوك أصلاً بفعل السنين وتوالي الأحداث المرهقة من حصار وغيره .

لاحظ المشركون ضعف أبي طالب وعلموا أنه إذا رحل أصبح من العار أن يؤذوا ابن أخيه من بعده فتكون معرفة ومسبة الدهر عليهم فحاولوا أن يفاوضوا النبي ﷺ مرة أخرى قبل أن يرحل أبو طالب ويعطوا النبي ﷺ أشياء لم يعطوه إياها من قبل لعله يقبلها فيكف عنهم ، فقاموا بآخر وفادة إلى أبي طالب .

قال السيريون ، ومنهم ابن إسحاق وغيره : لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا اعتلاله ، قال الملاء منهم : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا . وفي لفظ : فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب ، يقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه .

فمشى وفد المشركين من أشرافهم : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة

وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب وآخرون إلى أبي طالب فكلّموه، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث علمت وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه. فبعث إليه أبو طالب فجاء، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشرف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ثم أخبره بالذي قالوا له وعرضوا عليه من عدم تعرض كل فريق للآخر. فقال لهم الصادق الأمين عليه السلام: رأيتم إن أعطيتكم كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم. وفي لفظ: أنه خاطب أبا طالب قائلاً: أريدكم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية. وفي لفظ آخر قال: يا عم، أفلا تدعوهم إلى ما هو خير لهم؟ قال: وإلى ما تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم. ولفظ ابن إسحاق: كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم. فلما قال هذه المقالة لم يعرفوا كيف يرفضون هذا العرض السهل النافع إلى هذه الدرجة، فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشرا مثلها؟ قال: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم استهزاء، ثم قالوا: أتريد يا

محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إن أمرك لعجب . ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنَ الَّذِي الذِّكْرِ ﴾ * بل الذين كفروا في عزة وشقاقٍ كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنَادُوا وولاتٍ حين مناصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا * إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَالْمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْلَقُ .

عام الحزن وزواجه بسودة

فِي عَامِ عَشْرِ عَامٍ * أَحْزَانِهِ الْعِظَامِ
 قَدْ مَاتَ عَمُّ أَحْمَدًا * وَكَانَ جَاءَهُ لَدَى
 مَمَاتِهِ فَقَالَ * يَا عَمُّ قُلْ مَقَالًا
 إِنْ قُلْتَهُ مُطِيعًا * أَكُنْ لَكَ الشَّفِيعَا
 قُلْ فَرْدًا الْإِلَهَ * وَاكْفُرْ بِمَا سِوَاهُ
 فَقَالَ إِذْ أَغْوَاهُ * ذُو الْجَهْلِ وَاسْتَهْوَاهُ
 وَاللَّهُ جَلَّ قَدُّ قَضَى * هُوَ عَلَى مَا قَدْ مَضَى
 مِنْ دِينِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ * وَمَنْ مَضَى مِنْ مُنْتَسِبِ

فَأَشْفَقَ الرَّحِيمُ * نَبِينَا الْكَرِيمُ
وَقَالَ لَا أَبْرَحُ دَا * عِيَالَهُ مَدَى الْمَدَى
لَكِنْ إِذَا نُهِيتُ * مِنْ خَالِقِي انْتَهَيْتُ
وَلَمْ يَكُنْ حَاشَاهُ * قَطُّ عَصَى مَوْلَاهُ
وَدَامَ الْإِسْتِغْفَارُ * لَهُ وَالْإِدْكَارُ
مِنْ دُونِ مَا انْقَطَعَ * مِنْهُ وَنِعْمَ الدَّاعِي
حَتَّى إِلَى الْوَفِيِّ * ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾
أَتَتْ مِنَ السَّمَاءِ * كَفَّ عَنِ الدُّعَاءِ
وَعَاصَ فِي الْأَحْزَانِ * بِمَوْتِ ذَاتِ الشَّانِ
خَدِيجَةَ الَّتِي لَهُ * نِعْمَ الْمُعِينُ حَوْلَهُ
بِعَظْفِهَا وَحُبِّهَا * فَكَانَ مَلَأَ قَلْبَهَا
أَسْتَهُ بِالْمَالِ مَدَدٌ * وَأَنْجَبَتْ لَهُ الْوَلَدَ
وَأَمَنْتَ وَمَا اسْتَقَرَّ * الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ بَشَرٍ
بِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ * فِي أَوَّلِ الْأَيَّامِ
لِذَا وَذَا تَلَقَّاهُ * صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
يَغْتَمُّ ضِعْفَ غَمِّهِ * قَبْلَ لِمَوْتِ عَمِّهِ
وَكَانَتْ أَوَّلُ النِّسَاءِ * وَذَلِكَ فِي عَامِ الْأَسَى
تَزَوَّجَتْ بَعْدَ خَدِيدٍ * حِجَّةَ بَخِيرٍ مُهْتَدٍ

سَوْدَةٌ ثُمَّ سَوْدَةٌ * تَبَرَّعَتْ مَحْمُودَةً
فِي آخِرِ الزَّمَانِ * لِلْبَضَّةِ الْحَصَانِ

كان أبو طالب الحصن الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية في بدايتها بتسخير من العلي القدير، حتى رحل في عام الأحزان في السنة العاشرة للبعثة، ورجح أن ذلك كان في شهر رجب منها. فقد اشتد المرض على أبي طالب بعد الخروج من الشعب ولم يلبث أن وافته منيته، فلما علم رسول الله ﷺ باحتضاره دخل عليه فوجد عنده أبا جهل، فقال رسول الله ﷺ، وهو الذي سماه ربه الرؤوف الرحيم قال: أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبوجهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبدالمطلب. فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾. وأنزل الله أيضا: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

بقي أبو طالب على ملة الأشياخ من أجداده، ولم تغن عنه شفقة رسول الله ﷺ وحرصه على نجاته شيئا، ففي الصحيح عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه

كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». وفي الصحيح أيضا، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وقد ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه».

وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو يزيد، لحقت به أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك في شهر رمضان من السنة العاشرة من النبوة، بعد أن عاشت مع رسول الله ﷺ نحو ربع قرن فكانت من نعم الله الجليلة عليه، حيث كانت تحنو عليه وتؤازره في أخرج أوقاته، وتعينه على تبليغ رسالة الله، وتشاركه في أعباء الجهاد الجليلة، وتواسيها بنفسها ومالها. ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال متحدثا عنها: «آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني ولد غيرها». وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببیت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

تتالت هاتان الحادثتان المؤلمتان عليه ﷺ في ظرف وجيز، وزاد المشركون في أذاهم وتكذيبهم له ﷺ بموت عمه فتفاقت مشاعر الحزن في نفسه، وازداد غما على غم حتى يئس من قومه فذهب مهاجرا إلى الطائف طالبا النصر والحماية حتى يبلغ رسالة ربه فوجد من أهلها أسوأ بمراحل مما عهد من أهل مكة. وكما اشتد الأذى عليه ﷺ اشتد كذلك على أصحابه حتى خرج رفيقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يريد الحبشة، فأرجعه ابن الدغنة في جواره.

قال ابن إسحاق: لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك. ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب؛ ولأجل توالي هذه الأحداث المؤلمة، سمى رسول الله ﷺ عام عشر من البعثة بعام الحزن، فصار معروفا بهذا الاسم عند المؤرخين.

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة وكانت ممن أسلم قديما، وهاجرت إلى الحبشة، وكان زوجها السكران ابن عمرو قد هاجر معها فمات بأرض الحبشة أو بعد الرجوع إلى مكة

فلما حلت خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها ، وهي أول امرأة يتزوجها
بعد وفاة خديجة ، وقد عرفت بلقب الواهبة ؛ لأنها في آخر عمرها
وهبت ليلتها لعائشة أم المؤمنين حتى تبقى هي على ذمة رسول
الله ﷺ ، وتلك منقبة تستحق التضحية .

الهجرة إلى الطائف

رَغِبَ خَيْرَ الْخَلْقِ * فِي نَاصِرٍ لِلْحَقِّ
يُسَنِّدُهُ لِيُرْشِدَا * ذَا الْعَالَمِينَ لِلْهُدَى
فَقَامَ مَعَهُ زَيْدٌ * يَدْعُو وَلَا يَحِيدُ
عَنْ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ * مُشْمِرًا فِي الْبَيْدِ
وَسَالَكًا لِلطَّائِفِ * سَبِيلَ خَيْرِ طَائِفِ
يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ * بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
وَكُلُّ مَنْ دَعَاهُمْ * فِي دَرَبِهِ قَدْ أَحْجَمُوا
حَتَّى إِلَى الطَّائِفِ جَا * وَعَبْدٌ يَالَيْلِ رَجَا
وَأَخْوِيهِ فَرَفَضُ * وَأَخْوَاهُ مَا عَرَضُ
عَلَيْهِمْ مِنْ رُشْدٍ * وَسَبَبٍ لِلسَّعْدِ
نَبِيَّنَا الْمُخْتَارِ * وَاسْتَكْبَرُوا وَجَارُوا
وَكُلُّهُمْ قَدْ افْتَرَى * إِفْكَاً قَبِيحاً وَازْدَرَى
فَقَامَ خَيْرُ النَّاسِ * عَنْهُمْ بِلاَ مُؤَاسِ

وَضَلَّ يَدْعُو النَّاسَا * عَشْرًا وَكَمْ قَدْ قَاسَى
نَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ * تُلْجِئُهُ الْغَوْغَاءُ
لِحَائِطِ لِابْنِي رَبِي * عَةَ فَجَاءَ يَخْتَبِي
مِنْ سَطْوَةِ الْفُجَّارِ * وَصَوْلَةِ الْأَشْرَارِ
وَقَامَ يَدْعُو رَبَّهُ * دُعَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ
يَشْكُو إِلَى الْمَنَّانِ * مِ الضَّعْفِ وَالْهَوَانِ
يَدْعُو وَيَسْتَعِيثُ * لِأَهْمِ يَامْغِيثُ
لَا، لَا تَكْلِنِي لِلْعَدَا * وَلَا إِلَى مَنْ بَعْدَا
مُعْتَصِمًا بِنُورِ * وَجْهِ عَظِيمِ النُّورِ
أَنْ يُغْضِبَ الرَّحْمَانَا * وَمَا سِوَاهَا هَانَا
يَرْجُو رِضَا الْإِلَهِ * وَالْحَوْلُ حَوْلُ اللَّهِ
فَأَشْفَقَا لِلنَّسَبِ * وَبَعَثَا بِالْعَنْبِ
وَعِنْدَمَا مَدَّ يَدَا * فَذَكَرَ اللَّهُ لَدَى
تَنَاوُلِ الطَّعَامِ * وَقَالَ لِلْغُلَامِ
لَمَّا رَأَاهُ يَعْجَبُ * مِنْ قَوْلِهِ وَيَطْرَبُ
مَنْ أَيْنَ؟ قَالَ نَيْنَوَى * قَالَ الَّتِي قَدْ احْتَوَى
مَرْبِعُهَا دَارَ النَّبِيِّ * يُونُسَ قَالَ عَجَبِي
كَيْفَ عَرَفْتَ فَضْلَهُ * قَالَ أَلَسْتُ مِثْلَهُ
أَنَا نَبِيٌّ فَاَنْبَرِي * يَحْضُنُ أَشْرَفَ الْوَرَى

هُنَاكَ قَالَ السَّيِّدَا * نَ عَبْدُنَا قَدْ فَسَدَا
فَسَأَلَاهُ فَأَقْرَ * بَأَنَّ ذَا خَيْرِ الْبَشَرِ
قَالَ عَلِيكَ دِينِكَ * فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ
وَقَامَ لَا يَلْوِي عَلَي * شَيْءٍ حَتَّى إِذَا اعْتَلَى
قَرْنَ الْمَنَازِلِ اسْتَظَلَ * ظِلَّ الْغَمَامِ فَأَطْلُ
جَبْرِيلُ فِي الْأَعَالِ * وَمَلِكُ الْجِبَالِ
نَادَى النَّبِيَّ قَائِلًا * مُرْنِي تَرَانِي مَائِلًا
وَمُطَبِقَ الْجِبَالِ * عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ
فَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ * دَاعِي الْهُدَى وَالرَّفْقِ
بَلْ إِنَّمَا رَجَاءِ * مِنْ رَافِعِ السَّمَاءِ
إِخْرَاجَ ذَاتِ يَوْمٍ * مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا * يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَلَا
قَالَ الْأَمِينُ عِنْدَهَا * مُمَجِّدًا مَنَوَهَا
أَنْتَ رَوْفٌ مِثْلَمَا * سَمَّاكَ رَافِعَ السَّمَاءِ
ثُمَّ بَوَادِي نَخْلَهُ * تَسْتَمِعُ الْجَنَّةُ لَهُ
لِلنُّورِ يَتْلُوهُ النَّبِيُّ * ذَا الْهَاشِمِيِّ الْعَرَبِيِّ
قَدْ قَرَّرَ الْمَقَامَا * نَبِيَّنَا أَيَّامَا
ثُمَّ أَرَادَ السَّفَرَا * مِيَمًا أُمَّ الْقُرَى
فَقَالَ زَيْدٌ كَيْفَا * وَأَخْرَجُوكَ حَيْفَا

فَقَالَ يَا زَيْدُ لِمَا * تَرَى مِنْ أَمْرِ عَظْمًا
سَوْفَ يَكُونُ فَرْجٌ * لَهُ وَمِنْهُ مَخْرَجٌ
وَالدِّينُ سَوْفَ يَظْهَرُ * وَاللَّهُ لِي سَيَنْصُرُ
ثُمَّ إِلَى حِرَاءٍ * رَحَلَ ذَا رَجَاءٍ
فَبَعَثَ الْخُزَاعِي * لِابْنِ شُرَيْقٍ دَاعٍ
وَلِسَهَيْلٍ أَنْ يُجِي * رَاهُ فَرْدًا الْمُرْتَجِي
ثُمَّ إِلَى الْمُطَاعِ * أَلْمُطْعِمِ الشُّجَاعِ
بَعَثَ فَاسْتَجَابَا * وَأَحْضَرَ الْحِرَابَا
وَلَبَسَ السَّلَاحَا * وَقَوْمَهُ فَلَاحَا
مِنْهُ الْوَفَاءُ لَمَّا * لِقَوْمِهِ قَدْ عَمَّا
بِقَوْلِهِ أَجْرُنَا * مُحَمَّداً وَإِنَّا
نَدْعُوهُ لِلدُّخُولِ * وَكَانَ لِلرَّسُولِ
وَفَاؤُهُ الْمَعْهُودِ * وَجُودُهُ الْمَحْمُودِ
إِذْ قَالَ يَوْمَ أُسْرَا * بِبَدْرِ الْأَسْرَى أَرَى
لَوْ كَانَ حَيًّا مُطْعِمٌ * وَجَاءَنِي يُكَلِّمُ
فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى * كُنَّا لَهُمْ أَفْلَتْنَا

في شوال من السنة العاشرة للبعثة ذهب رسول الله ﷺ يصحبه
مولاه زيد بن حارثة إلى الطائف سيرا على قدميه، وكان كلما مر على
قبيلة في طريقه دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب له واحدة من تلك

القبائل، وفي الطائف قصد ثلاثة إخوة من سادة ثقيف هم: عبد ياليل
ومسعود وحبیب، أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم
إلى الله، وإلى نصره الإسلام، فقال أحدهم: إنه يمزق ثياب الكعبة إن
كان الله أرسل محمدا، وقال الآخر: ما وجد الله أحدا غيرك، وقال
الثالث: والله لا أكلمك أبدا، إن كنت رسولا فأنت أعظم خطرا من أن
أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي أن أكلمك.
فقام عنهم رسول الله ﷺ، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني.
ومكث رسول الله ﷺ عشرة أيام في الطائف، لا يدع أحدا من
أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا له: اخرج من بلدنا وأغروا به
سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم، وعبيدهم يسبونه
ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه
بالحجارة وبكلمات ساقطة وأدموا عقبه الشريفين، وكان زيد بن
حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى شج شجاجا في رأسه، واستمروا
كذلك حتى ألقوا به إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال
من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وجلس رسول الله ﷺ إلى
جدار مستظلا بشجرة عنب، ثم دعا بالدعاء المشهور: «اللهم إليك
أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم
الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد

يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك». فلما رآه ابنا ربيعة أشفقا عليه للرحم فأمرأ غلاما لهما نصرانيا أن يأخذ قطفًا من العنب ويذهب به إليه، فلما وضعه بين يديه مد يده إليه قائلاً: «بسم الله» ثم أكل. فقال الغلام: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت، وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي. فأكب الغلام على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها. فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء الغلام عداس قال له ويحك ما هذا؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قال له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه. ورجع رسول الله ﷺ بعد خروجه من الحائط في طريقه إلى مكة كئيبا حزينا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق

الأخشبين على أهل مكة، والأخشبان هما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يواجهه، وهو قُعَيْقُعَان .

وروى البخاري في الصحيح بسنده عن عروة بن الزبير تفصيل هذه القصة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا». فاطمأن قلب رسول الله ﷺ لهذا النصر من الله، ثم تقدم في طريقه إلى مكة حتى بلغ وادي نخلة، وأقام أياما وخلال تلك الإقامة بعث الله إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه، وذلك قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا...﴾

الآيات . وكذا أوائل سورة الجن .

وبعد هذا النصر من الله زالت غيمة الحزن والكآبة التي رافقته بعد ما لاقى من أهل الطائف فقرر العودة إلى مكة ، وحينئذ قال له مولاه وصاحبه زيد : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك ؟ فقال ﷺ : « يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه » . وسار رسول الله ﷺ حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء ثم بعث رجلا من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير . ثم بعث إلى سهيل بن عمرو فقال سهيل : إن بني عامر لا تجير على بني كعب . فبعث إلى المطعم ابن عدي ، فقال المطعم : نعم ، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال : البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت ، فإني قد أجرت محمدا . ثم بعث إلى رسول الله ﷺ : أن ادخل فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فقام المطعم على راحلته فنادى : يا معشر قريش ! إني قد أجرت محمدا فلا يؤذينه أحد منكم ، أو كلمة نحوها ، وانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته ، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته .

وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع فقال في أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له .

عرض الإسلام على القبائل

ثُمَّ إِلَى مَكَّةَ عَا * دَزَائِدًا إِذَا دَعَا
فِي الْجِدِّ وَالنَّشَاطِ * يَدْعُو بِلَا إِفْرَاطِ
وَقَدْ دَعَا الْقَبَائِلَ * كَثِيرَةً قَلَائِلًا
وَالْجَمْعَ وَالْأَفْرَادَا * ضِعَافًا أَوْ شَدَادَا
كَمِثْلِ كَلْبٍ وَبَنِي * حَنِيفَةَ الَّتِي عَنِي
بِنُصْحِهَا فَأَقْدَعْتُ * فِي رَدِّهَا وَمَا اهْتَدْتُ
وَشَيْخُ آلِ صَعْصَعَةٍ * نَدِمُهُ مَا نَفَعَهُ
لَكِنْ سُوَيْدٌ وَإِيَا * سٌ كَالْغَفَارِي اهْتَدِيَا
وَأَمَّنَ الطُّفَيْلُ * وَكَأَدَ أَنْ يَحُولُ
أَهْلُ الضَّلَالِ بَيْنَهَا * وَبَيْنَهُ فَاَنْتَبَهَا
لِمَكْرِهِمْ فَقَدِمَا * عَلَى النَّبِيِّ مُسْلِمَا
فَصَارَ ذَا نُورٍ يُضِي * وَكَانَ فِي الْقَوْمِ رَضِي
فَوَعَدَ الرَّسُولَا * أَنْ يَجْلِبَ الْقَبَيْلَا
فَأَبْطَأَتْ لَكِنَّهُ * جَاهِدَ مَا أَمَكَّنَهُ
حَتَّى أَتَى فِي مَعْشَرٍ * مِنْ عَشْرَاتِ الْأُسْرِ
وَأَمَّنَ الْأَزْدِيُّ * ضِمَادَ الْأَبِي
وَأَمَّنَتْ بُدُورُ * كَانَتْ هِيَ الْبُدُورُ
لِلنُّورِ فِي الْمَدِينَةِ * غَشَّتْهُمْ السُّكِينَةَ

بَأْمُرِ ذِي الْجَلَالِ * لَيْلًا مِنَ اللَّيَالِي
بَيْنَا النَّبِيِّ بِمَنَى * إِذَا بِقَوْمٍ حَسَنًا
أَمْرُهُمْ فِي الدِّينِ * مِنْ بَعْدِ بِالْتَّمَكِينِ
كَانُوا مِنَ الْأَخْيَارِ * مِنْ خَيْرَةِ الْأَنْصَارِ
سِتَّةُ أَبْطَالٍ رَجَا * إِسْلَامَهُمْ فَعَرَجَا
يَدْعُوهُمْ فَأَمَّنُوا * بِهِ لَمَّا تَيَقَّنُوا
بَأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ * مِنْ ذَكَرُهُ فِي الْكُتُبِ
وَهُؤُلَاءِ هُمْ أَسْعَدُ * وَجَابِرُ الْمُمَجَّدِ
وَعُقْبَةُ بْنُ نَابِي * وَقُطَيْبَةُ الْأَقْطَابِ
وَعَوْفُ النَّجَارِيِّ * وَسَادِسُ الْأَبْرَارِ
مُصَدِّقٌ كَذَلِكَ * رَافِعُ بْنُ مَالِكِ

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة من هجرته إلى الطائف في ذي القعدة سنة عشر من النبوة، ليستأنف عرض الإسلام على كل من يرجو إسلامه من القبائل والأفراد على حد سواء، ولأن موسم الحج أطل بدأت الوفود تنقاطر على الحرم، وبدأ ﷺ ينشط في دعوته لها. ومن القبائل التي دعاها رسول الله ﷺ بنو عامر بن صعصعة فقد أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم يقال له بحيرة بن فارس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من

قريش لأكلت به العرب . ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون الأمر لنا من بعدك ؟ قال : الأمر لله يضعه حيث يشاء . فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب من دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه . ولما رجعت بنو عامر تحدثوا إلى شيخ لهم مسن لم يواف الموسم وقالوا له : جاءنا فتى من قريش من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا ، فوضع الشيخ يديه على رأسه وقال : يا بني عامر ، هل لها تلاف ؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط ، وإنما لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

وقد سمى الزهري قبائل غير بني عامر عرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام قال أهل العلم بالسيرة إن ذلك لم يكن في موسم واحد ، ولا في عام واحد ، وهذه القبائل هي : محارب ، وفزارة وغسان ، ومرة وحنيفة ، وسليم ، وعبس ، وبنو نصر ، وبنو البكاء وكندة ، وكلب والحارث بن كعب ، وعذرة والحضارمة ، فلم يستجب منهم أحد .

وكما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على القبائل عرضه كذلك على الأفراد فآمن منهم من آمن وأبى من أبى ، وممن آمنوا به في تلك الفترة : سويد بن صامت جاء من يثرب فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ، ثم عاد إلى قومه فما لبث أن مات في بعض حروبهم . ومنهم

كذلك : إياس بن معاذ كان غلاما حدثا من أهل يثرب أسلم وعاد إلى بلده، وكان ضمن وفد من الأوس جاء يطلب العون في الحرب على إخوانهم من الخزرج فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلموا فلما رجعوا إلى يثرب لم يلبث إياس أن هلك ومات وهو يهمل ويكبر ويحمد الله . ومن الذين عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا : أبوذر الغفاري، قال كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو ذر كنت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فانطلق فلقية ثم رجع، فقلت : ما عندك؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له : لم تشفني فأخذت جرابا وعصا ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون في المسجد، قال : فمر بي علي فقال : كأن الرجل غريب؟ قال : قلت نعم، فقال : انطلق إلى المنزل، فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله ولا أخبره . فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء . قال : فمر بي علي فقال : أما زال الرجل لا يعرف منزله بعد؟ قال : قلت لا، قال : فانطلق معي، قال : فقال ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : إن كتمت علي أخبرتك، قال : فإني أفعل . قال :

قلت له : بلغنا أنه قد خرج هنا رجل يزعم أنه نبي الله ، فأرسلت أخي يكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه . فقال له : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه ، ادخل حيث أدخل ، فإني إن رأيت أحدا أخافه عليك فمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي ، وامض أنت ، فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له : أعرض علي الإسلام فعرضه فأسلمت . وعرض رسول الله ﷺ الإسلام على طفيل بن عمرو الدوسي ، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، وكان رئيس قبيلة دوس ، وهي قبيلة لها رئاسة في بعض نواحي اليمن ، وقدم مكة في السنة الحادية عشرة للنبوّة فاستقبله أهلها من المشركين قبل وصوله إليها بالتقدير والإجلال ، وقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وأبيه ، وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجه ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا . فلا تكلمنه ، ولا تسمع منه شيئا . قال طفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا (قطنا) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة فقامت قريبا منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاما حسنا ، فقلت في

نفسي : واثكل أمي ، والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته فمكثت حتى انصرف إلي بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فعرضت عليه قصة مقدمي وتخويف الناس إياي ، وسد الأذنين بالكرسف ، ثم سماع بعض كلامه . وقلت له : أعرض علي أمرك . فعرض علي الإسلام ، وتلا علي القرآن فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت له : إني مطاع في قومي وراجع إليهم وداعيتهم إلي الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية فدعا . وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله له نورا في وجهه مثل المصباح ، فقال : اللهم في غير وجهي ، أخشى أن يقولوا : هذه مثلة ، فتحول النور إلي سوطه فدعا أباه وزوجته إلي الإسلام فأسلما ، وأبطأ عليه قومه في الإسلام لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق ومعه سبعون أو ثمانون بيتا من قومه ، وقد أبلى في الإسلام بلاء حسنا ، وقتل شهيدا يوم اليمامة . ومن الذين دعاهم رسول الله ﷺ فاستجابوا لدعوته : ضماد الأزدي كان من أزد شنوءة من اليمن ، وكان يرقى من هذا الريح قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون : إن محمداً ﷺ مجنون فقال : لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه علي يدي ، فلقية فقال : يا محمد ، إني أرقى

من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد. فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة للبعثة وجد الداعي إلى الله بذور خير كانوا ستة رجال من الخزرج جاءوا من يشرب حجاجا وقد ساقهم الله ليحملوا بشارة الخير إلى أهلهم، فبينما رسول الله ومعه أبو بكر وعلي يتجول في صعيد منى يدور بين الحجاج جيئة وذهابا عله يجد من يصغي للحق وقد مر على منازل ذهل وشيبان ابن ثعلبة وكلمهم في الإسلام، فلانوا بالكلام ولم يسلموا، فمر بعقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فقصدهم وكانوا ستة من شباب الخزرج هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب. وكان من سبب سعادة أهل يشرب من الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من يهود أن نبيا من الأنبياء

مبعوث في هذا الزمان . فلما لحقهم رسول الله ﷺ سألهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج . قال : من موالي اليهود ؟ أي حلفائهم ، قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه فشرح لهم الإسلام ودعاهم إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله يا قوم إنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا . وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك ، فنأتيهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . وهكذا فعلوا حتى إنه بعد أن رجعوا وبشروا قومهم بالإسلام لم تبق دار من دور الأنصار إلا أصبح فيها ذكر للإسلام ، وذكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

زواجه ﷺ بعائشة

سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ * تَزَوَّجَ الْمُطَهَّرَةَ
أَحْمَدُ فِي زَمَانٍ * سِتِّ سِنِي الْحَصَانِ
عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ * وَكَانَ فِي الْحَقِيقَةَ
دُخُولُهُ مِنْ بَعْدِ مَا * أَتَمَّتِ التَّسْعَ اعْلَمَا
أَوَّلَ أَعْوَامِ النَّبِيِّ * مَهَاجِرًا بِيَثْرِبِ

تزوج رسول الله ﷺ عائشة الصديقة رضي الله عنها في شوال من
السنة الحادية عشرة من بعثة رسول الله ﷺ وهي يومئذ بنت ست
سنين، وبنى بها في المدينة، في شوال في السنة الأولى للهجرة، وهي
بنت تسع سنين.

الإسراء والمعراج

أُسْرِي قَطْعًا بِالنَّبِيِّ * ذَاتَا بَغَيْرِ كَذِبِ
مِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ * وَالنَّاسُ فِي مَنَامِ
صُحْبَةَ جَبْرِيلَ إِلَى * أَقْصَى الْمَسَاجِدِ الْأَلَى
تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ * بِهَا رَوَى الرُّوَاةُ
سِتًّا مِنَ الْأَقْوَالِ * فِي عَامِهَا كَالْتَّالِي
فِي عَامِ مَبْعَثِ النَّبِيِّ * لِلطَّبْرِيِّ مُنْتَسِبِ
وَبَعْدَهُ لِلنَّوَوِيِّ * بِخَمْسَةِ وَقَدْ رُوِيَ
فِي السَّبْعِ وَالْعَشْرِينَ * مِنْ رَجَبِ سَنِينَا
عَشْرٍ خَلَّتْ لِلْبَعْثَةِ * وَقِيلَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ
بِسِتَّةِ وَأَشْهُرٍ * أَرْبَعَةَ فِي خَبَرِ
وَقَبْلَهَا بِاثْنَيْ عَشَرَ * شَهْرًا وَأَرْبَعَ عَشَرَ
قَوْلَانِ مَرُورِيَانِ * عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الشَّانِ
فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ * بِمَكَّةِ الْغُرَاءِ

شَقَّ الْمَلَائِكُ الْكَرَا * مُ صَدْرُهُ خَيْرَ الْوَرَى
إِمَامَ الْأَوْلِيَانَا * طُرّاً وَالْآخِرِينَا
نَفْسِي وَأُمِّي وَأَبِي * فِدَا النَّبِيِّ الْعَرَبِي
إِذْ يَمْتَطِي مُشْتَاقَا * لِرَبِّهِ الْبُرَاقَا
مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِي * فِي هِدَاةِ الْأَكْوَانِ
يَصْحَبُهُ جَبْرِيلُ * وَحَاطَهُ الْجَلِيلُ
بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ * وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ
حَتَّى إِلَى الْقُدْسِ وَصَلَ * وَعَنْ بُرَاقِهِ نَزَلَ
صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ * ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ
عَرَجَ فَالْتَقَاهُ * آدَمُ قَدْ حَيَّاهُ
مُعْتَرِفًا بِالثَّابِتِ * لَهُ مِنَ الرَّسَالَةِ
وَفِي التِّي تَلِي لَقِي * يَحْيَى وَعَيْسَى يَلْتَقِي
يُوسُفَ فِي الثَّلَاثَةِ * إِدْرِيسَ فِي الرَّابِعَةِ
وَفِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ * هَارُونَ ثُمَّ السَّادِسَةِ
رَأَى بِهَا الْكَرِيمَا * أَعْنِي بِهِ الْكَلِيمَا
ثُمَّ الْخَلِيلُ كَانَ فِي * سَابِعَةِ السَّبْعِ اصْطُفِي
وَكُلُّهُمْ قَدْ شَهِدُوا * بِأَنَّهُ الْمُمَجَّدُ
وَأَنَّهُ الرَّسُولُ * ذُو الْفَضْلِ لَا الْمَفْضُولُ
بَكَى الْكَلِيمُ فَسَأَلَ * فَقَالَ لِأَمْرِ الْجَلَلِ

هَذَا غُلامٌ يُرْسَلُ * بَعْدِي أَرَاهُ يَدْخُلُ
أَضْعَافُ ضِعْفِ أُمَّتِي * مِنْ قَوْمِهِ فِي الْجَنَّةِ
ثُمَّ بِهِ إِلَى الْعَلِيِّ * عُرِجَ حَيْثُ نَزَلَ
مَنْزِلَهُ الَّذِي عَلَى * قُرْبٍ مِنَ اللَّهِ عَلا
وَعِنْدَهَا عَرَفَهُ * مَوْلَاهُ مَا كَلَّفَهُ
مِنْ ذَاكَ أَنْ قَدْ فَرَضَا * خَمْسِينَ فَارْتَضَى الْقَضَا
عَلَيْهِ لَكِنْ أَشْفَقَا * مُوسَى عَلَيْنَا فَارْتَقَى
نَبِيَّنَا إِلَى الْعَلِيِّ * إِلَيْنَا نَعْمَ الْوَلِيِّ
يُرَاجِعُ اللَّطِيفَا * يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَا
وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اسْتَقَرَّ * الْأَمْرُ عَلَى الْخَمْسِ أَقْرَ
وَقَدْ رَأَى كُلَّ الْعَجَبِ * لَيْلَتَهَا وَلَا عَجَبِ
إِذْ خُصَّ بِالْإِسْرَاءِ * مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ
فَبِالْفُؤَادِ أَوْ نَظَرِ * لَيْلَتَهَا رَبُّ الْبَشَرِ
وَرُؤْيَا الْأَمِينِ * قَدْ كَانَ رَأْيِي عَيْنِ
وَاخْتَارَ وَالْخِيَارِ * لِلَّهِ وَالْقَرَارِ
لَمَّا عَلَيْهِ عُرِضَا * مِنَ الشَّرَابِ الْمُرْتَضَى
لِلْبَنِ فَقِيلَ قَدْ * وَفَّقْتَ لِلْفِعْلِ الْأَسَدِ
وَالْخَمْرُ لَوْ رَاقَ لَكَ * كَانَتْ غَوَتْ أُمَّتُكَ
وَالْمَا فَبِالْمَاءِ الْغَرَقِ * فَاخْتَرْتَ الْأَفْضَلَ بِحَقِّ

وَقَدْ رَأَى النَّيْلَ جَرَى * ثُمَّ الْفُرَاتَ فَدَرَى
بِأَنَّ سَاكِنِيهِمَا * إِسْلَامُهُمْ قَدْ حُتِمَا
رَأَى الْجَنَانَ وَرَأَى * خَازِنَهَا تَهِيًّا
كَمَا رَأَى الْأَمْلَاكَ * مُصْطَفَةً هُنَاكَ
تُطِيعُ حِينَ تُؤْمَرُ * تَعْبُدُ لَيْسَ تَفْتَرُ
وَمَالِكًا ذَا النَّارِ * رَأَهُ ذَا الْكُفْهِرَارِ
وَالنَّارَ قَدْ رَأَهَا * بئسَ لِمَنْ يَغْشَاهَا
وَأَكَلُوا مَالَ الْيَتِيمِ * مِمَّ قَدْ رَأَى فِي الْمُثَبَّتِ
ذَلِكَ نَارًا تَدْخُلُ * أَفْوَاهَهُمْ وَتَنْزِلُ
مِنْ دُبُرِ الْأَثِيمِ * أَكَلِهَا الْمَلُومِ
وَأَكَلَ الرَّبَّاءُ فَمَا * أَضْحَمَ بَطْنًا عَظْمًا
فَأَقْعَدَ الْمُرَابِي * يُدَاسُ فِي الْعَذَابِ
يَدُوسُهُ فَرَعُونَ * إِذْ يُعْرَضُ اللَّعِينُ
عَلَى الْجَحِيمِ فِي الْغَدَا * وَالْعَشِيَّ أَبَدًا
وَذُو الزُّنَا الْغَثُ النَّتْنُ * طَعَامُهُ فَقَدْ فُتِنُ
رَأَهُ وَالزُّوَانِي * يُدْخَلْنَ فِي أَمَانِ
مَنْ لَيْسَ مِنْ صُلْبِ الْأَبِ * فِي بَيْتِهِ كَابْنِ حُبِي
عُلِّقْنَ بِالْأَثْدَاءِ * فِي النَّارِ فِي أَزْدِرَاءِ
وَمَرَّ فِي الذَّهَابِ * بِالْعَيْرِ وَالْإِيَابِ

دَلَّ عَلَيَّ بَعِيرٍ * نَدَّ لِأَهْلِ الْعَيْرِ
وَتَرَكَ الْإِنَاءَ * كَحَالِهِ وَالْمَاءَ
شَرِبَهُ وَأَخْبَرَا * صُبْحًا بِكُلِّمَا جَرَى
قَالَ بَلَغْتُ الْأَقْصَى * بَلْ فَوْقَهُ وَأَقْصَى
مِنْهُ بَلِ السَّمَاءِ * فَقِيلَ صِفْ فَجَاءَ
جَبْرِيلُ بِالْمَسْئُولِ * عَنْهُ إِلَى الرَّسُولِ
أَمَامَهُ فَالْمَسْجِدَا * لَمْ يَكُ قَطُّ أَبَدَا
قَبْلُ رَأَاهُ مُطْلَقَا * وَعِنْدَ ذَاكَ طَفِقَا
يَصِفُهُ أَحْسَنَ مَا * يَكُونُ وَصَفُ عُلَمَا
وَالْقَوْمِ صَامِتُونَا * وَلَا يُكْذِبُونَا
وَمَقْدَمُ الْعَيْرِ أَبَا * نَ وَقْتَهُ فَمَا رَبَا
وَكَانَ أَنْ يُصَدِّقُوا * خَيْرٌ وَلَكِنْ مَرَقُوا
فَضَلَ جُلُّ الْقَوْمِ * كَالْجَاهِلِ الظُّلُومِ
وَرَبَّمَا شَكَّ نَفَرٌ * لَمْ يَكُ حِينَهَا اسْتَقَرَّ
عِنْدَهُمُ الْإِيمَانُ * أَعْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ
وَتَبَّتْ اللَّهُ عَلَيَّ * دِينَ الْهُدَى مِنْ كَمَلَا
إِيمَانُهُ مِثْلَ أَبِي * بَكَرٍ لِدَلِكِ حُبِي
بَلَقَبِ الصَّدِيقِ * لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ

وقعت حادثة الإسراء والمعراج بينما كانت الدعوة تشق طريقها

بشبات وإن كان ذلك في خضم أمواج من التكذيب والعداوات التي يغذيها الجهل والتشبث بالامتيازات المتوارثة من طرف أهل الجهل من المشركين . في هذا الخضم تأتي سلوى من الله تعالى عبر معجزة من طراز غير مسبوق ، فيسرى برسول الله ﷺ إلى أرض بعيدة ثم يعرج به إلى السماوات العلى ، ويصبح نائما في فراشه في مكة كأن شيئا لم يكن . وقد اختلف العلماء في زمن وقوع هذا الحادث العظيم ، ف قيل : كان الإسراء في السنة التي اختاره الله فيها للنبوّة واختار الطبري هذا القول . وقيل : كان بعد البعثة بخمس سنين ورجحه القرطبي والنوي . وقيل : حدث ذلك في السنة العاشرة للبعثة . وقيل : قبل الهجرة بستة عشر شهرا ، أي في السنة الثانية عشرة للنبوّة ، في رمضان منها . وقيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين . وقيل : قبل الهجرة بسنة واحدة . فهي أقوال .

وتفاصيل هذه الحادثة العظيمة ، كما رواها المحدثون نسردها بإيجاز شديد على النحو التالي : قال العلماء : أسري برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا على البراق صحبة جبريل عليه السلام ، فنزل هناك ، وربط البراق بحلقة باب المسجد ، وصلى بالأنبياء إماما ، ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا فاستفتح له جبريل ، ففتح له ، فرأى هناك آدم أبا

البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح الشهداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره. ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكرياء وعيسى ابن مريم، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه السلام ورحبا به وأقرا بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف عليه السلام، فسلم عليه فرد عليه وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء السادسة، فرأى فيها موسى بن عمران عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته. فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي؛ لأن غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي. ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته. ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور.

ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة فرجع

حتى مر على موسى فقال له : بم أمرك ربك ؟ قال : بخمسين صلاة .
قال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك
فالتفت إلى جبريل ، كأنه يستشير في ذلك فأشار أن نعم إن شئت
فعلا به جبريل حتى أتى الجبار تبارك وتعالى فوضع عنه عشرا ، ثم أنزل
حتى مر بموسى فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فلم
يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمسا ، فأمره
موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال : قد استحيت من ربي
ولكنى أرضى وأسلم ، فلما بعد نادى مناد من قبل الجبار : قد أمضيت
فريضتي وخففت عن عبادي .

ومن الأحداث العظام التي وقعت في هذه الليلة : حادثة شق
صدره ﷺ هذه المرة أيضا . ومن الأحداث أنه عرض عليه اللبن والخمر
وفي رواية والماء أيضا ، فاختر اللبن ، ف قيل له : أصبت الفطرة ، ولو
اخترت الخمر لغوت أمتك . ورأى الجنة ورأى فيها نهران ظهران
ونهران باطنان ، والباطنان هما : النيل والفرات ، وفسر بأن الأمة
ستملك هذين النهرين وتبقى فيهما ما بقيت الحياة . ورأى النار ورأى
مالكا خازن النار ، وهو لا يضحك ، وليس على وجهه بشر أو بشاشة .
ورأى أكلة أموال اليتامى ظلما ولهم مشافر كمشافر الإبل يقذفون في
أفواههم قطعاً من النار فتخرج من أدبارهم . ورأى أكلة الربا لهم بطون

كبيرة، لا يقدرّون بسببها أن يتحولوا عن مكانهم ويمر بهم آل فرعون حين يعرضون على النار فيطؤونهم. ورأي الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب بجانبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن ويتركون الطيب السمين. ورأي النساء اللاتي يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم معلقات بأثديتهن.

وفي طريقه ذهابا وإيابا مر بعير لأهل مكة، وقد دلهم على بعير لهم ند منهم، وشرب ﷺ ماءهم من إناء مغطى، وهم نائمون وتركه بغطائه وقد غدا ذلك دليلا على صدقه ﷺ فيما ذكر عن الإسراء. فلما أصبح ﷺ في مكة وأخبر قومه بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى اشتد تكذيبهم له، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس ولم يكن رآه قبل تلك الليلة فجلاه الله له حتى عاينه فطفق يخبرهم بأجزائه، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا، وأخبرهم عن غيرهم وعن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها وكان الوصف كما قال فلم يردهم ذلك عن تكذيبه، إلا أن الصديق أبا بكر كان يصدقه في كلما يقول وبها سمي الصديق صديقا رضي الله عنه وأرضاه. ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذي أسرى بعبده إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير﴾. ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والنجم إذا هوى .. الكبرى﴾.

بيعة العقبة الأولى

جَا عَشْرَةَ فِي الْمُعْتَبَرِ * وَاثْنَانَ عَامَ اثْنَيْ عَشَرَ
مِنْ بَعْثَةِ الْمُخْتَارِ * مِنْ خَيْرَةِ الْأَنْصَارِ
لِبَيْعَةِ النَّبِيِّ * وَهُمْ عَلَى الْمَرْوِيِّ
مُعَاذُ ابْنِ الْحَارِثِ * ذُكْوَانُ ثُمَّ الثَّالِثُ
عُويْمُ زِدْ عُبَادَةَ * ثُمَّ يَزِيدُ فَالْفَتَى
عَبَّاسٌ مَعَهُمْ أَبُو الْ * هَيْثُمْ ثُمَّ جَاءَ كُلُّ
مَنْ أَسْلَمُوا فِي الْعَامِ * قَبْلُ سِوَى الْهُمَامِ
نَجْلُ رِثَابِ جَابِرٍ * فَمَا أَتَى فِي الْآخِرِ
بَيْعَةَ هَؤُلَاءِ * كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ
وَذَاكَ فِي الْعَقْبَةِ * لِذَا بِهَا سُمِّيَتْ

كنا عرفنا أن ستة من أهل يثرب أسلموا في حج سنة ١١ من النبوة
ووعدوا رسول الله ﷺ بتبليغ رسالته قومهم، وكان من ثمرة ذلك أن
جاء في الموسم الموالي ضعفهم مسلمين، فقد جاء اثنا عشر مسلما
بينهم خمسة من مسلمي عام أول، وسبعة مسلمين جدد، وتغيب أحد
الستة هو جابر بن عبد الله بن رثاب، أما السبعة الذين جاءوا هذه
السنة مسلمين غير الخمسة قبلهم فهم: معاذ بن الحارث بن عفرأ
وذكوان بن عبد القيس، وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة، والعباس

ابن عبادة بن نضلة . وهؤلاء الخمسة من الخزرج ، بالإضافة إلى رجلين من الأوس ، هما : أبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة .
 اتصل هؤلاء السعداء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى فبايعوه وفق بيعة النساء التي نزلت يوم فتح مكة ، وهي في آخر سورة الحشر .
 أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وهو أحد المذكورين أعلاه ، أن رسول الله ﷺ قال : « تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله ، فأمره إلى الله ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه . قال : فبايعناه على ذلك » .

سفارة مصعب إلى المدينة

وَبَعَثَ الرَّسُولُ * سَفِيرَهُ يَقُولُ
 بِقَوْلِهِ فِي يَثْرِبِ * حَيْثُ انْتَصَارُ مُصْعَبِ
 بِقُوَّةِ الْبُرْهَانِ * وَحِكْمَةِ الْإِيمَانِ
 فَنَزَلَ السَّفِيرُ * يَحُوطُهُ الْقَدِيرُ
 بِنَصْرِهِ بِالْأَسْعَدِ * نَجَلَ زُرَّارَ الْمُهْتَدِي
 فَخَرَجَا لِمَعْشَرِ * الْأَشْهَلِ مِثْلَ ظَفَرِ

فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمَا * رَجَالُ شَأْنٍ عَظْمًا
فَاغْتَاظَ سَيِّدَانِ * إِذْ ذَاكَ جَاحِدَانِ
هُمَا أُسَيْدُ سَعْدٍ * نَجِلٌ مُعَاذِ يَبْدٍ
فَقَالَ سَعْدٌ يَا أُسَيْدُ * مَدُّ أَرْجُلِهِمَا أَيًّا أَخِي
فَأَخَذَ السَّلَاحَا * أُسَيْدٌ ثُمَّ رَاحَا
مُهَدِّدًا مَزْمَجِرَا * فَقَالَ مُصْعَبٌ أَرَى
أَنْ تَسْمَعَ الْكَلَامَا * وَقَبْلَ لَا مَلامَا
فَمَا رَضِيَتْ تَقْبَلُ * وَمَا كَرِهَتْ يُعْزَلُ
قَالَ لَقَدْ أَنْصَفْتَا * فَهَاتِ مَا ذَكَرْتَا
فَأَحْسَنَ الْبَيَانَا * وَقَرَأَ الْقُرْآنَا
مُصْعَبٌ حَيْثُ اقْتَنَعَا * أُسَيْدٌ بَيْنَمَا دَعَا
سَعْدًا فَجَاءَ سَعْدُ * مِثْلَ أُسَيْدٍ يَعْدُو
وَسَمِعَ الْبُرْهَانَا * فَأَعْلَنَ الْإِيْمَانَا
وَعَرَضَ الدِّينَ عَلَيَّ * قَبِيلُهُ فَقَبِلَا
وَهَكَذَا تَغْلَغَلَا * دِينَ الْهُدَى وَدَخَلَا
كُلَّ بُيُوتِ الْخَزْرَجِ * وَالْأَوْسِ دُونَ حَرَجِ
حَتَّى إِذَا مَا خَرَجَا * مُصْعَبٌ لِلْمَوْسِمِ جَا
أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ * لِلْحَجِّ مُؤْمِنِينَ

تمت بيعة الاثني عشر رجلا المعروفة ببيعة العقبة الأولى ، ورجع

الحجيج كل إلى بلاده فبعث رسول الله ﷺ مع الجماعة الذين بايعوه أول سفير له إلى أهل يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها أمور دينهم وينشر الإسلام بين الذين ما زالوا لم يسلموا بعد. واختار ﷺ لهذه السفارة شابا جلدا من السابقين إلى الإسلام، هو مصعب بن عمير العبدي رضي الله عنه. فنزل مصعب على أسعد بن زرارة، وأخذا معا يبثان الإسلام بين الناس بجد وحماس، وكان مصعب يعرف بالمقرئ، وكان ناجحا في سفارته بشكل لافت، ومن أروع ما يروى من ذلك النجاح في السفارة، أن أسعد بن زرارة خرج به ذات يوم يريد دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، فدخل في حائط من حوائط بني ظفر، وجلسا على بئر يقال لها بئر مرق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيذا قومهما من بني عبد الأشهل لا يزالان يومئذ على الشرك. فلما سمعا بمكان مصعب وصحبه من المسلمين قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانهما عن أن يأتيا ديارنا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا. فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه، وجاء أسيد فوقف عليهما متشتما وقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما

بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره . فقال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب بالإسلام ، وتلا عليه القرآن . قال : فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغتسل وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين . فقام واغتسل ، وطهر ثوبه ، وتشهد وصلى ركعتين ثم قال : إن ورائي رجلا إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرشده إليكما الآن إنه سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه وهم جلوس في ناديهم . فقال سعد : أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت . وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ؛ ليخفروك ، فقام سعد مغضبا للذي ذكر له ، فأخذ حربته وخرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني : تغشانا في دارنا بما نكره ؟

وقد كان أسعد قال لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد ، فقال مصعب لسعد بن معاذ : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال : قد أنصفت ، ثم ركز حربته فجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقال وفعل كما قال وفعل صاحبه من قبل ، ثم أخذ حربته وانصرف فأقبل على نادي قومه ، فلما رأوه قالوا : نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما وقف عليهم قال : يا بني عبدالأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة لم يدخل في الإسلام إلا رجلا واحدا ، هو الأصيرم تأخر إسلامه إلى يوم أحد فقاتل وقتل ، ولم يسجد لله سجدة ، فقال النبي ﷺ : « عمل قليلا وأجر كثيرا » . وأقام مصعب في دار أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا أصبح فيها مسلمون إلا قليلا . وقبل حلول الموسم التالي عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز ، وأخبار انتشار الإسلام ، ويقص عليه ما يسره من خبر قبائل الأنصار ، وما فيهم من الخير ، وما لهم من قوة ومنعة .

بيعة العقبة الثانية

عَامَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ * مِنْ بَعَثَةِ الْهَادِي الْأَبْرِ
بَايَعَ فِي الْحَجِّ النَّبِيَّ * خَيْرَةَ أَهْلِ يَثْرَبِ
سَبْعُونَ جَاءُوا وَثَلَا * ثَلَاثَةَ رِجَالٍ كَمُلَا
إِيمَانُهُمْ وَأَمْرَاتَا * نَ كَانَتَا أَمْنَتَا
هُمَا كَمَا فِي خَبَرٍ * عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ دُرِي
أُمُّ مَنِيعٍ أَسْمَا * ءُ وَنُسَيْبِ الْأَسْمَى
تَوَاعَدُوا فِي السَّرِّ * مَعَ النَّبِيِّ الْبَرِّ
عَلَى اللَّقَا فِي ظُلْمَةٍ * لَيْلٍ لَدَى الْعَقْبَةِ
لَيْلَتَهَا فِي الْمَوْعِدِ * وَالْمَنْزِلِ الْمُحَدَّدِ
تَقَاطَرَ الْأَنْصَارُ * وَالصَّفْوَةَ الْأَخْيَارُ
فَاسْتَقْبَلُوا خَيْرَ الْوَرَى * أَعْفَاهُمْ وَأَطْهَرَا
أَرْحَمَهُمْ وَأَشْفَقَا * أَعَدَلَهُمْ وَأَصْدَقَا
أَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ * أَحْرَاهُمْ بِالْحَمْدِ
خَاتِمَةَ الرُّسُلِ الْكِرَا * مَ خَيْرَ مَنْ سَادَ الْوَرَى
جَاءَ وَنَامَ النَّاسُ * يَصْحَبُهُ الْعَبَّاسُ
يَكْلُوهُ الرَّحْمَنُ * بُرْهَانَهُ الْقُرْآنُ
فَقَامَ عَمُّ أَحْمَدَا * مِنْوَهَا مَمَجَّدَا
مُذَكَّرًا بِعِظَمِ * شَأْنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ

وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمًا * إِذْ ذَاكَ لَكِنْ صَمَمًا
عَلَى حُضُورِ الْمَجْلِسِ * وَوَضَعَ تِلْكَ الْأُسُسَ
فَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ * فِي قَوْمِهِ مُبَجَّلٌ
وَاخْتَارَكُمْ فَقَرُّوا * إِنْ كَانَ سَوْفَ يَنْصُرُ
لَدَيْكُمْ أَوْ يَخْذُلُ * فَلتَتْرُكُوهُ أَفْضَلُ
فَقَالَ كَعْبٌ خُذْ لَكَ * كَمَا تَشَاءُ وَرَبِّكَ
مَنْ عَهَدْنَا فإِنَّا * مُبَايَعُونَكَ كُلَّنَا
فَقَالَ أَنْ تُطِيعُوا * أَمْرِي وَلَنْ تَضِيعُوا
فَلَكُمْ الْغُفْرَانُ * وَلَكُمْ الْجَنَانُ
وَتَمْنَعُونِي الْعِدَا * حَمَى الرَّحِيمِ الْوَلَدَا
فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ * أَبْعَدَ نَصْرٍ تَرَحَّلُ
تَبَسَّمَ الْوَفِيِّ * وَالرَّحْمَةُ الرَّضِيِّ
نَبِينَا فَقَالَ لَا * أَبْرَحُ دَارَكُمْ إِلَيَّ
غَيْرِكُمْ فَأَنْتُمْ * مِنَّا وَنَحْنُ مِنْكُمْ
فَبَادَرَ الْقَوْمُ إِلَيَّ * بَيْعَتِهِ فَأَقْبَلَا
يُصَافِحُ الرَّجَالَا * أَمَّا النِّسَاءُ فَلَا، لَا
ثُمَّ لَكِي يُوَثِّقُوا * بَيْعَتَهُمْ قَالَ انْتَقُوا
جَمْعًا يَكُونُ نَقْبَا * فَوَافَقُوا وَانْتَخَبَا
لِذَلِكَ اثْنَا عَشْرَا * بَيَانُهُمْ كَمَا تَرَى

أَسْعَدُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ * عِ ابْنُ رَوَاحَةَ الْأَبِي
رَافِعُ فَابْنُ ابْنِ حَرَا * مِ مَعَهُ الشَّهْمُ الْبَرَا
عِبَادَةُ الْمُنْذِرُ فَاب * نِ ابْنِ دَلِيمِ الْمُنْتَخَبِ
وَهَؤُلَاءِ خَزْرَجُ * ثُمَّ الَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ مَعْشَرِ الْأَوْسِ ثَلَا * ثَةٌ هُمْ عَلَى الْوَلَا
رِفَاعَةُ أَوْ قُلُ أْبَا أَل * هَيْثُمْ ضَفَّ سَعْدًا وَقُلُ
هُوَ ابْنُ خَيْثَمَةَ ضَفَّ * نَجَلِ حُضَيْرٍ قَدْ عَرِفَ
قَوْلُ النَّبِيِّ لِأَوْلَا * ءِ أَنْتُمْ لَكُفَلَا
وَإِنِّي كَفِيلُ * قَوْمِي أَنَا الرَّسُولُ
وَبَاكْتِمَالِ مَا قَصَدُ * بِفَضْلِ مَنْ بَلَاعِمَدُ
رَفَعَ دُونَمَا عَنَا * سَبْعًا طَبَاقًا فَوْقَنَا
كَشَفَ إِبْلِيسُ الْخَسِي * سِ قَبْلَ فَضِّ الْمَجْلِسِ
أَمْرَهُمْ فَصَاحَا * بِحَزْبِهِ : قَدْ لَاحَا
خَطَرُ مَا تَخْشَوْنَ مِنْ * أَمْرِ مُحَمَّدٍ فَجُنُ
جُنُونَ أَهْلِ الشُّرْكَ * وَالْأَفْتِرَا وَالْإِفْكَ
قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ * لِأَفْرَغْنِ وَاللَّهِ
لَكَ عَدُوَّ اللَّهِ * يَوْمًا بِإِذْنِ اللَّهِ
هَذَا أَزْبُ الْعَقْبَةَ * شَيْطَانُهَا قَدْ انْتَبَهُ
وَقَالَ فِي الْأَنْصَارِ * فَتَى عَلَى أَقْتِدَارِ

إِنَّ شِئْتَ قَتَلَهُمْ أَمْرًا * تَنَا فَقَالَ لَمْ نُقَرِّ
 وَرَامَ أَهْلَ الْكُفْرِ * جَلَاءَ كُنْهَ الْأَمْرِ
 فَأَرْسَلُوا مَنْ يَسْأَلُ * عَمَّا جَرَى لِيَعْقِلُوا
 فَأَنْكَرَ الْفُجَّارُ * وَسَكَتَ الْأَبْرَارُ
 حَتَّى تَأْكُدَ الْخَبْرُ * بَعْدَ رَحِيلِهِمْ فَقَرَّ
 قَرَارُ مَكَّةَ عَلَى * قِتَالِهِمْ حِينَ خَلَا
 مِنَ الْمَلَا الْمَكَانُوا * فَاسْتَنْفَرَ الشَّيْطَانُ
 جُنُودَهُ فَطَارَدُوا * وَفَدَّ الْهُدَى فَوَجَدُوا
 نَجَلَ عُبَادَةَ فَظَلَّ * أَسِيرَ ذِي الشَّرْكِ الْأَضَلَّ
 حَتَّى أَتَاهُ الْمُطْعِمُ * لِمَا لَهُ مَقْدَمٌ
 مِنَ الْأَيَْادِي عِنْدَهُ * فَفَكَكَّهُ وَرَدَّهُ
 لِلْقَوْمِ إِذْ أَقْرَبُوا * لَوْلَمْ يَجِيءْ لَكَرُّوا
 فَاسْتَوْنَفَ الْمَسِيرُ * إِذْ حُرِّرَ الْأَسِيرُ

كانت السنة الثالثة عشرة للهجرة سنة فاصلة في مسيرة الدعوة
 الحممدية، فقد نجحت بفضل الله تعالى سفارة مصعب إلى يثرب في
 انقياد الكثيرين لمنهج الحق، حيث جاء رضي الله عنه إلى حج تلك
 السنة صحبة نيف وسبعين من أنصار الله ورسوله، فلما قدموا إلى مكة
 تواصلوا مع رسول الله ﷺ خفية، وتم الاتفاق بينهم وبينه على لقاء
 سيكون الفيصل لما يأتي بعده.

حدّث كعب بن مالك رضي الله عنه، وكان أحد قادة تلك الحادثة المباركة فقال: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ في العقبة في أوّسط أيام التشريق، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة».

قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نساءنا: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، وكان أول متكلم، فقال: «يامعشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللاحاق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما

دعوتموه إليه، وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده». قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال جابر رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله علا ما نبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة في النشاط والكسل. وعلى النفقة في العسر واليسر. وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم. وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة».

هذه رواية الإمام أحمد في المسند، وروى ابن إسحاق عن جابر أنه قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع أزرنا منه، فبايعنا يا رسول الله فنحن أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر.

قال: فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا (يعني اليهود) وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم

وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمكم». وروى الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما قمنا نبأيع رسول الله ﷺ أخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله.

وقال ابن إسحاق: لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عباد ابن نضلة: هل تدرسون علام تباعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله، قال: الجنة. قال جابر، بعد أن حكا قول أسعد بن زرارة: فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها. ثم قالوا لرسول الله ﷺ: ابسط يدك، فبسط يده فباعوه. قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده. وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو

الهيثم بن التيهان . وقال كعب بن مالك : بل البراء بن معرور .
وبعد ذلك بدأت البيعة العامة ، قال جابر : فقمنا إليه رجلا رجلا
فأخذ علينا البيعة ، وأما المرأتان اللتان حضرتتا فقد كانت بيعتهما
قولاً ، فما صافح رسول الله ﷺ امرأة أجنبية قط . ثم بعد تمام البيعة
طلب رسول الله ﷺ انتخاب اثني عشر نقيباً يكونون نقباء على
قومهم ، يكفلون المسؤولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة ، فتم
انتخابهم في الحال ، وكانوا تسعة من الخزرج هم : أسعد بن زرارة وسعد
ابن الربيع بن عمرو ، وعبدالله بن رواحة ، ورافع بن مالك بن
العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبدالله بن عمرو بن حرام ، وعبادة بن
الصامت ، وسعد بن عبادة بن دليم ، والمنذر بن عمرو بن خنيس . وثلاثة
من الأوس ، هم : أسيد بن حضير ، وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد
المنذر . ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم رسول الله ﷺ ميثاقاً
آخر بصفتهم رؤساء مسؤولون قال لهم : « أنتم على قومكم بما فيهم
كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي » يعني
المسلمين ، قالوا : نعم .

بعد تمام إبرام المعاهدة تنبه لها شيطان من الشياطين ، فصاح بأعلى
صوت سمع : يا أهل الأخاشب هل لكم في محمد والصبابة معه ؟ قد
اجتمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ : « هذا أذب العقبة ، أما
والله يا عدو الله لأفرغن لك » . ثم أمر القوم بالانفضاض . وعند سماع

صوت هذا الشيطان قال العباس بن عبادة ابن نضلة: والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فنا، فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم» فرجعوا وناموا حتى أصبحوا. فعلمت قريش بالخبر فأثار فيهم ضجة؛ لأنهم كانوا على دراية بأن مثل هذه البيعة سيكون لها نتائج على وضعهم بين العرب، فلما أصبحوا توجه وفد كبير منهم إلى مخيم أهل يثرب محتجين على تلك المعاهدة، وقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. ولما كان مشركوا أهل يثرب لا يعرفون شيئا عن هذه البيعة، لأنها تمت في سرية تامة، وفي ليل مظلم، طفق هؤلاء المشركون يحلفون بالله: أنه ما كان من شيء وما علمناه، حتى أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فجعل يقول: هذا باطل، وما كان هذا وما كان قومي ليقدموا على مثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني. أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض، ثم لاذوا بالصمت فلم يتحدث أحد منهم بنفي ولا إثبات. ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين فرجعوا خائبين.

عاد زعماء مكة وهم على يقين أو قريبا منه من كذب هذا الخبر لكنهم لم يتوقفوا عن البحث عنه وتدقيق النظر فيه حتى تيقنوا

وتأكدوا من صحته، وأن البيعة قد تمت فعلا، وذلك بعد أن نفر الحجاج وعاد كل إلى داره ووطنه، فسارع فرسانهم بمطاردة اليثريين ولكن بعد فوات الأوان، إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد ابن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما، فأعجزهم المنذر، وألقوا القبض على سعد فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله، وجعلوا يضربونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة، فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم، إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بيثرب، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه فإذا هو قد طلع عليهم، فوصل القوم جميعا إلى ديارهم سالمين. وهذه هي بيعة العقبة الثانية التي تعرف بالعقبة الكبرى.

الهجرة إلى المدينة

بَدَتْ بِشَائِرِ الْفَرَجِ * وَالْيَمْنِ وَأَنْتَفَى الْحَرَجِ
إِذْ جَاءَ الْأَذْنَ بَانَتْقَا * لِمَنْ هُمْ أَهْلُ التُّقَى
بَدِينِهِمْ لِيَثْرِبِ * دَارِ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ
وَكَانَ قَدْ رَأَاهَا * فِي النَّوْمِ فَارْتَضَاهَا
وَذَاكَ بَعْدَ الْعَقْبَةِ * بَيْعَتِهَا الْمُحَبَّبَةَ
فَبَدَأَتْ طَلَائِعُ الْإِ * مِّمُهَاجِرِينَ تَنْتَقِلُ
وَكَانَ فِي الْخَفَاءِ * رَحِيلُ هَؤُلَاءِ

وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ نَفَرًا * مِنْهُمْ صَهِيْبٌ وَعَمْرٌ
 وَأَغْلَبَ الْقَوْمَ سَتْرًا * خَرُوجُهُ عَمَّنْ كَفَرًا
 وَمَنَعَ الْكُفَّارَ * مُسْتَضْعَفِينَ جَارُوا
 عَلَيْهِمْ وَأَخْرَأَ * نَبِيْنَا خَيْرَ الْوَرَى
 صَدِيْقَهُ لِيَرْحَلَا * مَعَا وَأَخْرَجَ الْجَلَا
 عَلِيًّا وَالصِّدِيْقُ * أَعَدَّ مَا يَلِيْقُ
 بِالْأَمْرِ مِنْ مَرْكُوبٍ * لَهُ وَلِلْمَحْبُوبِ
 وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَظِرًا * نَبِيْنَا أَنْ يَوْمَرَا
 حَتَّى أَتَاهُ الْأَمْرُ * وَقَدْ تَنَادَى الْكُفْرُ
 يَقُوْدُهُ الشَّيْطَانُ * وَنَهَجَهُ الطُّغْيَانُ
 قَالُوا لَنَنْفَهُ أَبِي * شَوْيْحُ نَجْدٍ مُعْرِبًا
 عَنْ خَوْفٍ أَنْ يَغْزُو مَعَهُ * عَوْنٌ لَهُ قَالَ لُكْعُ
 مِنْهُمْ أَرَى أَنْ يُحْبَسَا * حَتَّى يَمُوتَ ذَا أَسَا
 فَقَالَ إِبْلِيسُ وَذَا * لَيْسَ بِرَأْيٍ يُحْتَذَى
 فَحَزَبُ ذَلِكَ الْفَتَى * لَمُنْقَذُوهُ فَآتَى
 رَأْيَ أَبِي جَهْلٍ مُوَا * فَقَالَ لِإِبْلِيسَ هَوَى
 مَضْمُونُهُ انْتِخَابُ * جَلْدٍ وَلَا يَهَابُ
 مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ فَتَى * يَجْتَمِعُونَ وَمَتَى
 بِضَرْبَةٍ تَوَاطُؤُوا * عَلَى النَّبِيِّ خَسِئُوا

يَضِيعُ عِنْدَهَا دَمٌ * مُحَمَّدٌ بَيْنَهُمْ
وَأَقْبَلَ الشَّرْكَ عَلَى * فَجُورِهِ فَنَزَلَا
وَحِيٌّ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ * يُخْبِرُ خَيْرَ مَرْسَلٍ
بِخُطَّةِ الْأَشْرَارِ * وَالْإِذْنَ بِالْفِرَارِ
بِالَّذِينَ فُورًا دُونَمَا * تَأَخَّرَ فَقَدِمَا
ظَهْرًا عَلَى الصَّدِيقِ * وَالصَّاحِبِ الرَّفِيقِ
يُخْبِرُهُ بِمَا جَرَى * وَمَا عَنِ الْوَحْيِ دَرَى
قَالَ أَلَا أَصْحَبُكَ * فَقَالَ ذَلِكَ لَكَ
وَبَيْتِ الطُّغَاةِ * لَجْرْمِهِمْ فَبَاتُوا
حَلَقَةً حَوْلَ النَّبِيِّ * فَدَتَهُ أُمِّي وَأَبِي
وَاللَّهُ خَيْرُ وَاقٍ * مِنْ عَصَبَةِ الشَّقَاقِ
وَكَانَ أَمْرٌ لِعَلِيِّ * نَعَمَ الرَّفِيقُ وَالْوَلِيُّ
بِالنَّوْمِ فِي مَرْقَدِهِ * مُسْتَتِرًا بِبُرْدِهِ
وَأَمِنًا مَكْرَ الْعَدَا * لِقَوْلِ أَهْدَى مِنْ هَدَى
إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ * لَنْ يَصَلُّوا وَاللَّهِ
إِلَيْكَ نَمَّ قَرِيرًا * عَيْنٍ وَكُنَّ صَبُورًا
وَدَارَ بِالْجُهَّالِ * يَنْذَرُوا وَلَا يُبَالِ
فَوْقَهُمُ الْغُبَارَا * مُرَدِّدًا جِهَارَا
لَا يُبْصِرُونَ مَعَ شَا * هَتِ الْوُجُوهُ وَمَشَى

مِنْ بَيْنِهِمْ حُرّاً طَلِيداً * قَمَّ صَانَهُ الْمَوْلَى الْعَلِيَّ
وَبَهَّتِ الْكُفَّارُ * فِي الْغَدِ وَاسْتَطَارُوا
إِذْ فُوجِئُوا بِابْنِ أَبِي * طَالِبِ الشَّهْمِ الْأَبِيِّ
يَنَامُ فِي سَرِيرِ * هَادِي الْوَرَى الْبَشِيرِ
أَمَّا النَّبِيُّ وَرَفِيءُ * قُ دَرَبَهُ الْبَرُّ الْوَفِيُّ
فَغَادِرًا لَيْلًا إِلَى * حَيْثُ الْأَمَانُ وَالْوَلَا
وَالْتَجَأًا لِلْغَارِ * فِي كَنْفِ الْجَبَّارِ
وَقَدْ تَجَلَّى حَقًّا * أَكْثَرَ حُبِّ صَدَقًا
فِي مَسَلِّكَ الْوَفِيِّ * مُرَافِقِ النَّبِيِّ
فَكَانَ يَعْدُو فَيْرًا * هُ سَائِرًا خَيْرُ الْوَرَى
أَمَامَهُ طَوْرًا وَتَا * رَةً يَرَاهُ قَدْ أَتَى
مَنْ خَلْفَهُ فَقَالَ مَا * خَطْبُكَ قَالَ رَبِّمَا
أَتَى مِنَ الْخَلْفِ الطَّلَبُ * أَقِيكَ ثُمَّ قُلْتُ هَبْ
أَتَوْا مِنَ الْأَمَامِ * أَكُونُ مِنْهُ حَامِ
وَصَعَدَا لِلْجَبَلِ * فَكَانَ خَيْرُ مُرْسَلِ
مُعْتَمِدًا عَلَى أَبِي * بَكْرٍ صُعُودًا بِأَبِي
أَفْدِيهِمَا إِذْ وَصَلَا * لِلْغَارِ ثُمَّ دَخَلَا
مَنْ بَعْدَمَا قَدْ سَدَا * جُلَّ الْجُحُورِ سَدَا
نَجَلُ أَبِي فُحَافَهُ * مِنْ غَيْرِ مَا مَخَافَهُ

ثُمَّ بِجَسْمِهِ قَفَلَ * بَاقِيَ الشُّقُوقِ فَنَزَلَ
فِي الْغَارِ بُشْرَى الْغَارِ * بِسَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَنَامَ وَالْأَفَاعِ * تَنَهَشُ دُونَ الدَّاعِ
فِي جَسَدِ الصِّدِّيقِ * وَلَمْ يَبْنِ لِضَيْقِ
وَمَا بَدَأَ مِنْهُ ضَجْرٌ * لَكِنَّ دَمْعَهُ انْهَمَرَ
فَاسْتَيْقَظَ الرَّسُولُ * مُسْتَفْهِمًا يَقُولُ
مَا الْأَمْرُ قَالَ خَيْرًا * فَدَتَكَ نَفْسِي غَيْرًا
أَنِّي لُدَغْتُ فَتَفَلَّ * عَلَى الْمَكَانِ فَبَطَلَ
سُمُّ الْأَفَاعِي مِثْلَمَا * بَطَلَ كَيْدُ اللَّؤْمَا
بِقُدْرَةِ الْقَدِيرِ * وَدَعْوَةِ النَّذِيرِ
وَجَدَّ أَهْلُ الْكُفْرِ * وَبَالِغُوا فِي الْمَكْرِ
وَالْكَيْدِ وَالِدِهَاءِ * يُعْطُونَ فِي سَخَاءِ
لِكُلِّ مَنْ لَهُمْ أَتَى * بِالْمُصْطَفَى لَوْ مَيَّتَا
مَائَةَ نَاقَةٍ فَهَبْ * يَسْعَى بِجَدِّ فِي الطَّلَبِ
كُلُّ مَنْ اسْتَطَاعَا * سَادَةً أَوْ رِعَاعَا
وَعُصْبَةُ الْإِيمَانِ * فِي كَنْفِ الرَّحْمَنِ
وَهَكَذَا أَيَّامًا * ثَلَاثَةً تَمَامًا
وَمَعْشَرُ الْفُجَّارِ * وَعُصْبَةُ الْأَشْرَارِ
تَرْصُدُ كُلَّ دَرْبٍ * فِي أَهْبَةِ لِلْحَرْبِ

بَلْ وَصَلُوا لِلْبَابِ * وَسَيِّدُ الْأَحْبَابِ
 يَقُولُ لِلرَّفِيقِ * لَا تَخْشَ أَيُّ ضَيْقٍ
 فَإِنَّا اثْنَانِ هُنَا * لَكِنَّ رَبِّي مَعَنَا
 وَمَنْ عَطَاءَ اللَّهِ * لِعَبْدِهِ الْأَوَّاهِ
 آلُ رَفِيقِهِ أَوْلَا * كُلُّهُمْ تَفَضَّلَا
 فَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ * وَالْفَضْلُ فَضْلُ اللَّهِ
 يُرَاقِبُ الْكُفَّارَا * وَيَجْلِبُ الْأَخْبَارَا
 وَابْنُ فَهَيْرَةَ لَهُ * دَوْرٌ وَكَانَتْ مِثْلَهُ
 أَسْمَاءُ لِلزَّادِ تُعَدُّ * وَلِنَطَاقِهَا تَقْدُ
 لِيُصْبِحَ النَّطَاقُ * نَطَاقُهَا الْبَرَاقُ
 مِنْ يَوْمِهَا مِثْنِي * وَهِيَ بِه تَكْنِي
 أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَدْ * لِرِحْلَةِ الْخَيْرِ أَعَدَّ
 رَاحِلَتَيْنِ وَآكْتَرَى * لَهَا دَلِيلًا كَفَرَا
 وَوَأَعْدَاهُ لَثَلَا * ثَبَعْدَهَا فَلْيُقْبَلَا
 فَجَاءَ فِي الْمِيعَادِ * بِرَحْلِهِ وَالزَّادِ

كانت بيعة العقبة الكبرى دعما كبيرا للدعوة المحمدية، حيث نجح المسلمون في تأسيس أول وطن لهم في أول عاصمة للدولة الإسلامية التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الوطن الجديد. ومن الطبيعي أن الهجرة تعني التضحية

بالمصالح، وترك المال وربما الأهل، وهكذا كان، فقد بدأ المسلمون يهاجرون من مكة إلى المدينة تاركين خلفهم كل المصالح الدنيوية. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده أربعة أشهر.

ومن الأمثلة الناصعة على استعداد المسلمين للتضحية في سبيل الهجرة بدينهم إلى مكان يأمنون عليه فيه، ما جرى لآل أبي سلمة. فقد كان أبو سلمة أول مهاجر، بل قد هاجر قبل العقبة، حسب رواية ابن إسحاق، فلما عزم على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسك غلبتنا عليها، أما صاحبتنا فعلام نتركك تسير بها في البلاد؟ وهكذا قال قومه في حق ابنه، فنزعت منه زوجته، ونزع ابنه من أمه فاستمرت حزيننة عاما كاملا تبكي حتى سمح لها أهلها باللحاق بزوجها فخرجت وحيدة مع طفلها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فرق لها بعد أن عرف حالها فصحبها حتى أوصلها إلى قرب قباء ثم تركها وانصرف عنها.

وخرج صهيب جهرة فاعترضه المشركون فترك لهم ماله فتركوه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «ريح صهيب ربح صهيب» . وتواعد عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل موضعا يصبحون عنده ثم يهاجرون إلى المدينة، فتخلف هشام واجتمع عمر وعياش وهاجرا معا، غير أن رهط عياش لحقوا به إلى المدينة ففتنوه بحيله . هذه نماذج لما كان المسلمون يحتالون به للهجرة ولذا لم يبق بالمدينة بعد عشرة أيام من العقبة الكبرى إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي، وإلا بعض المستضعفين ممن احتبسهم المشركون كرها .

رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا للهجرة وحملوا الذراري والأموال إلى يثرب، فشعروا بتفاقم الخطر الذي أصبح يهدد كيانهم، لما يعرفون عن رسول الله ﷺ من حلاوة المعشر والحنكة في القيادة والإقناع للمحاور، ولما يعرفون عن حبي الخزرج والأوس من قوة وبسالة، وهم بمدينتهم على خط سير قوافل تجارتهم إلى الشام، فغدا همهم الأول وسيلة تساعد في دفع الخطر . فتنادى جمعهم إلى دار الندوة يتشاورون في حيلة تنقذهم من هذا الخطر الداهم، وتوافق إلى هذا الاجتماع المشئوم قادة من جميع القبائل القرشية يقودهم عدو الله ورسوله أبو جهل بن هشام؛ ليتدارسوا خطة حاسمة تكون كفيلا بالقضاء السريع على حامل لواء هذه الدعوة الجديدة، وتقطع دابر دعوته نهائيا . وفي طريقهم للاجتماع الموعد اعترض طريقهم إبليس

في هيئة شيخ نجدي، فقالوا من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا تُعدّموا منه رأياً ونصحاً. فقالوا له: ادخل، فدخل معهم، وبدأ النقاش الآثم. تكامل الاجتماع وبدأ كل يدلي بدلوه في الآثم، فبدأ الحديث أبو الأسود وقال: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا، ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيطان النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ثم يفعل بكم ما أراد.

قال أبو البختري: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

قال الشيطان النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لعن حبستموه، كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يشبوا عليكم فينزعه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوا على أمركم. ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

فتقدم كبير مجرمي المشركين أبو جهل برأي وافقوا عليه جميعاً.

قال أبو جهل : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو : قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

فقال الشيطان : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا أرى غيره . ووافق المجتمعون على هذا الاقتراح الآثم بالإجماع ، ورجعوا إلى بيوتهم آثمين ، وقد صمموا على تنفيذ هذا الإثم فورا .

وعلى الفور نزل جبريل على رسول الله ﷺ بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش وأن الله قد أذن له في الخروج وحدد له وقت الخروج بقوله : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . فذهب النبي ﷺ في الهجرة إلى أبي بكر رضي الله عنه ليتفقا على بدء الرحلة . تقول عائشة رضي الله عنها : بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة إذ قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ؟

قال رسول الله : نعم . فاتفقا على خطة الهجرة ثم رجع رسول الله إلى بيته . أما أكابر مجرميها فقصوا نهارهم في الإعداد لتنفيذ الخطة المرسومة ، واختير لذلك أحد عشر رئيسا منهم ، وهم أبو جهل بن هشام ، والحكم بن أبي العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وطعيمة بن عدي ، وأبو لهب ، وأبي بن خلف ، ونبيه بن الحجاج ، وأخوه منبه .

فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه ﷺ يرصدونه ليثبوا عليه متى نام . وكانوا على ثقة ويقين جازم من نجاح هذه المؤامرة حتى إن أبا جهل وقف وقفة الزهو والخيلاء وقال ، في سخرية واستهزاء مخاطبا أصحابه المطوقين : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . وقد كان ميعاد التنفيذ بعد منتصف تلك الليلة فباتوا متيقظين ينتظرون الوقت الموعود ، وهم في غاية الاستعداد ، ومع ذلك كان فشلهم ذريعا ، ففي هذه الساعة الحرجة قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : «نم على فراشي وتغط ببردي هذا الحزرمي الأخضر فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، ثم خرج رسول الله ﷺ واخترق صفوفهم ، وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذروه على رؤوسهم ، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا

يرونه، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ومضى إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوذة دار أبي بكر ليلا حتى لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن، وكان الصديق، وهما في الطريق يسير تارة خلف رسول الله ﷺ وتارة أمامه، فسأله عن ذلك فقال: قلت ربما جاء الطلب من الخلف فأكون خلفك لأقيك، ثم أقول: وربما جاءوا من أمامنا فاتقدمك لذات الغرض.

استمر القوم يحاصرون الدار حتى أخبروا بأن رسول الله قد ذر التراب على رؤوسهم وانصرف فأسقط في أيديهم، ولكنهم لم يبرحوا المكان لأنهم تطلعوا من خلال الباب فرأوا عليا في فراش رسول الله ﷺ فظنوه هو حتى أصبح الصباح فتبينوا خيبتهم حين قام علي من على الفراش فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال: لا علم لي به.

ولما كان رسول الله ﷺ يعلم أن قريشا لن تسكت، وأن الطريق الذي ستتجه إليه في بحثها هو طريق المدينة المتجه شمالا، فقد سلك طريقا مغايرا، وهو الطريق المتجه جنوبا، فسار فيه نحو خمسة أميال حتى وصل إلى جبل ثور حيث الغار الذي اختبأ فيه مع صاحبه ثلاثة أيام بلياليها، وقد حملة الصديق على ظهره حتى أوصله إلى الغار؛ لأن الجبل كان صعب المرتقى، ثم سد أبو بكر أغلب الشقوق التي في الغار بالحجارة، وما بقي منها سدها بجسده ليقى رسول الله ﷺ خطر

الحيات والشعابين التي بدأن تلدغه، وهو لا يبدي حراكا إلا أن دمعة الألم سقطت من عينه على رسول الله ﷺ فسأله ما الخبر؟ فأخبره أن حية لدغته، فتفل على محل لدغتها رسول ﷺ فبرئت.

وفي الغار كان عبدالله بن أبي بكر يبيت عندهما، فيصبح عند قريش في بيته كأنه بئث بينهم فيتسقط الأخبار ثم ينقلها إليهما في الليلة التالية. وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى عليهما الغنم فيحلب لهما، ثم يحو بأثر غنمه أثر عبدالله بن أبي بكر.

أما قريش فقد جن جنوها، وعندما أيسوا من الحصول على خبر لدى علي جاءوا إلى بيت الصديق فطرقوا الباب فخرجت عليهم أسماء فسألها أبو جهل عن والدها فقالت له: لا أدري فصفعها الفاجر صفقة حتى أسقط قرطها. وشدت قريش الرقابة المسلحة على جميع الطرق الخارجة من مكة ورصدت جائزة ضخمة لكل من يأتي بمحمد ﷺ حيا أو ميتا. وحينئذ جد الفرسان والمشاة في المطاردة، بل وصلوا إلى باب الغار فصرفهم الله عنه وأعمى أبصارهم وأصم آذانهم فلم يروا أو يسمعوا شيئا يدلهم على وجودهما فيه. روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله! لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا. فقال: اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما، وفي لفظ قال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

في الطريق إلى المدينة

وَأَخَذَ الرَّكْبَ عَلَيَّ * خَلَّافَ مَا تُخَيَّلَا
فَقَدْتُ تَوَجَّهُ إِلَى الْ * جَنُوبِ ثُمَّتَ عَدَلُ
بَسِيرِهِ بِرَكْبِ * هَادِي الْوَرَى لِلْغَرْبِ
حَتَّى إِلَى الْبَحْرِ وَصَلَ * حَاذَاهُ يَسْعَى فِي عَجَلِ
وَسَالِكًا مُنْفَرِدًا * دَرِيًّا خَلَا مِنَ الْعَدَا
يُوصِلُ سَيْرَ اللَّيْلِ * بِالْيَوْمِ لِلْمَقِيلِ
وَوَجْهَهُ لِيَشْرَبِ * حَيْثُ مُهَاجِرِ النَّبِيِّ
حَتَّى إِذَا تَيَقَّنَا * بِأَنَّهُ قَدْ أَمَنَا
لَا حَ لَهُ ظِلٌّ رَأَى * هُ لِلْمَقِيلِ هِيئًا
لِخَيْرٍ مِنْ هَدَاهُ * مَوْلَاهُ وَأَصْطَفَاهُ
وَأَبْصَرَ الصَّدِيقُ * وَحَبَّذَا الرَّفِيقُ
رَاعِي غَنِيمَاتٍ فَجَا * إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو رَجَا
فَجَاءَهُ بِمَا طَلَبَ * مِنْ لَبَنٍ حِينَ حَلَبَ
دَرًّا كَفَى النَّبِيَّ * فَدَتَهُ نَفْسِي رِيَّا
وَقَدْ بَدَتْ آيَاتُ * هُنَا وَمُعْجَزَاتُ
تُوَيِّدُ الرَّسُولَا * وَتَعْجِزُ الْعُقُولَا
كَالنَّشْرِ لِلتُّرَابِ * عَلَى حُمَاةِ الْبَابِ
فَأَيُّهُمْ رَأَى * صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ

إِذْ مَرَّ فِي سَلَامٍ * وَالْقَوْمُ كَالنِّيَامِ
يُمَجِّدُ الرَّحْمَنَ * وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَا
وَأَشْرَسُ الْأَشْرَارِ * أَتَوْا لِبَابِ الْغَارِ
حَيْثُ بِهِ قَدْ اسْتَتَرَ * فَلَمْ يَبْنِ لَهُ أَثَرُ
وَذَلِكُمْ سُرَاقَهُ * قَدْ شَاقَهُ مَا سَاقَهُ
أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْقَلَا * مِنْ إِبِلٍ لِمَنْ عَلَى
رَكِبَ الْهُدَى قَدْ عَشْرًا * وَجَاءَهُ مِنْ خَبْرًا
أَنْ قَدْ رَأَى بِالسَّاحِلِ * قَوْمًا عَلَى الرُّوَاهِلِ
يَرَاهُمْ وَصَدَقًا * ذَا الصَّدْقِ مَعَ مَنْ صَدَقَا
فَقَالَ لَا بَلْ ذَاكَ * عَيْنٌ لَنَا هُنَاكَ
ثُمَّ انْبَرَى يُلَاحِقُ * بِفَرَسٍ يُسَابِقُ
عَوَاصِفَ الرِّيَّاحِ * وَغَاصَ فِي السَّلَاحِ
يُضْمِرُ شَرَّ الشَّرِّ * لَخَيْرِ أَهْلِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَالْفَضَاءِ * وَسَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَبَيْنَمَا تَأْهَبَا * لِلْبَطْشِ بِالْقَوْمِ كَبَا
حِصَانَهُ فَسَقَطَا * عَنْهُ فَقَامَ لِقَطَا
قَدَاحَهُ فَلَمْ تَجِي * لَهُ عَلَى مَا يَرْتَجِي
وَمَعَ ذَاكَ رَكِبَا * أَيضًا وَقَدْ تَأْهَبَا
لِلْبَطْشِ وَالْفُجُورِ * شُلَّتْ يَدُ الْكُفُورِ

وَمَرَّةً أُخْرَى عَشْرًا * حَصَانُهُ لَا بَلَّ حَفَرٌ
فِي الْأَرْضِ بَلَّ سَاخٍ إِلَى * رُكْبَتَيْهِ مُوْغِلًا
فَصَاحَ بِالْأَمَانِ * عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
وَقَالَ بَعْدَمَا طَلَبَ * عَهْدًا سَأَصْرَفُ الطَّلَبَ
فَصَارَ عَوْنًا بَعْدَ أَنْ * كَانَ عَدُوًّا ذَا إِحْنٍ
وَشَاةٌ أُمَّ مَعْبِدٍ * عَجْفَاءُ بَلَّ لَمْ تَرِدْ
مَاءً وَلَا تُطِيقُ * رَعِيًّا كَمَا يَلِيقُ
رَأَى النَّبِيَّ حَالَهَا * فَقَالَ هَذَا مَا لَهَا
لَمْ تَسْعَ فِي الْمَجَالِ * قَالَتْ مِنْ الْهُزَالِ
قَالَ أَتَأْذِنَانَا * بِحَلْبِ مَا يَكْفِينَا
قَالَتْ فَدُونِكَ الْإِنَا * وَلَيْسَ فِي الشَّاةِ غِنَى
عَجْفَاءُ عَازِبٌ فَهَلْ * يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَمَلٍ
سَمَّى الْإِلَهَ وَمَسَحَ * ضَرْعًا وَقَرَّبَ الْقَدْحَ
فَدَرَّتِ الشَّاةُ بِمَا * نَحَى السُّغُوبَ وَالظَّمَا
وَعَمَّ الْارْتِوَاءُ * وَأَمْتَلَأَ الْإِنَاءُ
وَوَغَابَ هَادِي الْأُمَّةِ * فَجَاءَ بَعْلُ الْمَرْأَةِ
فَهَالَهُ مَا قَدْ رَأَى * مِنْ قَدْحٍ قَدْ مَلَأَ
بَلْبِنٍ فَقَالَ مَا أَلْ * خَبِرُ قَالَتْ قَدْ نَزَلَ
بِنَا الْغَدَاةَ رَجُلٌ * مُبَارَكٌ مُبَجَّلٌ

وَحَكَتِ الْحَكَايَةَ * وَرَوَتِ الرُّوَايَةَ
 قَالَ صَفِيهِ فَأَنْبَرَتْ * تَصَفَّهُ وَعَجَزَتْ
 عَنْ وَصْفِهِ وَإِنْ تُعَدُّ * قَدْ قَالَتْ الْقَوْلَ الْأَسَدُ
 فَقَالَ ذَا الرَّسُولُ * مِنْ أَمْرِهِ مَنْقُولُ
 لَنَا مِنَ الْحَرَامِ * بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ
 وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْي * أَتْبَعُهُ لَكِنِّي
 لَمَّا أُطِقَ وَإِنْ أُطِقَ * أَكُنْ رَفِيقَهُ الْمَحِقُ
 وَالْجِنَّ شَعْرًا تَبْلُغُ * مَكَّةَ أَيْنَ بَلَغُوا
 ثُمَّ أَبُو بَرِيدَهُ * رَأَيْتُهُ الْعَتِيدَهُ
 يَعْقِدُهَا إِذْ أَسْلَمَا * مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ عَلِمَا
 حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ * وَكَانَ ذَا آثَامِ
 إِذْ قَدْ أَتَى يَبْحَثُ عَنْ * مَا اتَّفَقَتْ قُرَيْشُ أَنْ
 تَدْفَعَهُ لِمَنْ أَتَى * بِالْمُصْطَفَى لَوْ مَيَّتَا
 فَعَادَ بِالْإِيمَانِ * وَالْيُمْنِ وَالْأَمَانِ

بعد ثلاثة أيام من البحث الجاد عن ركب الخير، خمدت نار الطلب
 بعض الحمود، وتوقفت أعمال التفتيش، ومالت الشائرة إلى الهدوء أو
 كادت، فتهيأ البر الرحيم وصاحبه للرحيل، وكانا قد استأجرا دليلا
 اسمه عبدالله بن أريقط الليثي، وكان هاديا خبيرا ماهرا بالطريق وهو
 على دين المشركين، وأمناه على ذلك وسلما إليه راحلتيهما وواعداه

غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما فجاءهما في الموعد المحدد، فلما جاءهما قرب أبو بكر أفضل الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قائلاً بأبي أنت يا رسول الله خذ هذه. فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن». وأتتهما أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما بسفرتيها، ونسيت أن تجعل لها عصاما، فلما ارتحلا إذا بالسفرة ليس لها عصام فشقت نطاقها نصفين علقت السفر بأحدهما وانتطقت بالآخر، فسميت ذات النطاقين. ثم ارتحل النبي ﷺ وصاحبه، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وأخذ بهم الدليل على طريق الساحل، سالكا في البدء طريق اليمن ممعنا في اتجاه الجنوب، ثم اتجه غربا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس اتجه شمالا على مقربة من شاطئ البحر الأحمر.

وقد ذكر ابن إسحاق الأماكن التي مر بها الركب في طريقه إلى المدينة واحدا واحدا بادئا بأول الرحلة من أسفل مكة حتى أوصلها إلى قباء. ومن الحوادث التي وقعت في طريق ركب الخير، ما رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فأحسنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عندها، وسويت للنبي ﷺ مكانا بيدي ينام عليه، وبسطت عليه فروة وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي

أردنا ، فقلت له : لمن أنت يا غلام؟ فقال : أنا لفلان لرجل من أهل
المدينة أو مكة . قلت : أفي غنمك من لبن؟ قال : نعم ، قلت : أفتحلب؟
قال : نعم . فأخذ شاة فقلت : انفضّ الضرع من التراب والشعر
والقذى ، فحلب في كعبٍ كُثبة من لبن ، ومعِي إداوة من ماء عليها
خرقة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها يشرب ويتوضأ ، فصببت على
اللبن حتى برد أسفله ، ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت : اشرب يا رسول
الله ، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت ، ثم قال : ألم يأن الرحيل؟
قلت : بلى ، قال : فارتحلنا والطلب في إثرنا» .

وكان من أدب أبي بكر رضي الله عنه أنه كان ردفا للنبي ﷺ وكان
الناس يعرفونه فإذا سأله أحد عن هذا الرجل الذي بين ديك يقول : هذا
الرجل يهديني الطريق ، فيحسب السائل أنه يقصد طريق المسافر وإنما
يقصد رضي الله عنه سبيل الهدى .

ومن الحوادث ما جرى لسراقة بن مالك لما تبعهما في الطريق ، قال
سراقة مخبرا بما جرى له ذلك اليوم : بينما أنا جالس في مجلس من
مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ، ونحن
جلوس ، فقال : يا سراقة ، إني رأيت أنفا أسودا بالساحل أراها محمدا
وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا هم
ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة
ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة

فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت وخفضت
عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فعرفتها تُقرب بي حتى دنوت منهم
فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي
فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها، أضرهم أم لا؟ فخرج الذي
أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام، فقرب بي حتى إذا سمعت
قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالفات، ساخت
يدا فرسي في الأرض، حتى بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها
فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها
غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي
أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم. ووقع في
نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر رسول الله ﷺ
فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد
الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزئاني ولم يسألاني إلا
أن قال: اخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمان، فأمر عامر بن
فهيرة فكتب لي في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ. ورجع
سراقة فوجد الناس في الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر قد
كفيتم ما ههنا. وكان أول النهار جاهدا عليهما، وآخره حارسا لهما
بفضل الله وقدرته.

وحادثة أخرى، فقد مر في مسيره ذلك بخيمتي أم معبد الخزاعية

وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء الخيمة، ثم تطعم وتسقي من مر بها، فسألاها: هل عندها شيء؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وإن رأيت بها حلبا فاحلبها. فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها وسمى الله ودعا، فتفاجت عليه ودرت، فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علت الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب، وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها فارتحلوا. فما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلاً، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا. قال: إني والله أراه صاحب قریش الذي تطلبه. صفيه لي يا أم معبد، فوصفته بكلام رائع كأن السامع ينظر إليه وهو أمامه. فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قریش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً. وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعونه ولا يرون القائل:

جَزَى اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ * رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمِّ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَيْرِ وَارْتَحَلَا بِهِ * وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فِيَا لَقْصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ * بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا يُحَادِثِي وَسُودِدِ
لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ * وَمَقْعَدِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
سَلُّوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا * فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ

قالت : أسماء ما درينا أين توجه رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من الجن
من أسفل مكة فأنشد هذه الأبيات ، والناس يتبعونه ويسمعون صوته
ولا يرونه ، حتى خرج من أعلاها . قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث
توجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة .

ومن أحداث هذه الرحلة أن النبي ﷺ لقي أبا بريدة وكان رئيس
قومه ، خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر ، رجاء أن يفوز بالجائزة
الكبيرة التي كانت قد أعلنت عنها قريش ، ولما واجه رسول الله ﷺ
وكلمه أسلم مكانه مع سبعين رجلا من قومه ، ثم نزع عمامته وعقدتها
برمحه ، فاتخذها راية ، تعلن بأن عهد الأمن والسلام قد بدأ بيملاً الدنيا
عدلا وقسطا .

النبي ﷺ يصل المدينة

وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ * أَتَتْهُمْ الْأَخْبَارُ
بِمَقْدَمِ النَّبِيِّ * فِدَاهُ كُلُّ حَيٍّ

فَصَارَ دَابُّ الْقَوْمِ * مِنْ صَبْحِ كُلِّ يَوْمٍ
خُرُوجُهُمْ يَنْتَظِرُونَ * نَ خَيْرٍ مَنْ يَنْتَظِرُ
حَتَّى يُطَلَّ الظُّهْرُ * وَيَسْتَشِيطُ الحَرُّ
ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى * بُيُوتِهِمْ تَقِيلاً
وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ * حَالُهُمْ وَقَرَأَ
أَمْرَهُمْ حَتَّى سَعَى * سَاعٍ يَقُولُ طَلَعَا
عَلَيْكُمْ البَدْرُ فَبَا * دَرُوا سِرَاعاً طَرِبَا
وَهُمْ يَكْبُرُونَ * كَمَا يُرْحَبُونَ
بِخَيْرِ قَادِمِ قَدَمٍ * فِي حَاضِرٍ أَوْ فِي القَدَمِ
أَوْ قَابِلِ الأَيَّامِ * مِنْ سَائِرِ الأَنَامِ
فَلثَمَانَ مِنْ رَبِي * عِ جَاءَ مَوَكَّبُ النَّبِيِّ
قُبَاءً فَاِنْحَازَ إِلَى * عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ نَزَلَا
عَلَى ابْنِ خَيْثَمَةَ أَوْ * نَجَلِ المُهَدَّمِ رَوَا
أَنَّ النَّبِيَّ أَقَامَا * أَرْبَعَةَ تَمَامَا
أَوْ زَادَ ثُمَّ أَسَّسَا * أَوَّلَ مَسْجِدِ رَسَا
ثُمَّ إِلَى المَدِينَةِ * رَحَلَ فِي سَكِينِهِ
وَفِي الطَّرِيقِ جَمَعَا * أَوَّلَ جُمُعَةٍ وَعَى
مُؤَرِّخُو الإِسْلَامِ * لِأَفْضَلِ الأَنَامِ
فِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ * حَيْثُ المَعْرُوفِ

وَبَعْدَ ذَاكَ رَحَلَا * وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيَّ
قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ * أَهْلَ النَّدَى الْأَبْرَارِ
قَالُوا لَهُ إِيْنَا * وَسَتَقَرُّ عَيْنَا
فَإِنَّا أَهْلُ الْعَدَدِ * وَإِنَّا أَهْلُ الْجَلَدِ
وَهُوَ يَقُولُ نَاقَتِي * بِأَمْرِ رَبِّ الْعِزَّةِ
مَأْمُورَةٌ فَخَلُّوا * عَنْهَا فَلَا تَضِلُّ
حَتَّىٰ إِلَىٰ حَيْثُ بَنَى * مَسْجِدَهُ بَعْدَ هُنَا
تَوَقَّفَتْ فَبَرَكَتْ * فَنَهَضَتْ فَرَجَعَتْ
فَبَرَكَتْ كَالأَوَّلِ * فَكَانَ خَيْرَ مَنْزِلِ
وَعِنْدَهَا تَرَجَّجًا * أَفْضَلُ مَنْ تَنْزَلَا
عَلَيْهِ وَحَى اللَّهُ * وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ
وَفِي بَنِي النَّجَّارِ * أَخْوَالِهِ الْأَخْيَارِ
قَدْ حَلَّ فِي دَارِ أَبِي * أَيُّوبَ ضَيْفًا النَّبِيِّ
وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا * مُكْرَمًا كَرِيمًا
بِهَا إِلَىٰ أَنْ اكْتَمَلَ * بِنَاءَ بَيْتِهِ فَحَلَّ
فِيهِ وَقَدْ أَتَاهُ * بِأَهْلِهِ مَوْلَاهُ
زَيْدٌ وَجَاءَ حَوْلَهُ * آلُ أَبِي بَكْرٍ لَهُ
وَلَمْ تَجِئْ زَيْنَبُ مَعِ * ذَاكَ فَزَوْجُهَا امْتَنَعَ
ثُمَّ أَتَتْهُ بَعْدَمَا * نُصِرَ فِي بَدْرِ كَمَا

وَرَدَ فِي الْأَثَارِ * عَنْ صَفْوَةَ أَخْيَارٍ

روى البخاري في الصحيح عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: «سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أورا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وصحبه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون. فتلقوا رسول الله ﷺ فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار، ممن لم ير رسول الله يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك».

وكانت المدينة كلها قد زحفت للاستقبال وكان يوما مشهودا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها. فقد ثار المسلمون إلى السلاح وكبروا فرحا بقدومه، وخرجوا للقاءه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة وأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه.

ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهدم، وقيل: بل على سعد بن خيثمة، ومكث علي بن أبي طالب بمكة ثلاثا حتى أدى عن

رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، ثم هاجر ماشيا على قدميه ، حتى لحقهما بقباء ، ونزل على كلثوم بن الهمدم .

وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام : الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس . وأسس مسجد قباء وصلى فيه ، وهو أول مسجد أسس على التقوى في الإسلام ، فلما كان اليوم الخامس ، وهو يوم الجمعة ركب بأمر الله له وأبوبكر ردفه ، وأرسل إلى بني النجار أخواله فجاءوا متقلدين سيوفهم فسار نحو المدينة ، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فجمع بهم أي صلى بهم الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي ، وكانوا مائة رجل .

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة ، ومن ذلك اليوم سميت يشرب بمدينة الرسول ﷺ ، وكان يوما مشهودا آخر في التاريخ ، فقد كانت البيوت والسكك ترج بالتحميد والتقديس والتهليل . وكانت بنيات الأنصار ينشدن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا * مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا * مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ
أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا * جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ

وذكر بعض العلماء أن هذه الأنشودة كانت عند مقدمه ﷺ من غزوة تبوك ، ويؤيده كون ثنيمات الوداع تقع في الناحية الشمالية من المدينة ، وكذلك تبوك ، وطريق مكة من الجنوب ، والله أعلم .

كان رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة لا يمر بحي من الأنصار إلا تعلقوا بزمام راحلته يدعونه للنزول عليهم : هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة ، فيقول لهم : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » . فلم تنزل سائراً به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت ، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول ، فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخواله ﷺ ، وكان ذلك من توفيق الله لها ، فإنه ﷺ أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك ، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم ، وبادر أبو أيوب الأنصاري فأخذ رحله فأدخله بيته ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « المرء مع رحله » واستمر رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى اكتمل بناء بيته ﷺ فانتقل إليه . وجاء أسعد بن زرارة رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلته ، وكانت عنده منذ ذلك اليوم .

ثم بعد أيام وصلت أم المؤمنين سودة بنت زمعة زوجة ﷺ ومعها ابنتاه : فاطمة وأم كلثون مع أسامة بن زيد وأم أيمن ، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر الصديق بعيال أبيه ، ومنهم أمنا عائشة رضي الله عنها . أما زينب بنت رسول الله ﷺ فلم يمكّنها زوجها أبو العاص من الخروج حتى هاجرت بعد بدر .

إلى هنا انتهت ثلاث عشرة سنة من سني النبوة ، وهي الفترة المكية وبدأت الفترة المدنية ، وهي فترة بناء الدولة ، ومدتها عشر سنين .

أول أعماله ﷺ في المدينة

أَوَّلُ أَعْمَالِ النَّبِيِّ * فَدَيْتُهُ فِي يَثْرِبِ
بِنَاؤُهُ الْمَسْجِدَ فِي * مَكَانِهِ الَّذِي اصْطَفَى
لِمَسْجِدِ النَّبِيِّ * مِنْ رَبِّهِ الْعَلِيِّ
وَهُوَ مَكَانٌ مَبْرُكٌ * نَاقَتُهُ فِيمَا حُكِيَ
بِمَرْبِدٍ مُقَامٍ * لِقُصْرِ أَيَّتَامٍ
ثُمَّ اشْتَرَى الْمَرْبِدَ مِنْ * نَاطِرِهِ وَقَدْ ضَمِنَ
بِذَلِكَ لِلْيَتِيمِ * الْإِنْصَافَ فِي الْعُمُومِ
ثُمَّ بَنَى الْمَسَاكِنَا * مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا
وَدُونَهَا تَرَاحِي * خَيْرُ الْوَرَى يُؤَاحِي
بَيْنَ بَنِي الْأَنْصَارِ * وَالصَّفْوَةِ الْأَبْرَارِ
أَعْنَى الْمُهَاجِرِينَ * لِلَّهِ طَائِعِينَ
وَضَمَّ كُلَّ مُسْلِمٍ * لِعَقْدِهِ الْمَعْظَمِ
وَعَاهَدَ الْيَهُودَا * فَوَثَّقَ الْعُهُودَا
لِيَضْمَنِ الْوَثَامَا * وَيَحْفَظَ السَّلَامَا
وَالْأَمْنَ لِلْجَمِيعِ * مِنْ مُسْلِمٍ مُطِيعِ
وَعَيْرِهِ مِنْ جَارٍ * لَهُ مِنَ الْكُفَّارِ
لَكِنَّ أَهْلَ الشُّرْكِ * وَالْإِفْتِرَا وَالْإِفْكَ
تَأْمَرُوا مِرَارًا * وَكُلُّ مَنْ تَوَارَى

خَلْفَ ذَوِي النَّفَاقِ * وَالْخَزْيِ وَالشَّقَاقِ
وَمَعَشَرَ الْيَهُودِ * ذِي الْبَغْيِ وَالْجُحُودِ
إِذْ غَاظَهُمْ أَنْ أَمَّنَا * حَزْبُ الْهُدَى وَضَمِنَا
مُنْطَلِقًا لِلدِّينِ * مِنْ حَصْنِهِ الْحَصِينِ
طَيْبَةَ دَارِ الْأَوْفِيَا * ءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَزْكِيَا
إِلَى جَمِيعِ الْأَرْضِ * بِطَوْلِهَا وَالْعَرْضِ

بركت ناقة رسول الله ﷺ ، كما عرفنا في السابق ، قرب دار أبي أيوب الأنصاري في أرض مقام عليها مربرد لأيتام من الخزرج ، وقال ههنا المنزل إن شاء الله ، ثم كانت أول خطوة خطاها أن اشترى تلك البقعة بالثمن المناسب حتى لا يقع ظلم على يتيم في أمته ﷺ . ثم أمر ببدء العمل في بناء المسجد في المكان الذي بركت فيه الناقة ، وساهم بنفسه ﷺ في البناء فكان ينقل الحجارة ، وينشد بعض النشيد يثير به نشاط أصحابه فيقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان أيضا يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبرا * هذا أبر ربنا وأطهرا

فكان ذلك مما زاد نشاط الصحابة في البناء فأنشد أحدهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وقد اقتضى البناء تنقية المكان مما فيه مما يعرقل البناء ، فكانت توجد

بعض قبور المشركين فأمر ﷺ بنبشها ، وإزالة بعض الأشجار والنخل التي كانت نابتة في المكان ، وكانت القبلة عند بناء المسجد إلى بيت المقدس ، وأقيمت حيطان المسجد من اللبن والطين ، وجعل سقفه من جريد النخل ، وأعمدته من الجذوع ، وفرشت أرضه من الرمال والحصباء ، وجعلت له ثلاثة أبواب ، وطوله من جهة القبلة مائة ذراع وجعل عرضه قريبا من ذلك ، وأساسه قريبا من ثلاثة أذرع . ثم بنى رسول الله ﷺ بيوتا إلى جانبه بالحجارة واللبن وسقفها بالجريد والجذوع ، وهي حُجرات أزواجه ﷺ وبعد اكتمال بنائها انتقل إليها من دار أبي أيوب ، كما جاء في صحيح البخاري .

لم يجعل رسول الله ﷺ مسجده خاصا بإقامة الصلوات فيه وحسب ، بل كان جامعة يتلقى المسلمون فيها علوم دينهم ، ومركزا يتعاطى المسلمون عبره أمور حياتهم ، وتتكون فيه ألفتهم ، ويعرف فيه كل فرد منهم ما عليه من أعباء بناء المجتمع الجديد ، وفوق كل ذلك كان مقر القيادة الذي ترسم فيه السياسات العامة ، وتنطلق منه الكتائب العسكرية المنوط بها الذب عن الدين وأهله ، بل ونشره في شتى بقاع الدنيا . وربما اتخذه بعض فقراء المسلمين مأوى وملجأ يسكنون فيه ويلجأون إليه .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى جانب بناء هذا الصرح الجامع لشئون المسلمين الذي هو مسجده ﷺ ، قام ببناء صرح آخر معنوي لا يقل

أهمية، ألا وهو المؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار. قال رواية السيرة: آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار في دار بعض الأنصار. وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار وقد آخى بينهم على المواساة، فجعلهم يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، واستمر الحال كذلك، إلى أن نسخ بعد موقعة بدر، نسخه قوله تعالى: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فردت الآية التوارث دون عقد الأخوة، فقد بقي ثابتاً.

وكانت مظاهر الإيثار والمواساة تملأ هذا المجتمع الجديد متمثلة في صور لم تعرف ولن تعرف البشرية نظيراً لها، إلى جانب نوع آخر فذ من مظاهر التعفف، والبعد عن استغلال كرم الكريم إلا بقدر ما يسد الأود. روى البخاري أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، فأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: مهيم؟ قال: تزوجت. قال: كم سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب.

وروى البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت

الأنصار للنبي ﷺ : أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . فقال : لا . فقالوا : فتكفونا المؤنة ونشرككم في الغلة . قالوا : سمعنا وأطعنا .

ثم أبرم صلى عليه وسلم ميثاقا وحلفا بين المسلمين ، أزاح كل حزازات الجاهلية ، وما كان من إحنها بين القبائل الداخلة في هذا الدين ، وأبرم في ذلك عهدا محكما بين المسلمين نص على : أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس جميعا ، إلى جانب بنود أخرى كثيرة تقوي اللحمة ، وتبني الأمة القوية التي لا ظلم فيها ولا بغي .

ثم التفت ﷺ إلى من كان في المدينة من الجيران من غير المسلمين وهم اليهود فأبرم معهم عهد سلام وأمن ، بحيث لا يعتدي أحد الطرفين على الآخر ، ويتعاونان في رد المعتدي الخارجي . وتركت لليهود الحرية المطلقة في ممارسة شعائر دينهم وامتلاك أموالهم ، وقد جاء فيها كما عند ابن هشام : إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم : مواليهم وأنفسهم ، كذلك لغير بني عوف من اليهود . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن عليهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وإنه لم يَأْثَمَ امرؤ بحليفه . وإن النصر للمظلوم . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد رسول الله ﷺ . وإنه لا تُتجار قريش ولا

من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم يشرب، على كل أناس
حصتهم من جانبهم الذي قبلهم. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون آثم
أو ظالم. ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي ﷺ قبائل أخرى
بمثل هذه المعاهدة.

الإذن بالقتال

أُذِنَ بِالْقِتَالِ * مِنَ الْإِلَهِ الْعَالِي
لِعُصْبَةِ الْإِيمَانِ * وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
لَمَّا تَمَادَى الظُّلْمُ * ضِدَّهُمْ وَالْإِثْمُ
مِنَ مَعْشَرِ الطُّغْيَانِ * عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ
فَبَدَأَ الْمُخْتَارُ * تَرْتِيبَ مَا يُخْتَارُ
لِذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ * بِحِزْمِهِ الْمَشْهُورِ
فَعَاهَدَ الْقَبَائِلَ * وَطَارَدَ الْقَوَافِلَ
تِلْكَ الَّتِي لِمُشْرِكِي * قُرَيْشٍ مَكَّةَ حُكِي
أَنَّ النَّبِيَّ سَيَّرَ * سَرِيَّةً فَأَمَّرَا
حَمْزَةَ عَمَّهُ الْأَسَدَ * عَلَيْهِمْ وَقَدْ وَرَدَ
عَنْ أَهْلِ سِيرَةِ النَّبِيِّ * بِأَنَّ حَمْزَةَ الْأَبِي
نَزَلَ سَيْفَ الْبَحْرِ * أَوَّلَ عَامِ هِجْرِي
فِي رَمَضَانَ فِي ثَلَاثِ * ثِنِينَ مُقَاتِلًا عَلَى

أَهْبَةَ الْأَسْتَعْدَادِ * لِلطَّعْنِ وَالْجَلَادِ
فَلَقِيَ الْقَوْمَ نَعَمَ * عَشْرَةَ أَضْعَافٍ وَلَمْ
يَهَبْهُمْ بَلَّ صَفَا * رَجَالَهُ وَأَصْطَفَا
جَيْشَ الْعَدَا مَعَ أَبِي * جَهْلٍ بِكُلِّ حَدَبٍ
ثُمَّ تَنَالَتْ السَّرَا * يَا تَفْتَدِي خَيْرَ الْوَرَى
أَبْرَهُمْ وَأَرْفَقَا * أَرَأْفَهُمْ وَأَشْفَقَا
أَوْفَاهُمْ وَأَعْدَلَا * أَصْدَقَهُمْ وَأَكْمَلَا
صَلَّى مِنْ أَصْطَفَاهُ * عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ

وصل الصحابة مع رسول الله ﷺ إلى مأمَنهم في المدينة فزاد ذلك من غيظ المشركين وحنقهم فكثفوا من الكيد للمسلمين والتحرش بهم، فقد كتبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكان يومئذ ما زال على الشرك، وقد جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة والأوس والخزرج يتأهبون لتتويجه ملكا عليهم، الأمر الذي جعله يحقد على رسول الله ﷺ والمسلمين. فأرسل إليه مشركو مكة يقولون له ولأصحابه من المشركين الذين مازالوا في المدينة لم يسلموا يقولون: إنكم آويتم أصحابنا وإنا نقسم بالله لتُخرجنَّه أو لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد

قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تكيدون به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا . ثم إن قريشا أرسلت وعيدا آخر إلى المسلمين تقول لهم فيه : لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يشرب فسناؤيكم ونستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم .

هكذا كانت قريش ومن شايعها من المشركين تكيد للمسلمين وتريد بهم الشر ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه . وفي هذه الظروف الخطرة التي كانت تهدد كيان المسلمين في المدينة أنزل الله تعالى على نبيه الإذن بقتال الظلمة : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ .

نزل الإذن بالقتال فكان من الحكمة أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق تجارة قريش بين مكة والشام ، فوضع رسول الله لبسط هذه السيطرة خطتين : الخطة الأولى : عقد المعاهدات مع القبائل المحيطة بهذا الطريق سواء كانت معاهدات تحالف أو عدم اعتداء . والثانية : إرسال البعوث والسرايا إلى هذا الطريق .

كانت أولى السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ إلى هذا الطريق سرية سيف البحر ، وذلك في رمضان من السنة الأولى للهجرة . وقد أمر

رسول الله ﷺ على هذه السرية عمه وسيفه : حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في ثلاثين رجلا من المهاجرين ، وأمره أن يعترض عيرا لقريش آتية من الشام ، وفيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ، فالتقوا واصطفوا للقتال فمشى بينهم زعيم من جهينة كان حليفا للفريقين حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا . وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله ﷺ ، وكان أبيض ، وحامله كنانز ابن حصين الغنوي . ثم توالى إرسال السرايا والغزوات .

فمن السرايا سرية رابع في شوال من السنة الأولى للهجرة ، فقد بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكبا من المهاجرين فلقي أبا سفيان في مائتين على بطن رابع ، وقد ترامى الفريقان بالنبال ولم يقع بينهما قتال . وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين ، وهما : المقداد بن عمرو ، وعقبة بن غزوان ، كانا مسلمين وخرجا مع الكفار ليتمكننا من الوصول إلى المسلمين .

ومن السرايا سرية الخرار في ذي القعدة من السنة الأولى للهجرة فقد بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلا يعترضون عيرا لقريش ، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى بلغوا الخرار صبيحة اليوم الخامس فوجدوا العير قد مرت بالأمس . وكان لواء سعد في هذه السرية أبيض يحمله المقداد بن عمرو .

أول غزوة له ﷺ الأَبواء أو ودَّان

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَا * أَفْضَلُ مَنْ غَزَا عَزَا
نَقْلَةَ الْأَخْبَارِ * لَسَيِّدِ الْأَبْرَارِ
بِأَنَّهُ فِي سَنَةِ * ثِنْتَيْنِ أَيَّ لِلْهَجْرَةِ
وَذَاكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ * خَرَجَ سَيِّدُ الْبَشَرِ
بِنَفْسِهِ يَقُودُ * قَوْمًا هُمُ الْأَسْوَدُ
وَبَلَّغُوا سَبْعِينَ * مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
فَقَصَدَ الْأَبْوَاءَ * وَعَقَدَ اللَّوَاءَ
لِعَمِّهِ الْغَضَنْفَرِ * وَإِنَّهُ بِهِ حَارِي
وَخَلَّفَ الْمَدِينَةَ * تَحْفُهَا السَّكِينَةَ
لِابْنِ عُبَادَةَ وَمَا * أَحْرَاهُ أَنْ يُقَدِّمًا
ثُمَّ إِلَى وَدَّانٍ * وَصَلَ عَالِي الشَّانِ
مُعْتَرِضًا قَوَافِلًا * مَكَّةَ فَيَمَّا نُقْلًا
وَلَمْ يَجِدْ كَيْدًا رَجَعَ * لِدَارِهِ بَدْرًا طَلَعَ
مُكَلَّلًا بِالنَّصْرِ * مُحَالِفًا لِلضَّمْرِ

أول خروج في الغزو للنبي ﷺ كان في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة حيث خرج بنفسه يقود سبعين من أسود المهاجرين إلى الأَبواء بين مكة والمدينة في الغزوة التي عرفت بغزوة الأَبواء أو ودَّان، فقد

خرج ﷺ بنفسه في التاريخ الذي مر ذكره بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة، يعترض عيرا لقريش حتى بلغ ودان فلم يلق كيدا، وفي هذه الغزوة عقد معاهدة مع عمرو الضمري، الذي كان سيد ضمرة في زمانه، وهذا نص تلك المعاهدة: «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ إلى ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله، ما بل بحر صوفة وإن النبي ﷺ إذا دعاهم إلى نصره أجابوه.

وهذه كما أسلفنا أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ وكانت غيبته عن المدينة خمس عشرة ليلة، وكان حمزة هو حامل لوائه الأبيض.

وقال ابن حجر في فتح الباري: «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة، ووصله ابن عائد من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا فلقوا جمعا من قريش فتراموا بالنبل فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

غزوة بواط

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ * عَلِمَ خَيْرُ مُرْسَلٍ
بَأَنَّ نَجْلَ خَلْفٍ * لَعِيرِ مَكَّةَ اصْطَفِي
وَمِائَةَ رِجَالٍ * لَدَيْهِمْ جِمَالٌ
أَحْمَالُهَا يُقَالُ * نَفِيسَةٌ ثِقَالُ

فِيمَا رَوَوْا أَلْفَانَ * وَنَصَفُ أَلْفِ دَانَ
فَرَأَقَ لِلنَّبِيِّ * فِي مَائَتِي أَبِي
إِذْ ذَاكَ أَنْ يَعْتَرِضًا * طَرِيقَهُ ثُمَّ مَضَى
لِعَزْمِهِ حَتَّى قَدِمَ * عَلَى بُوَاطٍ فَعَلِمَ
بِالْعَيْرِ قَدْ مَضَتْ رَجْعَ * كَالْبَدْرِ نُورَهُ سَطَعَ
وَكَانَ لِلسَّعْدَيْنِ * شَأْنُ فَشَانُ ذَيْنِ
أَنْ كَانَ حَامِلُ اللُّوَا * خَالَ النَّبِيَّ قَدْ رَوَى
رَوَاتُهَا وَأَبْنُ مُعَا * ذِلِّ الْمَدِينَةِ رَعَا

وفي شهر ربيع الأول من السنة الثانية خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش عليها أمية بن خلف في مائة رجل من قريش، ولديها خمسمائة وألف بعير، فبلغ بواطا من ناحية رضوى من جبال جهينة، ولم يلق كيدا. وقد استخلف على المدينة في هذه الغزوة سعد بن معاذ، أما سعد بن أبي وقاص فقد كان هو حامل اللواء، وكان لواء رسول الله ﷺ أبيض.

غزوة سفوان

فِي ثَانِ عَامِ هِجْرِي * أَغَارَ كُرْزُ الْفَهْرِي
عَلَى الْمَوَاشِي فَانْتَقَلَ * خَبَرَهُ عَلَى عَجَلٍ

إِلَى مَسَامِعِ النَّبِيِّ * فَهَبَّ يَفْدِيهِ أَبِي
وَمَعَهُ سَبْعُونَ * هَادُونَ مَهْدِينَا
يُطَارِدُ الْأَشْرَارَ * وَيَقْمَعُ الْكُفَّارَ
حَتَّى إِلَى سَفْوَانَ * بَلَغَ عَالِي الشَّانِ
أَيَقْنُ أَنْ قَدْ هَرَبَا * ذَا اللَّصُّ ثُمَّ انْقَلَبَا
بِالْيَمْنِ وَالسَّكِينَةِ * وَالرُّشْدِ لِلْمَدِينَةِ
وَكَانَ فِي يَدِ عَلِي * لَوَاؤُهُ صَلَّى الْعَلِي
عَلَيْهِ وَالْمَدِينَةَ * زَيْدٌ بِهَا مُثَبَّتٌ

في شهر ربيع الأولى من السنة الثانية للهجرة أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلا من أصحابه لمطارده حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، فلم يدرك كرز وأصحابه فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى. وقد استخلف رسول الله ﷺ في هذه الغزوة على المدينة زيد ابن حارثة وكان لواءه ﷺ أبيض ويحمله علي بن أبي طالب.

غزوة ذي العشيرة

وَفِي جُمَادَى خَرَجَا * نَبِينَا حِينَ رَجَا

عِيرًا بِهَا أَمْوَالٌ * كَثِيرَةٌ يُقَالُ
إِنَّ فُرَيْشًا جَمَعَتْ * لِأَجْلِهَا مَا وَسَعَتْ
وَهَذِهِ الْعَيْرُ الَّتِي * تَسَبَّبَتْ فِي الرَّجْعَةِ
فِي غَزْوَةِ الْفُرْقَانِ * يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
وَلَمْ يَكُنْ نَبِيُّنَا * عَلَى الْخُرُوجِ مُؤْمِنًا
أَكْرَهَ فِيمَا أَقْتَرَبَا * مِنْ مَعَهُ قَدْ ذَهَبَا
مَنْ مَاتَيْنِ أَوْ أَقْلَ * عَلَى ثَلَاثِينَ جَمَلٍ
يَعْتَقِبُونَ فَوْصَلُ * لِذِي الْعَشِيرَةِ نَزَلُ
لَمَّا رَأَى تَا الْعَيْرِ عِي * رَأَى مَا بِهَا مِنْ مَطْمَعِ
فَقَرَّرَ الرَّجُوعَا * لِأَهْلِهِ مُطِيعَا
لِرَبِّهِ وَعَقْدَا * نَبِيُّنَا عَقْدَا بَدَا
مِنْهُ الرَّشَادُ إِذْ بَرِمَ * مَعَ مَدْلَجِ صَلْحِ سَلَمِ
بِهِ الْجَمِيعُ مِنْ أَثَرِ * أَيِّ اعْتَدَا أَوْ أَيِّ شَرِّ
وَكَانَ لِللَّوِيِّ اجْتَبَى * حَمْزَةَ وَاصْطَفَى أَبَا
سَلْمَةَ الْمَخْزُومِي * لِطَيْبَةِ الْخَدُومِ

في الجمادين الأولى والآخرة من السنة الثانية للهجرة، حيث كان
خروجه في آخر جمادى الأولى ورجوعه في أوائل جمادى الآخرة. فقد
خرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين من

المهاجرين ولم يكره أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا
يعتقونها يعترضون عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر
بخروجها من مكة، وفيها أموال كثيرة لقريش، فبلغ ذا العُشيرة فوجد
العين قد فاتته بأيام، وهذه هي العين التي خرج في طلبها حين رجعت
من الشام، فصارت سببا لغزوة بدر الكبرى.

وفي هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني
مدلج وحلفائهم من بني ضمرة. واستخلف على المدينة أبا سلمة بن
عبد الأسد المخزومي. وكان اللواء في هذه الغزوة أبيض كسابقاتها
وحامله حمزة بن عبدالمطلب.

سرية نخلة

كَانَ بِشَهْرِ رَجَبٍ * إِرْسَالَ أَحْمَدَ النَّبِيِّ
سَرِيَّةَ ابْنِ جَحْشٍ * فِي اثْنَيْ عَشَرَ إِذْ يَمْشِي
أَحَدُهُمْ وَيَرْكَبُ * آخِرُ حَيْثُ يَعْقُبُ
ذَلِكَ ذَا وَسَلَّمَا * خَيْرُ الْوَرَى الْقَائِدَا
أَرَادَهُ أَنْ يَفْعَلَا * كِتَابَةً لَكِنْ عَلَى
أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَا * إِذَا مَضَى ذَهَابَا
يَوْمَيْنِ ثُمَّ لَمَّا * رَأَى الْكِتَابَ ثَمَّا
رَأَى النَّبِيَّ آمِرًا * بِالسَّيْرِ حَتَّى يَحْضُرَا

فَوْرًا إِلَى نَخْلَةٍ يَرُ * صُدُّ قُرَيْشًا فَأَقْرُ
بَطَاعَةَ النَّبِيِّ * فِي أَمْرِهِ الرُّضِيِّ
وَصَحْبُهُ أَطَاعُوا * لَكِنَّهُمْ أَضَاعُوا
بَعِيرَ سَعْدِ خَالٍ * نَبِينَنَا الْمَفْضَالَ
فَالْتَمَسَ الْبَعِيرَ عَتًّا * بَةَ وَسَعْدًا فَثَبَّتْ
أَنْهُمَا تَخَلَّفَا * وَنَجَلُ جَحْشٍ وَقَفَا
حَيْثُ لَهُ الْأَمْرُ صَدْرًا * يُطِيعُ سَيِّدَ الْبَشَرِ
وَلَيْسَ فِي الْمَقَالِ * أَمْرٌ بِالْأَقْتَالِ
وَمَرَّتِ الْعَيْرُ فَلَمْ * يَرَوْا قِتَالَ قَدْ عَلِمَ
يَجُوزُ فِي الْمُحَرَّمِ * كَلًّا وَلَا فِي الْحَرَمِ
وَهِيَ غَدَا فِي الْحَرَمِ * وَمَالُهُ مِنْ ذِمَمِ
ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْكُرْمَا * عَلَى الْقِتَالِ فَرَمَى
بَعْضُهُمْ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ * أَوَّلَ مَقْتُولِ رُمِيِّ
بِالسَّهْمِ فِي الْإِسْلَامِ * فِي رَجَبِ الْحَرَامِ
وَأَسْرُوا اثْنَيْنِ سِوَا * هُوَ وَعَلَى الْعَيْرِ احْتَوَى
صَحْبُ النَّبِيِّ فَقَلَا * مَا فَعَلُوهُ نُقَلَا
أَنَّ النَّبِيَّ اسْتَنْكَرَا * وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْرًا
وَشَنَّعَ الْكُفَّارُ * ذَاكَ وَقَدْ أَثَارُوا
شُبُهَةَ حَظَرِ الزَّمَنِ * حَيْثُ الْوَرَى فِي مَأْمَنِ

فَهُمْ لَذَاكَ هَاجُوا * كُتُّهُمْ وَمَاجُوا
وَهُمْ أَوْلَاءَ نَفَرُوا * مِنْ الْهُدَى وَكَفَرُوا
وَأَخْرَجُوا الرَّسُولَ * وَصَحْبَهُ الْعُدُولَ
مِنْ دَارِهِمْ فِي الْحَرَمِ * مِنْ دُونِ أَيِّ مَأْتَمِ
فَنَزَلَ الْقُرْآنُ * مُبَيِّنًا مَا كَانُوا
عَلَيْهِ مِنْ عَدَاءٍ * لِلدِّينِ فِي الْخَفَاءِ
وَأَهْلِهِ وَفِي الْعَلَنِ * فَذَاكَ أَكْبَرُ إِذْنِ
مَنْ قَتَلَ مُشْرِكٍ كَفَرَ * بِدِينِ سَيِّدِ الْبَشَرِ
ثُمَّ وَدَى ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ * خَيْرُ الْوَرَى ذُو الْكُرْمِ
وَوَهَبَ الْكُفَّارًا * ذَا الْعَيْرِ وَالْأَسَارَى

في شهر رجب من السنة الثانية بعث رسول الله ﷺ سرية بقيادة
عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلا من
المهاجرين ، كل اثنين منهم يعتقان على بعير ، وكتب رسول الله ﷺ
لعبدالله كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين فسار عبدالله
وصحبه يومين ثم نظر في الكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي هذا
فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها عير قريش
وتعلم لنا من أخبارهم ». فقال سمعا وطاعة ، وأخبر أصحابه بذلك وأنه
لا يستكرههم ، فمن أحب الشهادة فلينهض ومن كره الموت فليرجع

وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم غير أنهم لما كانوا في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان البعير الذي كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه. وسار عبدالله ومن معه حتى نزلوا بنخلة، فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة، وفيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبدالله بن المغيرة والحكم ابن كيسان مولى بني المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء فرمى أحدهم ابن الحضرمي فقتله وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالبعير والأسيرين إلى المدينة وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام وأول قتل وأسرى في الإسلام. فأنكر رسول الله ﷺ ما فعلوه قائلاً: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام» وأوقف التصرف في العير والأسيرين. ووجد المشركون في هذه الحادثة فرصة لاتهام المسلمين بانتهاك الحرمات واستحلال ما حرم الله، وكثر القيل والقال في ذلك حتى حسم القرآن المسألة مبيناً أن ما عليه المشركون هو الأكبر وإن كان ما فعله المسلمون كبيراً، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

فقد صرح القرآن بهذا بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة
الريبة فيما فعله هؤلاء المؤمنون لا مكان لها؛ لأن الحرمات كلها قد
انتهكت بالكفر بالله ورسوله وبالصد عن سبيل الله، وإخراج
المسلمين من المسجد الحرام، وسلبهم أموالهم وهم في البلد الحرام.
أليس للبلد الحرام حرمة كحرمة الشهر الحرام أو أكبر؟ أوليست
محاولة قتل رسول الله ﷺ وهو في البلد الحرام انتهاكا لحرمات الله؟
فما هذه الوقاحة في ادعاء التنسك وتقديس الحرمات التي لا أثر
لتقديسها فيما فعلتم مع رسول الله ﷺ وأصحابه في البلد الحرام
وحاولتم افتتانهم عن دينهم. ومع كل هذا فقد أطلق رسول الله ﷺ
سراح الأسيرين وأدى دية القتل لأوليائه، وبذلك انقطعت الحجج
الواهية أصلا، وسكنت عاصفة الاتهامات.

غزوة بدر الكبرى

كَانَ بِشَهْرِ الصَّوْمِ * خُرُوجُ هَادِي الْقَوْمِ
لِغَزْوَةِ الْفُرْقَانِ * يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
بِمَاءِ بَدْرِ فَظْفَرَ * حَزْبُ الْهُدَى بِمَنْ كَفَرَ
فَقَدْ أَتَتْ أَخْبَارُ * جَاءَ بِهَا الْأَخْيَارُ
مَمَّنْ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ * لِرِصْدِ عَيْرِ لِأَبِي
سُفْيَانَ أَنَّ الْعَيْرَ * وَتَحْمِلُ الْكَثِيرَ

مُرُورَهَا قَرِيبٌ * فَجَهَّزَ الْحَبِيبُ
مَنْ شَاءَ مِنْ صَحَابِهِ * فَهَبَّ مَنْ كَانَ بِهِ
مَيْلٌ فَمَا أَلْحَا * خَيْرُ الْوَرَى بَلْ صَحَا
بِأَنَّ مَنْ شَاءَ خَرَجَ * أَوْ لَا يَشَاءُ فَلَا حَرَجَ
لَأَجَلِ ذَا فَإِنَّ مَنْ * قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَلَنِ
كَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ * وَنِيفٍ فِي الْمَثَبِ
لَدَيْهِمْ جَمَالٌ * سَبْعُونَ بَلْ يُقَالُ
يَعْتَقِبُونَ أَحْمَدُ * عَلِيٌّ ثُمَّ مَرْتَدُ
وَفَرَسَانِ فَرَسٌ * عَلَى الزُّبَيْرِ يُحْبَسُ
وَفَرَسٌ يُقَادُ * يَمْلِكُهُ الْمَقْدَادُ
وَدَفْعَ الْأَوَاهِ * لِمُصْعَبٍ لَوَاهِ
وَلِعَلِيٍّ عِلْمِ الْ * مُهَاجِرِينَ قَدْ جَعَلَ
وَعِلْمِ الْأَنْصَارِ * لِابْنِ مُعَاذٍ جَارِ
وَمَعَ الْأَعْمَى جَعَلَا * أَبَا لُبَابَةَ عَلَى
مَنْ خَلْفَهُ لِيَمِضُ * خَيْرُ جُيُوشِ الْأَرْضِ
يَقُودُهُ النَّبِيُّ * يَكْلُؤُهُ الْعَلِيُّ
يَعْتَرِضُ الْعَيْرَ وَقَدْ * قَدَّرَ غَيْرَهَا الصَّمَدُ
فَبَلَغَتْ أَخْبَارُ * مَا فَعَلَ الْمُخْتَارُ
عَيْرَ أَبِي سُفْيَانَ * فَطَلَبَ الْأَمَانَ

لَهَا وَفَرَّ هَارِبًا * مِنْ حِينِهِ مُغْرِبًا
بِعَيْرِهِ وَأَرْسَلَ * مُسْتَنْجِدًا إِلَى الْمَلَا
مَنْ قَوْمَهُ لِيَنْفِرُوا * لِعَوْتِهِ فَبَادَرُوا
يَجْهَرُونَ لِمَلَا * قَاةَ النَّبِيِّ جَحْفَلًا
خِيُولُهُ تُقَدَّرُ * مَائَةٌ أَوْ هِيَ أَكْثَرُ
وَإِبِلٌ ذَاتُ عَدَدٍ * وَبَيْنَمَا هُمْ فِي كَمَدٍ
تَذَكَّرُوا بَكْرًا وَمَا * بَيْنَهُمْ فَأَحْجَمَا
بَعْضُهُمْ وَقَالُوا * لَرَبِّمَا نُنْغْتَالُ
مَنْ خَلَفْنَا فَظَهَرَا * إِبْلِيسُ فِيمَا ذُكِرَا
فِي هَيْئَةِ ابْنِ مَالِكٍ * يَدْعُو إِلَى الْمَهَالِكِ
إِلَى الْقِتَالِ قَائِلًا * أَكْفِيكُمْ أَيَا الْمَلَا
وَإِنِّي لَجَارٌ * لَكُمْ فَلَا تَحْتَارُوا
فَعِنْدَ ذَاكَ خَرَجَ الْ * قَوْمُ رِيَاءٍ لِلْأَجَلِ
ثُمَّ أَتَاهُمْ مَنْ عَلِمَ * بِأَنَّ عَيْرَهُمْ سَلِمَ
فَقَالَ ذُو رَأْيٍ رَشِدٌ * لِمَا الْقِتَالُ؟ فَلْنَعُدْ
لَكِنِّ رَأْسَهُمْ أَبَا * جَهْلٍ عِنَادًا قَدْ أَبَى
وَقَالَ لَا بِلَ نَذْهَبُ * لِمَاءِ بَدْرٍ نَشْرَبُ
نَنْحَرُ ثُمَّ نَطْرَبُ * نَمْرَحُ نَلْهُو نَلْعَبُ
فَلَمْ نَزَلْ نُهَابُ * وَيُحْسَبُ الْحِسَابُ

لَنَا وَتَحْفَظُ الْعَرَبُ * لَنَا الْمَكَانَ الْمُنْتَخَبُ
لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْأَسَدُ * نَجَلَ شَرِيقِ الْأَسَدُ
رَأَى الرَّجُوعَ أَسْلَمًا * لِقَوْمِهِ وَأَحْزَمًا
وَقَدْ أَطَاعَ نُبَلَا * زَهْرَةَ الشَّيْخِ فَلَا
يُعْلَمُ مِنْ زَهْرَةَ مَنْ * مَعَ أَبِي جَهْلٍ فَتَنُ
فَكَانَ ذَاكَ نَصْرًا * لَهُمْ وَكَانَ فَخْرًا
وَهُمْ ثَلَاثُ مَائَةٍ * أَوْ نَحْوَهَا فِي الْمَثَبِ

تقدم قريبا في الحديث على غزوة العشيرة أن عيرا لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب متجهة إلى الشام قد أفلتت من رسول الله ﷺ ولما قرب رجوعها بعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشمال يترصدان خبرها، فوصلا إلى الحوراء ومكثتا حتى مر بهما أبو سفيان بالعيير، فأسرعا إلى المدينة وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر وكانت هذه العير أثرى عير لقريش طاردها المسلمون، وأكثرها إغراء، فهي تتكون من ألف بعير محمل بكل غال ونفيس، وليس معها من الحرس إلا أربعين رجلا، فهي فرصة ذهبية للمهاجرين كي يستردوا شيئا مما سلب منهم من أموال عند هجرتهم، وفرصة أخرى للنكاية بأهل مكة من المشركين؛ لذا أعلن رسول الله ﷺ في المسلمين قائلا: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله

يُنفلكموها، ولم يعزم على أحد بالخروج بل ترك الأمر للرغبة المطلقة حيث لم يكن يتوقع أن يلاقي جيش مكة الجرار فيصطدم به ذلك الاصطدام العنيف؛ ولذلك فقد تخلف كثيرون من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم في المدينة فلم ينكر ﷺ على أحد منهم؛ لكونهم هم وإياه ظنوا أن الأمر لا يعدو خروجاً ثم عودة دون ملاقاته عدو كما سبق في سرايا والغزوة الصغيرة السابقة له ﷺ، وإلا لما كانوا تخلفوا عنه أبداً.

استعد رسول الله ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (١٣ - ١٤) في نيف وثمانين من المهاجرين، وواحد وستين من الأوس، وسبعين ومائة من الخزرج، ولم يأخذوا لهذا الخروج أهبة كاملة، فلم يكن معهم إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً، يعتقب على كل بعير الرجلان والثلاثة، وكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد ابن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً واحداً، واستخلف على المدينة وعلي الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير القرشي العبدري، وكان هذا اللواء أبيض، وقسم الجيش إلى كتبتين: كتيبة المهاجرين ودفع علمها لعلي بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها سعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن

العوام، وعلى الميسرة المقداد بن عمرو وكانا هما الفارسين الوحيدين في الجيش، وجعل على الساقية قيس بن أبي صعصعة. وظلت القيادة العامة في يد النبي ﷺ فهو القائد الأعلى للجيش.

سار رسول الله ﷺ بهذا الجيش الذي لم يتأهب بما يكفي، فخرج من المدينة ماضيا على طريق مكة حتى بلغ بئر الروحاء، فلما ارتحل منه ترك طريق مكة إلى يساره واتجه صوب بدر، ثم بعث رجلين من جهينة إلى بدر يتحسسان له أخبار العير. وكان المسئول عن العير أبو سفيان ابن حرب في غاية الحيلة والحذر، وقد كان على علم بأن الطريق إلى مكة محفوف بالمخاطر؛ ولذا فقد كان يتحسس الأخبار ويسأل الركبان فنقلت له استخباراته أن رسول الله ﷺ قد استنفر أصحابه للإيقاع بالعير، فاستأجر أبو سفيان ضمّضم بن عمرو الغفاري ليسرع إلى مكة مستصرخا قريشا بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، فخرج مسرعا حتى أتى مكة فصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع أنفه، وحول رحله وشق قميصه، وهو يصرخ: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة. أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

تحفز المشركون من أهل مكة سراعا، وكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه غيره، وكثر الخارجون، فلم يتخلف من أشرفهم أحد سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلا كان له عليه دين وحشدوا من

حولهم من قبائل العرب ، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي ، فلم يخرج منهم أحد . وبلغ تعداد جيش مكة عند خروجه ثلاثمائة وألف مقاتل ، وكان معه مائة فرس وستمائة درع ، وجمال كثيرة لا يذكر المؤرخون عددا لها بالقطع وكان قائدهم العام أبو جهل ، وكان القائمون على تموين الجيش تسعة رجال من سادة قريش فكانوا ينحرون يوما تسعا ويوما عشرا من الإبل . فلما أجمع هذا الجيش المسير ذكرت قريش ما كان بينها وبين بني بكر من العداوة والحرب فخافوا أن تضربهم من الخلف فيصبحوا بين نارين ، فكاد ذلك يثنيهم ، وبينما هم في أخذ ورد ظهر إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي سيد بني كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . وحينئذ خرجوا من ديارهم : ﴿ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كما أخبر الله تعالى عنهم . تحرك جيش مكة بسرعة فائقة في اتجاه بدر حتى إذا بلغوا الجحفة جاءتهم رسالة جديدة من أبي سفيان تقول لهم : إنكم إنما خرجتم لتحرزوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجها الله فارجعوا .

وكان من خبر أبي سفيان أنه كان يسير على الطريق المعتاد ولكنه كان حذرا ومتيقظا للأخطار ، فضاغف حركاته الاستكشافية ولما اقترب من بدر تقدم غيره فلقي رجلا سأله عن جيش المدينة ؟ فقال : ما رأيت أحدا أنكره ، إلا أنني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم

استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فبادر أبو سفيان إلى مناخهما فأخذ من أبعاد بعيرهما ففتته فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يشرب فرجع إلى عيره سريعا، وضرب وجهها محولا اتجاهها غربا نحو الساحل، تاركا الطريق المعهود الذي يمر ببدر على يساره، وبهذا نجح بالقافلة من الوقوع في قبضة جيش المدينة، وأرسل رسالته التي مر ذكرها آنفا. ولما تلقى جيش مكة رسالة أبي سفيان هم بالرجوع، فقام الطاغية أبو جهل في كبرياء وغطرسة قائلا: والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا.

فأشار الأخنس بن شريق بالرجوع، وكان حليف بني زهرة وقائدهم في هذا النفير فعصاه أبو جهل وأغلب الجيش، وأطاعه بنو زهرة وكانوا ثلاثمائة رجل، فرجعوا كلهم ولم يشهد بدرا زهري واحد واغتبطوا بعد ذلك بتخلفهم عن قتال رسول الله ﷺ وبراى الأخنس ابن شريق، فلم يزل فيهم مطاعا ومعظما.

وَهَمَّ رَهْطُ الْمُصْطَفَى * بِمَثَلِهَا لَكِنْ قَفَا
أَثَرَهُمْ يَحُولُ * بَيْنَهُمُ الْجَهْلُ
وَبَيْنَهَا فَرَكُنُوا * لِرَأْيِهِ وَأَذَعُنُوا
فَصَارَ جَيْشُ الْكُفْرَةِ * أَلْفًا كَذَاكَ قَدْرَهُ

نَبِيَّنَا إِذْ سَأَلَا * كَمْ يَنْحَرُونَ إِبِلًا
فَقِيلَ تِسْعًا طَوْرًا * وَيَنْحَرُونَ عَشْرًا
فَقَالَ أَلْفٌ أَوْ أَقْلُ * بِمِائَةِ كَذَا حَصَلُ
وَحَطَّ جَيْشُ الْكُفْرِ * بِقُرْبِ مَاءِ بَدْرِ
بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنْ آلِ * وَادِي بَدَلِكِ الْمَحَلِّ
قَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ * وَقَوْلُهُ الْبُرْهَانُ
وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ * مَا هِيَ الْكُفَّارُ
مِنْ عُدَّةٍ وَعَدَدٍ * أَسْمَاعِ جَيْشِ أَحْمَدِ
فَكَرِهَ الْأَمْرَ نَفَرٌ * وَجَادَلُوا خَيْرَ الْبَشَرِ
فِي الْأَمْرِ وَالنَّبِيِّ * وَعَدَّهُ الْعَلِيِّ
بِالظَّفَرِ الْكَبِيرِ * بِالْجَيْشِ أَوْ بِالْعَيْرِ
فَهُوَ بَذَا أَحَقُّ * وَوَعْدُ رَبِّي حَقُّ
فَاجْتَمَعَ الرَّسُولُ * وَصَحْبُهُ الْعُدُولُ
وَقَالَ هَا أَشِيرُوا * عَلَيَّ وَاسْتَخِيرُوا
رَأْيَا تَرُونَ فِيهِ * خَيْرًا لِمُبْتَغِيهِ
فَأَحْسَنَ الصَّدِيقُ * قَوْلًا كَذَا الْفَارُوقُ
بَعْدَهُمَا الْمَقْدَادُ * وَكُلُّهُمْ أَجَادُوا
فِي قَوْلِهِمْ فَأَتْنِي * عَلَيْهِمْ وَثَنِي
يَسْتَهْدِفُ الْأَنْصَارَا * يُرِيدُ أَنْ يُشَارَا

عَلَيْهِ مِنْهُمْ فَالْعَدَدُ * عَدَدُهُمْ وَالْعَهْدُ حَدٌ
مَنْعَهُمْ إِيَّاهُ * مِنْ كُلِّ مَنْ عَادَاهُ
فِي دَارِهِمْ وَلَمْ يَرِدْ * خَارِجَهَا فَيَمَّا اعْتَمَدَ
فَنَطَقَ الْقَائِدُ سَعْدٌ * دُبْنُ مَعَاذٍ فَصَدَعَ
بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ * وَالنَّصْرِ فِي السَّرَّاءِ
كَانَ وَفِي الضَّرَّاءِ * لَخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ
وَقَالَ خُضْ إِنْ شِئْتَا * ذَا الْبَحْرِ مَهْمَا قُلْتَا
فَنَحْنُ سَامِعُونَ * لَكَ وَطَائِعُونَ
فَسِرَّ خَيْرُ النَّاسِ * طُرّاً بِلَا الْبَاسِ
بِذَا وَقَالَ حَسْبِي * سِيرُوا فَإِنَّ رَبِّي
وَعَدَنِي نَصراً عَلَى * أَعْدَائِهِ مُكَمَّلاً
وَأَنْبِي لَوَائِقُ * بِأَنَّهُ مُحَقَّقُ
لِصَدَقِ وَعَدِ رَبِّي * فَهَآنَا وَرَبِّي
كَأَنَّمَا أَرَى هَلَا * كَهُمْ قَرِيباً أَقْبَلَا
فَذِي لَهُمْ مَصَارِعُ * أَرَى بِهَا مَضَاجِعُ
لِزُعْمَاءِ الْكُفْرِ * غَدَاً بِيَوْمِ بَدْرِ
وَعِنْدَ ذَلِكَ سَلَّمَا * جَيْشُ الْهُدَى وَصَمَّمَا
فَالْحَرْبُ لَا مَنَاصَا * مِنْهَا وَلَا خَلَاصَا
بِغَيْرِ الْإِتِّحَادِ * وَالطَّعْنِ وَالْجِلَادِ

مِنْ بَعْدِ الْاِتِّكَالِ * عَلَيْهِ ذِي الْجَلَالِ
 وَالْحَزْمُ يَقْتَضِي الْحَذَرَ * وَالْبَحْثَ عَنْ كُلِّ أَثَرٍ
 لِلْخَصْمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ * لِأَجْلِ ذَا فَالْجَيْشُ قَدْ
 نَزَلَ قُرْبَ الْمَاءِ * وَرُسُلُ السَّمَاءِ
 تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ عَلَيَّ * أَفْضَلُ مَنْ قَدْ أُرْسِلَا
 فَخَرَجَ الْمُخْتَارُ * هَدَفَهُ الْأَخْبَارُ
 وَمَعَهُ الرَّفِيقُ * فِي الْهَجْرَةِ الصَّدِيقُ
 فَوَجَدَا ذَا خُبْرٍ * شَيْخًا بِقُرْبِ بَدْرِ
 فَبَادَرَاهُ بِالسُّؤَالِ * لَقَالَ لَا وَأَنْشَأَ
 بَلْ تُخْبِرَانِي أَوْلَا * فَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ لَا
 بَلْ أَنْتَ قُلْ مَا تَعْقِلُ * نُنْبِئُكَ عَمَّا تَسْأَلُ
 قَالَ يُقَالُ خَرَجَا * يَوْمَ كَذَا فَإِنْ نَجَا
 مِنْ كَذِبٍ مَنْ أَخْبَرَا * فَهُمْ هُنَا كَمَا أَرَى
 وَقَالَ مِمَّنْ لِلنَّبِيِّ * فَقَالَ مِنْ مَاءِ أَبِي
 فِدَاؤُهُ وَقَدْ صَدَقَ * فِي كُلِّمَا بِهِ نَطَقَ

بعد رجوع بني زهرة أرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو
 جهل قائلاً: لا تفارقنا هذه العصاة حتى نرجع، فسار جيش مكة البالغ
 ألف رجل من المقاتلين الأشداء قاصداً ماء بدر فواصل سيره حتى نزل
 قريباً من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى على حدود وادي بدر.

أما استخبارات جيش المسلمين فقد نقلت إلى رسول الله ﷺ خبر العير
وخبر جيش الشرك، وتأكد لديه بعد تدبر تلك الأخبار أنه لا مناص من
خوض معركة دامية ضد مشركي مكة وأنه لا بد من الإقدام على ما
ليس منه بد، وهو الأمر الذي لا ينفع فيه شيء أهم من الإقدام والبسالة
والتضحية التي لا نظر فيها للخلاف، إذ لا شك أنه لو ترك جيش مكة
يعيث في تلك المنطقة ويعربد كما أراد أبو جهل، فإن ذلك سيكون
تدعيماً لمكانة قريش العسكرية والسياسية، وإضعافاً لكلمة المسلمين
وتوهيناً لقوتهم بل ربما تجرأ كل الأشرار على توحيد القوى لضرب
المسلمين ومحاولة اقتلاعهم من جذورهم، ثم لو تقاعس المسلمون عن
ملاقاة جيش مكة في بدر فمن يضمن أنه لن يواصل المسير إلى المدينة
حتى ينقل المعركة إلى عقر دار الإسلام في عاصمته الناشئة، وهذا فيه
ما فيه من الدوس على كرامة المسلمين وسمعتهم وهيبتهم. ونظراً لهذا
التطور المفاجئ والخطير عقد رسول الله ﷺ مجلساً عسكرياً استشارياً
أعلى أشار فيه إلى الوضع الذي وصلت إليه الأمور وتبادل فيه الرأي
مع عامة جيشه وقادته، وطلب الرأي والمشورة قائلاً: «أشيروا علي
أيها الناس». فتزعزت عزيمة البعض من عامة الجيش دون القادة، وهم
الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا
يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. فقام أبو بكر الصديق رضي الله

عنه فقال وأحسن، وقام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد ابن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله ﷺ خيرا ودعا له. وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين فأحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار لأن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فقال بعد سماع كلام هؤلاء القادة الثلاثة: «أشروا علي أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، ففطن لذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل. قال: فقد آمننا بك فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. ثم ارتحل رسول الله ﷺ بالجيش

حتى نزل قريبا من بدر وهناك قام بنفسه ﷺ بعملية الاستكشاف يصحبه رفيقه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه، زيادة في التكتّم، فقال له الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ قال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أوذاك بذلك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين. وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين. ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله: نحن من ماء، ثم انصرف عنه وبقي الشيخ يتساءل في حيرة: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

وَفِي الْمَسَاءِ سَيَّرَا * عِيُونَهُ خَيْرُ الْوَرَى
فَعَثَرُوا عَلَى غُلَا * مَيْنَ لَجَيْشِ جَهْلَا
يَسْتَقِيَانِ الْمَاءَ * لِقَوْمِهِمْ مَسَاءَ
فَقَبِضَ الزُّبَيْرُ * عَلَيْهِمَا الْخَبِيرُ
مَعَ عَلِيٍّ وَابْنِ وَقَّا * صِ الْمُجَابِ حَقَّا
وَأَخْرَيْنَ فَأَتَوْا * بِالْخَادِمَيْنِ وَرَجَوْا
إِذْ أَخْبَرَا بِجَيْشِ * قَدَمِ مِنْ قُرَيْشِ

أَنَّهُمَا لِلْعَيْرِ * وَلَيْسَ لِلنَّفِيرِ
فَضْرَبُوهُمَا فَقَا * لَ الْمُصْطَفَى قَدْ صَدَقَا
ذُرُوهُمَا وَاسْتَخْبَرَا * عَنِ جَيْشِهَا أُمُّ الْقُرَى
قَالَا قُرَيْشُ خَلْفَ ذَا * لِكَ الْكَثِيبِ وَإِذَا
سَأَلْتَنَا لَتَعْلَمَا * مَنْ قَدْ أَتَى فَلْتَفْهَمَا
أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَتَتْ * بِكُلِّ مَا قَدْ مَلَكَتْ
مِنْ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ * وَجَبَرُوتِ الْقُوَّةِ
وَعَدَدًا رَجَالًا * فَيَمَنْ أَتَى فَقَالَا
خَيْرُ جَمِيعِ الرُّسُلِ * رَمَتْ بِكُلِّ ثَقَلِ
تَمْلِكُهُ قُرَيْشُ * وَذَاكَ بَعْسَ الْجَيْشِ
جَيْشًا يَصُدُّ عَنْ سَبَبِ * لَ اللَّهُ يَكْرَهُ النَّبِيَّ
وَبَيْنَمَا الْأَمْرُ احْتَلَكَ * وَخَوْفٌ مَا يَأْتِي مَلِكُ
مَشَاعِرِ الْبَعْضِ إِذَا * بِشَائِرِ النَّصْرِ فَذَا
غَيْثٌ مِنَ الرَّحْمَنِ * يَنْزِلُ بِالْمَكَانِ
يُمَهِّدُ الْأَرْضَ لَدَى * مَنْ آمَنُوا فِيمَا بَدَا
وَحَلًّا لَدَى الْكُفَّارِ * بِقُدْرَةِ الْجَبَّارِ
وَمِنْ سَمَاتِ النَّصْرِ * وَصُولِ جَيْشِ بَدْرِ
قَبْلَ جِحَافِ الْعَدَا * إِلَى مَكَانِ مُهْدَا
يُنَاسِبُ الْقِتَالََا * وَالطَّعْنَ وَالنِّزَالََا

وَكَانَ أَوْلَىٰ نَزَلَ * جَيْشُ مُحَمَّدٍ مَحَلٌ
كَانَ بِأَدْنَىٰ مَاءٍ * لَجَيْشِ الْإِتْقِيَاءِ
قَالَ الْحُبَابُ أَبَدًا * أُمِرْتُ كَيْ نَتَّخِذَا
ذَلِكَ دِينًا أَمْ هُوَ الْ * حَرْبُ تُرَىٰ هَذَا الْمَحَلُّ
قَالَ النَّبِيُّ إِنَّمَا * هُوَ الْمَكِيدَةُ كَمَا
رَأَيْتُهَا قَالَ الْحَبَا * بٌ بَلْ لَعَلَّ الْأَصُوبَا
نَزُولُنَا بِأَقْرَبِ * مَاءٍ إِلَيْهِمْ بِأَبِي
فَدَيْتُ خَيْرَ مَرْسَلٍ * فَهُوَ خَيْرُ مَنْزِلِ
ثُمَّ نَغُورُ الْمِيَا * هَ خَلْفَنَا وَنَبْنِيَا
حَوْضًا فَنَشْرَبُ وَلَا * يَرَى الْعَدُوُّ بَلَلًا
قَالَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ * رَأَيْكَ هُوَ الْأَسْلَمُ
لَتَنْجَلِي عَظْمَةً * إِسْلَامَنَا فَالْأُمَّةُ
لِكُلِّ فَرْدٍ فِيهَا * آرَأُوهُ يُبَدِيهَا
وَوَاجِبُ الْقَائِدِ أَنْ * يُذْعَنَ لِلرَّأْيِ الْحَسَنِ
وَعَبَّأَ الْجَيْشِ النَّبِيِّ * فَدَاهُ أُمَّي وَأَبِي
وَبَعْدَمَا اسْتَقْرَأَ * مَنَزَلُهُ تُحَرَّى
مَصَارِعَ الْكُفَّارِ * يَرَاهُمْ فِي النَّارِ
وَالْأَمْرُ مَا رَأَهُ * صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
فَإِنَّ كُلَّ مَنْ ذَكَرَ * قَدْ قُتِلُوا فِيمَنْ كَفَرَ

وَبَاتَ جَيْشُ الْمُؤْمِنِينَ * نَ هَاجِعًا فِي مَأْمَنِ
يَغْشَاهُمُ النَّعَاسُ * أَمْنَةً وَالنَّاسُ
عَادَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ * أَنْ يَرْكَنُوا لِلرُّعْبِ
وَذَاكَ مِثْلُ حَالِ * جَمَاعَةِ الْجُهَّالِ
حَيْثُ تَبَيْتُ لَيْلَهَا * فِي قَلْقِيَا وَيَلَهَا
مِمَّا يَخَبِي الْغَدُ * فَفِيهِ خِزْيٌ أَبَدُ

انصرف رسول الله ﷺ عن الشيخ حائرا فعاد إلى أصحابه ليعث فريق استطلاع يتلمس أخبار العدو فاختر لهذه المهمة ثلاثة من خيرة رجاله من المهاجرين هم: علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص في نفر من أصحابه فذهبوا إلى ماء بدر ليجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين، فألقوا عليهما القبض وجاءوا بهما إلى رسول الله ﷺ فقدموا عليه وهو في الصلاة فاستخبرهما القوم فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من هذا الماء، فكره القوم ذلك ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان حيث ما زالت في نفوسهم بعض الآمال في أن يجدوا القافلة ويغنموها، فضربوهما ضربا موجعا حتى اضطرا أن يقولوا كذبا: نحن لأبي سفيان فتركوهما.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قال لهم عاتبا: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش. ثم خاطب الغلامين قائلا: أخبراني عن قريش، قالوا: هم وراء هذا الكثيب

الذي ترى بالعدوة القصوى . فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال :
ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا
ويوما عشرا . فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين التسعمائة إلى
الألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالا : عتبة وشيبة
ابنا ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن
خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة
بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة ابن خلف ، في رجال سميأهم .
فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة ألقى إليكم أفلاذ
كبدها . فأنزل الله سبحانه في تلك الليلة مطرا كان على جهة
المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طلا
طهرهم الله به وأذهب عنهم رجز الشيطان ، ووطأ لهم به الأرض وثبت
الأقدام ، ومهد لهم به المنزل وربط به على القلوب .

تحرك رسول الله ﷺ بالجيش ليسبق المشركين إلى ماء بدر كي يحول
بينهم وبين الاستيلاء عليه ، فنزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر ، وهنا
قام الحباب بن المنذر وقال : يا رسول الله ، رأيت هذا المنزل أمنزلا
أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب
والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ،
فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله
ونغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل

القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من القلب.

وبعد أن تم نزول المسلمين على الماء اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ أن يبني المسلمون مقرا لقيادة رسول الله ﷺ استعدادا للطوارئ، وتقديرا للهزيمة قبل النصر حيث قال: «يا رسول الله، ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونُعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنحك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك». فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير، وبنى المسلمون عريشا على تل مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال، حسبما يروي الرواة، ويشرف على ساحة المعركة، كما تم اختيار فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون رسول الله ﷺ حول مقر قيادته. ثم عبأ رسول الله ﷺ جيشه ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هنا مصرع فلان غدا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله ثم بات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع شجرة هنالك وبات

المسلمون في هدوء وطمأنينة، حيث غمرت الثقة قلوبهم فأخذوا قسطهم من الراحة آمليين أن يروا بشائر ربهم تتحقق أمام أعينهم صبيحة اليوم التالي، وقد غشيتهم السكينة فباتوا في أهدأ ليل: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾. وقد كانت تلك الليلة الهادئة الوداعة بالنسبة لجند الله ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة حيث كان رسول الله ﷺ خرج بجيشه إلى بدر في اليوم الثامن أو الثاني عشر في قول من هذا الشهر عينه.

وَفِي الصَّبَاحِ جَمَعَتْ * جُمُوعَهَا وَاجْتَمَعَتْ
بِالْعُدُوءِ الْقُصُوفِ تَرَى * أَنَّ لَهَا أَنْ تَظْفَرَ
لِمَا لَهَا مِنْ عَدَدٍ * وَعَدَّةٍ وَجَلَدٍ
وَالْاِكْتِشَافِ الْمَسْرَحِ * قَامَ عَمِيرُ الْجُمَحِيِّ
حَوْلَ الْحَمِيِّ بِجَوْلَةٍ * قَالَ ثَلَاثُ مَائَةٍ
أَوْ نَحْوَهَا لَكِنَّهُ * قَالَ أَقْوَمِي إِنَّهُ
كَمَا أَرَى الْبَلَايَا * تَحْتَمِلُ الْمَنَايَا
فَلَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ * حَتَّى نَرَاهُ يَقْتُلُ
أَحَدَنَا فَإِنْ جَرَى * ذَاكَ فَلَا عَيْشًا أَرَى
ثُمَّ حَكِيمٌ قَالَ * لِعُتْبَةَ الْمَقَالَا

مَضْمُونُهُ أَنْ نَدْعَا * مُحَمَّدًا وَنَرَجِعَا
فَاسْتَصَوَّبَ الْحَكِيمُ * مَا قَدْ رَأَى حَكِيمٌ
فَقَامَ يَدْعُو لِلسَّلَا * مِ صَارِخًا عَلَى الْمَلَا
يَقُولُ إِنِّي لَا أَرَى * فِيمَا يَكُونُ ظَفَرًا
فَالْخَيْرُ فِي أَنْ نَذَرَا * مُحَمَّدًا فَإِنْ جَرَى
أَنَّ النَّبِيَّ يُغَلَبُ * فَشَأْنُهُ وَالْعَرَبُ
أَوْ عَزَلْنَا تَكُنْ لَنَا * عِدَاوَةٌ مِنْ بَيْنِنَا
فِيَّانَهُ مَتَى يُصَبُّ * بَعْضُهُمْ أَوْ الْعَطْبُ
فِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ * نَرَى قَرِيبًا قَدْ قَتَلَ
قَرِيبَهُ فَتَنَبْتُ * عِدَاوَةٌ لَا تَخْفُتُ
لَكِنَّ رَأْسَ الْكُفْرِ * رَأْسَ الْخِنَى وَالْمَكْرِ
أَبَى السَّلَامَ وَأَصْرُ * عَلَى الْقِتَالِ وَجَهْرُ
بِالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ * حِينَ دَعَا الْمُنَادِي
بِالنَّارِ لِابْنِ الْحَضْرَمِيِّ * فَشَارَ كُلُّ أَثَمِ
تَقَابِلَ الْجَمْعَانِ * فَقَامَ عَالِي الشَّانِ
يَدْعُو يَقُولُ رَبِّي * ذَهَبِي قُرَيْشُ حَسْبِي
وَعَدُّكَ لِي بِالنَّصْرِ * رَبِّ فَيَسِّرْ أَمْرِي
وَرُدِّ كَيْدَهُؤُلَا * رَبَّنَا يَا ذَا الْعُلَا
وَالْحَزْمُ يَقْتَضِي الْحَذْرُ * لَذَا نَرَاهُ قَدْ أَقْرُ

نَجَلْ مُعَاذِ إِذْ أَمَرَ * بِأَنْ يُجَهَّزَ مَقْرٌ
 يَكُونُ لِلنَّبِيِّ * كَمَجْلِسِ مَحْمِيٍّ
 وَعِنْدَهُ الرَّكَائِبُ * مَعْدَةٌ نَجَائِبُ
 وَقَالَ إِنْ كَانَ الظُّفْرُ * لَنَا فَحُبًّا أَوْ ظَهْرُ
 عَدُونَا عَلَى النَّجَا * ثَبَّ نَبِينَا نَجَا
 فَخَلَفْنَا قَوْمَهُمْ * لَوْ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ * وَعِزَّةَ الْإِلَهِ
 يُقَابِلُ الْعَدَا بَدَا * مِنْ فَعْلِهِمْ مَا حُمِدَا
 وَالْعَدْلُ كُلُّهُ ظَهَرَ * فِي فَعْلِ سَيِّدِ الْبَشَرِ
 فَبَيْنَمَا يُعَدُّ * صُفُوفَهُ وَيَعْدِلُ
 بَيْنَهُمْ إِذْ غَمَزَا * بَطْنَ الَّذِي قَدْ بَرَزَا
 عَنِ الصُّفُوفِ فَطَلَبَ * سَوَادٌ مِنْ خَيْرِ الْعَرَبِ
 مَا قَدْ رَأَاهُ حَقًّا * لَهُ وَمَسْتَحَقًّا
 إِذْ قَالَ قَدْ أَوْجَعْتَنِي * بِمَا بِهِ أَصَبْتَنِي
 لَذَا أَقْدَنِي قَالَ يُسْ * تَقَادُ لِلْعَدْلِ أُسْ
 أَهْمُهَا أَنْ يَسْتَوِيَ * فِيهِ الضَّعِيفُ وَالْقَوِيُّ
 فَكَشَفَ الرَّسُولُ * عَنِ بَطْنِهِ يَقُولُ
 دُونَكَ خُذْ حَقَّكَ فَا * تَمَى عَلَيْهِ فِي الْأَثْرِ
 يَلْتَمُهُ فَاسْتَعْلَمَهُ * لَمْ فَعَلْتَ ذَا لِمَهُ

قَالَ حَضَرْنَا مَا تَرَى * وَأَنْتَ سَيِّدُ الْوَرَى
فَأَنْ يَمَسَّ جِلْدِي * جِلْدَكَ ذَيْلَ عَهْدِي
حَيًّا فَذَلِكَ مَطْلَبِي * فَقَالَ خَيْرًا النَّبِي
فِيهِ فَنَالَ مَا سَعَى * إِلَيْهِ إِذْ لَهُ دَعَا

قضى جيش مكة ليلة ما قبل المعركة في معسكره بالعدوة القصوى
وفي الصباح أقبل إلى وادي بدر فنزل فيه ، وأقبل نفر منهم إلى حوض
رسول الله ﷺ فقال دعوهم ، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل سوى
حكيم بن خزام فإنه لم يقتل وأسلم بعد هذا وحسن إسلامه ، وكان إذا
اجتهد في الدعاء قال : لا ، والذي نجاني من يوم بدر ، فلما اطمأنت
قريش بعثت عمير بن وهب الجمحي للتعرف على مدى قوة جيش
رسول الله ﷺ ، فدار عمير بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال :
ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر هل
للقوم كمين أو مدد فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا فرجع
إليهم فقال : ما وجدت شيئا ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلى
تحمّل المنايا . نواضح يثرب تحمّل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا
ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا
منكم فإن يقتلوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ، فروا رأيكم . ثم

قامت معارضة أخرى ضد أبي جهل تدعو إلى العودة بالجيش إلى مكة
دونما قتال فقد مشى حكيم بن حزام في الناس وأتى عتبة بن ربيعة
فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش ، وسيدها والمطاع فيها فهل لك
إلى خير تذكر به إلى آخر الدهر؟ قال : وما ذاك يا حكيم؟ قال : ترجع
بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي . فقال عتبة : قد فعلت
أنت ضامن علي بذلك ، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله .
ثم قال عتبة لحكيم بن حزام فإني لا أظنك ، يعني أبا جهل فإني لا
أخشى أن يشجُر أمر الناس غيره .

ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما
تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال
الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله
أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن
أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تنالوا منه ما
تريدون . وانطلق حكيم بن حزام إلى أبي جهل وهو يهيبُ درعا له
فقال : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، فقال أبو جهل :
انتفخ سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى
يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى أن محمداً
وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه أبو حذيفة ابن عتبة فتخوفكم عليه .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سحره ، قال عتبة : سيعلم من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ وتعجل أبو جهل مخافة أن تقوى هذه المعارضة فبعث على إثر هذه المخاورة إلى عامر بن الحضرمي أخي عمرو ابن الحضرمي المقتول في نخلة قتلته سرية عبدالله بن جحش ، فقال : هذا حليفك يعني عتبة يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت تأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك . فقام عامر فكشف عن استه وصرخ : واعمره ، واعمره . فحمي القوم واستوثقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة ، وهكذا تغلب الطيش على الحكمة ، وذهبت هذه المعارضة دون جدوى ليقضي الله أمرا كان مفعولا . وهنا طلع المشركون وتراءى الجمعان ، وعند ذلك قال رسول الله ﷺ : «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنيهم الساعة» وقد قال رسول الله ﷺ حين رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا» .

وقد حدث في هذه الساعة حدث لم تعرف البشرية ولن تعرف له نظيرا ، فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف المسلمين ، وكان وهو يعدلها ، في يده قرح يعدل به الصفوف ، وكان سواد بن غزية بارزا أمام

الصف ، فطعنه رسول الله ﷺ في بطنه بالقدح وقال : «استويا سواد» فقال سواد : يا رسول الله ، أوجعتني فأقطني فكشف له عن بطنه وقال : «استقد» فاعتنقه سواد وقبل بطنه . فقال رسول الله ﷺ : «ما حملك على هذا يا سواد؟» فقال : يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخير .

وَأَصْطَفَتِ الصُّفُوفُ * وَلَيْسَ تَمَّ خَوْفُ
فِي قَلْبٍ مَنْ قَدْ بُشِّرَا * بِالنَّصْرِ تَمَّ انْتِصَارَا
وَمَعَ ذَاكَ أَخَذَ الْ * حَيْطَةَ لِلْأَمْرِ الْجَلَلُ
خَطَّطَ عَبَّأَ الْجُنُودِ * دَ طَالِبًا أَنْ يَرْكُنُوا
لِعَوْنِ رَبِّهِمْ وَلَا * يُبَادِرُوهُمْ أَوْلَا
إِنْ كَاثَرُوهُمْ نَضَحُوا * بِالنَّبْلِ ذَاكَ أَصْلَحُ
وَإِنْ غَشَوْهُمْ سَأَلُوا * سَيُوفَهُمْ لَا قَبْلُ
وَعَادَ لِلْعَرِيشِ * مُرَاقِبًا لِلْجَيْشِ
يَدْعُو وَيَسْتَعِيثُ * وَرَبَّهُ الْمَغِيثُ
يَقُولُ فِيمَا قَدْ ثَبَتَ * إِلَيْنَا مَتَى انْتَهَتْ
هَذِي فَمَنْ سَيَعْبُدُ * فِي الْأَرْضِ أَنْتَ الْأَحَدُ
وَبَيْنَمَا الْأَمْرُ عَلَى * ذَلِكَ إِذْ تَرَجَّجَا
أَسْوَأُ جَيْشِ الْمُشْرِكِي * نَ خُلُقًا وَقَدْ حُكِي

بِأَنَّهُ أَقْسَمَ أَنْ * يَشْرَبَ أَوْ لِيَهْدَمَنَّ
حَوْضَهُمْ وَقَدْ قُتِلَ * مِنْ دُونِهِ فِيمَا نُقِلَ
قَتْلَهُ الْغَضَنْفَرُ * حَمْزَةٌ فِيمَا يُؤْتَرُ
وَكَانَ ذَا أَوَّلَ قِتِّ * لِثُمَّ بَعْدَ بَرَزَتْ
كَوْكَبَةٌ مِنْ أَشْرَفِ * فُرْسَانَ ذَاكَ الْمَوْقِفِ
مِنْ جَانِبِ الْكُفَّارِ * وَجَانِبِ الْأَبْرَارِ
فَمَنْ هُنَاكَ عُتْبَةٌ * وَنَجْلُهُ وَشَيْبَةٌ
وَمَنْ هُنَا عَلِيٌّ * وَحَمْزَةُ الْأَبِيِّ
عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ * مِنْ رَهْطِ خَيْرِ وَارِثِ
لِلرُّسُلِ الْكِرَامِ * نَبِيِّنَا الْإِمَامِ
فَقَتَلَ الْكُفَّارَ * وَسَلَّمَ الْأَبْرَارَ
غَيْرَ عُبَيْدَةَ فَقَدْ * أُصِيبَ ثُمَّ قَدْ رَقَدَ
وَبَعْدَ أَيَّامٍ غَدَا * يُعَدُّ بَيْنَ الشُّهَدَا
وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ * فَالْتَحَمَ الْأَبْطَالُ
وَالْتَجَأَ النَّبِيُّ * لِلَّهِ وَالْعَلِيِّ
حَاشَاهُ لَيْسَ يَخْذُلُ * قَاصِدُهُ الْمُتَّكِلُ
عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِ الْجَلَلِ * سُبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ * إِنَّ تَهْلِكَنَّ إِلَهِي
ذَا الْجَمْعَ لَنْ تُعْبَدَ قَطُّ * فِي الْأَرْضِ بَعْدَ وَنَشَطُ

يَدْعُو إِلَى أَنْ سَقَطَا * رِدَاؤُهُ فَهَبَطَا
جَبْرِيلُ بِالْبَشَائِرِ * مِنَ الْإِلَهِ الْقَادِرِ
تَحْوِطُهُ الْمَلَائِكُ * هُمْ جُنْدُهُ الْمُبَارِكُ
وَأَنْهَزَمَ الشَّرْكَ وَفَرَّ * إِبْلِيسُ شَيْخُهُمْ أَقْرَ
بِأَنَّهُ غَدَا يَرَى * مَا لَا يَرُونَ وَأَنْبَرَى
طَاغِيَةَ الْقَوْمِ أَبُو * جَهْلٍ وَحِينَ هَرَبُوا
عَنْهُ عَالَهُ حَدَثَا * الْإِنْصَارَ ذَاكَ حَدَثَا
بِهِ ابْنُ عَوْفٍ وَقُتِلَ * سَبْعُونَ مُشْرِكًا كَمَلُ
وَمَثَلُهُمْ أُسَارَى * قَدْ وَقَعُوا حِيَارَى
وَفَازَ بِالشَّهَادَةِ * مِنْ مَعْشَرِ السَّعَادَةِ
عُشْرُ مَنْ قَدْ أُسِرَا * وَمَاتَ مِمَّنْ كَفَرَا

أتم رسول الله ﷺ تعديل الصفوف ، ثم أصدر أوامره إلى جيشه بعدم
البدء بالقتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة ، ثم بدأ يوجههم توجيهها
خاصا في الحرب فعل القائد المحنك الذي مارس الحرب زمنا طويلا ، مع
أن هذه أول حرب يخوضها ﷺ ، فقال مخاطبا جنده كما في البخاري :
« إذا أكتبوكم : أي كاثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم . زاد أبو داود :
ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » . ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر
الصديق ، وقام سعد بن معاذ في كتيبة الحراسة على باب العريش .

أما المشركون فقد استفتح أسوأهم أبوجهل قائلاً: اللهم أقطعنا
للرحم وآتانا بما لا نعرفه فأحنه الساعة، اللهم أينما كان أحب إليك
وأرضى عندك فانصره اليوم فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ
جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ
عَنْكُمْ فِتْنَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد الخزومي، وقد كان
رجلاً شرساً سيئ الخلق، فخرج من بين صفوف المشركين قائلاً: أعاهد
الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه. فخرج إليه
حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه فضربه ضربة قطعت رجله فحبا
نحو الحوض يريد أن يبر يمينه فلحقه حمزة بضربة أخرى أنهت حياته.
وكان هذا أول إيذان ببدء المعركة، إذ خرج بعد هذا الشقي ثلاثة من
خيرة فرسان المشركين من أسرة واحدة، هم: عتبة ابن ربيعة وأخوه
شيبة، والوليد بن عتبة، فطلبوا المبارزة فخرج إليهم ثلاثة من شباب
الأنصار، هم: عوف بن الحارث وأخوه معوذ وعبدالله بن رواحة
فسألهم المكيون من أنتم؟ فقالوا رهط من الأنصار. فقالوا لهم: أكفاء
كرام، ولكن لا حاجة لنا بكم، إنما نريد بني عمنا، ثم نادوا: يا
محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا
عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي فلما دنوا منهم قالوا: من

أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: أنتم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه وبارز علي الوليد، فأما عبيدة فاختلف بينه وبين خصمه بضربتين أثخن كل واحد منهما خصمه وقتل حمزة وعلي خصميهما، ثم كرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات شهيدا بعد أيام أربعة أو خمسة من يوم بدر في الطريق إلى المدينة. وكان علي رضي الله عنه يقسم أن قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم...﴾ الآية نزلت فيهم. ثم بدأت المعركة بمجرد انتهاء المباراة، حيث كر المشركون على المسلمين كرة رجل واحد فثبت المسلمون في مكانهم تنفيذًا لخطة رسول الله ﷺ فتلقوا هجمات المشركين المتوالية، وهم مرابطون لا يتزحزون يوحدون الله: أحد أحد، وقد ألحقوا بالمشركين خسائر كبيرة خلال تلك الهجمات. وأما رسول الله ﷺ فقد انشغل بمناجاة ربه يناشده ما وعده من النصر يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا، وبالغ في الدعاء حتى سقط رداؤه عن منكبيه» فقال له الصديق: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك. فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ وأوحى إلى نبيه: ﴿أني ممدكم بألف من

الملائكة مردفين ﴿٣٣٩﴾ . فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة خفيفة ، ثم رفع رأسه فقال : «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع» ثم خرج ﷺ من العريش وهو يثب في الدرع ويقول : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ثم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا وقال : «شاهت الوجوه» ورمى بها في وجوههم ، فما من أحد منهم إلا أصاب ذلك الحصى عينيه ومنخرية ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ . وفي هذه اللحظة أصدر رسول الله ﷺ الأوامر بالهجوم المضاد ، وهو يحرض المسلمين على القتال قائلا : «شدوا والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» . فقال عمير بن الحمام : بخ بخ . فقال رسول الله ﷺ «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال : لا يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : «فإنك من أهلها» . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لعن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل . وكان إبليس اللعين قد أتى المشركين في صورة سراقه بن مالك ، كما تقدم ، ولم يكن فارقهم منذ ذلك الوقت حتى إذا رأى ما يفعله الملائكة بجنده من المشركين نكص على عقبيه فتشبت به المشركون وهم يظنونهم سراقه ، وقالوا له :

إلى أين يا سراقه؟ ألم تقل إنك جار لنا لا تفارقنا؟ فقال كما ذكر القرآن: ﴿إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ ثم ولى مدبرا حتى ألقى بنفسه في البحر. أما طاغية المشركين أبو جهل فقد صمد كثيرا وهو يحرض جنده ويتوعد المسلمين، ثم ما لبث إلا قليلا حتى بدأت الصفوف تتصدع من حوله أمام هجمات أبطال الإسلام، وكان قد صمدت حوله عصابة من أعوانه ضربت حوله سياجا من السيوف والرماح لحمايته إلا أن قوة هجوم المسلمين بددت ذلك السياج مما مكن فتيان حدثان من الأنصار من رقبته. قال عبدالرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه. قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ

إلى السيفين فقال : كلا كما قتله ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والفتيان هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء . انتهت المعركة بهزيمة المشركين شر هزيمة ، وانتصار المسلمين بقدرة الله ذلك الانتصار الذي لم تعرف الدنيا له نظيرا ، فقام المسلمون بإحصاء خسائر الفريقين ، فإذا بالشهداء من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة منهم من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار . أما خسائر المشركين فقد بلغت سبعين قتيلًا وسبعين أسيرا وعامتهم من القادة والأشراف والزعماء .

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ على قتلى المشركين وقد أمر بهم ليقذفوا في قليب خبيث ، ثم خاطبهم قائلا : « بئس العشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس وأخرجتموني وآواني الناس ، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر » .

غزوة بني سليم

وَبَعْدَ بَدْرٍ اِنْشَغَلَ * كُلُّ فَرِيقٍ بِالْعَمَلِ
فَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ * دُ وَالْمُنَافِقُ لُهُوا
بِمَا عَلَيْهِ جُبُلُوا * مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُعْمَلُ

أَمَّا الْهُدَاةُ الْمُهْتَدُونَ * نَ الرَّكَعُونَ السُّجَّدُ
فَاشْتَغَلُوا بِنَشْرِ * دِينِ الْهُدَى وَالْبِرِّ
وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى * ذَاكَ إِلَيْهِمْ نُقْلًا
أَنَّ سُلَيْمًا تَحْتَشَدُ * لِلْأَعْتَدَا عَلَى الْبَلَدِ
بَاغْتَهَا النَّبِيُّ * وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
فِي مَائَتِي مَغْوَارٍ * مِنْ خَيْرَةِ الْأَبْرَارِ
فَانْهَزَمَ الْأَعَادِي * وَتَرَكَوْا بِالْوَادِي
إِبْلَهُمْ فَأَصْبَحَتْ * غَنِيمَةً وَقَسَّمَتْ
فَوْرًا لَجُنْدِ اللَّهِ * ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ
عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ * بَعْدَ مَقَامِ مُدَّةٍ
يَوْمَيْنِ فِي دَارِ الْعَدَا * لِيَرْهَبُوهُ أَبَدًا

عاد رسول الله ﷺ وجيشه الظافر من بدر، بعد النصر المبين في أول لقاء مسلح بينه ﷺ وبين الكفر متمثلا في مشركي مكة عاد ﷺ وقد اكتسح الغيظ والكيد كل أرجاء الجزيرة وتنوع الأعداء، وكان أظهرهم عداوة المشركون واليهود: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ وليست العداوة للمسلمين محصورة في هذين الفريقين، فهناك المنافقون الذين أرغمتهم خسارة موقعهم إلى

الدخول ظاهرا في الإسلام مع الكيد له في الباطن، إلى جانب البدو الذين لا يعنيههم إسلام ولا شرك بقدر ما يهتمون بالسلب والنهب وهم قبائل كثيرة ضاربةً مضاربها حول المدينة. وهكذا كانت الأخطار تحيط بالمسلمين من جميع الجهات، فكان كل فريق من هؤلاء الأعداء يعمل على شاكلته للوقعة بالمسلمين، فبينما كان مشركو مكة يهددون ويتوعدون ويُعدون للعدو للانتقام، كان المنافقون واليهود يحيكون المؤامرات ويدسون الدسائس في داخل المدينة، وكانت القبائل البدوية تتحفز للإغارة طلبا لشيء تنهبه كعادتها، وفي هذا الخضم، نقلت استخبارات المدينة إلى النبي ﷺ أن قبيلة بني سليم من قبائل غطفان تحشد قواتها للإغارة على المدينة، فقام النبي ﷺ بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام، وبعد أن استخلف على المدينة سبيع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم، قام في مائتي راكب بمباغته سليم في عقر دارها، حيث بلغ منازل القبيلة المذكورة عند ماء لها يدعى الكُدر ففرت بنو سليم تاركة بالوادي خمسمائة بعير استولى عليها الجيش وقسمها رسول الله ﷺ بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين وأصاب رسول الله ﷺ غلاما يقال له يسار فأعتقه. وأقام النبي ﷺ في ديار بني سليم ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة ظافرا مظفرا شاكرا ربه على ما أولاه من نعمه.

المشركون يتآمرون لقتله ﷺ

لَمْ تَنْسَ مَكَّةَ أَثَرَ * وَقَعَةَ بَدْرٍ فَأَتَمَرَ
عُمَيْرٌ فِي الْحَجْرِ مَعَا * صَفْوَانَ حَيْثُ أَجْمَعَا
أَنَّ عُمَيْرًا يَقْتُلُ * نَبِيَّنَا فَيَحْمِلُ
صَفْوَانَ دِينَهُ كَذَا * عِيَالَهُ إِنْ نَفَّذَا
عُمَيْرُ ذَاكَ فَعَمَدُ * يَشْحَدُ سَيْفُهُ وَجَدُ
سَيْرًا إِلَى الْمَدِينَةِ * لِهَذِهِ الرِّذِيلَةِ
وَبَيْنَمَا يُنِيخُ * بِالْبَابِ لَا يُصِيخُ
عُمَيْرٌ إِذْ رَأَى عُمَرَ * ذَاكَ الْعَدُوَّ فَابْتَدَرَ
يَجْرُهُ إِلَى النَّبِيِّ * يَقُولُ جَاءَ بِأَبِي
أَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ * وَإِنِّي وَاللَّهِ
أَخْشَاهُ قَالَ أَحْمَدُ * أَرْسَلَهُ لِي وَالْأَحَدُ
يَعْصِمُ خَيْرَ النَّاسِ * مِنْ بَطْشِ كُلِّ قَاسٍ
فَقَالَ مَا جَاءَ بَكَ * قَالَ بُنِيٌّ ذَلِكَ
أَسْرَتُمُوهُ قَالَ مَا * بَالُ السَّلَاحِ قَالَ مَا
أَغْنَى بَدْرٍ قُبْحًا * قَالَ النَّبِيُّ بَلْ ضُحِيَّ
كُنْتَ وَصَفْوَانَ تَرَى * وَحَدَّكُمَا حَيْثُ جَرَى
بَيْنَكُمَا فِي الْحَجْرِ * مَا قُلْتُمَا عَنْ بَدْرٍ
ثُمَّ اتَّفَقْتُمَا عَلَيَّ * قَتَلِكَ لِي فَقَالَ لَا

أُنْكُرُ ذَا بَلٍ أَشْهَدُ * أَنْكَ يَا مُحَمَّدُ
خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ * أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ
فَلَمْ يَكُنْ تَمَّ أَحَدٌ * يَسْمَعُنَا عَدَا الصَّمَدِ
فَهُوَ الَّذِي نَبَأَكَ * بِمَا جَرَى هُنَالِكَ

كان من شأن المشركين في مكة بعد ما جرى لهم من الهزيمة يوم بدر ما جرى، أنهم استشاطوا غيظا وبينما هم كذلك تولى اثنان من رجالات مكة محاولة للتخلص من رسول الله ﷺ، كما زعموا. فقد جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد الهزيمة بيسير، وكان عمير، قبل أن يسلم، من الشياطين من قريش الذين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه وهم بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسرى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير. قال عمير: صدقت والله والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي قبلهم علة، ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم. فقال عمير: فاكتم عني شأني وشأنك. قال: أفعل.

ثم شحذ عمير سيفه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما هو على باب المسجد ينيخ راحلته رآه عمر بن الخطاب وهو في نفر من المسلمين يتحدثون فيما أكرمهم الله به يوم بدر ، إذ رآه عمر فقال : هذا الكلب عدو الله عمير ، ما جاء إلا لشر ، ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحا سيفه . قال : « فأدخله علي » فأقبل عمر فلبسه بحمالة سيفه ، وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « أرسله يا عمر ادن يا عمير » فدنا فقال : أنعموا صباحا . قال النبي ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة . ثم قال : ما جاء بك يا عمير » ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك » ؟ قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك . قال رسول الله ﷺ : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمل صفوان دينك وعيالك علي أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك » . قال عمير

أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك فيما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ، ثم تشهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ : « فقهاوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره » .

وأما صفوان فكان يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل الركبان عن عمير حتى أخبره بعضهم أنه أسلم ، فحلف صفوان ألا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا . أما عمير فرجع إلى مكة يدعو إلى الإسلام ، وقد أسلم على يديه ناس كثيرون كما ذكر ابن هشام .

غزوة بني قينقاع

أَشْعَلَ نَصْرُ بَدْرٍ * حَقْدَ طُغَاةِ الْكُفْرِ
فَلَمْ تَزَلْ يَهُودُ * تَكِيدُ مَا تَكِيدُ
لِلدِّينِ رَغْمَ الْعَهْدِ * مَعَ نَبِيِّ الرَّشْدِ
وَكَانَ فِيهِمْ أَسْوَأُ * مِنْ غَيْرِهِ وَالسَّيِّئِ
وَقَيْنِقَاعُ أُرْذَلُ * مِنْ غَيْرِهَا وَأَنْكَلُ
وَحِينَ بَانَ الْغَدْرُ * مِنْهَا وَفَاحَ الْكُفْرُ

غَزَاهُمْ النَّبِيُّ * وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
فَغَلَّقُوا الْأَبْوَابَ * وَأَدْبَرُوا هُرَابًا
فَأَحْكَمَ الْحَصَارَ * عَلَيْهِمْ جَهَارًا
مُدَّةَ نِصْفِ شَهْرٍ * فَأَذْعَنُوا لِلْأَمْرِ
فَكُتِبَ الْجَلَاءُ * عَلَيْهِمْ وَبَاءُوا
بِغَضَبِ الرَّحْمَنِ * وَالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

قال ابن إسحاق : مر شناس بن قيس وكان شيخا يهوديا قد عسا [أي
كبر] عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، مر
على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس لهم
قد جمعهم ، يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم وصلاح
ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية .
فقال : قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا
اجتمع ملاًهم بها من قرار ، فأمر شابا من شباب يهود قائلا : اعمد
إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعثت وما كان من قبله ، وأنشدهم
بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار ففعل ، فتكلم القوم عن ذلك
وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواتب رجالان من الحيين فتقاولا ، ثم قال
أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، وغضب الفريقان

جميعا وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة، السلاح السلاح، فخرجوا إليها وكادت تنشب الحرب، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم»؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الحيين بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

هذه عينة مما كان اليهود يحكيونه من المؤامرات مع أنهم أعطوا رسول الله ﷺ عهودهم وموائيقهم، ورغم التزام المسلمين الكامل بالوفاء لهم بما عاهدوهم عليه، ولكنهم لما رأوا أن كلمة الأوس والخزرج قد اجتمعت على رسول الله ﷺ، وأن الله قد نصر نبيه ذلك النصر العظيم يوم بدر، وأن المسلمين أصبحت لهم عزة وشوكة وهيبة في شتى الأصقاع، ظهر غيظهم، وجاهروا المسلمين بالبغي والأذى. وفي هذا الصدد ما رواه ابن هشام عن أبي عون: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته في سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ، فجعلوا

يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد واحد منهم إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها في غفلة منها ، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع . وحنئذ عيل صبر رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب وسار بجند الله إلى بني قينقاع ، ولما رأوه تحصنوا في حصونهم فحاصرهم أشد الحصار ، ودام الحصار خمس عشرة ليلة . فقذف الله الرعب في قلوبهم ، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم ، فأمر بهم ﷺ فكتفوا ، فقام عبدالله ابن أبي بن سلول بدوره النفاقي ، فألح على رسول الله ﷺ أن يعفو عنهم قائلا : يا محمد ، أحسن في موالي ؛ لأن بني قينقاع كانوا حلفاء للخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فكرر ابن أبي مقالته فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درعه ، فقال له رسول الله ﷺ : «أرسلني» وغضب حتى رأوا لوجهه ظلا ، ثم قال : «ويحك أرسلني» ولكن المنافق مضى على إصراره ، وقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي : أربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع قد منعوني من

الأحمر والأسود وتحصدهم أنت في ساعة واحدة؟ إني والله امرؤ
أخشى الدوائر. فعامل رسول الله ﷺ هذا المنافق الذي أعلن إسلاما
كاذبا قريبا، عامله بالمراعاة، فوهبهم له وأمرهم أن يخرجوا من
المدينة، ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، فقل أن لبثوا
فيها حتى هلك أكثرهم. وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم وخمسها
حيث صارت غنائم للمسلمين.

غزوة السويق

أَغَارَ جَيْشُ الشُّرْكَ * وَالْأَفْتَرَا وَالْإِفْكَ
مَعَ أَبِي سُفْيَانَ * يَعِدُهُ بُهْتَانَا
بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ * وَالْفَوْزِ بِالثَّمِينِ
لَكِنَّهُ قَدْ جَبْنَا * حِينَ أَتَى فَظَعْنَا
بَعْدَ اغْتِيَالِ اثْنَيْنِ * وَحَرَقَ حَائِطَيْنِ
فَبَلَغَ الْهَادِي الْخَبْرَ * فَجَمَعَ الْجُنْدَ وَكَرَّ
عَلَى الْعَدَا لَكِنَّمَا * جَمَعَهُمْ قَدْ هُزِمَا
وَقَدْ رَمَوْا زَادًا يَعْدُ * غَنِيمَةً وَهُوَ عَدَدُ
مِنَ السَّوِيقِ اشْتَهَرَا * سُمَّا لَهَا بَيْنَ الْوَرَى

بينما كان صفوان بن أمية واليهود والمنافقون يقومون بآمراتهم
وعملياتهم، كان أبو سفيان بن حرب يفكر في عمل قليل المغارم ظاهر

الأثر ، ليحفظ مكانة قومه ويبرز ما لديهم من قوة ، وكان قد نذر ألا
يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا ، فخرج في مائتي راكب
ليبر يمينه حتى نزل بجانب جبل قريب من المينة يقال له (نيب) ولم
يجرؤ على مهاجمة المدينة جهارا ، فقام بعمل شبيه بالقرصنة حيث
دخل في ضواحي المدينة في جنح الظلام فأتى حبي بن أخطب من
زعماء اليهود ، فاستفتح عليه الباب فأبى أن يفتح له خوفا من العيون
فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم زعيم بني النضير من اليهود
وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه الخمر ، وأسر له
ما سأل عنه من خبر الناس ، ثم خرج أبو سفيان إلى أصحابه فبعث
مفرزة منهم فأغارت على ناحية من المدينة ، فقطعوا وأحرقوا بعض
النخل ، ووجدوا رجلا من الأنصار ومعه حليف له فقتلوهما وفروا
راجعين إلى مكة . فلما بلغ رسول الله الخبر سارع لمطاردة أبي سفيان
وأصحابه ولكنهم فروا بسرعة بالغة ، ولكي يتخفوا في سيرهم فقد
طرحوا أزوادهم ، وكان ما طرحوه سويقا كثيرا غنمه المسلمون وسموا
هذه المطاردة بغزوة السويق ، وقد وقعت في ذي الحجة من السنة الثانية
للهجرة بعد بدر بشهرين ، وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في
هذه الغزوة أبا لبابة بن عبد المنذر .

غزوة ذي أمر

أَتَى لِأَحْمَدَ الْخَبَرَ * مِنْ قَادِمٍ مِنْ ذِي أَمْرٍ
بِأَنَّ ثَمَّ جَلَبَهُ * مُحَارِبٌ وَثَعْلَبَهُ
تَجَمَّعُوا الْحَرْبَ * مُحَمَّدٌ وَالصَّحْبُ
فَجَهَّزَ الرَّسُولُ * جَيْشًا بِهِ يَصُولُ
عَلَيْهِمْ فَعَلِمُوا * بِأَمْرِهِ فَانْهَزُمُوا
وَصَعَدُوا أَعْلَى الْجَبَلِ * صُعُودَ ذُلٍّ وَخَبَلٍ
فَحَلَّ مَاءَ ذِي أَمْرٍ * نَبِيَّنَا وَثَمَّ قَرٍ
شَهْرًا لِيَدْخُلَ الرَّهْبُ * مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ الْعَرَبِ

في المحرم من السنة الثالثة للهجرة قاد رسول الله ﷺ أضخم حملة عسكرية قادها قبل غزوة أحد؛ فقد نقلت الأخبار إليه ﷺ أن جمعا كبيرا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فدعى رسول الله ﷺ المسلمين وخرج بهم في أربعمائة وخمسين مقاتلا ما بين راكب وراجل، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان. وفي أثناء الطريق وجد الجند رجلا من بني ثعلبة فقبضوا عليه ثم أدخلوه على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال وصار دليلا للجيش إلى أرض العدو. فعلمت القبيلتان بمقدم جيش المسلمين فتفرقا في الجبال. أما النبي ﷺ فقد واصل المسير

بجيشه حتى وصل إلى مكان تجمع العدو عند الماء المسمى «بذي أمر» فأقام هناك شهرا كاملا. واستغرقت إقامته في ديار القوم شهر صفر بتمامه أو كاد؛ ليشعر الأعراب بقوة المسلمين، ويرعبهم ويهربهم حتى لا يفكروا في الإغارة على المسلمين في دارهم، ثم قفل راجعا بالجيش إلى المدينة.

قتل كعب بن الأشرف

مِنْ أَشْهَرِ الْمَوْجُودِ * مِنْ حَنْقِ الْيَهُودِ
مَا أَظْهَرَ ابْنَ الْأَشْرَفِ * لَدَيْنَا الْمَشْرَفِ
مَنْ بَعْدَ بَدْرِ إِذْ ذَهَبَ * لِلْمُشْرِكِينَ فَنَدَبَ
قَتَلَاهُمْ ثُمَّ هَجَا * خَيْرَ الْوَرَى مُبْتَهَجَا
وَأَلَّبَ الْأَعْدَاءَ * وَأَكْثَرَ الْهَجَاءِ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ * مَنْ لَعَدُوَّ اللَّهِ
فَقَامَ نَجْلُ مَسْلَمَةٍ * فِي فِئَةٍ مُسْتَسْلَمَةٍ
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ * بِالْأَمْرِ، فِي الْمَنْقُولِ
أَنَّهُمْ تَقَوْلُوا * عَلَى النَّبِيِّ نَزَلُوا
بِحَصْنِ كَعْبٍ أَظْهَرُوا * تَوَدُّدًا وَجَهْرًا
بِحُبِّهِ لِيَطْمَئِنَّ * لَهُمْ وَعِنْدَمَا أَمِنَ
فَأَمُوا بِشِدِّ شَعْرِهِ * وَطَعْنِهِ فِي نَحْرِهِ

ثُمَّ بِرَأْسِهِ إِلَى * خَيْرِ الْأَنَامِ أَقْبَلَا
فَرِيقُ نَجَلٍ مَسَلَمَهُ * قَائِدِ تَلِكِ الْمَلْحَمَةِ

كعب بن الأشرف رجل أبوه من بني نبهان من قبيلة طيء، وأمه يهودية من بني النضير، وقد كان لهذا الهجين حصن منيع في ضواحي المدينة بجوار ديار بني النضير، وكان من مكانه ذلك يعلن أشد العداوة لله ولرسوله ولعامة المسلمين، وكان من أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ.

كان هذا العدو، الذي يعد من أجمل رجال العرب، غنيا مترفا وكان شاعرا، فلما بلغه الخبر بانتصار المسلمين ببدر، وقتل من قتل من سادات قريش قال: والله إن كان هذا الأمر حقا لبطن الأرض خير من ظهرها، ثم انبعث يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين ويمدح أعداءهم ويحرضهم عليهم، ثم ركب إلى قريش في مكة وجعل ينشد الأشعار يبكي على أصحاب القليب، ويذكي الحقد بذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه، ويدعو المشركين إلى الجدل في حرب رسول الله ﷺ. وفي أثناء وجوده بمكة سأله المشركون: أي الفريقين أهدى سبيلا، وأي الدينين أفضل؟ دين الإسلام أم دين قريش؟ فقال بدون تردد: أنتم أهدى منهم سبيلا وأفضل ديننا. وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ألم تر

إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴿٣٥٦﴾ . ثم رجع إلى
المدينة وأخذ يشبب بنساء الصحابة ويؤذيهم بلسانه السلط أشد
الإيذاء، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « من لكعب ابن الأشرف؟ فإنه آذى
الله ورسوله ». فانتدب له محمد بن مسلمة فقال : أنا يا رسول الله
أتحب أن أقتله؟ قال : نعم، فضم إليه رجالا وأمره عليهم في هذه
المهمة، ويروى أن محمد بن مسلمة لما أمره رسول الله ﷺ بقتل هذا
العدو قال لرسول الله ﷺ : فائذن لي أن أقول شيئا. قال : قل . فلما
أتوه قال محمد بن مسلمة لعدو الله : إن هذا الرجل، يعني رسول
الله ﷺ قد سألنا صدقة، وإنه قد أعاننا : أي أتعبنا. قال كعب : والله
لتملئنه . فقال ابن مسلمة : فإننا قد أتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى
ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين .
قال كعب : نعم أرهنوني . قال ابن مسلمة : أي شيئا تريد؟ قال :
أرهنوني نساءكم . قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟
قال : فترهنوني أبناءكم . قال : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم
فيقال : رهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة
يعني السلاح، فواعده أن يأتيه . ثم تقدم إليه أبو نائلة وكان أخا له من

الرضاعة، وهو من أصحاب ابن مسلمة، فصنع مثل ما صنع محمد بن مسلمة، فقد جاء إلى كعب وتناشد معه الأشعار بعض الوقت، ثم قال له: ويحك يا ابن الأشرف، إني قد جئت لحاجة أريد ذكرها لك فاكنم عني. قال كعب: أفعل. قال أبو نائلة: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، ودار الحوار بينهما على نحو ما دار مع ابن مسلمة، ثم قال أبو نائلة: إن معي أصحابا لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك.

وفي ليلة مقمرة، وهي ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة اجتمعت تلك المفرزة إلى رسول الله ﷺ فشيعهم إلى بقيع الغرقد، وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم. وانتهت المجموعة إلى حصن كعب بن الأشرف فهتف به أبو نائلة فقام لينزل إليهم، فقالت له امرأته، وكان حديث عهد بها: أين تخرج هذه الساعة؟ أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم. فقال كعب: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة لأجاب، ثم خرج إليهم تفوح من رأسه رائحة الطيب. وقد كان أبو نائلة قال لأصحابه: إذا جاءنا فإني آخذ بشعره فأشمه

فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فلما نزل كعب إليهم تحدث معهم ساعة، ثم قال أبو نائلة: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنحدث بقية ليلتنا؟ قال: إن شئتم فخرجوا يتماشون، فقال أبو نائلة وهو في الطريق: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، وزها كعب بما سمع فقال: عندي أعطر نساء العرب. قال أبو نائلة: أتأذن أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فأدخل يده في رأسه فشمه وأشم أصحابه، ثم مشى ساعة ثم قال: أعود؟ قال كعب: نعم. فأدخل يده في رأسه فلما استمكن منه قال: دونكم عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم، لكنها لم تغن شيئاً ثم شق ابن مسلمة بطنه حتى بلغ عانته فخر قتيلاً، وكان قد صاح صيحة مفزعة أيقظت كل الحصون حولهم فأوقدوا النيران يستبينون الأمر.

رجع القوم برأس عدو الله، وقد جرح أحدهم هو الحارث بن أوس حيث أصابه ذباب سيف بعضهم فاحتملوه حتى إذا بلغوا بقيع الغرقد كبروا فسمع رسول الله ﷺ تكبيرهم فعرف أنهم قد قتلوه فكبر فلما انتهوا إليه قال: «أفلحت الوجوه» قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأس الطاغية بين يديه، فحمد الله على قتله ثم تفل على جرح الحارث فبرأ بفضل الله.

ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف دب الرعب في قلوبهم فلم يحركوا ساكنا، بل لزموا الهدوء وتظاهروا بالوفاء بالعهود. وهكذا تفرغ رسول الله ﷺ - إلى حين - لمواجهة ما يتوقع من الأخطار الآتية من خارج المدينة.

غزوة بحران

وَفِي ثَلَاثِ مِائَةٍ * قَامَ شَفِيعُ الْأُمَّةِ
بِغَزْوِ بَحْرَانَ وَلَمْ * يَلْقَ عَدُوَّهُ وَتَمَّ
أَقَامَ شَهْرَيْنِ بِلَا * حَرْبٍ وَبَعْدُ قَفَلًا

في شهر ربيع الآخر قاد رسول الله ﷺ حملة فيها ثلاثمائة مقاتل يريد قريشا، كما في سيرة ابن هشام، وذكر البعض أنه كان يريد بني سليم التي علم أنها تستعد للإغارة على المدينة، فقاد رسول الله ﷺ هذه القوة إلى أرض يقال لها بحران، وهي أرض في ناحية الفرع من الحجاز بها معدن، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، من السنة الثالثة من الهجرة، ثم رجع إلى المدينة سالما غانما دون أن يلقي كيدا.

سرية زيد

مِنْ بَعْدِ بَدْرِ عِلْمًا * جَمَعَ قُرَيْشٌ أَنْمَا

رِحْلَةً صَيْفِهِمْ غَدًا * طَرِيقُهَا مُهَدَّدًا
وَدَرَبُهَا بِالسَّاحِلِ * مِنْ أخطرِ المَرَاحِلِ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ * وَجَهَّزُوا عَيْرَهُمْ
يَقُودُهَا صَفْوَانُ * وَحَمَلُهَا أَثْمَانُ
مِنْ وَرَقٍ وَمِنْ أَوَا * نَ طَيِّبَاتِ المُحْتَوَى
فَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى * طَرِيقِ نَجْدٍ فَانجَلَى
خَبْرُهُمْ لِأَفْضَلِ * مُنْبَأٍ وَمُرْسَلِ
إِذْ جَاءَهُ مُخْبِرًا * سَلِيطٌ فِيمَا أُثِرَا
فَجَهَّزَ الحَبِيبُ * وَحَبُّهُ الأَرِيبُ
زَيْدٌ مِنَ الجَيْشِ مَائِهِ * مُعْتَرِضًا تِلْكَ الفِئَةِ
فَدَاهُمُوا بِالقَرْدَةِ * صَفْوَانٌ وَالقَافِلَةِ
فَغَنِمُوهَا بَعْدَمَا * أَنْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَمَا
قَاوَمَ نَصْفَ سَاعِهِ * وَتَرَكَ البِضَاعَةَ
وَعَادَ زَيْدٌ سَالِمًا * وَيَحْمِلُ الغَنَائِمَا

من آخر وأنجح دوريات القتال كانت تلك التي قادها حب رسول الله
زيد بن حارثة في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة وذلك أن
قريشا بقيت بعد بدر يساورها القلق والاضطراب، وركبها هم آخر إذ
حل الصيف، وهو موسم الرحلة إلى الشام، فتشاوروا في أمرهم فقال

صفوان بن أمية : إن محمدا وصحبه عوروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف ن صنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل وأهل الساحل ، قد وادعهم ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا في دارنا أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء .

ودار النقاش بينهم حول هذا الموضوع ، واختاروا صفوان بن أمية قائدا لرحلة الصيف إلى الشام هذه السنة ، فقال الأسود بن عبد المطلب لصفوان : تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق وهي طريق طويلة جدا تخترق نجدا إلى الشام ، وتمر شرقي المدينة على بعد كبير منها ، وقريش تجهل هذا الطريق كل الجهل ، فأشار الأسود بن عبدالمطلب على صفوان أن يتخذ فرات بن حيان من بني بكر بن وائل دليلا له ورائدا في هذه الرحلة . فخرجت عير قريش يقودها صفوان ابن أمية سالكة الطريق الجديد ، إلا أن أخبار هذه القافلة وخطة سيرها وصلت بسرعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وذلك أن سيليط بن النعمان جلس في مجلس شراب حيث لم تحرم الخمر بعد ، وكان في المجلس نعيم بن مسعود الأشجعي ، ولم يكن دخل الإسلام بعد ، فلما أخذت الخمر من نعيم مأخذها تحدث بالتفصيل عن العير وخطة

سيرها، فأسرع سليط إلى النبي ﷺ يخبره خبر العير، فجهز رسول الله ﷺ لوقته حملة قوامها مائة راكب يقودها زيد بن حارثة، فأسرع زيد حتى دهم القافلة على حين غرة، وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له: قردة، فاستولى عليها جميعا، وفر صفوان وجميع من معه بدون مقاومة، وأسر المسلمون دليل القافلة، وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة، قدرت قيمتها بمائة ألف درهم قسمها رسول الله ﷺ بعد التخميس على أعضاء السرية، وأسلم على يدي رسول الله ﷺ دليل القافلة فرات بن حيان البكري. وكانت هذه الواقعة مأساة أخرى ونكبة شديدة أصابت قريشا بعد بدر، وزادتها هما على همها، فلم يبق بعد ذلك لها إلا طريقا من طريقين، إما أن تختار المواجهة والمهادنة، وإما أن تتشبث بطريق الغطرسية والشار فاختارت الثاني فكانت معركة أحد التي ستكون موضوعنا التالي.

غزوة أحد

لَمْ تَنْسَ مَكَّةَ مَرًّا * رَةَ الَّذِي لَهَا جَرَى
 مِنْ ذُلَّةِ بَبَدْرٍ * بِقَتْلِهَا وَالْأَسْرِ
 لَذَا أَعَدَّتْ فِي كَمَدٍ * قُرَيْشُ جَيْشًا ذَا عَدَدٍ
 وَعُدَّةٍ وَمَمَالٍ * فَهَبَ لِلْقِتَالِ

قُرَيْشٌ وَالْأَحْلَافُ * وَجَمْعُهُمْ آلَافٌ
فَبَعَثَ الْعَبَّاسُ مَنْ * أَخْبَرَ خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
بِخَبَرِ الْأَقْوَامِ * وَكَانَ ذَا إِسْلَامٍ
يَكْتُمُهُ عَنْهُمْ إِلَى * أَنْ حَانَ وَقْتُهُ انْجَلَى
وَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ * خَيْرَ الْأَنَامِ تَرَصَّدُ
عُيُونُهُ وَتَرْقُبُ * كُلَّ الْجِهَاتِ تَحْسِبُ
تَحْرُكُ الْأَشْرَارِ * عَبْدَةَ الْأَحْجَارِ
حَتَّى أَتَاهُ الْخَبْرُ * أَنَّهُمْ تَجْمَهَرُوا
بِسَبْخَةِ قُرْبِ أَحَدٍ * فَجَمَعَ الْقَوْمَ يُعَدُّ
خَطَطُهُ لِيَمْنَعُوا * بِأَسِ الْعِدَا وَيَدْفَعُوا
عَنِ الْمَدِينَةِ الْخَطْرَ * وَكَانَ رَأْيُهُ الْأَبْرَ
فَقَالَ فَلَنْبِقَ هُنَا * نَدْفَعُ عَنْ حَرَمِنَا
وَأَعْجَبَ الْمُنَافِقَا * ذَا الرَّأْيِ حَيْثُ وَأَفْقَا
عَلَيْهِ لَا إِيمَانَا * لَكِنَ لَشَيْءٍ كَانَا
يُضْمِرُهُ قَدْ افْتَضَحَ * إِذْ عَادَ عَنْهُمْ وَصَدَحَ
بِالْحَقْدِ وَالْعِدَاوَةِ * لِمَعْشَرِ الْهَدَايَةِ
أَمَّا النَّبِيُّ فَخَضَعُ * لِرَأْيِ مَنْ قَدْ امْتَنَعُ
عَنِ الْبَقَاءِ دَاخِلَا * طَيِّبَةً حَيْثُ عَادِلَا
عَنِ رَأْيِهِ تَفَادِيَا * لِلْخُلْفِ بِلِ مُوَاسِيَا

خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ * مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ
وَأَنَّهُ بِالصَّبْرِ * فَوْزُهُمُ بِالنَّصْرِ
وَحِينَ صَلَّى الْعَصْرَ * لَبَسَ - وَهُوَ أَدْرَى
دَرَعَيْنِ - أَنَّمَا الْقَدَرُ * لَيْسَ يَرُدُّهُ الْحَذَرُ
لَكِنَّمَا أَجْرَى السَّبَبُ * أَفْضَلُ مَنْ قَدْ احْتَسَبَ
فَنَدِمَ الصَّحَابُ * قَالُوا لِمَ الذَّهَابُ
وَقَدْ رَأَى خَيْرَ الْبَشَرِ * مَقَامَنَا الرَّأْيِ الْأَبْرُ
فَقَالَ قَائِلُهُمْ * يَا خَيْرَ خَلْقٍ يُعْلَمُ
فَالرَّأْيُ مِثْلَ مَا تَرَى * قَالَ وَلَكِنْ حُظْرًا
عَلَى نَبِيِّ لَبَسَا * لِأُمَّتِهِ أَنْ يَجْلِسَا
مِنْ قَبْلِ حُكْمِ الْبَارِي * فِيهِ وَفِي الْفُجَارِ
وَاسْتَعْرَضَ الْكُتَّابَا * عَصْرًا وَقَامَ ذَاهِبَا
بِهَا إِلَى الْمَيْدَانِ * وَبَاتَ عَالِي الشَّانِ
لَيْلَتَهُ بِقُرْبِ * مَيْدَانِهَا فِي الدَّرْبِ
وَفِي الصَّبِيحَةِ مَعَا * رَأْسَ النَّفَاقِ رَجَعَا
تُلْتُ مَنْ جَاءَ الْمَحَلَّ * بَلْ كَانَ هُمْ بِالْفِشَلِ
طَائِفَتَانِ وَالْعَلِيِّ * مَوْلَاهُمَا نَعَمَ الْوَلِيِّ
أَتْنَاهُمَا عَنِ الْخَطَا * فَصَبْرًا وَانضَبَطَا

بعد النصر المبين للمسلمين في معركة بدر أصبح مشركو مكة

كالمرجل تغلي غيظا ، فاختمرت في نفوسهم غريزة الانتقام والإصرار على أخذ الثأر ، حتى وصل الأمر بهم إلى منع البكاء على قتلاهم في بدر حتى لا يرى المسلمون المدى الذي أوصلتهم إليه الهزيمة من الحزن فاتفقوا على أن يقوموا بحرب شاملة على المسلمين تشفي غيظهم وكان أبو سفيان بن حرب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية وعبدالله بن أبي ربيعة من أكثر صناديد قريش حماسة للحرب ، ولهذا الغرض احتجزوا أموال العير التي كان نجا بها أبو سفيان وكانت سببا في معركة بدر المباركة بعد أن طلبوا من كل من له فيها مال أن يتنازل عنه لتمويل الحرب القادمة ، وفي هذا يقول الحق سبحانه : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ .

زاد من حنق المشركين في مكة ما أصاب عيرهم التي استولت عليها سرية زيد بن حارثة ، ففتحت قريش باب التطوع للحرب أمام من حول مكة من القبائل من كنانة وأهل تهامة والأحباش ، وقام صفوان بن أمية بإغراء أبي عزة الشاعر الذي كان قد أسر في بدر فأنعم عليه رسول الله ﷺ بفك أسره دون فداء ، فقام هذا اللئيم يحرض الناس بشعره على حرب رسول الله ﷺ ، وشايعه في ذلك شاعر آخر يماثله في الخبث هو مسافع بن عبدمناف الجمحي .

أكمل جيش مشركي مكة تجهيزه للحرب على رأس السنة من بدر فتجهز بثلاثة آلاف بعير، ومائتي فرس، وسبعمئة درع، فأقبل تحت القيادة العامة الأبي سفيان بن حرب، فيما قاد الفرسان خالد بن الوليد، يعاونه عكرمة بن أبي جهل. وكان العباس بن عبدالمطلب مسلما يكتنم إسلامه ويقوم في مكة، وكان يراقب تحركات المشركين فلما تحرك الجيش صوب المدينة بعث بالخبر مع رسول أمين إلى رسول الله ﷺ فأسرع بالرسالة رسوله الذي وصل إلى المدينة في وقت خارق فوجد رسول الله ﷺ في مسجد قباء فسلمه الرسالة فقرأها عليه أبي ابن كعب فأمره بالكتمان ثم أسرع ﷺ إلى المدينة وشكلت مفرزة لحراسة رسول الله ﷺ تضم كلا من: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير وسعد بن عباد. وقامت على مداخل المدينة مفاوز تحرسها حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة.

واصل جيش الشرك سيره حتى نزل بضواحي المدينة يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة، فانتقل الخبر إلى رسول الله ﷺ فبادر بعقد مجلس عسكري استشاري، وقص على الحاضرين رؤيا رآها، وهي أنه رأى بقرا تذبح، ورأى ثلثة في سيفه وأنه أدخل يده في درع حصينة. فتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الثلثة برجل من أهل بيته يقتل، وتأول الدرع بالمدينة. ثم قدم رأيه للحضور:

ألا يخرجوا من المدينة، بل يتحصنوا فيها ويدافعوا عنها، فإذا هاجمهم الأعداء قاتلهم الرجال على أفواه الأزقة والنساء من فوق الأسطح، وإن أقام المشركون حيث هم أقاموا بشر مقام. فوافقه على هذا الرأي رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول، لا لأنه يراه الرأي الصواب، بل ليباعد عن القتال وربما لغرض آخر أخبث، وبادرت جماعة ممن فاتهم الغزو في بدر، وكانوا من فضلاء الصحابة، بادروا بالإشارة على النبي ﷺ بالخروج وألحوا عليه في ذلك، وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ، فتخلى رسول الله ﷺ عن رأيه أمام رأي الأغلبية، ثم صلى بالناس الجمعة فوعظهم وحرصهم على الجهاد والصبر فيه وبشرهم بالنصر إن صبروا وبالجنة، ثم لما صلى بالناس العصر دخل بيته ومعه صاحباة أبو بكر وعمر فعمماه ودججاه بالسلاح حيث خالف بين درعين ثم خرج على الناس ففرحوا، فلامهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير على استكراههم رسول الله ﷺ على الخروج فأظهروا الندم والتراجع عن رأيهم ولكنه ﷺ تمادى وأخبرهم أنه لا يحل لنبي لبس لأمته للحرب أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، وأبى أن يستعين باليهود وقد حاولوا الخروج معه بكتيبة جيدة التسليح، ثم استعرض الجيش ورد من كان صغيرا لا يقوى على القتال. وقد فضح الله المنافق ابن أبي

ابن سلول حيث رجع بثلاث الجيش زاعما اعتراضه على مخالفته لرأي
الذين صمموا على الخروج وأن رسول الله ﷺ لم يأخذ برأيه هو ولكن
الحق أنه كان أولا وآخرًا إنما يتهرب من المواجهة، لا أكثر. وكانت
طائفتان من المسلمين المؤمنين حقا همتا بالرجوع ولكن الله ثبتهما
بمنه، وفي ذلك قال سبحانه: ﴿إذ همت طائفتن منكم أن تفشلا والله
وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

وَعَبَّ الْجَيْشَ النَّبِي * وَقَالَ - يَفْدِيهِ أَبِي
لَمَعَشِرِ الرُّمَاء * حَذَارِ أَنَا يَأْتِي
خِيَالَةَ الْأَعْدَاء * لَنَا مِنَ الْوَرَاء
وَبَدَأَ الْقِتَالَ * وَالطَّعْنُ وَالنِّزَالُ
فَحَامِلُ اللُّوَاء * مِنْ جِهَةِ الْأَعْدَاء
طَلْحَةٌ وَهُوَ أَشْجَع * شَجَعَانِهِمْ وَأَبْرَعُ
فِي الْحَرْبِ جَاءَ طَالِبًا * نَدَا لَهُ مُغَالِبًا
فَبَرَزَ الزُّبَيْرُ * وَإِنَّهُ الْخَبِيرُ
بِالْحَرْبِ فَاقْتَلَعَهُ * وَرَأْسَهُ خَلَعَهُ
ثُمَّ تَوَالَى حَامِلُو * لَوَائِهِمْ فَقَاتَلُوا
جَمِيعَهُمْ وَاسْتَبَسَلُوا * وَكُلُّهُمْ قَدْ قَاتَلُوا
فِي أَوَّلِ النَّهَارِ * مِنْ آلِ عَبْدِ الدَّارِ
عَشْرَةٌ وَمَوْلَى * لَهُمْ تَتَالَوْا قَتَلَى

تَحْتَ لَوَائِهِمْ إِلَى * آخِرِهِمْ فَانْخَذَلَا
جَيْشُ الْعَدَا وَأَنْهَزَمَا * حَيْثُ اللُّوَا تَحَطَّمَا

بعد تمرد المنافقين وانسحابهم وانكشاف ما كان يصبو إليه رأس النفاق ابن أبي سلول من انفضاض الجيش عن رسول الله ﷺ ، بدأ رسول الله ﷺ يرتب الصفوف ، وقد اطمأن لإيمان من بقي معه من الجيش وإخلاصهم لله ولرسوله ولنصرة الدين ، وكانوا سبعمائة مقاتل ، فخاطب رسول الله ﷺ الحاضرين من أصحابه قائلاً : من رجل يخرج بنا على القوم من كذب ، أي من قريب ، ليكون ذلك من طريق لا يمر عليهم ؟ فقال أبو خيثمة : أنا يا رسول الله ، فاختار طريقاً قصيراً إلى أحد يمر بحرة بني حارثة وبمزارعهم ، فمر الجيش في هذا الطريق بحائط لرجل منهم هو مربع بن قيظي ، وكان منافقاً أعمى البصر والبصيرة ، فلما أحس بالجيش قام يحثو التراب في وجوه المسلمين قائلاً : لا أحل لك أن تدخل حائطي إن كنت رسول الله ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال الرؤوف الرحيم ﷺ : « لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر » . فنفذ رسول الله ﷺ بالجيش حتى نزل الشعب من جبل أحد في عُدوة الوادي ، وعسكر بالجيش مستقبلاً المدينة ، جاعلاً ظهره إلى جبل أحد وعلى هذا صار جيش العدو بين جيش المسلمين وبين المدينة .

عباً رسول الله ﷺ جنده وهياًهم وصفهم للقتال، وانتخب منهم خمسين من الرماة المهرة بقيادة عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصاري البدري، وأمرهم بالتمركز على التل المعروف اليوم بجبل الرماة، وهو تل صغير يقع قرب أحد بينه وبين المدينة. والهدف من ذلك هو ما بينه ﷺ لهذه الكتيبة بقوله يحرضهم على الثبات، كما في صحيح البخاري: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمننا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم». وبهذا سد رسول الله ﷺ الثلثة الوحيدة التي يستطيع خيالة العدو النفاذ منها إلى صفوف المسلمين وتطويقهم من الخلف. ثم جعل ﷺ على ميمنة الجيش المنذر بن عمرو، وعلى الميسرة الزبير بن العوام يؤازره المقداد بن الأسود وجعل في المقدمة رجالاً أشداء آخرين وهكذا تمت تعبئة الجيش مع وضع خطط محكمة لو شاء الله أن طبقت بحذافيرها لربما أصبح الوضع على العكس مما صار. ثم نهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، وحرص أصحابه على المصابرة والجلاد عند اللقاء، وجرد سيفاً بتاراً من غمده وقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال منهم علي والزبير وعمر بن الخطاب، ثم قام إليه أبو دجانة الأنصاري فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني» قال: أنا آخذه بحقه يا رسول

الله، فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة شجاعا منقطع النظير، وكانت له عصاة حمراء إذا اعتصب بها علم أنه سيقاتل حتى النهاية، فلما أخذ السيف عصب رأسه بها وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن».

وتقارب الجمعان وبدأت مراحل القتال، وكان حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري أول وقود المعركة، وكانوا يسمونه كبش الكتيبة لشجاعته، فخرج راكبا على جمل ودعا إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لمعرفتهم بقوة بأسه وشجاعته، فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فوثب إليه كالليث حتى شاركه في ظهر جملة حيث اقتلعه من فوقه فأسقطه أرضا وبادر بذبحه ذبح الشاة، فرأى النبي ﷺ هذا الصراع الرائع فكبر وكبر المسلمون بتكبيره، ثم أثنى على الزبير فقال: «إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير». ثم توالى أبطال بني عبدالدار على حمل لواء المشركين حيث دار ثقل المعركة فقتل منهم دونه ستة كلهم من بيت أبي طلحة، وأربعة غيرهم من بني عبد الدار وغلام لهم حبشي كان أشجعهم، فقد قطعت يداه فبرك على اللواء حتى قتل وهو يقول: اللهم هل أعزرت، يعني أعذرت، فسقط اللواء على الأرض ولم يبق أحد يحمله فبقي ساقطا.

اشتد القتال فاخترق المسلمون الصفوف بشعارهم الشهير: «أمت

أمت»، ولم يُخلف أبو دجانة الوعد، ولم يستقل البيع، بل أقبل بسيف رسول الله ﷺ لا يلقاه مشرك إلا كان حين ذلك المشرك: قال الزبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني وأعطاها أبا دجانة فقلت في نفسي: أنا قرشي وابن صفية عمته، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله فأتاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقال الأنصار: أخرج أبو دجانه عصابة الموت فخرج وهو يقول، أي ينشد:

أنا الذي عاهدني خليلي * ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول * أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا زفف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا بضربتين فاتقى أبو دجانة الضربة بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله، ثم أمعن في هد صفوف المشركين. وقاتل حمزة قتال الليوث وما زالت الأبطال تنكشف من أمامه أو تخرصرعى تحت قدميه حتى رصده ذلك الوحش الذي أصون لساني عن ذكر اسمه وإن كان قد أسلم وهو عبد حبشي استأجرته هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ليقتله ووعدته بالعتق، فرماه تلك الرمية الغادرة فنال حمزة ما كان يتمنى من الشهادة بعد أن أذاق المشركين من الويل ما لا ينسى.

وَأَعْمَلَ الْهُدَاةُ * قَتَلًا إِذِ الْعُدَاةُ
 تَحْسَبُهُمْ فِرَارًا * أَتَانَا أَوْ حَمَارًا
 فَرَّ مِنَ الْقَسُورَةِ * ثُمَّ الْجَمَاعَةُ الَّتِي
 تَكْفَلَتْ بِالرَّمِيِّ قَدْ * رَأَتْ هَزِيمَةَ الْعَدَدِ
 فَنَسِيَتْ أَوْ حَسِبَتْ * أَنَّ الْأُمُورَ حُسِمَتْ
 فَارْتَكَبَتْ أَمْرًا جَلَلًا * إِذْ نَزَلَتْ عَنِ الْجَبَلِ
 فَسَنَحَتْ لِحَالِدٍ * سَانِحَةَ الْمُجَالِدِ
 فَانْقَضَ مِنْ خَلْفِ عَلِيٍّ * كَتِيبَةَ الْهُدَى بَلَى
 كَذَا أَرَادَ الْبَارِي * وَهُوَ قَضَاءُ جَارِ
 وَكَانَ خَيْرًا أَبَدًا * إِذْ عَلِمُوا أَنَّ الرَّدَى
 مَكْمَنُهُ فِي هَجْرٍ * أَمْرٍ وَلِيٍّ الْأَمْرِ
 فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ وَدَبَّ * رُغْبٌ عَجِيبٌ وَالْعَجَبُ
 ثَبَاتُ خَيْرِ الْخَلْقِ * مَكَانَهُ لِيُبْقِ
 رُوحَ النُّضَالِ وَالْفِدَا * فِي الْمُسْلِمِينَ سَرْمَدًا

كان استشهاد أسد الله ورسوله حمزة خسارة للمسلمين وأي
 خسارة! إلا أن ذلك لم يوهنهم ولم يقلل من بأسهم وقوة نضالهم بل
 اندفعوا إلى الميدان أسودا كاسرة وسيلا هادرا لا يقف في طريقه شيء
 فانهزم الأعداء من أمامهم في أول وهلة حتى إن أبا دجانة وصل إلى
 حيث نساؤهم بل كاد يقتل هنداء بنت عتبة لولا أنه تذكر أن السيف

الذي بيده هو سيف رسول الله ﷺ فصانه عن أن يقتل به امرأة، وكان من الأبطال المغاوير يومئذ غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، فقد كان حديث عهد بالعرس، فلما سمع هواتف الحرب وهو على امرأته انخلع من أحضانها وقام من فوره إلى الجهاد، وفي الميدان شق صفوف الأعداء حتى وصل إلى قائدهم أبي سفيان بن حرب وكاد يقتله لولا أن أحد المشركين رآه فضربه من خلفه فوقع شهيدا. وأبلى الرماة أحسن البلاء، فقد صدوا خيالة خالد ومعاونه أبي مسلم الفاسق، وهو والد حنظلة الغسيل، وشتان ما بينهما فقد رد الرماة من على جبلهم أولئك الخيالة ثلاث مرات كادوا فيها يصلون إلى جناح الجيش الإسلامي وهكذا دارت رحى المعركة لصالح المسلمين حتى انكشف المشركون عن مواقعهم إلى أن حدثت تلك الغلطة التي وقع فيها الرماة حيث ظنوا المعركة انتهت فخالفوا وصية رسول الله ﷺ ونزلوا من على جبلهم ظنا منهم أنهم يشاركون في جمع الغنائم فسنحت لخالد الفرصة فانقض على المسلمين من الخلف فكانت الكارثة.

كان رسول الله ﷺ حين بدأ المشركون يهاجمون المسلمين من جديد من جهتين من أمامهم ومن خلفهم، في وحدة صغيرة تتكون من تسعة أبطال من أصحابه في مؤخرة الجيش، وكان يراقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين إذ بوغت بفرسان خالد فكان لا بد له من أمر من أمرين: إما أن ينجو بنفسه بمن معه، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو

أصحابه إليه ويستأنف بهم الجلال والدفاع عن بيضة الإسلام وشرف
الجهاد فاختر الثاني الذي هو الأنسب لبطل عربي لا يخشى إلا الله
قبل أن يكون نبيا مرسلا فرض الله عليه الجهاد في سبيله، وهنا تجلت
مكانة رسول الله ﷺ كنبى مؤمن بوعد ربه وبطل شجاع لا وزن
للأبطال أمامه، فرفع صوته الجمهوري: «إلى عباد الله أنا رسول الله»
والأعداء يسمعون نداءه، وهنا عرف المشركون مكانه فهاجموا
وخلصوا إليه قبل أن يصل إليه أصحابه وحصل ارتباك شديد في الجيش
عندما أشاع المشركون أن رسول الله ﷺ قد قتل فكان لسان حال
أغلب المسلمين وخاصة أبطال الأنصار: إن كان رسول الله ﷺ قد قتل
فقد بلغ، وما ذا نضع بالحياة بعده؟ وكان الحرج شديدا عندما قتل
كل من كان حول رسول الله ﷺ من الرجال إلا رجلين هما: طلحة بن
عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص الذي نشر له رسول الله ﷺ كنانته وقال
له: ارم سعد فذاك أبي وأمي، ولم يكن قط جمعهما لأحد غيره، أما
طلحة فقد استبسل في القتال عن رسول الله ﷺ فقطعت أصابعه ولم
يزل طلحة وسعد يقاتلان حتى أدركهما نصر الله حيث قاتلت معهما
الملائكة. ففي الصحيحين عن سعد قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد
ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما
قبل ولا بعد. وفي رواية: يعني جبريل وميكائيل». ثم أسرع بقية
الجيش إليه ﷺ لما سمعوا نداءه بعد أن أصيب ﷺ.

وَحَدَّثَتْ عَجَائِبُ * فِي كُلِّهَا مَنَاقِبُ
مِنَ ذَلِكَ الشَّقِيِّ * قَتَلَهُ النَّبِيُّ
إِذْ جَاءَ يَعْدُو قَائِلًا * أَيُّنَ مُحَمَّدٌ فَلَا
نَجْوَتُ إِنْ نَجَا فَهَمٌ * بِقَتْلِهِ مَنْ كَانَ ثُمَّ
فَقَالَ لِأَثَمٍ رَمَا * هُ فَأَصَابَهُ كَمَا
كَانَ لَهُ تَوَعَّدَا * وَالصِّدْقُ وَعَدُّ أَحْمَدَا
خَدَشَهُ فِي الصَّدْرِ * فَقَالَ وَهُوَ يَجْرِي
قَتَلَنِي وَلَوْ بَصَقَ * عَلَيَّ مِتُّ وَصَدَقَ
وَأَنْقَشَعَ الْغُبَارُ * فَأَحْصِيَ الْخَسَارُ
سَبْعِينَ مِنْ صَحْبِ النَّبِيِّ * فَازُوا بِخَيْرِ مَأْرَبِ
وَهِيَ الشَّهَادَةُ كَمَا * مَثَلُهُمْ قَدْ كَلِمَا
وَكَانَ خَيْرٌ مِنْ كَلِمٍ * خَيْرَ شَفِيعٍ فَسَلِمَ
وَخَيْرُ كُلِّ الشُّهَدَا * قَدْ كَانَ عَمَّ أَحْمَدَا
ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ * وَهُوَ عَظِيمُ الْجَاهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ * يُثْنِي عَلَى مَوْلَاهُ
يَقُولُ لَاهُمْ لَكَ الْ * حَمْدُ إِلَهِنَا الْأَجَلُ
فَلَيْسَ قَابِضٌ لِمَا * بَسَطَتْ رَبِّي كَمَا
لَا بَاسِطٌ لِمَا لَهُ * قَبَضَتْ رَبِّي كُلَّهُ
وَلَيْسَ هَادِيًا لِمَنْ * أَضَلَّتْ وَالْعَكْسُ إِذَنْ

بِعَكْسِهِ وَلَا لِمَا * مَنَعْتَ مُعْطَ عُلْمَا
وَلَا لِمَا أُعْطِيَ مَا * نَعُّ وَلَا يَمْنَعُ مَا
أَعْطَيْتَهُ رَبِّي وَلَا * مُقَرَّبٌ وَلَوْ عَلَا
لِمُبْعَدٍ أَبْعَدْتَهُ * وَالْعَكْسُ مِنْ قَرَبْتَهُ
فَابْسُطْ عَلَيْنَا رَبَّنَا * مِنْ بَرَكَاتِكَ هُنَا
وَرَحْمَاتِكَ وَمِنْ * فَضْلِكَ وَالرِّزْقِ وَمَنْ
ثُمَّ النَّعِيمِ رَبَّنَا * ذَاكَ الْمُقِيمَ هَبْ لَنَا
فَلَا يَزُولُ أَوْ يَحُورُ * لُ إِنَّا لَنَطْمَحُ
لِلْعَوْنِ يَوْمَ الْعَيْلَةِ * وَالْأَمْنِ فِي الْمَخَافَةِ
إِنِّي عَائِدٌ بَكَ * مِنْ شَرِّ مَا هُوَ لَكَ
خَلَقَ وَمَا أُعْطَيْتَا * وَشَرِّ مَا مَنَعْتَا
وَحَبِّبِ الْإِيمَانَا * زَيْنَهُ وَالْعَصِيَانَا
كَرْهُهُ وَالْفُسُوقَا * [وَفَرَجَنَّ الضِّيقَا]
وَرَشَدًا فَارْزُقْنَا * إِلَهَنَا أَلْحَقْنَا
بِالصَّالِحِينَ لَا نَكُنْ * يَا رَبَّنَا مِمَّنْ فُتِنَ
وَمُسْلِمِينَ رَبَّنَا * تَوَفَّنَا وَأَحْيَانَا
وَقَاتِلِ الْكُفَّارَا * رَبِّي فَهُمْ جَهَارَا
قَدْ كَذَبُوا رُسُلَكَ * وَالصَّدُّ عَنْ سَبِيلِكَ
سَبِيلُهُمْ رَبِّ اجْعَلْ * عَلَيْهِمُ الرَّجْزَ الْمَحْنُ

مَعَ الْعَذَابِ رَبَّنَا * يَا غَوْثَنَا وَعَوْنَنَا
فَقَاتِلِ الْكُفَّارَ مِنْ * أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَحِنُّ

من الأمور المثيرة التي حدثت يوم أحد، كما ذكر ابن إسحاق قال :
لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه عدو الله أبي بن خلف وهو
يقول : لا نجوت إن نجا . فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل
منا؟ فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ
الحربة من الحارث بن الصمة ، ثم انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير
الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة
بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها طعنة تدأدا منها عن فرسه
مرارا ، فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير
فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد . قالوا له : ذهب والله فؤادك
والله إن بك من بأس . قال : إنه كان قد قال لي بمكة : أنا قاتلك ، فوالله
لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله وهم قافلون به إلى مكة ، وفي
رواية أبي الأسود عن عروة : أنه كان يخور خوار الثور ويقول : والذي
نفسى بيده لو كان الذي بي بأهل ذي الحجاز لماتوا جميعا .

ثم فرغ الناس لتفقد القتلى والجرحى بعد أن اطمأنوا إلى انصراف
العدو . قال زيد بن ثابت : بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد
بن الربيع ، فقال لي : إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له : يقول لك
رسول الله ﷺ : كيف تجددك؟ قال : فجئت أطوف بين القتلى فأتيته وهو

بآخر رمق وفيه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لكك أخبرني كيف تجددك؟ فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خُص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه. ثم أحصوا القتلى فوجدوا قتلى المسلمين سبعين أربعة منهم من المهاجرين يتقدمهم عم رسول الله ﷺ حمزة، وبقيتهم من الأنصار، ويهودي واحد أوصى بماله لرسول الله ﷺ إن هو أصيب، وقد نعته رسول الله ﷺ بأنه خير يهود، والجرحى كثيرون ومنهم خير الخلق أجمعين.

ومن عجائب ذلك اليوم أنهم وجدوا في الجرحى الأصيرم: عمرو ابن ثابت، وبه رمق يسير، وكانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه، فسألوه ما جاء به؟ فأخبرهم أنه آمن بالله ورسوله وجاء يقاتل في سبيل الله، فأخبروا به رسول الله ﷺ فقال: «هو من أهل الجنة» قيل إنه لم يصل لله صلاة قط.

وعكس الأصيرم كان المدعو قزمان بن الحارث العبسي، فقد قاتل قتالا شديداً ذلك اليوم، وكان رسول الله ﷺ يقول: إنه من أهل النار فلما سئل هو عن قتاله، وكانوا يثنون عليه، قال: والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي. فلما اشتدت به الجراح نحر نفسه.

ثم أشرف رسول الله ﷺ على الشهداء فقال: «أنا شهيد على هؤلاء

إنه ما من جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه : اللون لون الدم والريح ريح المسك . ثم أمر ﷺ بإرجاع من حمل من الشهداء خارج أحد إلى ميدان المعركة ليدفنوا فيه بعد نزع الحديد والجلود ، ودفنوا في ثيابهم ولم يغسلوا ، وكان ﷺ يأمر بدفن الرجلين والثلاثة في قبر واحد ويسأل عن أيهم أكثر قرآنا فإن أشير إلى بعضهم قدمه في اللحد . واشتد حزنه ﷺ على عمه حمزة لما رآه قد مثل به ، فأمر ﷺ بدفنه مع عبدالله بن جحش ، وكان ابن أخته وأخاه من الرضاعة .

ثم بعد دفن الشهداء صف رسول الله ﷺ الصحابة وأخذ يثني على ربه فقال : « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول . اللهم إني أسألك العون يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك

واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب
إله الحق» .

وبقيت أمور كثيرة تتعلق بهذه الغزوة ، أي غزوة أحد ، لم يتعرض
لها النظم ، ومن ذلك ملاحظته ﷺ في اليوم التالي لجيش المشركين حتى
بلغ حمراء الأسد ، فقد بات ليلته يخاف أن المشركين إذا فكروا في
أنهم لم يستفيدوا شيئاً من نصرهم ندموا فرجعوا لغزو المدينة مرة
ثانية ، والحق أنهم فكروا في ذلك وكادوا يرجعون ولكن الله ردهم عن
ذلك بتخذيّل معبد الخزاعي لهم حيث كان أسلم حديثاً فأمره رسول
الله ﷺ أن يخذل القوم عنه ففعل ونجح . ومن الأحداث المتعلقة بأحد
أيضاً قتله ﷺ أبا عزة الذي كان منّ عليه يوم بدر فأطلق سراحه دون
فداء بعدما أخذ عليه الموائيق فنكث بالعهد وقام يحرض على رسول
الله ﷺ بشعره ، فلما أسره رسول الله طلب العفو مرة ثانية ، فقال له
رسول الله ﷺ : « لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت
محمداً مرتين» . وحكم بالإعدام على جاسوس من جواسيس قريش هو
معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، كان ﷺ آمنه ثلاثاً إن وجد بعدها في
المدينة قتله فتخلف في المدينة بعد الثلاثة يتجسس ثم فر هارباً فأمر
رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فتعقبا حتى قتلاه .

سرية أبي سلمة إلى بني أسد

تَشَجَّعَ الْكُفْرُ لِمَا * لِلْمُسْلِمِينَ عِلْمًا

مِن نَّكْبَةٍ بِأَحَدٍ * فَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ
يُحَدِّثُ النَّفْسَ بِأَنَّ * يَقْتُلُ أَوْ يَنْهَبُ مِنْ
بِعَثِّهِ الْإِلَهِ * بِالْعَدْلِ جَلَّ اللَّهُ
فَاجْتَمَعَتْ بَنُو أَسَدٍ * نَجَلِ خُزَيْمَةَ وَقَدْ
أَتَتْهُمْ سَرِيَّةٌ * سَقَتْهُمْ الرَّدِيَّةُ
يَقُودُهَا الْفَتَى أَبُو * سَلْمَةَ الْمُجْرَبُ
فَانْهَزَمُوا وَتَرَكُوا * مَا لَهُمْ وَسَلَكُوا
مَسَالِكَ الْفِرَارِ * فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
فَغَنِمَ الْبَعَثُ الْغَنَمَ * وَابِلَ الْقَوْمِ وَلَمْ
يَلْقَوْا قِتَالًا فَاتَى * بِهَا إِلَى النَّبِيِّ الْفَتَى

كان يوم أحد وما جرى فيه للمسلمين مأساة ونكسة زعزت سمعة المسلمين وحركت الأطماع فيهم، فأسفر اليهود والمنافقون والأعراب حول المدينة عن خفايا العداوة، وهمت كل طائفة منهم أن تنال من المسلمين. ولم يمض على هذه المعركة شهران حتى تهيأت قبيلة بني أسد لغزو المدينة، ثم قامت قبائل عضل وقارة تكيد للمسلمين أيضا وتوقع بعض القتلى، كما سيأتي، ثم قبيلة بني عامر تقوم بمكيدة أخرى تسببت في قتل سبعين من المسلمين.

وهكذا كان أول من قام ضد المسلمين بعد نكسة أحد هم بنو أسد ابن خزيمية، فقد نقلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن طلحة وسلمة ابني

خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعون بني أسد إلى حرب رسول الله ﷺ ، فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث سرية قوامها مائة وخمسون مقاتلا من المهاجرين والأنصار، وأمر عليهم أبا سلمة وعقد له لواء، فباغت أبو سلمة بني أسد في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم فتشتتوا وأصاب المسلمون إبلا وشاء لهم فاستاقوها وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين لم يلقوا حربا، ولكن أبو سلمة رضي الله عنه لما عاد نغر عليه جرح كان أصابه يوم أحد فلم يلبث أن مات رضي الله عنه وأرضاه.

بعث عبدالله بن أنيس

وَالْهَذَلِيُّ خَالِدٌ * أَيضاً لَهُ مَقَاصِدُ
لَغَزْوِ دَارِ الْهَجْرَةِ * أَتَى شَفِيعَ الْأُمَّةِ
خَبْرَهُ فَأَرْسَلَا * نَجَلَ أَنْيسَ قَائِلًا
اقْضِ عَلَيْهِ فَأَتَى * بِرَأْسِهِ وَثَبَتَا
بِأَنَّهُ أَعْطَاهُ * عَلَامَةَ عَصَاهُ

في اليوم الخامس من المحرم سنة أربع من الهجرة علم رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي يحشد الجموع لحرب المسلمين فأرسل إليه النبي ﷺ عبدالله بن أنيس ليقضي عليه، فغاب عن المدينة ثماني عشرة ليلة ثم عاد يوم السبت لسبع بقين من المحرم وقد قتل خالدًا وجاء برأسه فوضعه بين يدي النبي ﷺ ، فأعطاه عصا وقال له: «هذه

آية بيني وبينك يوم القيامة ، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه
في أكفانه .

بعث الرجيع

مِنْ قَارَةٍ وَمِنْ عَضَلٍ * قَوْمٌ أَتَوْا عَلَىٰ عَجَلٍ
جَاءُوا مِنَ الرَّجِيعِ * لَغَرَضٍ شَنِيعِ
وَزَعَمُوا الدِّينَ انْتَشَرَ * بَيْنَهُمْ وَقَدْ ظَهَرَ
وَطَلَبُوا أَنْ يُرْسَلَ * إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَا
مَنْ يُقْرَأُ الْقُرْآنَا * وَيَنْشُرُ الْإِيمَانَا
فَبَعَثَ الْهَادِيَ النَّفَرِ * هُمْ عَشْرَةٌ فِي الْمَعْتَبَرِ
وَمَرْتَدٌ أَمِيرُ * أَوْ عَاصِمٌ جَدِيرُ
فَاسْتَصْرَخُوا لِحَيَانَا * عَلَيْهِمْ فَبَانَا
غَدْرَهُمْ وَالْمَكْرُ * لِعَاصِمٍ وَالْأَمْرُ
بَانَ لِمَنْ قَدْ أَمَّنُوا * لَوَعْدِهِمْ وَرَكَعُوا
إِذْ أَسْرُوا خُبَيْبَا * وَزَيْدَا النَّجِيبَا
لِلْبَيْعِ فِي أَهْلِ الْحَرَمِ * فَصَلَبَ الْخُبَيْبُ ثُمَّ
كَذَاكَ زَيْدٌ قَدْ قُتِلَ * وَعَاصِمٌ فَمَا نَزَلَ
مِنْ فَدْفَدٍ فِي صَحْبِهِ * حَتَّىٰ تَوِيَّ أَكْرَمُ بِهِ

ومن تكالب الأعداء على المسلمين بعد أحد وقبل الأحزاب ما جرى

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، حيث قدم على رسول الله ﷺ قوم من عضل وقارة، وذكروا أن فيهم إسلاما وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن، فبعث معهم عشرة من الصحابة، وقيل: ستة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت أو مرثد بن أبي مرثد الغنوي في قول، فذهبوا معهم حتى إذا وصلوا ماء لهذيل بين رابغ وجدة يدعى الرجيع، استصرخوا عليهم حيا من هذيل يقال لهم بنو لحيان فافتفوا أثرهم بنحو من مائة رام فأحاطوا بهم وقد لجأوا إلى فدغد، أي مرتفع، فقالوا لهم لكم العهد إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلا. فأما عاصم فأبا النزول وقتلهم في أصحابه فقتل منهم سبعة بالنبال وبقي خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق مرة أخرى فنزلوا إليهم، ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار قسيهم. وقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر وأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما بمكة، وكانا قد قتلا بعض رؤوسهم يوم بدر، فأما خبيب فمكث عندهم مسجوناً، ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم، فلما أجمعوا على صلبه قال: دعوني حتى أركع ركعتين فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا إن ما بي جزع لزدت. ثم دعا عليهم فقال: اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا، ثم قال شعرا:

لَقَدْ أَجْمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا * قِبَائِلَهُمْ وَأَسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ

وَقَدْ قَرَّبُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ * وَقَرَّبْتُ مِنْ جِذَعِ طَوِيلٍ مُمْنَعٍ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُوا غُرْبَتِي بَعْدَ كَرْبَتِي * وَمَا جَمَعَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَضْجَعِي
 فَذَا الْعَرْشِ صَبْرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي * فَقَدْ بَضَعُوا لِحْمِي وَقَدْ بُؤَسَ مَطْمَعِي
 وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ * فَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَدْمَعٍ
 وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا * عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْجَعِي
 وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ * يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمْنَعٍ
 فقال له أبو سفيان : أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه ، وأنت
 في أهلك ؟ فقال : لا والله ما يسرنى أني في أهلي ، وأن محمدا ﷺ في
 مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه . وفي البخاري : أن خبيبا رؤي
 يأكل قطفا من العنب وهو في الأسر ، وما في مكة ثمرة . ثم صلبوه
 ووكلوا به من يحرس جثته ، فجاء عمرو بن أمية الضمري فاحتمله
 بخدعة ليلا فذهب به فدفنه . والذي تولى قتل خبيب هو عقبة بن
 الحارث ثأرا لأبيه الذي كان خبيب قتله يوم بدر . وأما زيد ابن الدثنة
 فقتله صفوان بن أمية بأبيه الذي قتله زيد ببدر .
 وأما عاصم فحمت الزنابير جسده منهم حيث كانوا يريدون
 التمثيل به . وكان قد أعطى الله عهدا ألا يمسه مشرك ولا يمس هو
 مشركا . وكان عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله
 العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته .

مأساة بئر معونة

تَزَامَنَا مَعَ الرَّجِيِّ * عِ قَبْلَ رَفْعِ الْحَرَجِ
كَانَتْ مُصِيبَةُ النَّبِيِّ * مِنْ بَعْدِهَا بِالْأَصْعَبِ
سَبْعُونَ مِنْ قُرَاءٍ * ذَا الْمَنْهَجِ الْوَضَاءِ
قَدْ ذَهَبُوا غَدْرًا كَمَا * بَعَثَ الرَّجِيعَ ظُلْمًا
فَكَانَتْ الْفَجِيعَةُ * فَظِيعَةً شَنِيعَةً
إِذْ جَاءَ عَامِرٌ مُلَا * عِبُ الْأَسِنَّةِ إِلَى
نَبِينَا فَمَا امْتَنَعَ * عَنْ دِينِهِ وَمَا اتَّبَعَ
وَقَالَ أَرْسِلْ مَعَنَا * لِأَهْلِنَا مَنْ يَرْعَنَا
يُقَرِّئُنَا فَنَفْقَهُ * مِنْهُ سَنَرَعِي حَقَّهُ
وَذَا أَبُو الْبَرَاءِ * جَارٌ وَذُو وِلَاءِ
فَأَرْسَلَ السَّبْعِينَ * مِنْ خَيْرَةِ الدِّينَا
قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَا * وَأَمَنُوا إِيمَانَا
فَبَعَثُوا حَرَامَا * لِابْنِ الطُّفَيْلِ قَامَا
بِقَتْلِهِ وَاسْتَنْفَرَا * شَيْعَهُ وَغَدْرَا
أَجَابَتِ الْعُصَيْيَةُ * وَرَعِلُ لِمَعْصِيَتِهِ
فَقَتَلُوا الْقُرَاءَا * جَمِيعَهُمْ فَبَاءَ
بِالْخِزْيِ عَامِرٌ إِلَى * لِقَاءِ رَبِّنَا عَلَا

فَجَاءَ عَمْرُو الضَّمْرِيِّ * يُخْبِرُ خَيْرَ الْبَشَرِ
خَبَرَهُمْ وَقَدْ قَتَلَ * مُسْتَأْمِنِينَ إِذْ نَزَلَ
مَعَهُمَا لِيَثْأَرَا * بِذَلِكَ مِمَّا قَدْ جَرَى
لِقَوْمِهِ وَقَدْ وَدَا * ذَيْنِ مُعَلِّمِ الْهُدَى

في الشهر الذي وقعت فيه مأساة الرجيع وقعت مأساة أخرى أفظع، وهي التي عرفت تاريخيا بوقعة بئر معونة، وتلخصت أخبار هذه الواقعة الكارثة في أن أبا عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ في المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد ثم قال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال: هذا أبو البراء جار لهم، فبعث معه سبعين من الصحابة، وأمر عليم المنذر بن عمرو من بني ساعدة، وكانوا من خيار المسلمين وقرائهم فساروا وهم يحتطبون بالنهار يشترون به الطعام ويتدارسون القرآن ويصلون بالليل حتى بلغوا أرضا بين بني عامر وحررة بني سليم تدعى بئر معونة، فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا بني سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلا فطعنه بالحربة من خلفه. فلما أنفذهما فيه ورأى الدم قال، والدم يجري منه: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، ثم استنفر عدو الله من فوره بني عامر لقتال الباقيين فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر

بني سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان ، أحياء منهم ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد بن النجار فإنه ارتث من بين القتلى : أي حمل ، فعاش حتى قتل يوم الخندق . وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين ، فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه ، وأسر عمرو بن أمية الضمري فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته ، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه . ثم رجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي ﷺ حاملا معه أنباء المصاب الفادح ، وفي طريقه وهو في القرقرة نزل في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه ، فلما ناما فتك بهما عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه ، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل فقال : لقد قتلت قتيلين لأدينهما ، وبدأ ﷺ يجمع ديتيهما من المسلمين واليهود ، وهذا كان سبب غزوة بني النضير الآتية أخبارها قريبا .

وقد تألم رسول الله ﷺ لهاتين المأساتين اللتين وقعتا خلال أيام قليلة فمكث يدعو على الذين فتكوا بأصحابه في الموقعتين : مأساة الرجيع ومأساة بئر معونة ثلاثين صباحا ، حتى نهى عن الدعاء فتركه لما أنزل الله عليه : « بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه » فترك ﷺ قنوته ؛ لأجل هذا القرآن الذي نسخ لفظه فلم يعد قرآنا يتلى .

غزوة بني النضير

كَانَ مِنَ الْعُهُودِ * قَدَمَا مَعَ الْيَهُودِ
تَقَاسَمُ الدِّيَّاتِ * وَرَدُّ كُلِّ آتٍ
بِالْمَكْرِ وَالْأَذْيَةِ * إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي
لَمْ يَدْفَعُوا يَوْمَ أَحَدٍ * عَنْهَا بِصَاعٍ أَوْ بَمُدٍّ
فَقَيْنَقَاعٌ لَمْ تَفِ * فَنُفِيتَ فَيَمَنُ نَفِي
أَمَّا النَّضِيرُ فَلَقَدْ * حَانَ اخْتِبَارُهَا وَرَدُّ
أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ أَتَى * إِلَيْهِمْ وَثَبَتَا
بِأَنَّهُ قَدْ وَجَدَا * أَنَّهُمْ مِمَّا وَدَا
عَلَيْهِمْ نَصِيبٌ * فَقَدِمَ الْحَبِيبُ
دَارَهُمْ وَطَلَبَا * عَوْنًا فَقَالُوا مَرْحَبًا
لَكِنَّهُمْ تَامَرُوا * لِقَتْلِهِ وَمَكْرُوا
فَجَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى * نَبِينَا مِنَ الْعُلَى
مُنْبَأًا بِمَا اخْتَمَرَ * مِنْ كَيْدِ أَقْدَرِ الْبَشَرِ
وَقَدْ غَدَا وَشَيْكََا * تَنْفِيذُ مَا قَدْ حَيْكََا
فَغَادَرَ الْمَكَانَا * وَأَثَرَ الْأَمَانَا
وَبَعَثَ الرَّسُولُ * إِلَيْهِمْ يَقُولُ
فَلتَخْرُجُوا مِنْ دَارِي * لَسْتُ لَكُمْ بِجَارٍ
وَبَعْدَ عَشْرِ مِنْ نَرَى * فَقَطَّعَ رَأْسَهُ يُرَى

بِسَيْفٍ عَدَلْنَا فَهَبْ * كَلُّ النَّضِيرِ لِلْهَرَبِ
 فَبَعَثَ الْمُنَافِقُ * يَقُولُ لَا أُوَافِقُ
 وَإِنِّي أُطَاعُ * فِي الْقَوْمِ لَا تَرَاعُوا
 وَغَطَفَانُ جَارُ * فَالْخَوْفُ مِنْكُمْ عَارُ
 فَبَعَثُوا رَسُولًا * يُنَبِّئُ الرَّسُولَ
 يَقُولُ لَسْنَا نَرَحُلُ * فَمَا أَرَدْتُمْ فَأَفْعَلُوا
 فَرَفَعَ التَّكْبِيرَ * وَمَجَّدَ الْكَبِيرَ
 نَبِيَّنَا وَأَمْرًا * بِالرَّحْفِ حَيْثُ قَرَّرَا
 قَتَالَهُمْ فَلَجَأُوا * إِلَى الْحِصُونِ خَسَّوْا
 فَضْرَبَ الْحِصَارَ * عَلَيْهِمْ جِهَارًا
 وَأَمَرَ النَّبِيُّ * وَأَمْرُهُ سَنِيُّ
 بِقَطْعِ لِيْنِهِمْ فَدَبَّ * رُعْبٌ عَظِيمٌ وَذَهَبَ
 وَهُمْ انْتِصَارَ رَأْسٍ * خِزْيِ النَّفَاقِ النَّحْسِ
 فَأَذْعَنُوا لِأَمْرِ * جَيْشِ الْهُدَى وَالْبِرِّ
 بِأَنْ يُغَادِرُوا وَيَتَّ * رُكُّوا سِلَاحَهُمْ ثَبَتَ
 أَنَّهُمْ قَدْ خَرَبُوا * بِيُوتَهُمْ وَهَرَبُوا

كانت غزوة بني النضير التي أنزل الله فيها سورة الحشر كاملة قد وقعت في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، وكان سببها أن عمرو ابن أمية الضمري قتل رجلين من بني كلاب قد أمنهما رسول الله ﷺ

فالتزم رسول الله ﷺ بأن يديهما، وكان يرى أن المعاهدة التي أبرم مع اليهود فور وصوله إلى المدينة تلزمهم بالمشاركة في كلما يلزم المسلمين من ديات ونحوها إلى جانب الدفاع عن المدينة إذا داهمها عدو، وهو الأمر الذي لم يفعلوه في غزوة أحد، وعلى الرغم من علمه ﷺ أن اليهود أهل دس وخيانة إلا أنه وقد أخرج بني قينقاع لما ظهر منهم من خيانة ومكر رأى أن بقية يهود يتوقع منهم أن يكونوا قد اعتبروا؛ ولهذا خرج إليهم في نفر من أصحابه طالبا منهم أن يؤدوا ما يلزمهم من دية الكلابيين، حسب بنود المعاهدة بينهم وبين المسلمين، فلما كلمهم أظهروا الموافقة وأجلسوه مع أصحابه في ظل بعض دورهم وقالوا له: اجلس ههنا حتى نقضي حاجتك، ثم تأمروا أيهم يأخذ رحي ويصعد بها ثم يلقيها على رأسه فيشدخه بها، فالتزم بذلك أحد أشقيائهم فاعترضهم رجل منهم يقال له سلام بن مشكم، وقال: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. لكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم، وفورا نزل جبريل بأمر الله على رسول الله ﷺ يخبره بما هموا به، فنهض مسرعا دون أن يشعر به أصحابه وتوجه إلى المدينة ولحق به الذين كانوا يرافقونه من أصحابه فأخبرهم بما همتم به يهود، ثم بعث رسول الله ﷺ من فوره محمد بن مسلمة إلى اليهود من بني النضير يقول: اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرا، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت

عنقه ، ولم يجد يهود بدا من الخروج ، فبدأوا يتجهزون للرحيل ، حتى بعث إليهم رأس النفاق عبدالله بن أبي سلول : أن اثبتوا وتمنعوا ولا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين سيدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكذبون ﴾ . وقال المنافق : وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . فعادت لليهود ثقتهم واستقر رأيهم على الثبات والمناجزة ، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما وعده به رأس المنافقين ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول : إنا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك .

فلما بلغ رسول الله ﷺ رد ابن أخطب كبر وكبر المسلمون ثم نهض لمناجزة الأعداء على الرغم من حساسية الموقف بعد ما جرى في أحد وما تلقاه المسلمون بعدها من غدر وخيانة ، إلا أن ذلك أيضا أثار في نفوس المسلمين نقمة على كل خائن وكل غادر ، فاستعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى عليا اللواء ، فلما انتهى إليهم التجأوا إلى حصونهم فتحصنوا فيها ، فضرب رسول الله ﷺ عليهم الحصار ، فقاموا على آطامهم يرمون المسلمين بالنبل والحجارة ويختبئون وراء نخيلهم وبساتينهم فكانت عوننا لهم . فأمر رسول الله ﷺ بقطعها وتحريقها ، وفي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من

لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفسقين ﴿٣٩٤﴾ .
فخذلهم المنافق واعتزلتهم بنو قريظة ، ولم تجبهم غطفان ، فشبه القرآن
حالهم مع من أغووهم بحال الذين ينخدعون بإغواء إبليس فقال :
﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسن اكفر فلما كفر قال إني بريء
منك ﴾ . ولم يطل الحصار فقد دام ست ليال وقيل خمس عشرة ليلة
فقذف الله في قلوب يهود الرعب فتهيأوا للاستسلام وإلقاء السلاح
فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون : نحن نقبل أن نخرج من المدينة
فأنزلهم على أن يخرجوا بنفوسهم وذراريهم ، وأن لهم ما حملت الإبل
عدا السلاح ، فنزلوا على ذلك وخربوا بيوتهم بأيديهم ؛ ليحملوا
الأبواب والشبابيك ، بل حمل بعضهم الأوتاد واقتلع الجذوع من
الأسقف ، ثم حملوا النساء والصبيان ورحلوا جميعا أكابرههم وغيرهم
إلى خيبر وبعضهم إلى الشام ، إلا رجلين أسلما ، هما : يامين بن عمرو
وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما ، وقبض رسول الله ﷺ سلاح بني
النضير واستولى على أموالهم وأرضهم وديارهم ، وكانت كلها خالصة
لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء دون تخميس ؛ لأن الله أفاءها عليه
ولم يوجف المسلمون عليها من خيل ولا ركاب ، فقسماها بين
المهاجرين الأولين ، لكنه أعطى منها أبا دجانة وسهل بن حنيف
الأنصاريين لفقرهما ، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ثم يجعل ما
بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله .

غزوة بدر الثانية

وَبَيْنَمَا جَمَعَ أَحَدٌ * يُذِمُّ ذَا وَذَا حُمِدُ
تَوَاعَدَ الْجَمْعَانَ * بَدْرًا لِيَوْمِ ثَانِ
وَذَاكَ بَعْدَ عَامٍ * يَكُونُ بِالتَّمَامِ
وَحَدَّثَتْ أُمُورٌ * فِي بَعْضِهَا شُرُورُ
وَبَعْضُهَا مَحْمُودٌ * فَقَدْ جَلَّتْ يَهُودُ
وَقَدْ أَخَافَ الْعَرَبَا * مِنْ حَوْلِهِ وَأَرْهَبَا
نَبِيَّنَا الْأَعْدَاءَ * وَأَمَّنَ الْأَرْجَاءَ
وَهَيَّا اللِّقَاءَ * وَعَقَدَ اللِّوَاءَ
لِلْجَيْشِ أَعْطَاهُ عَلِيٌّ * وَمَجَّدَ الْمَوْلَى الْعَلِيَّ
وَابْنَ رِوَاحَةَ جَعَلَ * خَلِيفَةً ثُمَّ رَحَلَ
أَمَّا أَبُو سَفْيَانَ * وَوَعْدُهُ قَدْ حَانَ
فَهُوَ إِلَى مَجَنَّةٍ * وَصَلَ ثُمَّ إِنَّهُ
وَصَلَ فِي الْفَيْنِ * ثُمَّ رَأَى فِي الْحِينِ
أَنْ يَتْرُكَ الْقِتَالَ * خَوْفًا وَلَكِنْ قَالَ
يَا قَوْمِ هَذَا الْعَامُ * قَحْطٌ فَلَا نَلَامُ
مَتَى نَعُودُ مِنْ هُنَا * لِدَارِنَا مِنْ حِينِنَا
وَإِنِّي لَرَاجِعٌ * فَلْتَرْجِعُوا فَطَاوَعُوا

أَمَّا النَّبِيُّ فَوَفَى * بِالْوَعْدِ ثُمَّ انصَرَفَا
بِجَيْشِهِ وَقَدْ سَلِمَ * مِنْ كُلِّ كَيْدٍ وَغَنِمَ
بِالْبَيْعِ وَالْوَفَاءِ * وَرَهْبَةَ الْأَعْدَاءِ

كان رسول الله ﷺ في خضم ما دار بينه وبين مشركي قريش يوم أحد أجاب أبا سفيان دون تردد لما دعاه إلى موعد بعد سنة يكون اللقاء فيه في بدر. فخرج لملاقاته من قابل في شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة في ألف وخمسمائة مقاتل، فأعطى اللواء علي ابن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة، فوصل بدرا في الموعد وعسكر بها ينتظر أبا سفيان وجيشه.

أما أبو سفيان فخرج في ألفين من المشركين ثم سار بجيشه حتى وصل إلى مر الظهران على بعد مرحلة واحدة من مكة، فنزل هناك وكان قد خرج متناقلا يخشى عواقب القتال متهيبا مرعوبا من ملاقاتة المسلمين الذين يعلم علم اليقين أنهم لا بد أن يكونوا أكثر استعداد للحرب منهم في أي موقعة تقدمت هذا، فلما نزل منزله ذلك بمر الظهران على ماء مجنة خارت عزيمته، فقال لقومه: يا معشر قريش إنه لا يصلح لكم إلا عام خصب، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنني راجع فارجعوا. فلم يبد الجيش المشرك أي اعتراض على هذا الرأي فكأنهم إنما خرجوا مكرهين؛ ولهذا بادروا بالرجوع كأن المهمة انتهت. وأما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون قدوم العدو ثم

باعوا ما معهم من البضائع فربحوا بدل الدرهم درهمين ثم رجعوا إلى
المدينة وقد أصبح زمام المبادرة بأيديهم، وتوطدت في النفوس هيبتهم
وتسيدوا الموقف، وقد عرفت هذه الغزوة ببدر الموعد وببدر الصغرى
وببدر الثانية، وببدر الآخرة.

غزوة دومة الجندل

مَنْ بَعَدَ بَدْرٍ اسْتَتَبَ * الْأَمْنُ وَهَابَتْ الْعَرَبُ
أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى * مَدَى شُهُورٍ نَقْلًا
مَنْ بَعْدَهَا بِأَنَا * هُنَاكَ مَنْ تَجَنَّى
بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ قَدْ * جَمَعَ الْأَعْرَابَ وَجَدَ
يَقْطَعُ كُلَّ دَرْبٍ * وَمُعَلْنَا لِلْحَرْبِ
فَجَمَعَ الْقَوْمَ النَّبِيَّ * وَقَامَ يَفْدِيهِ أَبِي
بِغَزْوِهِمْ فَيَكْمُنُ * نَهَارَهُ وَيَظْعَنُ
لَيْلًا لِكَيْلًا تَعَلَّمَا * بِهِ الْعِدَا فَتَسَلَّمَا
حَتَّى أَتَى لِدُومَةَ الْ * جَنْدَلِ وَهُوَ إِذْ يَحُلُ
بِرَبْعِهَا لَمْ يَجِدْ * مِنْ أَهْلِهَا مِنْ أَحَدٍ
فَبَعَثَ الْخَيْولَا * تُطَارِدُ الْفُلُولَا
وَعَنِمَ الْمَغَانِمَا * مِنْهُمْ وَعَادَ سَالِمًا
مُؤَادِعًا لِلْأَمْنِ * حُذَيْفَةَ بْنَ حِصْنِ

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن وطد الأمن حول المدينة بخروجه إلى الموعد بجيش كبير، وتهيب المشركين من أهل مكة الخروج له فمكث في المدينة وهي هادئة وادعة ستة أشهر حتى بلغه أن ناسا من الأعراب بدؤمة الجندل في الشمال يقطعون الطريق ويتهاون لغزو المدينة، فتأهب للخروج إليهم حتى يقمع فتنهم وبذلك يعلم المواليون والمعادون له معا أن الأمر أصبح في الجزيرة لله ولرسوله وللمسلمين. فاستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وخرج في ألف من المسلمين في أواخر ربيع الأول سنة خمس من الهجرة واتخذ دليلا من بني عذرة رجلا يقال له مذكور.

خرج رسول الله ﷺ بالجيش من المدينة إلى دومة الجندل من أطراف الشام على بعد خمس عشرة ليلة، وسار بالجيش وهو يكمن النهار ويسير بالليل عله يفاجئ الأعداء وهم غارون، ولكنهم أحسوا به فأخلوا مكانهم وفروا في كل وجه، فلما نزل المسلمون بساحتهم لم يجدوا أحدا، وأقام رسول الله ﷺ بدارهم أياما وبث السرايا وفرق الجيوش فلم يصب منهم أحدا، ثم رجع إلى المدينة وقد وادع في تلك الغزوة عيينة بن حصن، وكان رسول الله ﷺ قبل أن يصل إلى دومة الجندل هاجم ماشيتهم ورعاهم فهرب من هرب وأصيب منهم من أصيب، ولذا علموا بمقدمه فتفرقوا، ثم رجع إلى المدينة سالما غانما بعد أن أمن الطريق الشمالي، وقمع من كانوا يخيفون العابرين، وينهبون الأموال ويقطعون الطريق.

غزوة الخندق

عَشْرُونَ هُمْ أَشْرَارُ * بَنِي النَّضِيرِ دَارُ
فِي الْعَرَبِ يَنْفُثُونَ * سُمَّ الْأَفَاعِي دُونَا
كَلَلٍ أَوْ دُونَ مَلَلٍ * حَتَّى إِذَا الْحَقْدُ اكْتَمَلَ
تَحَزَّبَ الْأَحْزَابُ * تَقُودُهَا كِلَابُ
بَنِي النَّضِيرِ لِلْهَلَا * كَ فَإِلَيْنَا نَقْلًا
أَنْ قُرَيْشًا وَكُنَّا * نَةَ وَمَنْ تَمَكَّنَا
مَنْ أَسَدٍ وَغَطَفَا * نَ وَسَلِيمٍ أَلْفَا
جَيْشًا يَقُودُهُ أَبُو * سُفْيَانَ ثُمَّ ذَهَبُوا
إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ * غَرَّهُمْ ذَاكَ الْعَدَدُ
فَهُمْ أُلُوفٌ عَشْرَةٌ * وَذَاكَ فِيمَا ذَكَرَهُ
بَعْضُ الثَّقَاتِ أَكْثَرُ * مِنْ كُلِّ مَنْ يُعْتَبَرُ
مَعَ النَّبِيِّ جَمْعًا * إِلَى الشُّيُوخِ الرُّضْعَا
فَبَلَغَتْ أَخْبَارُ * مَا جَمَعَ الْكُفَّارُ
نَبِينَا فَعَقَدَا * مَجْلِسَ رَأْيٍ رَشَدَا
فِي الرَّأْيِ مَنْ أَشَارَا * بِخَنْدَقٍ فَاخْتَارَا
خَيْرُ الْأَنَامِ مَا رَأَى * سَلْمَانَ ثُمَّ بَدَأَ
مِنْ فَوْرِهِ فَأَوْعَزَا * لِفِرْقَةٍ أَنْ تُنْجَزَا

بِالْحَفْرِ أَرْبَعِينَ * ذِرَاعًا أَجْمَعِينَ
وَهَكَذَا الْكُلُّ * عَشْرَةَ بِالْمَثَلِ
وَشَارَكَ الرَّسُولُ * فِي حَفْرِهِ يَقُولُ
لَاهُمْ عَيْشَ الْآخِرَةِ * رَحْمَاكَ لِلْمُهَاجِرَةِ
كَذَاكَ لِلْأَنْصَارِ * أُولِي النَّهْيِ الْأَخْيَارِ
وَزَهَرَتْ آيَاتُ * لِلنُّورِ بَيِّنَاتُ
فَجَفْرَةٌ وَصَاعُ * وَشَبْعَ الْجِيَاعِ
أَلْفٌ كَذَاكَ فَادِرُ * بِحَفْنَةٍ مِنْ تَمْرٍ
قَدْ شَبِعُوا وَفَضْلًا * مِنْ ذَا وَذَا عَنِ الْمَلَا
أَكْثَرُ مِمَّا كَانَا * يَرُونَهُ عَيَانَا
وَاعْتَرَضَ الْقَوْمَ حَجْرُ * فَضْرِبُوا وَمَا انْكَسَرَ
ثُمَّ شَكَّوهُ لِلنَّبِيِّ * فَدَتَّهُ أُمِّي وَأَبِي
ضَرْبَهُ فَكَبَّرَا * وَقَالَ إِنِّي لَأَرَى
مِنْ هَهُنَا الشَّامَ كَذَا * ضَرْبَ ثُمَّ أَخَذَا
مِنْ بَعْدِهَا يُكَبِّرُ * وَقَالَ قَوْمٌ أَبْشَرُوا
أُعْطِيَتْ فَارِسَ كَمَا * صَنَعَاءُ وَالشَّامُ هُمَا
لَنَا وَذَلِكَ الْحَجْرُ * مِنْ فَوْرِهِ صَارَ مَدْرُ
وَمِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا * جَاءَ الْعِدَا فَرَكْنَا

لَصَدَقَ وَعَدَ اللَّهُ * ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ * فَمُؤْمِنٌ لَأَمْرِهِ
بَلْ صَدَّقُوا الرَّحِيمَا * فَزَادَهُمْ تَسْلِيمَا
وَبُهتَ الْكُفْرِيْرَى * أَمْرًا جَدِيدًا قَدْ جَرَى
إِذْ لَمْ يَرَوْهُ قَبْلَهَا * لِلْعُرْبِ فِي حَرْبٍ لَهَا
حِينَ رَأَوْا ذَا الْخَنْدَقَا * شَيْئًا مَخُوفًا يَتَّقَا
فَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * وَأَحْكَمُوا الْحَصَارَا
أَمَّا قَرِيْظَةٌ فَلَمْ * يَزَلْ حِيِيٌّ فِي الْخِصْمِ
يَحْتِثُّهَا لَتَنْقُضَا * مِنْ الْعُهُودِ مَا مَضَى
مَعَ النَّبِيِّ فَاَنْجَلَى * حُبُّهُمْ بئْسَ الْمَلَا
وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ * وَاخْتَلَطَ النَّهَارُ
بِالَّيْلِ وَالْمَنَافِقُو * نَ خَسِئُوا وَمَحَقُوا
قَدْ أَظْهَرُوا الَّذِي كَمَنْ * دَاخَلَهُمْ مِنَ الْعَفْنِ
فَأَرْجَفُوا إِرْجَافَا * لِيَنْشُرُوا الْخِلَافَا
وَزَعَمُوا النَّبِيَا * وَرَبَّنَا الْعَلِيَا
مَا وَعَدَا إِلَّا غُرُو * رَأَ كُبُتُوا وَخَسِرُوا

أجلي بنو النضير عن المدينة إثر خيانتهم الخزية فعاد السلام والأمن
للمدينة وما حولها إلا أن اليهود لم يفيقوا من غيهم أو يتخلوا عن

عادة الغدر والخيانة التي جبلوا عليها، فشرعوا في حياكة المؤامرات من جديد وأخذوا يعدون العدة لتسديد ضربة جديدة للمسلمين يأملون أن تكون القاضية، وهكذا خرج عشرون من أفاعي بني النضير وغيرهم من يهود إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ووعدوا قريشا بأنهم سينصرونها فأجابهم القرشيون، وقد رأوا في ذلك إنقاذاً لسمعتهم بعد نكوصهم عن وعد الخروج لبدر الثانية. ثم خرج وفد اليهود هذا إلى غطفان فدعاها إلى ما دعا إليه قريشا فأجابتهم غطفان لذلك، ثم طاف وفد الخزي من يهود في قبائل العرب يحزبون الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ، فتحزب للمامرة كل من: قريش وكنانة والأحلاف من أهل تهامة تحت قيادة أبي سفيان، ثم لحقت بهم بنو سليم وبنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة بقيادة الحارث بن عوف، ولحق بهم بنو أشجع وبنو أسد وغيرهم من أخلاط وأوباش العرب.

تحركت جميع هذه الأحزاب باتجاه المدينة، وخلال أيام تجمع حول المدينة جيش عرم قوامه عشرة آلاف مقاتل، وهو عدد ربما كان يفوق كل سكان المدينة بمن فيهم النساء والأطفال، وربما كان هذا الجيش لو تمكن من مباغطة المدينة في غفلة من أهلها ربما أتى على الأخضر واليابس فيها، إلا أن الله بمنه حافظ نبيه ودينه، ولهذا لم تكد تلك الجحافل تتحرك حتى نقلت عيون المسلمين أخبارها إلى رسول الله ﷺ

فسارع إلى عقد مجلس استشاري تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن المدينة فأدلى كل برأي في المسألة وكانت الحظوة لرأي سلمان رضي الله عنه، حيث قال: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فوافق رسول الله ﷺ والصحابة على رأي وخطة سلمان، وكانت تلك خطة حكيمة لم تعرفها العرب من قبل فأسرع رسول الله ﷺ بتنفيذها وقسم الصحابة مكلفا منهم كل عشرة رجال بحفر أربعين ذراعا، فبدأ المسلمون بجد ونشاط في تنفيذ ما وكل إليهم، ورسول الله ﷺ يحثهم ويساهم معهم في العمل، فعن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا بالمهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة. فقالوا يجيئون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات بن رواحة وهو ينقل من التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وكان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يقاسون الجوع والبرد
قال أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن
حجر، حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين.

وقد وقعت إبان حفر الخندق آيات كبيرة وعبر عظيمة، ومن ذلك
أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه رأى النبي ﷺ قد أصابه جوع شديد،
فعمد إلى عناق له فذبحها، وطحنت امرأته صاعاً من شعير ثم طلب
من رسول الله ﷺ أن يأتي سرا في نفر من أصحابه. فقام النبي ﷺ
بجمع أهل الخندق وهم ألف، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا، وبقيت
برمة اللحم تغط به كما هي، والعجين يخبز كما هو. وجاءت أخت
النعمان بن بشير بحفنة من تمر إلى الخندق فمرت برسول الله ﷺ
فطلب منها التمر وقام بتبديده فوق ثوب ثم دعا أهل الخندق فجعلوا
يأكلون منه. وجعل التمر يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه
يسقط من أطراف الثوب.

وأعظم من هذا وذاك ما أخرجه البخاري عن جابر قال: إنا يوم
الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه
كدية عرضة في الخندق، فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر
ولبثنا ثلاثة لا نذوق طعاماً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كشيياً
أهيل أو أهيم، أي صار رملاً لا يتماسك. وعن البراء قال: لما كان يوم
الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول

فاشتكيننا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء وأخذ المعول ثم قال : بسم الله ثم ضرب ضربة وقال : «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة» ثم ضرب الثانية فقال : «الله أكبر، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن» ثم ضرب الثالثة فقال «بسم الله» فقطع بقية الحجر فقال : «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني».

وواصل المسلمون الحفر يعملون في الخندق طول النهار ويعودون إلى أهليهم في المساء حتى تكامل الخندق قبل وصول الأعداء، ثم أقبلت قريش في أربعة آلاف، وغطفان وأشياعها وأهل نجد في ستة آلاف، فرأى المسلمون ذلك فزادوا إيماناً وتصديقاً لنبي الله : ﴿وما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ . وأما المنافقون ومرضى القلوب، فقد اضطربت نفوسهم وزاغت قلوبهم، وقالوا الذي أخبر الله به عنهم : ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ . وهكذا عند الشدائد لا يثبت إلا من امتلأ قلبه يقيناً وإيماناً .

وَلَمْ يَكُنْ جَيْشُ الْعَدَا * لَذَا الْحَصَارِ مَهْدَا
فَسَائِمُوهُ وَأَسْتَقِرْ * رَأْيُهُمْ أَنْ لَأَ مَفْرُ
مِنْ اقْتِحَامِ الْخَنْدَقِ * فَنَفَّذَ الْأَمْرَ الشَّقِي

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ * فِي نَفَرِ ذِي جَدِي
نَازِلُهُ عَلَيَّ * فَهَلَكَ الشَّقِيُّ
أَمَّا رَفِيقَاهُ فَقَدْ * فَرَّأَ وَمَا عَلَى أَحَدٍ
لَوْى ضِرَارٌ لَّا وَلَا * عَكْرِمَةٌ بَلْ خُذَلَا
ذَانِ فَآثِرَا النَّجَا * مُدْبِرِينَ خَرَجَا
مِنْ حَيْثُ كَانَا افْتَحَمَا * فَهَرَبَا لِيَسْلَمَا
وَبَقِيَ الْحَالُ تَنَا * ضُحَاً بِنَبْلِ زَمَنَا
وَقَتَلَ الْأَعْدَاءُ * سِتًّا وَعَشْرًا فَاءُوا
إِلَى الْجَحِيمِ وَبَنُو * يَهُودٍ قَدْ تَفَنَّنُوا
فِي الْغَدْرِ ثُمَّ أَعْلَنُوا * حَقْدَهُمْ وَبَيَّنُّوا
مَكْرًا لِذَلِكَ النَّبِيِّ * رَاوِدَ بَعْضَ الْعَرَبِ
يُعْطِيهِمْ حَبَاءً * إِنْ أَعْلَنُوا الْجَلَاءَ
فَيَفْشِلُ الْحِصَارُ * فَأَبَتِ الْأَنْصَارُ
فَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ * وَخَتَلَطَ النَّهَارُ
بِالَيْلِ وَأَدْلَهَمَا * ظَلَامٌ ظُلْمٍ عَمَّا
حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ * نَصْرًا لِمُصْطَفَاهُ
آمَنَ بِاللَّهِ الْفَتَى * نَعِيمُ الَّذِي أَتَى
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ * مُسَلِّمًا لِلَّهِ

وَقَالَ مُرْنِي قَالَ مَا * يَفْعَلُ فَرْدٌ أَسْلَمًا
فَخَذَلْنَا عَنَّا * إِنْ اسْتَطَعْتَ إِنَّا
نَرْجُو مِنَ الْقَدِيرِ * نَصْرًا عَلَى النَّفِيرِ
جَاءَ إِلَى الْيَهُودِ * بِمَظْهَرٍ وَدُودِ
وَقَالَ إِنِّي كَمَا * عَلِمْتُمْ مُقَدَّمًا
لِنَاصِحٍ مُحِبٍّ * قَالُوا وَنَعْمَ الْحَبُّ
فَقَالَ أَنْتُمْ هُنَا * وَالْجَيْشُ إِمَّا ظَعَنًا
مِنْ هَاهُنَا عَنْكُمْ غَدَا * لَأَقِيْتُمْ مُحَمَّدًا
مُنْفَرِدِينَ فَظَفَرٌ * بِكُمْ فَقَالُوا مَا الْمَفْرُ
قَالَ خُذُوا رَهَائِنَا * مِنْهُمْ فَقَالُوا حَسَنًا
رَأَيْتَ ثُمَّ شَمَّرًا * وَلِقُرَيْشٍ حَذْرًا
وَعَطْفَانَ قَائِلًا * فَلْتَحْذَرُوا الْأَرَاذِلَا
لَأَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا * عَنْ وَعْدِهِمْ وَأَجْمَعُوا
عَلَى اجْتِلَابِ عَدَدٍ * مِنْكُمْ إِلَى مُحَمَّدٍ
فَطَلَبَ الْأَحْزَابُ * أَنْ تَهْجُمَ الْكِلَابُ
وَيَهْجُمُوا فَطَلَبَ آلُ * يَهُودٍ رَهْنًا فَحَصَلَ
بِذَلِكَ التَّسْلِيمِ * لِمَا رَوَى نَعِيمٌ
لَهُؤُلَا وَهَؤُلَا * وَهَكَذَا تَخَاذَلَا

وَهَاجَ ثُمَّ مَاجَا * جَمَعَهُمْ وَرَاجَا
بَيْنَهُمْ ذَاكَ الْخَبْرَ * نَارَ الْهَشِيمِ وَانْتَشَرَ
وَجَاءَتِ الْجُنُودُ * أَرْسَلَهَا الْمَعْبُودُ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَا * نِكَّةَ جُنْدِ ذِي الْعُلَى
وَهَكَذَا عَمَّ الْفَزَعُ * وَهَبَ رِيحٌ فَاقْتَلَعَ
خِيَامَهُمْ فَجَبَنُوا * وَقَرَّرُوا أَنْ يَظْعَنُوا
فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ * رَسُولَهُ يَقُولُ
انظُرْ لَنَا مَا الْخَبْرُ * فَجَاءَهُ يُبَشِّرُ
بِمَا رَأَاهُ مِنْ فِرَا * رِ كُلِّ مَنْ قَدْ كَفَرَا
وَوَحَّدَهُ الْعَلِيُّ * حِينَ دَعَا النَّبِيَّ
هَزَمَهُمْ تَعَالَى * وَزَادَهُمْ خَبَالًا

امتلأت نفوس المسلمين إيماناً بالله وثقة بوعده واطمأنوا لما رأوا
إحكام الخطط التي اتبعها رسول الله ﷺ للتصدي للأعداء، فقد انتهى
من حفر ذاك الخندق العظيم الذي يصعب على الأعداء اقتحامه، ثم
خرج في ثلاثة آلاف من المؤمنين بوعده الله الصادقين في إيمانهم بربهم
فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع فتحصنوا به، وجعلوا الخندق بينهم
وبين الغزاة الكفرة، وكان شعارهم يومئذ: «هم لا ينصرون» ثم
استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم وأمر بالنساء
والذرية فجعلوا في آطام المدينة.

أراد المشركون اقتحام المدينة فوجدوا خندقا عريضا يحول بينهم وبينها، فالتجأوا إلى فرض الحصار الذي لم يكونوا مستعدين له لأنهم لم يعرفوا شيئا كهذا الخندق قط، فأخذوا يدورون حول الخندق عليهم يجدون نقطة ضعيفة يقتحمون منها، والمسلمون كانوا لهم بالمرصاد يبادرونهم بالرشق بالنبال حتى لا يجترئوا على الاقتراب من خندقهم لعبوره أو ردمه، وكره بعض فرسان قريش هذا الترقب الذي لم يتعودوا على مثله في معاركهم فقررت مفرزة منهم منها عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وغيرهم، فقصدوا أضيق نقطة في الخندق فاقتحموه منها بخيلهم فخرج علي بن أبي طالب في نفر من أبطال المسلمين فسدوا عليهم الثغرة التي عبروا منها، فدعا عمرو إلى المبارزة فخرج له علي بن أبي طالب، فنزل عمرو عن فرسه وعقرها، ثم أقبل على علي فتجاولا ساعة ثم تمكن منه علي فقتله بعون الله، فانهزم الباقون مرعوبين حتى إن عكرمة ترك رمحه وهو يفر عن عمرو.

ومن الأمور المثيرة في هذه الغزوة أن اشتداد مكافحة الأعداء في بعض الأيام أشغلت رسول الله ﷺ عن الصلاة حتى خرج الوقت. ففي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش فقال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال النبي ﷺ: «والله ما

صليتها» فنزلنا مع النبي ﷺ ببطحان ، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها
فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . وقد
غضب رسول الله ﷺ لذلك حتى إنه دعا على المشركين قائلاً : «مألاً
الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى
غابت الشمس». ويروى ، ولعله في يوم آخر ، أنهم انشغلوا عن
الصلوات من الظهر إلى العشاء .

وقد قتل من المسلمين في تلك المناوشات ستة رجال ، في مقابل
عشرة من المشركين ، وكان سهم من سهام العدو حينئذ أصاب سعد
ابن معاذ رضي الله عنه فقطع أكحله فدعا الله قائلاً في بعض دعائه :
«اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم
كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا
وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني لها حتى أجاهدهم
فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها ، ولا
تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة» .

وفيما المسلمون يواجهون هذه الشدائد انطلق رأس الإجماع في بني
النضير : عدو الله حبي بن أخطب يحرض بني قريظة ويعددهم بعز
الدهر إن حاربوا النبي مع الأحزاب ، فتمنع عليه سيدهم كعب بن أسد
بعض التمنع ثم طأعه على الغدر والخيانة مع أنه كان عاهد رسول
الله ﷺ على أن ينصره إذا أصابته حرب ، لكن أعلنت بنو قريظة

الحرب على المسلمين والانضمام للمشركين وظهر ذلك منهم . فبينما كانت صفية بنت عبدالمطلب عممة رسول الله ﷺ في فارع حصن حسان بن ثابت لاحظت رجلا من يهود يدور بالحصن الذي ليس فيه إلا النساء والأطفال مع صاحبه حسان بن ثابت فعرفت أنه يتجسس على من في الحصن فأخذت عمودا ونزلت إليه وأخذت تضربه حتى مات . وكان هذا العمل البطولي منها رادعا لليهود حيث ظنوا أن في الحصون حامية من الرجال فهابوها . ثم علم رسول الله ﷺ بخيانة قريظة فبعث رجالا من أصحابه وأمرهم أن يلحنوا له ولا يصرحوا إذا وجدوا القوم على غدر، فلما تحققوا من خيانتهم، عادوا فقالوا له : عضل وقارة، أي هم غادرون كغدر أولئك بأصحاب الرجيع . وهذا كان هذا من أصعب المواقف على المسلمين، إذ لم يكن بينهم وبين بني قريظة أي حائل والجيش الجرار من أمامهم ولا أحد يحمي الذرية والنساء إذا هاجمتهم قريظة، فصاروا كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وبدأ المنافقون يتقولون ، وحتى قال البعض : إن بيوتنا عورة فائذن لنا أن نخرج ، بل إن بني سلمة هممت بالفشل ، وفي هذا كله أنزل الله على نبيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن

بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ﴿ وفي هذا الخضم بدأ رسول الله ﷺ كقائد شفوق على قومه يفكر في أي شيء يخفف المحنة فرأى أن يعطي غطفان ثلث ثمار المدينة إذا انصرفوا بقومهم ، فعرض الأمر على السعدين فقالا : إن كان وحيا أنزله الله عليك قبلناه ، وإن كان إنما هو شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا به ، فقال : إنما هو شيء أردت أن أصنعه لكم ثم نزل على رأيهما .

وبنما المسلمون في الأخذ والرد ، والخوف الشديد يملأ النفوس أراد الله بمنه إنهاء المحنة ورد الأعداء خائبين ، فهدى رجلا من غطفان إلى الإسلام هو نعيم بن مسعود الأشجعي ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فذهب من فوره إلى بني قريظة وكان عشيرا لهم في الجاهلية ، فقال لهم : قد عرفتم ودي إياكم وما بيني وبينكم ، فقالوا : صدقت . قال : فإن قريشا ليسوا مثلكم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبنائكم ونسأؤكم ، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم ، وبلدهم ونسأؤهم وأموالهم بغيره ، فإن أصابوا فرصة انتهزوها ، وإلا لحقوا ببلادهم وتركواكم ومحمدا فانتقم منكم . قالوا فما العمل يا نعيم ؟ قال : لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن . قالوا لقد أشرت بالرأي . ثم مضى نعيم إلى قريش وقال لهم : تعلمون ودي لكم ونصحي لكم ؟

قالوا: نعم، قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك.

وعلى إثر ما رسخ نعيم في خلد المشركين بعثوا إلى يهود يقولون: إنا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع والخف، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا. فأرسل إليهم اليهود إن اليوم يوم سبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن. فلما جاءتهم الرسالة قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، فبعثوا إلى يهود إنا والله لا نرسل إليكم أحدا، فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا. فقالت قريظة كما قال المشركون: صدقكم والله نعيم. فتخاذل الفريقان، وخارت عزائمهم، وعافوا القتال.

وكان رسول الله ﷺ يدعو على الأحزاب فيقول: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». فاستجاب الله لنبيه فأرسل على أعدائه ريحا كأشد ما يكون الريح فقوضت خيامهم وأكفأت قدورهم، وأرسل جندا من الملائكة تزلزلهم وتلقي في قلوبهم الرعب.

ثم أرسل رسول الله ﷺ في هذه الليلة الباردة شديدة الريح حذيفة ابن اليمان يأتيه بخبرهم فوجدهم يتهيأون للرحيل فعاد بالخبر السار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فأصبحوا وقد رد الله كيد الأعداء فعادوا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال.

غزوة بني قريظة

مِنْ وَقَعَتِ الْأَحْزَابِ عَا * دَ خَيْرٌ مَنْ كَانَ وَعَى
عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى * لِبَيْتِهِ فَقَالَا
جَبْرِيلُ فَالْمَلَائِكُ * لَمْ تَسْتَرْحِ فَلْتَهَلَكُوا
بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَا * تَضَعُ سِلَاحَكَ إِلَى
أَنْ يَحْكُمَ الْعَلِيُّ * فِيهِمْ دَعَا النَّبِيُّ
مُؤَذِّنِيهِ أَنْ مَنْ * كَانَ مُطِيعًا وَرَكْنَ
لِلدِّينِ فَلْيُصَلِّ * ذَا الْعَصْرِ فِي مَحَلِّ
بَنِي قُرَيْظَةَ فَمَنْ * هُمُ الَّذِي كَانَ فَطِنَ
لَأَنَّ ذَا اسْتَعْجَالَ * وَآخِرُونَ قَالُوا
فِيهَا نُصَلِّي الْعَصْرَا * لِيَذَا وَذَا أَقْرَا
وَوَصَلَ النَّبِيُّ * وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ
فَفَرَضَ الْحَصَارَا * عَلَيْهِمْ فَاخْتَارَا
لَهُمْ زَعِيمٌ خَبْرَا * وَكَانَ لِلْحَقِّ يَرَى
إِحْدَى ثَلَاثٍ مِنْهَا * الْإِسْلَامُ زَاغُوا عَنْهَا
فَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى * حُكْمِ رَسُولِ ذِي الْعُلَى
فَنَزَلُوا عَلَيْهِ تَا * رَكِينَ مَا قَدْ ثَبَتَا

أَنَّ أَبَا بَابَةَ * وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ
أَنْبَأَهُمْ بِالْقَتْلِ * لَيْسَ لَهُ مِنْ مِثْلِ
فَنَزَلُوا وَأَمْرًا * بِحَبْسِهِمْ خَيْرُ الْوَرَى
فَشَفَعَ الْأَوْسُ فَقَا * لَ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَشْفَقَا
تَرْضَوْنَ حُكْمَ حَكْمٍ * مِنْكُمْ خَلَا مِنْ تُهُمِ
قَالُوا نَعَمْ رَضِينَا * وَإِنَّ سَعْدًا فِينَا
نَعَمْ الْأَمِينَ الْمُؤْمِنُ * وَخَيْرٌ مِنْ يُؤْتَمَنُ

فَحَكَمَ الْحَكَمُ سَا * عَدُّ فِيهِمْ وَمَا رَجَعُ
عَنْ حُكْمِهِ النَّبِيُّ * بَلْ قَالَ وَالْعَلِيُّ
مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ قَدْ حَكَمَ * بِمَا حَكَمْتَ وَلِيَعَمَّ
بِالْقَتْلِ كُلِّ ذَكَرٍ * بَلَّغَ فِي الْمُعْتَبَرِ
وَلِلذَّرَارِيِّ السَّبْيِ وَالْ * مَالُ فَبِالتَّقْسِيمِ حَلُّ
لِلْمُؤْمِنِينَ فَاَنْتَهَى * أَمْرُ الْيَهُودِ السُّفَهَا

انهزم الأحزاب بقدره الله فرجع رسول الله ﷺ والصحابة إلى بيوتهم ليأخذوا نصيبهم من الراحة، وبينما رسول الله ﷺ يغتسل في بيت أم سلمة جاءه جبريل عليه السلام فقال له: «أوقد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتها، وما رجعت الآن إلا من طلب

القوم، فانهض بمن معك إلى بني قريظة فإنني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب».

فأمر رسول الله ﷺ المؤذن أن أذن في الناس: «من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة» ثم استعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى الراية عليا وأمره بالتقدم إلى بني قريظة. فسار علي إليهم فلما دنا من حصونهم سمعهم يسبون رسول الله ﷺ أخزاهم الله. وبادر المسلمون بامتنال أمر رسول الله ﷺ وسار هو في كوكبة من المهاجرين والأنصار حتى نزل على بئر من آبار بني قريظة، أما الصحابة فقد أدركتهم العصر في الطريق فبعضهم تابع المسير إلى بني قريظة ولم يصل العصر حتى وصلهم وكان ذلك بعد العشاء مقدمين حرفية الأمر، والبعض الآخر صلوا حين أدركهم وقت الصلاة حاملين أمره ﷺ على طلب السرعة في المسير دون قصد الخل بالصلاة، فلم يخطئ رسول الله ﷺ أيا من الفريقين. وهكذا تحرك الجيش أرسالا حتى تجمع عند بني قريظة وقد بلغ الجيش المسلم ثلاثة آلاف ففرضوا الحصار على العدو، فلما اشتد الحصار عليهم رأى لهم رئيسهم كعب بن أسد أن أمرهم قد بلغ حدا لا مفر فيه من حكمة تقدم على العناد والطغيان فقال لهم: إما أن تسلموا وتتبعوا محمدا، وتدخلوا معه في دينه فتأمنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، ثم قال: ووالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم. والخيار

الثاني : أن تقتلوا ذراريكم ونساءكم بأيديكم ، وتخرجوا إليه
بالسيوف مصلته فتناجزوه حتى تظفروا به أو تموتوا عن آخركم .
والخيار الثالث : أن تهجموا عليهم في يوم السبت وهم غارون لا
يظنون أنكم ستقاتلونهم في يوم سبتكم ، فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة
منها . فقال لهم في انزعاج : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة
واحدة من الدهر حازما .

لم يبق لبني قريظة بعد رد رأي رئيسهم إلا النزول على حكم رسول
الله ﷺ فأرادوا الاتصال ببعض من كانوا حلفاء لهم من المسلمين لعلمهم
يتعرفون منهم على ما سيحل بهم لو نزلوا على حكم رسول الله ﷺ
فطلبوا أن يبعث إليهم رسول الله أبا لبابة يستشيرونه ، وكان من
حلفائهم وأولاده وأمواله في منطقتهم فلما جاءهم قالوا له : يا أبا
لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ فقال : نعم ، وأشار بيده إلى
حلقه ، أي أنهم سينزلون ليدبحوا ، ثم شعر من فوره أنه وقع في خيانة
لله ولرسوله ، فغادر المكان دون أن يرجع إلى رسول الله ﷺ وربط
نفسه في سارية من سواري المسجد وأقسم أنه لا يحمله منها إلا رسول
الله ﷺ إذا تاب الله عليه ، وأنه لن يدخل أرض بني قريظة أبدا ، فلما
علم رسول الله ﷺ بحاله قال : لو جاءني لاستغفرت الله له ، ولكن
مادام فعل ما فعل فلا أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .
وبرغم أن بني قريظة كان باستطاعتهم تحمل الحصار لمناعة

حصونهم وتوفير الطعام والشراب لديهم، والآبار في حصونهم، إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب فبادروا إلى النزول على حكم رسول الله ﷺ فأمر رسول الله باعتقال الرجال وعزلهم عن النساء والأطفال فقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله لقد فعلت في بني قينقاع ما قد فعلت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ. فقالوا: قد رضينا. فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد وكان في المدينة لم يخرج للجرح الذي أصابه يوم الخندق، فأركب حمارا وجاء إلى رسول الله ﷺ فأحاط به قومه وهم يقولون: يا سعد، أجمل في مواليك فأحسن فيهم فإن رسول الله ﷺ قد حكمك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما سمعوا منه ذلك يئسوا منه، فرجع بعضهم إلى المدينة فنعى إليهم القوم قبل أن يسمع حكم سعد فيهم. ولما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال للصحابة: قوموا إلى سيدكم فلما أنزلوه قال: «يا سعد إن هؤلاء القوم قد نزلوا، على حكمك». قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم، قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ههنا؟ وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله ﷺ إجلالا له وتعظيما، قال: «نعم، وعلي». قال رضي الله عنه: فإنني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال. فقال

رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ». فأمر رسول الله ﷺ بحبسهم في إحدى دور الأنصار وحفرت لهم خنادق وسيقوا إليها أرسالا تقطع رقابهم فيها جزاء ما تآمروا على المسلمين بعد نقضهم لكل العهود والمواثيق التي بينهم وبين رسول الله ﷺ . وقد قتل مع بني قريظة شيطان بني النضير حيي ابن أخطب الذي كان رأس المؤلبين على رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب ، والجامعين الأحزاب لحربه .

ولما تم أمر بني قريظة استجاب الله لدعاء سعد فانتقض عليه جرحه فمات منه وهو في خيمة بقرب المسجد نصبها له رسول الله ﷺ ليعوده فيها من قريب . وأما أبو لبابة فمكث في مربطه ست ليال إذا حانت الصلاة حلته امرأته فصلى ثم عاد لمربطه حتى نزلت توبته على رسول الله ﷺ سحرا وهو في بيت أم سلمة فجاء الناس ليحلوا وثاقه فأبى أن يحله إلا رسول الله ﷺ فحله ﷺ لما جاء يصلي الصبح .

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قَدْ كَانَ مِنْ طُغَاةِ * يَهُودِ بَلْ دُعَاةِ
أَذِيَّةِ الْمُخْتَارِ * سَلَامُ رَأْسِ الْعَارِ
فَاسْتَأْذَنَ الْخَزْرَجُ فِيهِ * هـ مَثَلَمَا ابْنُ الْأَشْرَفِ
قَتَلَهُ الْأَوْسُ بِإِذْنِ * نِ الْمُصْطَفَى وَحِينَئِذٍ

أَذْنَ لَكِنْ حَذْرًا * مِنْ قَتْلِ غَيْرِ النَّظَرِ
فَقَصِدَ الْمُجَاهِدُ * نَ دَارَهُ وَالْقَائِدُ
نَجَلُ عَتِيكَ فِدْنَا * مِنْ حَصْنِهِ وَهَهْنَا
صَعَدَ مُحْتَالًا إِلَى * حَيْثُ الْكُفُورُ فَاعْتَلَا
هَامَتُهُ بِالسَّيْفِ * فَمَاتَ دُونَ زَيْفِ
لَكِنَّهُ إِذْ نَزَلَا * سَقَطَ ثُمَّ حُمَلَا
لَأَنَّهُ قَدْ كُسِرَا * سَاقًا فَأَفْضَلَ الْوَرَى
مَسَحَهُ فَالْتَأَمَا * فَوْرًا وَعَادَ مَثَلَمَا
كَانَ كَأَنَّ مَا قَدْ شَكَا * كَسِرًا قُبَيْلَ ذَلِكََا
وَعَادَتِ السَّرَايَا * تُوزَعُ الْمَنَايَا
عَلَى الْعَدَا وَتُرْعَبُ * كُلُّ كُفُورٍ يُرْهَبُ
جُنْدَ رَسُولِ اللَّهِ * بِقُدْرَةِ الْإِلَهِ
وَتَنْشُرُ الدِّينَ النَّقِي * فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ

سلام بن أبي الحقيق كان من أنجس مجرمي يهود الذين حزبوا
الأحزاب ضد رسول الله ﷺ وأعانهم بالأموال الكثيرة، وكان يؤذي
رسول الله ﷺ فلما فرغ المسلمون من أمر بني قريظة طلبت الخزرج من
رسول الله ﷺ الإذن بقتله تأسيا بإخوانهم من الأوس الذين كانوا قد
فازوا بقتل اليهودي كعب بن الأشرف. فأذن لهم رسول الله ﷺ في
ذلك، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان، فانتدب لذلك خمسة أبطال

يقودهم عبدالله بن عتيك رضي الله عنه ، فاتجه الخمسة إلى خيبر التي فيها حصن أبي رافع ، وهذه كنيته ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم ، قال عبدالله بن عتيك لأصحابه : اجلسوا مكانكم فإنني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس ، فناداه البواب : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنني أريد أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق المفاتيح على وتد . قال : فقمتم إلى الأقاليد فأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمُرُ عنده البعض ، وكان في علال له ، فلما ذهب عنه أهل سمره سعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل ، قلت : إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله ، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم في وسط عياله لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً فصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت : وما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال : لأمك الويل ، إن رجلا بالبيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أنني قتلته فجعلت أفتح الأبواب بابا ، بابا ، حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقع في ليلة

مقمرة فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاة، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها. إلى هنا انتهت رواية البخاري. وقال ابن إسحاق إن جميع القوم دخلوا على أبي رافع خمستهم واشتركوا في قتله، وأن الذي تحامل عليه بالسيف هو عبدالله بن أنيس، وفيه أنهم لما قتلوه ليلا وانكسرت ساق عبدالله بن عتيك حملوه وأتوا منبرا من عيونهم فدخلوا فيه، وأوقد اليهود النيران واشتدوا في كل وجه حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، وأنهم حين رجعوا احتملوا عبدالله بن عتيك حتى قدموا به على رسول الله ﷺ. وتابع رسول الله ﷺ البعوث والسرايا، فبعث عكاشة بن مسلم إلى ماء لبني أسد يدعى الغمر ففروا من أمامه وتركوا إبلهم مائتي بعير فأصابها الصحابة وجاءوا بها إلى رسول الله ﷺ. وبعث محمد بن مسلمة في عشرة رجال إلى بني ثعلبة فكمّن لهم القوم في مائة رجل حتى إذا ناموا هجموا عليهم فقتلوهم جميعا إلا ابن مسلمة فقد أفلت منهم وهو جريح. فبعث ﷺ إثر ذلك أبا عبيدة في أربعين رجلا إلى بني ثعلبة فوافاهم مع الصباح ففروا من أمامه إلا رجلا واحدا أسروه فأسلم وأصابوا منهم إبلا وشاء.

وبعث زيد بن حارثة إلى الجموم قرب مكة فأصاب امرأة من مزينة
يقال لها حليلة فدلته على محلة من بني سليم فأصاب فيها نعماً لهم
وأسرى فجاء بالمرأة فوهبها رسول الله لنفسها وزوجها .
ثم بعته مرة أخرى إلى العيص في سبعين ومائة راكب فأصاب عيرا
لقريش يقودها أبو العاص ختن رسول الله ﷺ فأفلت أبو العاص ، فأتى
امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته وأشار رسول الله
على الناس برد الأموال إذا شاءوا فردوها جميعاً فعاد بها أبو العاص
إلى أهل مكة فلما رد الودائع إلى أهلها أسلم ثم هاجر إلى رسول
الله ﷺ فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول بعد ما يزيد على
ثلاث سنين . وسرايا أخرى كسرية زيد إلى بني ثعلبة حيث أصاب
منهم عشرين بعيراً بعدما هربوا من أمامه . وزيد أيضاً إلى وادي القرى
في اثني عشر رجلاً لاستكشاف حركات العدو فهاجمهم العدو
وقتلوهم إلا ثلاثة منهم زيد .

غزوة بني المصطلق

عَلِمَ خَيْرُ مَتَّقٍ * جَمَعَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
جَمَعَهُمْ لِحَرْبٍ * أَفْضَلَ مِنْ لِلْعَرَبِ
وَالْعَالَمِينَ أَرْسَلًا * فَجَمَعَ الْأَفْضَالَ
مِنْ صَحْبِهِ فَخَرَجُوا * لِحَرْبِهِمْ وَنَهَجُوا

نَهَجَ الْمُبَاغِتَةَ فِي * مَا عَنْهُمْ قَدْ اصْطَفَى
 وَالْقَوْمَ غَافِلُونَ ثُمَّ * عَلَى الْمُرَيْسِعِ هَجَمَ
 خَيْرُ الْوَرَى فَمَا وَجَدَ * مِنْهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ
 فِي وَجْهِهِ فَعَنِمَا * إِبِلَهُمْ وَالْغَنَمَا
 ثُمَّ سَبَى السَّبَايَا * أَفْضَلَ ذَا الْبَرََايَا
 حَيْثُ اصْطَفَى جَوِيرِيَهُ * نَبِينَا صَارَتْ هِيَهُ
 أُمَّالَنَا فَعَتَقْنَا * قَبِيلَهَا أَهْلُ التُّقَى
 وَفِي الْمُرَيْسِعِ ظَهَرَ * قُبْحُ النِّفَاقِ وَانْتَشَرَ
 فَابْنُ أَبِي سَلُولٍ * يَقُولُ فِي الرَّسُولِ
 لَنُخْرِجَنَّهُ غَدًا * خَابَ الْخَسِيسُ إِذْ غَدَا
 يَمْنَعُهُ أَنْ يَدْخُلَا * طَيِّبَةَ نَجْلِهِ بَلَى
 وَذَاكَ عِنْدَمَا جَرَى * بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ هُرَا
 مِنَ الْخِصَامِ بِسَبَبٍ * دَعْوَةَ جَهْلٍ فِي الْعَرَبِ
 وَبِالرَّحِيلِ أَمْرًا * مُهَجَّرًا خَيْرُ الْوَرَى
 لِيُشْغَلَ الْأَقْوَامَا * فَيَتْرُكُوا الْمَلَامَا
 وَظَلَّ بَاتَ وَغَدَا * يَسِيرُ حَتَّى بَرَدَا
 مَا فِي النُّفُوسِ مِنْ أَثَرٍ * قَوْلِ مُنَافِقٍ فَجَرَّ

جاء إلى رسول الله ﷺ الخبر في شعبان سنة ست من الهجرة أن

رئيس بني المصطلق، الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ فبعث بريدة بن الحصين الأسلمي لتحقيق الخبر فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وتأكد منه الخبر فرجع إلى رسول الله ﷺ بما علم.

وبعد أن تأكد لديه ﷺ صحة الخبر ندب الصحابة وأسرع في الخروج، وكان خروجه لليتين خلتا من شعبان، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة أو أبا ذر، وقيل: غيرهما، وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عيناً لياتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه. ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه خافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله ﷺ إلى ماء من مياههم يدعى المريسي وبه سميت هذه الغزوة، فتهيأوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ أصحابه وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فكان النصر وانهزم المشركون وقتل من قتل، وسبى رسول الله ﷺ الذراري والنساء واستولى على الأموال، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد قتله رجل من الأنصار يظنه عدواً. ونفاه البعض، بل والأصح عند المحققين أنه لم يقع بين الفريقين قتال، وإنما أغار عليهم

وهم غارون عند مائهم فانهزموا وأخذ أموالهم وسبى نساءهم
وذريتهم، كما في صحيح البخاري. وكان من جملة السبي جويرية
بنت الحارث أم المؤمنين وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها، فأدى
عنها رسول الله ﷺ وتزوجها، فأعتق المسلمون قومها، وقالوا: أصهار
رسول الله ﷺ، وكانوا مائة أهل بيت قد أسلموا.

ووقعت في هذه الغزوة وقائع كان سببها المنافقون، وقد مثلوا فيها
قول الحق سبحانه: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة﴾. فقد وجدوا مدخلين لنفت سمومهم
فاغتنموهما حيث أثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين بما أثاروا
من الدعاية الشنيعة ضد رسول الله ﷺ ومحاولة إثارة النعرات بين
المسلمين. فبعد الفراغ من المعركة أقام رسول الله ﷺ والجيش على ماء
المريسيع ووردت واردة الناس على الماء وكان بين الواردين أجير لعمر
ابن الخطاب يقال له جهجاه الغفاري فإزدحم مع سنان بن وبر الجهني
على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا
معشر المهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين
أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة». فبلغ ذلك رأس النفاق ابن أبي بن أبي
سلول فغضب، وقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا
والله ما نحن وإياهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل. ثم أقبل على من

حضره فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . وكان فيمن عنده زيد بن أرقم غلام حدث فأخبر عمه بالخبر فأخبر العم رسول الله ﷺ وعنده عمر بن الخطاب فقال عمر : مر عباد بن بشر فليقتله . فقال ﷺ : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن أذن بالرحيل » . وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها ، فارتحل الناس فلقية أسيد بن حضير فحياه ، وقال : لقد رحلت في ساعة منكرة ؟ فقال له : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ يريد ابن أبي ، فقال : وما قال ؟ قال : « زعم أنه إذا رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . قال : فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه . فإنه يرى أنك استلبته ملكا . ثم مشى بالناس يومهم ذاك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث .

أما ابن أبي سلول ، فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ، وقال من حضر من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في

حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، فصدقه . قال زيد : فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في بيتي فأنزل الله سورة المنافقون إلى قوله سبحانه : ﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي ثم قال : « إن الله قد صدقك » . رواه البخاري . وكان عبدالله بن عبدالله بن أبي رجلا صالحا من الصحابة الأخيار فتبرأ من أبيه ثم وقف له على باب المدينة واستل سيفه ومنعه من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ قائلا : إن رسول الله هو الأعز وأنت الأذل فلما جاء النبي ﷺ أذن له فخلي ابنه سبيله .

أما الحدث الثاني الذي زلزل المدينة وكشف الله به عورات المنافقين وأظهر به كرامة أهل الكرامة ، ونقاء أهل النقاء ، فإنه تلك الحادثة التي مست رسول الله ﷺ في خاصة أهله ، إنه ذلك البهتان الذي تجنى على عرض أطهر نساء العالمين ، إنه حادثة الإفك .

حادثة الإفك

قَدْ أَفَكَ الْأَفَّاكُو * نَ خَسِئُوا فَلَاكُوا
عَرَضَ الْحَصَانَ الْأَفْضَلَ * بَلْ عَرَضَ خَيْرَ مُرْسَلٍ
فَقَدْ غَدَتُ لِلْحَاجَةِ * عَائِشُ حَوْلَ السَّاحَةِ
فَفَقَدَتُ عَقْدًا لَهَا * فَغَادَرَتْ مَحَلَّهَا
تَبَغِيهِ حَيْثُ رَحَلَا * مِنْ بَعْدِهَا عَنْهَا الْمَلَا

فَجَلَسَتْ تَنْتَظِرُ * رَجُوعَهُمْ إِنْ ذَكَرُوا
مَكَانَهَا فَفَرَقَدَتْ * وَاسْتَيْقَظَتْ إِذْ سَمِعَتْ
صَفْوَانَ حِينَ اسْتَرْجَعَا * مُنْدهِشًا لِمَا وَعَى
أَنَّ الَّتِي يَرَى هُنَا * عَرَسُ النَّبِيِّ فِدْنَا
يُنِيخُ ثُمَّ لَمْ يَقُلْ * شَيْئًا لَتَرْكَبَ نَقْلُ
أَنْ رَكِبَتْ فَانْطَلَقَا * وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَطَقَا
أَوْ نَطَقَتْ حَتَّى أَتَى * بِهَا إِلَى الْجَيْشِ مَتَى
تَهَيَّأُوا لِلْمَنْزِلِ * فَخَاضَ كُلُّ مَقُولٍ
لِلسُّوءِ فِي الشَّنَاعَةِ * وَالْإِفْكِ تِلْكَ السَّاعَةَ
وَفِي الْمَدِينَةِ انْتَشَرَ * بُهْتَانُ كُلِّ مَنْ فَجَرَ
وَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي وَلَا * تَرَى مِنَ الْأَمْرِ خَلَا
أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ * كَمَا تَعَوَّدْتَهُ مِنْ
حَنَانِهِ إِذْ تَشْتَكِي * وَذَاتَ يَوْمٍ تَتَكِي
عَلَى رَفِيقَةٍ بَدْرٍ * مِنْهَا الَّذِي أَجَلَى الْخَبْرُ
فَاسْتَأْذَنْتِ خَيْرَ الْأَنَا * مَ أَنْ تَكُونَ زَمَنَا
بِبَيْتِ أَهْلِهَا إِلَى * زَوَالِ مَا قَدْ حَصَلَا
مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَثَرِ * عَنَاءِ ذَلِكَ السَّفَرِ
وَهِيَ تُرِيدُ الْخَبْرَا * مِنْ أُمَّهَا وَمَا تَرَى

فِي أَمْرِهَا فَذَكَرَتْ * لَهَا كَلَامًا عَلِمَتْ
مِنْهُ الْحَقِيقَةَ وَلَمْ * تَكُنْ تُصَدِّقُ وَتَمَّ
جَاءَ الرَّؤُوفُ سَائِلًا * عَنْ حَالِهَا قَالَتْ أَلَا
يُجِيبُهُ عَنِّي أَحَدٌ * فَسَكَتُوا أَمَّا الصَّمَدُ
فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَا * يُبَرِّئُ الْحَصَانَا
فَخَسِيَ النَّفَاقُ * وَوَيْدَ الشَّقَاقُ
وَحَدَّ لِلْقَذْفِ نَفْرًا * قَدْ فَجَرُوا فِيمَنْ فَجَرَ

وفي هذه الغزوة جرت الحادثة الثانية التي عكرت الصفو كما لم يعكره أمر آخر، ذلك أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ في هذه الغزوة إذ من عادته إذا أراد الخروج في سفر أن يُقرع بين نسائه فأيهن أصابتها القرعة خرج بها فخرج سهم عائشة في هذه الغزاة فخرج بها رسول الله ﷺ، فلما كانوا في طريق العودة عرسوا في بعض المنازل، فذهبت عائشة لحاجتها ففقدت عقدا لأختها كانت أعارتها إيها، فرجعت تلتمسسه من فورها في الموضع الذي فقدته فيه، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج، ولا ينكرون خفته؛ لأنها كانت فتاة حديثة السن لم يغشها اللحم، ثم إن النفر الذين حملوا الهودج كانوا تساعدوا في حمله فكان من الطبيعي أن يكون خفيفا عليهم، بعكس ما لو حمله شخص أو شخصان، فرجعت إلى منازلهم وقد أصابت العقد، فإذا

ليس به أحد ، فقعدت في المنزل وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها ، فغلبتها عينها فنامت فلم تستيقظ إلا على استرجاع صفوان ابن المعطل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله ﷺ ؟ وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش ؛ ربما لأنه كان كثير النوم ، أو لأمر آخر الله أعلم به ، وكان يراها قبل نزول الحجاب ، فقرب راحلته إليها وأناخها ولم يكلمها كلمة واحدة ، ولم تسمع منه إلا استرجاعه فركبت ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة فلما رأى الناس ذلك تكلم كل منهم بما يليق بطبعه ، ووجد الخبيث ابن أبي متنفسا ينفث منه سموم النفاق والحسد الذي يتحشرج بين ضلوعه ، فجعل يشيع الإفك ويذيعه بين الناس ، ويتقرب إليه به من هم على شاكلته ، فلما قدموا المدينة أفاض الأفاكون في إفكهم وزادوا ، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، واستلبت الوحي عليه فبدأ يسأل أصحابه في فراقها ، فأشار عليه علي رضي الله عنه بأن النساء غيرها كثير وأن الله لم يضيق عليه في ذلك ، لكن عليا لم يصرح له بالفراق . وأشار عليه أسامة بن زيد وآخرون أن يمسكها ولا يلتفت لكلام الأعداء . ثم صعد ﷺ المنبر واستعذر من ابن أبي فأظهر سيد الأوس أسيد بن حضير الرغبة في قتله ، فعارضه في ذلك سيد الخنزرج وهم حي بن أبي ، فتناورا الحيان فهدهما رسول الله ﷺ حتى سكتوا وسكن روعهم ، ثم سكت هو ﷺ .

أما عائشة رضي الله عنها فإنها لما رجعت مرضت من وعشاء السفر
فمكثت شهرا كاملا لم تسمع شيئا من حديث الناس في الإفك، ولم
تلاحظ شيئا إلا أنها كانت لا ترى من رسول الله ﷺ ذلك اللطف
الذي تعرفه منه حين تشتكي، فلما نقهت من وعكتها خرجت مع أم
مسطح إلى الخلاء ليلا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس
مسطح أو كلمة نحوها، فاستنكرت عائشة منها ذلك فأخبرتها الخبر
فلما رجعت استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أهلها، تريد أن تستخبر
أبويها الخبر، فلما سألتهما أخبراها بما يتحدث به الناس فجعلت
تبكي ليلتين ويوما لم تكتحل عيناها بنوم، ولم يرقأ لها دمع حتى
ظنت أن كبدها تنفطر من البكاء، ثم جاء رسول الله ﷺ بعد ذلك
فتشهد وقال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن
كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله
وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». فتقلص
دمعها، وقالت لأبويها أجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يجد أي منهما ما
يقوله، فقالت: والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر
في أنفسكم وصدقتموه، فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أنني
بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني منه
بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف: ﴿فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. ثم تحولت واضطجعت فنزل

الوحي من فوره فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله فقد برك». فقالت لها أمها: قومي إليه أي فاشكريه. فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أشكر إلا الله. قالت ذلك ثقة بمحبة رسول الله ﷺ لها، وإدلالا واعتزازا ببراءتها. وكان الذي أنزل الله في شأن براءتها الآيات العشر من سورة النور (١١ - ٢٠) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم﴾. إلى قوله سبحانه: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم﴾. وجلد رسول الله ﷺ من أهل الإفك مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحممة بنت جحش، جلد كلا منهم ثمانين، ولم يجلد الخبيث ابن أبي مع أنه هو الذي تولى كبره، قيل: لأن الحدود تطهير للمحدود، وهو متوعد بالعذاب العظيم. وقيل: للمصلحة التي ترك لأجلها قتله. وقيل: لأنه لم يترك وراءه دليلا يدينه. كل ذلك ذكره العلماء، والله أعلم بالصواب. فغدا ابن أبي بعد ذلك إذا أحدث أمرا أخذ قومه على يده وتولوا رده. ومسطح هذا الذي جلد في الإفك هو ابن خال أبي بكر رضي الله عنه، وكان ينفق عليه، فلما اشترك في الإفك على أمنا عائشة أقسم الصديق ألا ينفق عليه بعدها فأنزل الله في ذلك نهيا له: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾؟ فقال الصديق: نعم، أحب أن يغفر الله لي فأعاد له النفقة.

بين المريسيع والحديبية

بَعْدَ الْمَرِيْسِيْعِ بَعَثَ * بَعْضَ الْبُعُوْثِ فَحَدَّثَ
أَنَّ بَعَثَ ابْنَ عَوْفٍ * لِمَعْشَرٍ مَعْرُوْفٍ
وَهُمْ بَنُو كَلْبٍ وَقَدْ * أَسْلَمَ جَمْعُهُمْ وَرَدَّ
أَنَّ ابْنَ عَوْفٍ قَدْ نَكَحَ * بِنْتَ رَأْسِيْهِمْ وَصَحَّ
أَنَّ عَلِيًّا قَدْ بَعَثَ * إِلَى بَنِي سَعْدٍ يَحْتِ
سِيْرًا إِلَيْهِمْ يَكْمُنُ * نَهَارَهُ وَيَظْعَنُ
بِاللَّيْلِ حَتَّى بَاغَتَا * جَمْعَهُمْ وَثَبَتَا
أَنَّ سَرِيَّةً إِلَى * وَادِي الْقَرْيِ قَدْ جُعِلَا
قَائِدَهَا الصَّدِيْقُ * وَهُوَ بِهَا حَقِيْقُ
وَقِيلَ بَلْ زَيْدُ بْنُ حَا * رِثَّةَ ذَا مَا رَجَحَا
لِلْقَوْمِ مِنْ فِزَارِهِ * قَدْ أَجْمَعُوا الْحَقَارَةَ
فَسَاقَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ * بَيْنَ أَسِيْرٍ وَسَبِي

بعد غزوة المريسيع وقبل صلح الحديبية بعث رسول الله ﷺ سرايا لم يقع في كثير منها قتال ، من ذلك سرية عبدالرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدومة الجندل في شعبان سنة ست من الهجرة فقد أقعده رسول الله ﷺ بين يديه وعممه بيده وأوصاه بأحسن الأمور في الحرب فقال له : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ، فمكث عبدالرحمن ثلاثة أيام

يدعو القوم إلى الإسلام فأسلموا فتزوج كما أمره رسول الله ﷺ ابنة ملكهم وهي تماضر بنت الأصمغ .

وبعث ﷺ سرية بقيادة علي بن أبي طالب في شعبان أيضا من نفس السنة إلى بني سعد بن بكر في فدك ، وذلك أنه بلغه أن بها جمعا يريدون أن يمدوا اليهود ، فبعث إليهم عليا في مائتي رجل وكان يسر الليل ويكمن النهار ، فأصاب عينا لهم فأقر أنهم بعثوا إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر ودل العين على موضع تجمعهم فأغار عليهم علي فأخذ خمسمائة بعير وألفي شاة ، وهربت بنو سعد بالذرية والنساء .

وبعث ﷺ أبا بكر الصديق ، أو زيد بن حارثة في رواية إلى وادي القرى في رمضان من السنة السادسة للهجرة ، حيث كان به بطن من فزارة يريد اغتيال رسول الله ﷺ فبعث إليهم أبا بكر كما يروى . عن أبي سلمة بن الأكوع أنه قال : خرجت مع أبي بكر حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل منهم من قتل ورأيت طائفة منهم وفيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة هي أم قرفة ، كانت شيطانة تحاول اغتيال النبي ﷺ وجهزت لذلك ثلاثين فارسا من أهل بيتها فلاقت جزاءه حيث قتل الثلاثون ، وكانت معها ابنتها من أحسن العرب ، يقول سلمة بن الأكوع : فجئت بهم

أسوقهم إلى أبي بكر فنفلني ابنتها فلم أكشف لها ثوبا، وقد سأله رسول الله ﷺ ابنة أم قرفة، فبعث بها إلى مكة وفدا بها أسرى من المسلمين.

وتم سرايا أخرى غير هذا كسرية كرز بن جابر إلى العرنيين الذين أعلنوا الإسلام فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله ﷺ في إبل الصدقة فارتدوا واستاقوا الإبل فبعث خلفهم رسول الله ﷺ كرزاً في عشرين من الصحابة فجاءوا بهم، فأقيم عليهم حد الخرابة فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم، وتركوا حتى ماتوا.

ومنها سرية أخرى مختلف في تاريخها يذكر أهل السير أنها في السنة الثامنة، لكن النظر عند المحققين أنها قبل صلح الحديبية ذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمين لم يكونوا يعترضون غير قريش بعد الصلح. وهذه السرية هي سرية أبي عبيدة في ثلاثمائة راكب بعثها رسول الله ﷺ ترصد عيرا لقريش وتعرف بسرية الخبط؛ لأنهم جاعوا فيها حتى أكلوا الخبط، وهو ورق الشجر، فنحر لهم رجل ثلاث جزائر، ثم ثلاثا، ثم ثلاثا، فنهاه أبو عبيدة عن الزيادة فألقى الله إليهم من البحر حوت العنبر، فأكلوا منه نصف شهر وادهنوا حتى سمنوا وتزودوا منه فلما قدموا المدينة أخبروا رسول الله ﷺ بخبره، فقال: هو رزق ساقه الله إليكم، فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا؟ فأرسلوا إليه ﷺ بعضاً من لحمه.

صلح الحديبية

رَأَى مَنَامَ حَقٍّ * يَوْمًا نَبِيَّ الْحَقِّ
بِأَنَّهُ قَدْ يَمَّمَا * وَصَحْبُهُ فَقَدَمَا
عَلَى الْحَرَامِ فَاغْتَمَرُ * حَلَقَ بَعْضٌ وَأَقْتَصَرَ
بَعْضٌ عَلَى التَّقْصِيرِ * فِي رُؤْيَاةِ الْبَشِيرِ
فَأَخْبَرَ الصَّحْبَ بِمَا * رَأَى وَكُلُّ سَلَّمَا
بِأَنَّ ذَاكَ وَأَقْعُ * ذَا الْعَامِ حَيْثُ سَارَعُوا
فَاسْتَنْفَرَ الْأَعْرَابَا * وَغَسَلَ الثِّيَابَا
وَخَرَجُوا لِلْعُمْرَةِ * وَهُمْ بِتِلْكَ السَّفَرَةِ
أَلْفٌ تَزِيدُ أَرْبَعَا * مِنْ الْمِئِينَ سُرْعَا
بِلَا سِلَاحٍ غَيْرِ مَا * لِرَاكِبٍ قَدْ عَلِمَا
وَقَلَّدَ الْهَدْيِ النَّبِيَّ * بِذِي الْحَلِيفَةِ أَبِي
فَدَاؤُهُ وَأَشْعَرَا * وَسَاقَهُ مُعْتَمَرَا
ثُمَّ أَتَاهُ الْخَبَرُ * بِأَنَّ قَوْمًا قَرَرُوا
صَدَّ النَّبِيَّ فَجَمَعَ * صِحَابَهُ ثُمَّ اسْتَمَعَ
لِرَأْيِهِمْ وَسَأَلَا * أَلَا تَرُونَ الْأَفْضَلَا
لِحَالِنَا أَنْ نَقْصِدَا * عُمَرَتَنَا فَإِنْ بَدَا
مِنْهُمْ لَنَا صَدٌّ فَقَدْ * صَارَ قِتَالُهُمْ سَدًّا

أَقْرَبَ ذَا فَرِيْقٍ * مِنْ بَيْنِهِ الصِّدِّيقُ
فَوَكَّلَ الرَّفِيقَا * وَغَيْرَ الطَّرِيقَا
أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَقَدْ * عَقَدَتِ الْعَزْمَ لَصَدِّ
وَفَدٍ وَخَيْرِ دَاعٍ * عَنْ أَشْرَفِ الْبَقَاعِ
فَنَزَلَتْ بِذِي طُوًى * وَأَخْرَجَتْ جَيْشًا حَوًى
لِمَائَتَيْنِ فَارِسَا * مَعَ خَالِدٍ مُنَافِسَا
مُعْتَرِضًا بَعَثَ الْهُدًى * مُنَاوِنًا حَيْثُ بَدَا
مُؤَاذِيًا تَحْيِينَا * فُرْصَتَهُ لِيَطْعَنَا
فِي الظَّهْرِ عِنْدَ الْغَفْلَةِ * لَوْ أَغْفَلُوا فِي لَحْظَةِ
لَكِنَّ وَحْيَ اللَّهِ * عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
نَزَلَ بِالصَّلَاةِ * فِي الْخَوْفِ لِلنَّجَاةِ
فَفَوَّتَتْ عَلَى الْعَدَا * فُرْصَتَهُمْ لِالْعِتْدَا
وَسَارَ رَكْبُ الْحَقِّ * بِنُورِ رَبِّ الْخُلُقِ
حَتَّى أَتَى الْمَرَارَا * فَبَرَكَتْ نَهَارَا
هُنَاكَ نَاقَةُ النَّبِيِّ * فَدَتَهُ أُمِّي وَأَبِي
فَقَالَ مَنْ قَدْ أَرْكَسَا * لِلْفِيلِ يَوْمًا حَبْسَا
نَاقَتَنَا مَا ذَا الْخُلُقِ * خُلِقَهَا وَإِنَّ حَقَّ
عَلَيَّ إِنْ أَتَوْا بِمَا * مِنَ الْأُمُورِ عَظْمَا

لِحُرْمَاتِ اللَّهِ * أَقْرَهُ وَاللَّهُ
ثُمَّ إِلَى حَوْضِ قَلْبٍ * لِمَاؤُهُ بِالْمَنْزِلِ
عَمَدًا فَاسْتَقَوْا فَنِي * ضِ الْمَاءِ أُعْطِيَ الْمُبْتَغِي
سَهْمًا رَمَاهُ فِيهِ * فَالْمَا جَرَى لِفِيهِ
وَبَدَأَ السَّاعُونَ * لِلصُّلْحِ يَقْدَمُونَ
عَلَى النَّبِيِّ أَقْبَلًا * بُدِيلٌ يَنْذِرُ الْمَلَ
فَقَالَ أَفْضَلُ الْوَرَى * جِئْتُكُمْ مُعْتَمِرًا
وَلَمْ أَجِئْ مُقَاتِلًا * فَإِنْ تَشَاءُ فَرِيشٌ لَا
تَكُونُ حَرْبٌ أَبَدًا * وَإِنْ أَرَادُوا الرَّشْدَ
فَلْيَدْخُلُوا فِي مَا دَخَلَ * غَيْرَهُمْ فِيهِ حَصَلَ
أَوْ فَضَّلُوا الْقِتَالَ * فَوَالَّذِي تَعَالَى
بِعَثْنِي لَا أَتْرُكُ * ذَا الْأَمْرِ حَتَّى أُدْرِكَ
مَدَاهُ أَوْ يُدْرِكُنِي * مَوْتِي وَمَا إِنْ أَنْشِي

أري رسول الله ﷺ في المنام أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام
وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم وقصر آخرون
فأخبر ﷺ بذلك أصحابه ففرحوا واعتقدوا أنهم داخلوا مكة عامهم
ذاك، وهو العام السادس من الهجرة، وأخبرهم ﷺ أنه ذاهب للعمرة
فتجهزوا للسفر. واستنفر الأعراب ومن حوله من الوادي ليخرجوا
معه فأبطأ كثير من الأعراب عليه، فغسل ثيابه وركب ناقته واستخلف

على المدينة ابن أم مكتوم، أو نميلة الليثي وخرج منها يوم الاثنين غرة ذي القعدة، وأخذ معه من زوجاته أم سلمة، ومعه من الصحابة ألف وأربعمائة أو أكثر، ولم يحمل من السلاح إلا سلاح المسافر: السيوف في أغمادها.

ثم ركب وتوجه إلى مكة وساق الهدى، وفي ذي الحليفة قلد الهدي وأشعره وأهل بالعمرة، ليُعلم الناس أنه ليس خارجا للحرب، وبعث أمامه رجلا خزاعيا عينا له يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريبا من عسفان جاءه عينه فأخبره أنه تركهم قد جمعوا له الأحابيش وجمعوا الجموع ليقاتلوه ﷺ ويصدوه عن البيت الحرام. فجمع أصحابه يستشيرهم، وقال: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم تريدون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه. فقال النبي ﷺ فروحوا فراحوا.

أما قريش فإنها لما علمت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلسا استشاريا قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يكون الحال. فقد نقل رجل من بني كعب إلى رسول الله ﷺ أن قريشا نازلة بذي طوى وأن خالد ابن الوليد مرابط بكراع الغميم في مائتي فارس على الطريق الرئيسي

الموصل إلى مكة. وقد حاول خالد صد المسلمين فقام بفرسانه بمحاذاتهم يتراءى لهم، فرآهم في صلاة الظهر يركعون ويسجدون فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم. ثم قرر أن يهاجم المسلمين إذا دخلوا في صلاة العصر ولكن الله سبحانه فوتها عليه، فقد أنزل على نبيه ﷺ صلاة الخوف فصلاها في ذلك العصر ففاتت الفرصة على خالد وفوارسه.

وأخذ رسول الله ﷺ طريقا وعرا بين الشعب إلى اليمين مارا في طريقه على ثنية المرار مهبط الحديدية من أسفل مكة، وترك الطريق الرئيسي الذي يفضي إلى الحرم مارا بالتنعيم، تركه إلى اليسار فلما رأى خالد ذلك انطلق يركض إلى مكة نذيرا لقريش.

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بثنية المرار بركت راحلته فقال الناس: حل، حل. فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء. فقال رسول الله ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها» ثم زجرها فوثبت به فعدل حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمد: أي حوض قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضا، فيأخذون منه القليل من الماء، فلم يلبث أن نزحوه فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في جماعة من قومه، وكانت خزاعة موضع سر رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال بديل: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل: أصله النوق حديثه النتاج، كنى به عن النساء بأولادهن وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا. وإن أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره. قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إني قد جئكم من عند هذا الرجل وسمعته يقول قولا، فإن شئتم عرضته عليكم. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء. وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا.

فَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ مَنْ * لِلْغَدْرِ لَيْسَ يُؤْتَمَنُ
فَقَالَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ * كَمَثَلِ مَا لِلأَوَّلِ
قَدْ قَالَ ثُمَّ يُقْبَلُ * بَعْدَ الْحَلِيسِ الأَعْقَلِ
فَقَالَ إِذْ رَأَهُ * مَنْ عَزَّهُ مَوْلَاهُ
أَتَاكُمْ مَنْ انْتَمَى * لِمَنْ لِبُدْنٍ عَظْمًا
فَاسْتَقْبَلُوهُ بِالْإِبْلِ * مُرْسَلَةً وَكَانَ كُلُّ

مِنْهُمْ يُلَبِّي فَرَجَعُ * لِلْقَوْمِ بَعْدَمَا اقْتَنَعُ
بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْلَحُوا * بَصَدَّهُ أَوْ يَصْلِحُ
إِرْجَاعُ سَيِّدِ الْوَرَى * وَقَدْ أَتَى مُعْتَمِرًا
وَعِنْدَهَا قَالَ الْفَتَى * عُرْوَةَ يَا قَوْمِ أَتَى
هَذَا بِرُشْدٍ يَنْفَعُ * أَلَا دَعَوْنِي أَسْمَعُ
فَجَاءَهُ مُحَاوِرًا * مُجَادِلًا مُنَاوِرًا
ثُمَّ إِلَى الْقَوْمِ رَجَعُ * مُنَاصِحًا فَمَا وَقَعُ
أَمَامَهُ قَدْ أَخْبَرَا * بِهِ جَمِيعًا ذَكَرَا
بِأَنَّ مَا قَدْ عَايْنَا * مِنْ طَاعَةِ الْقَوْمِ هُنَا
لَمْ يُرَقِطْ لِأَحَدٍ * لَهُ نَظِيرٌ فِي بَلَدٍ
وَقَدْ أَتَاكُمْ يَعْزِضُ * رُشْدًا فَلَا تَعْتَرِضُوا
لَمْ يُرِضْ ذَا بَعْضِ الشَّبَا * بِ الطَّائِشِينَ فَأَبَى
جَمَاعَةٌ فَخَرَجُوا * لَيْلًا فَلَمَّا عَرَجُوا
عَلَى مُعَسْكَرِ الْهُدَى * حَبَسَهُمْ مِّنْ اهْتَدَى
إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَسَسِ * وَذَاكَ قَائِدُ الْحَرَسِ
وَهُوَ الْوَفِيُّ وَالْبَطْلُ * ثُمَّ أَتَى بِهِمْ فَحَلَّ
وَتَأَقَّهُمْ خَيْرَ الْبَشَرِ * الْأَرْأَفُ الْأَرْحَمُ الْأَبْرُ
ثُمَّ دَعَا سَفِيرًا * يَبْعَثُهُ خَبِيرًا

فَاخْتَارَ أَوْلَىٰ عُمَرَ * لَكِنَّهُ قَدْ اعْتَذَرَ
وَقَالَ خَيْرٌ مِنْ سَعَىٰ * فِي الْأَمْرِ عُثْمَانُ دَعَا
إِذْ ذَاكَ عُثْمَانَ النَّبِيَّ * لِمَا لَهُ مِنْ نَسَبٍ
فِي الْقَوْمِ وَالْأَيْدِي * بَيْنَ قُرَيْشِ الْوَادِي
فَجَاءَهُمْ عُثْمَانُ * مُحَاوِرًا فَكَانُوا
فِي صَفِّهِ جَمِيعًا * لَكِنْ هُنَا أَذِيعًا
فِي جَيْشِ أَفْضَلِ الرُّسُلِ * بِأَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ
وَذَا لِأَنَّ الْقَوْمَا * قَدْ أَخْرَوْهُ يَوْمًا
لِذَلِكَ قَدْ دَعَا النَّبِيَّ * لِبَيْعَةٍ فِي الْكُتُبِ
تُعْرَفُ وَالْقُرْآنُ * بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
بِشَّرِّهِ مَوْلَاهُ * بِمَا ارْتَضَاهُ اللَّهُ
عَمَّنْ بَظَلَّ الشَّجَرَةَ * بَايَعَ خَيْرَ الْبَرَّةِ
وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنْ * لَا بُدَّ مِنْ حَلِّ حَسَنِ
يُرْضِي الْمَلَا وَلَا تَرَى * قُرَيْشٌ فَيَمْنُ قَهْرًا
فَأَرْسَلَتْ سُهَيْلًا * وَحَمَلَتْهُ قَوْلًا
أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ * ذَا الْعَامِ لَا تَقُولُ
الْأَعْرَابُ أَنْ قَدْ دَخَلَا * مَكَّةَ عُنُوءَةً فَلَا
تَرَى لَنَا مَا كَانَا * يُرَى لَنَا مَا كَانَا

فَقَالَ إِذْ رَأَهُ * مَنِ خَصَّهُ مَوْلَاهُ
بِنُورِهِ قَدْ سَهَّلَا * أَمْرُكُمْ فَأَقْبَلَا
سَهِيلٌ يَعْرِضُ عَلَيَّ * خَيْرِ الْأَنْامِ وَالْمَلَا
أَنْ يَرْجِعُوا ذَا الْعَامَا * وَبَعْدَهُ إِنْ رَامَا
أَتُوا فَيَمَكُثُوا ثَلَا * ثَا وَالسَّلَاحُ مَثَلَا
هُوَ السُّيُوفُ تُحْتَسَبُ * وَلِيَحْفَظُوهَا فِي الْقُرْبِ
وَالْحَرْبِ عَشْرًا تُوقَفُ * وَأَيُّ شَخْصٍ يُعْرِفُ
بِأَنَّهُ فِي هَؤُلَاءِ * أَوْ هَؤُلَاءِ دَخَلَا
بِالْعَهْدِ مِنْهُمْ يُعْتَبَرُ * وَمَنْ أَرَادَ بِالْأَثَرِ
دُخُولَ عَهْدٍ دَخَلَا * وَمَنْ قُرَيْشٍ مِنْ إِلَيَّ
مُحَمَّدٍ فَرِيْرِدُ * لَا الْعَكْسُ هَكَذَا وَرِدُ
وَبَيْنَمَا الْكُتَابُ * يَكْتُبُهُ الْكُتَّابُ
جَاءَ بِقَيْدٍ يَرْسُفُ * مَنْ بَاهْتِدَاءٍ يُعْرِفُ
فَرَدَّهُ مُطْمَئِنَّا * لَهُ النَّبِيُّ وَهَنَا
أَتَتْ نِسَاءً فَأَبَى * إِرْجَاعَهُنَّ مُعْرِبَا
عَنْ كَوْنِ ذَلِكَ لَمْ يَرِدُ * فِي الْعَهْدِ وَالْعَهْدُ حُمْدُ

بعثت قريش مكرز بن حفص مفاوضا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال :
« هذا رجل غادر » فلما جاء وتكلم قال له ﷺ مثل ما قال لبديل

وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبرهم. ثم توالى الرسل بين رسول الله ﷺ وقريش. ومن رسل قريش رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة بعثته بطلب منه، فلما أشرف على رسول الله ﷺ قال رسول الله: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها» فبعثوها له واستقبله القوم يلبنون، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا. فقال عروة بن مسعود إن هذا قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها ودعوني آتة. فأتاه فجعل يكلمه، فقال له النبي ﷺ كما قال لبديل فقال عروة: أي محمد، رأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوها وأرى أوباشا من الناس خلقا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبوبكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت عندي لك أجزك بها لأجبتك. وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخرج يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه وقال: من ذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي عذر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة، وهو ابن أخي عروة، قد صحب قوما في

الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . فقال النبي ﷺ : «أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء» .

ثم رجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمدا ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون إليه النظر تعظيما له ، وقد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها . وقد رأى الطائشون من شباب قريش الطامحون للحرب رغبة زعمائهم في الصلح ففكروا في عمل يحول دون الصلح ، فقرروا أن يخرجوا ليلا متسللين إلى معسكر المسلمين ويحدثوا ما يشعل نار الحرب ، فخرج منهم سبعون أو أكثر لهذا الغرض الخبيث فمكن الله منهم قائد حرس المسلمين محمد بن مسلمة فاعتقلهم جميعا فلما جاء بهم إلى النبي ﷺ أطلق سراحهم وعفا عنهم ، رغبة منه ﷺ في الصلح ، وفي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ .

في هذه الأثناء أراد رسول الله ﷺ أن يبعث سفيرا يؤكد لدى قريش هدفه من هذا السفر ، وأنه ما جاء إلا زائرا بيت الله معتمرا . فدعا عمر

ابن الخطاب ليرسله إليهم، فاعتذر وقال: يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت. فدعا رسول الله ﷺ عثمان وأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا وادعهم للإسلام». وأمره أن يأتي رجلا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان.

فانطلق عثمان حتى مر بطريقه على جمع من قريش فقالوا أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم بكذا وكذا. فقالوا: قد سمعنا ما تقول فامض لحاجتك. وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به ثم أسرج فرسه فحمل عثمان على الفرس وأجاره وأردفه حتى دخل به مكة، وبلغ الرسالة إلى زعماء قريش، فلما فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت فرفض أن يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش لتتشاور في أمرها، حتى تعطيه ردها بما تتوصل إليه من رأي، فلما تأخر على المسلمين شاع بينهم أنه قتل. فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ثم دعا أصحابه إلى البيعة فبادروا يبايعونه على عدم الفرار وبايعت منهم طائفة على الموت، وبايعه أول الناس أبو سنان الأسدي، أما سلمة بن الأكوع فقد بايع ثلاث مرات على الموت مرة في أول الناس، ومرة في الوسط، ومرة في الآخر، وأخذ

رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال : هذه عن عثمان ، ثم جاء عثمان فبايع عن نفسه ، وتخلف رجل واحد عن البيعة من المنافقين . وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها قوله سبحانه : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ . وعرفت قريش أن الأمر بلغ مداه في الجدية والحرص فأسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح على أن يكون فيه رجوع المسلمين عنهم هذا العام ويعودوا في العام القابل قالوا : حتى لا تتحدث العرب عنا أن محمدا دخل علينا عنوة . فلما رأى رسول الله ﷺ سهيلا قادمًا قال : « قد سهل لكم أمركم ، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » . فجاء سهيل ودار بينه وبين رسول الله ﷺ نقاش طويل حول بنود الصلح ، ثم تم إبرام الصلح على :

١ - يرجع رسول الله ﷺ من عامه هذا فلا يدخل مكة ، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا فيها ثلاثا ومعهم سلاح الراكب ولا تتعرض لهم قريش بأي نوع من أنواع التعرض .

٢ - وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٣ - من أحب أن يدخل في عهد أي من الفريقين دخل فيه والقبيلة التي تدخل في عهد أي منهما يعتبر الاعتداء عليها اعتداء على ذلك الطرف الذي دخلت في عهده .

٤ - من أتى رسول الله ﷺ من قريش من غير إذن وليه رده عليهم

ومن جاء قريشا ممن مع محمد لا يردونه .

ثم دعا عليا يكتب الكتاب فأملى عليه : «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل : أما الرحمن فوالله لا ندري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فأمر النبي ﷺ عليا بذلك . ثم قال : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال : «إني رسول الله وإن كذبتُموني» وأمر عليا أن يكتب محمد بن عبد الله ويمحو لفظ رسول الله فأبى أن يمحو رسول الله فمحا رسول الله ﷺ بيده ثم تمت كتابة الصحيفة على هذا . ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش . وبينما الكتاب يكتب جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وقد هرب من المشركين ، فقال أبوه سهيل لرسول الله ﷺ : هذا أول ما أقاضيك عليه على أن ترده .

فرد سيد الأوفياء رسول الله ﷺ أبا جندل على أبيه وبشره بأن الله جاعل له ولمن معه مخرجا ، فوثب معه عمر يحرضه على قتل أبيه فأبى ، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بنحر الهدي فلم يقيم منهم أحد فشق ذلك عليه ﷺ فقام فدخل على زوجته أم سلمة فأخبرها الخبر فقالت إن كنت تريد ذلك حقا فقم إلى بدنك فانحرها ولا تكلم أحدا ثم ادع حالقك فيحلقك ، ففعل ما أشارت به فقام الناس فنحروا وبدأ

بعضهم يحلق بعضا، ودعا ﷺ للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة .
ثم جاء إلى رسول الله ﷺ نسوة مؤمنات فسأل أولياؤهن رسول
الله ﷺ ردهن بالعهد الذي تم في الحديبية، فرفض ﷺ طلبهم؛ لأن
العبرة التي في العهد تنص على الرجال دون النساء، فهي تقول:
«وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته علينا» .
فلم تدخل النساء فيما تم الاتفاق عليه، ثم أنزل الله ما يؤيد ذلك إذ
قال جل من قائل: ﴿يأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنت مهاجرت
فامتحنوهن الله أعلم بإيمنهن فإن علمتموهن مؤمنت فلا ترجعوهن
إلى الكفار ..﴾ .

ثُمَّ النَّبِيُّ قَدْ أَمَرَ * بِالنَّحْرِ كُلِّ مَنْ حَضَرَ
فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ * فَقَامَ يَشْكُو مَا وَجَدَ
مِنْهُمْ لَأَمْ سَلَمَهُ * فَقَالَتْ الْحَقُّ أَعْلَمَهُ
أَنَّ الصَّحَابَةَ رَأَوْا * مَشَقَّةً وَمَا أَبَوَا
طَاعَةَ أَمْرِكَ فَقُمْ * بِالنَّحْرِ يَنْحَرُوا وَضَمَّ
لِلنَّحْرِ حَلْقًا يَحْلُقُوا * وَعِنْدَهَا تَحَقَّقُوا
أَنَّ الَّذِي كَانَ أَمْرٌ * خَيْرُ الْوَرَى بِهِ ظَهَرَ
صَوَابُهُ فَأَقْبَلُوا * حَلْقًا وَنَحْرًا يَقْتُلُ
أَوْ كَادَ بَعْضُ بَعْضًا * رَضَى وَحُبًّا مَحْضًا
وَصَعِبَ الْأَمْرُ عَلَيَّ * عُمَرَ وَالْقَوْمَ إِلَى

أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ * مُبَشِّرًا فَكَانُوا
مِنْ بَعْدِهَا عَلَى حَذَرٍ * وَبَعْدَ عَقْدِ الصُّلْحِ فَرُّ
أَبُو بَصِيرٍ الْفَتَى * أَفَلَتَ ثُمَّ قَدْ أَتَى
إِلَى النَّبِيِّ فَرَدَّهُ * لِلْعَهْدِ حَيْثُ عَدَّهُ
مُسْعِرَ حَرْبٍ فَالْتَحَقَ * بِهِ جَمِيعٌ مِنْ سَبَقِ
إِسْلَامِهِ فَهَرَبَا * وَقَدْ غَدَوْا عَصَائِبَا
تَعْدُو عَلَى الْقَوَافِلِ * فَاسْتَنْجَدَتْ بِالْكَامِلِ
نَبِينًا قُرَيْشُ أَنْ * يَضُمَّهُمْ وَقَدْ رَكَنَ
لِلدِّينِ بَعْضُ الْقَادَةِ * أَوْلُو النَّهْيِ وَالسَّادَةِ
عُثْمَانُ عَمْرُو خَالِدٍ * أَسَدُ الْوَعْيِ الْأَمَاجِدِ

أمر رسول الله ﷺ الصحابة بنحر هديهم، وذلك بعد أن فرغ من إملاء كتاب الصلح، فقال لأصحابه: قوموا فانحروا فلم يقيم منهم أحد، حتى قالها ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد قام ﷺ فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فقام ﷺ فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: فنحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا وكانوا نحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة كذلك، ونحر رسول الله ﷺ جملا كان

لأبي جهل، كان في أنفه برة من فضة ليغيظ به المشركين.

حزن المسلمون لرجوعهم دون أن يؤدوا العمرة وقد وعدوا بها ممن هو الصادق المصدوق، ثم رأوا أنهم أعطوا قريشا أشياء لا تستحقها فصارت مشاعر المسلمين يغلب عليها الهم والحزن وبالأخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ولذلك جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ فقال: بلى. قال: أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب: إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري ولن يضيعني أبدا. قال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوفُ به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. ثم انطلق عمر متغيظا فأتى أبا بكر فقال له كما قال لرسول الله ﷺ ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغيره حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. ثم نزلت السورة: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾. فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع. ثم ندم عمر على ما فرط منه ندما شديدا، قال عمر: فعملت لذلك أعمالا، مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلت من المسلمين المعذبين بمكة

رجل من ثقيف هو أبو بصير، فلحق برسول الله ﷺ، وكان حليفا لقريش فأرسلوا يطالبون به للعهد الذي تم بالحديبية بين الفريقين، وقد جاء للمطالبة به رجلا من منهم فأرسله رسول الله ﷺ معهما، وحين بلغا به ذي الحليفة أخذ من أحدهما سيفه بحيلة فضربه حتى قتله ففر الثاني حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ مذعورا وقال: قد قتل صاحبي وإني لمقتول، ثم جاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك فرددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، ثم انفلت منهم أبو جندل فلحق بأبي بصير، وهكذا أصبح كل من انفلت من المعذبين يلتحق بهما حتى تكونت منهم قوة صارت تهدد قوافل قريش إلى الشام، فما تمر قافلة إلا قتلوا رجالها واستولوا على أموالها، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده أن يكف عنها أذاهم، وأخبروه أنهم يسقطون شرط إرجاع الفارين إليه من المسلمين، فقدم أبو بصير وأصحابه إلى المدينة آمين أن يردوا إلى قريش. ومن الفتوح التي كانت هذه الهدنة سببا فيها، أن ثلاثة من أشجع شجعان قريش ممن كانوا أشد الأعداء لرسول الله ﷺ هداهم الله للإسلام، وهؤلاء الثلاثة هم: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فلما رآهم رسول الله ﷺ فرح بإسلامهم وقال: إن مكة قد ألفت إلينا أفلاذ كبدها.

مكاتبة الملوك

وَحِينَ لِلصُّلْحِ اطمَأَنَّ * أَرَادَ خَيْرَ الخَلْقِ أَنْ
يَنْشُرَ دِينَ الحَقِّ * بَيْنَ الوَرَى بِالرَّفْقِ
فَبَعَثَ الرُّسُلَ إِلَى * مُلُوكِ الأَرْضِ مَثَلًا
إِلَى النَّجَاشِيِّ كَتَبَ * يَدْعُوهُ فَالحَقُّ أَحَبُّ
ثُمَّ إِلَى المُقَوِّسِ * فَكَانَ كَالْمُسْتَأْنَسِ
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَعُدَا * وَمَا اهْتَدَى ثُمَّ هَدَى
بَغَلَتَهُ دُلْدُلٌ مَعَ * جَارِيَتَيْنِ وَامْتَنَعَ
وَالْمَلِكُ الغَشُومُ * كَسَرَى هُوَ الظُّلُومُ
مَزَقَ مَزَقَ العَلِيِّ * سُلْطَانَهُ لِيَنْجَلِي
بِالوَحِيِّ أَنَّهُ قُتِلَ * عَلَى يَدِ ابْنِهِ نُقِلَ
أَنَّ النَّبِيَّ أَخْبَرَ * بِذَلِكَ سَاعَةَ جَرَى

من فوائد صلح الحديبية أن رسول الله ﷺ والمؤمنين اطمأنوا لجانب أهل مكة، حيث كانوا قبل الصلح يعتبرون العدو الأول. فتفرغ ﷺ لمكاتبة ملوك الأرض حوله يدعوهم إلى دين الحق فأمن منهم من آمن وتمحضت عداوة بعضهم فاتضح بذلك الاتجاه الذي يجب أن يسلكه الجهاد أولاً، فاتخذ خاتماً من فضة لحتم رسائله نقشه: محمد رسول الله. وبدأ في مكاتبتهم قبل أن يتوجه إلى خيبر ليردم آخر بؤرة لللدس

اليهودي في جزيرة العرب . وكان ممن كاتبهم رسول الله ﷺ أصحمة ابن الأبحر وهو النجاشي ملك الحبشة ، ونص كتاب رسول الله ﷺ كما رواه البيهقي هو :

« هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الإسلام ، فإني أنا رسول الله فأسلم تسلم ﴿ قل يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك . »

وأرسل الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري فلما بلغ الكتاب إلى النجاشي أخذه ووضع على عينه ونزل عن سريره على الأرض وأعلن إسلامه على يد جعفر بن أبي طالب .

ونسب صفي الرحمن المبارك فوري في كتابه الرحيق المختوم لبعض المتأخرين أنه عثر على نص آخر ذكر أنه هو الصحيح في رسالة رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، وهذا هو النص المذكور :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن

عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فياني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى.

ثم بعد أن أشهر النجاشي إسلامه كتب إلى النبي ﷺ رده وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحابنا، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله في أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقرينا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

✽ وكتب رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فياني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ﴿قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

واختار رسول الله ﷺ لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعة . فلما دخل حاطب على المقوقس قال له : إنه كان قبلك رجل يقول إنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر بغيرك بك . فقال المقوقس : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه ، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى ببعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . فكل نبي أدرك قوما فهم أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ، ووجدته معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفع به إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . محمد بن عبدالله من المقوقس عظيم مصر ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام

وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط
عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .
ولم يزد المقوقس على هذا ولم يسلم ، والجاريتان هما : مارية التي
تسراها رسول الله ﷺ فولدت له ابنه إبراهيم ، والثانية اسمها سيرين
أعطاه رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت .

✽ وكتب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس : بسم الله الرحمن
الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من
اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأني عبده ورسلمه ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول
الله إلى الناس كافة ﴿ لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾
فأسلم تسلم ، فإن أبيت فإن إثم الجوس عليك .

واختار رسول الله ﷺ حمل هذا الكتاب عبدالله بن حذافة
السهمي ، فدفع السهمي الكتاب إلى عظيم البحرين فبعثه إلى
كسرى ، فلما قرأ السهمي الكتاب على كسرى مزقه ، بل زاد غطرسة
وبعث إلى باذان عامله في اليمن أن يبعث رجلين جليدين من عنده
يأتيانه برسول الله ﷺ ، فلما علم رسول الله ﷺ بتمزيق كسرى
لكتابه وما قال وأخبره الرسولان بما جاء له دعا على كسرى أن يمزق
الله ملكه ، وقد كان ، فإن ابنه ثار عليه وقتله ونصب نفسه ملكا
مكانه ، فتراجع عن رسالة أبيه ، وقد أخبر رسول الله ﷺ الرجلين الذين
بعثهما عامل كسرى على اليمن باذان ليأتيا كسرى برسول الله

حسب زعمه، أخبرهما بمقتل ملكهما يوم قتل وقال ﷺ للرجلين: قولاً
لمليكما إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى، وينتهي منتهي
الخف والحافر. وقولاً له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك
على قومك، فكان ذلك سبباً في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس
باليمن.

وَالْقَيْصَرُ اسْتَبَانَا * عِلْمَ أَبِي سُفْيَانَا
فَعَرَفَ الْحَقَّ وَدَلَّ * كُنْ حُبَّهُ الْمَلِكَ عَلَاً
وَمُنْذِرُ الْبَحْرَيْنِ * آمَنَ بِالْيَقِينِ
وَمَلِكُ الْيَمَامَةِ * طَمَعَ فِي الزَّعَامَةِ
فَعَابَهُ وَرَفَضَا * ذَاكَ النَّبِيَّ الْمُرْتَضَى
وَالْحَارِثُ الْغَسَّانِي * لَمْ يَرْضَ بِالْإِيمَانِ
وَمَلِكَا عُمَانَ * ءَامَنَ بِالْقُرْآنِ
كِلَاهُمَا وَسَلَّمَا * لِلْحَقِّ حِينَ عَلِمَا

* وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى ملك الروم هرقل قال فيه: بسم
الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم
الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك
مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قل يأهل الكتب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا
يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا

مسلمون ﴿٤٦١﴾ . واختار ﷺ حمل هذا الكتاب دحية الكلبي وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ؛ ليدفعه إلى قيصر . فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره ، كما في صحيح البخاري ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها كفار قريش فأتوه وهم بأيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسبا . فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبتني فكذبوه ، فوالله لولا الحياء أن يأتروا عني كذبا لكذبت عنه . ثم قال : أول ما سألتني عنه قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال أبو سفيان : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه .

قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال لترجمانه : قل له :

سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا . قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آباءه من ملك ؟ فذكرت أن لا . فقلت : فلو كان من آباءه من ملك فهو : رجل يطلب ملك آباءه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بماذا يأمر ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف . فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هتين ، وكنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن

قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا ، فقلت لأصحابي : لقد عظم أمر ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

✽ وكتب رسول الله ﷺ إلي حاكم البحرين كتابا بعثه مع العلاء بن الحضرمي ، لم أقف على نصه .

فرد المنذر عليه بقوله : أما بعد يا رسول الله ، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ، ودخل فيه ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث إلي في ذلك أمرك . فكتب إلي رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلي المنذر بن ساوى سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد : فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية .

﴿ وكتب رسول الله ﷺ إلى هُوذة بن علي صاحب اليمامة : ﴾ بسم
الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هُوذة بن علي ، سلام
علي من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر
فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك .

واختار رسول الله ﷺ حمل هذه الرسالة سَليطَ بن عمرو العامري
فلما قدم سَليط على هُوذة بهذا الكتاب محتوماً أنزله وحياه وقرأه
عليه ، فرد عليه رداً دون رد ، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسن ما تدعو
إليه وأجمله ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك
وأجاز سَليطاً بجائزة ، وكساه أثواباً من نسج هجر ، فقدم بذلك كله
على النبي ﷺ فأخبره ، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال : « لو سألتني قطعة من
الأرض ما فعلت ، باد وباد ما في يديه » . فلما انصرف رسول الله ﷺ
من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هُوذة مات ، فقال النبي ﷺ :
« أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي ، فقال أحد
الصحابة من يقتله يا رسول الله ؟ فقال : أنت وأصحابك ، فكان ذلك .

﴿ وكتب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني : بسم الله
الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام
علي من اتبع الهدى ، وآمن به وصدق ، وإنني أدعوك إلى أن تؤمن بالله
وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك . ﴾ واختار حمل هذا الكتاب

شجاع بن وهب من بني أسد ، ولما أبلغه الكتاب قال : من ينزع ملكي مني ؟ أنا سائر إليه ، ولم يقبل الإسلام .

✽ وكتب رسول الله ﷺ إلى ملكي عمان ، وهما الشقيقان جيفر وأخيه عبد الله ابني الجلندي جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد الله ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوكمم بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما » .

وسلم الكتاب إلى عمرو بن العاص فدارت بينه وبينهما محاوراة طويلة آمننا بالله ورسوله في آخرها وخليا بينه وبين الصدقات وأقرهما على ملكهما . ويقال إن إرسال رسول الله ﷺ هذا الكتاب إلى ملكي عمان المذكورين تأخر كثيرا عن مكاتبته ﷺ لبقية الملوك فكان بعد فتح مكة ، والله تعالى أعلم .

غزوة الغابة

مَعَ رِيَّاحٍ أَرْسَلَا * أَفْضَلُ مَنْ قَدْ أَرْسَلَا
إِبِلَ ظَهْرٍ يَرْتَعِي * وَمَعَهُ ابْنُ الْأَكْوَعِ

وَهُمْ كَذَلِكَ أَغَا * رَأْبُنُ الْفَزَارِي وَبَغَى
 فَاسْتَأَقَ كُلَّ الْإِبِلِ * وَقَتَلَ الرَّاعِي الْوَلِي
 إِذْ ذَاكَ صَاحَ سَلْمَهُ * هَيَا صَبَّاحُ عِلْمَهُ
 بِأَمْرِ رَبِّهِ النَّبِيِّ * فَدَتُّهُ أُمِّي وَأَبِي
 وَوَأَظْبَ ابْنَ الْأَكْوَعِ * مُطَارِدًا لَمْ يَدَعِ
 عَدُوَّهُ حَتَّى التَّحَقَّ * بِهِ النَّبِيُّ فَسَبَقُ
 بِطَعْنَةٍ قَتَادَهُ * عَدُوَّهُ فَقَادَهُ
 إِلَى الرَّدَى فَأَدْبَرَا * رِفَاقُ مَنْ قَدْ كَفَرَا
 وَاسْتَرْجَعَ السَّرْحَ وَمَا * لَدَى الْعَدُوِّ غَنَمَا
 نَبِينَا فَرَجَعَا * بِالنَّصْرِ خَيْرٌ مِنْ دَعَا

كانت غزوة الغابة أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بين الحديبية
 وخيبر، وقد ذكر جل أهل المغازي أنها كانت قبل الحديبية، غير أن
 البخاري ومسلم اتفقا على أنها بين الحديبية وخيبر، وعند البخاري
 أنها كانت قبل فتح خيبر بثلاث. فعن سلمة بن الأكوع، وهو من
 رجال هذه الغزوة الذين بلوا فيها أحسن البلاء، أنه قال: بعث رسول
 الله ﷺ ظهره مع غلامه رباح، وأنا معه بفرس أبي طلحة فلما أصبحنا
 إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على الظهر فاستأقه أجمع وقتل
 راعيه. فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة وأخبر رسول
 الله ﷺ ثم قمت على أكمة واستقبلت المدينة فناديت ثلاثا: يا

صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول :

إِنِّي أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ * وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ

فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجعت إلي فارس جلست في أصل الشجرة ثم رميته فتعفرت به حتى إذا دخلوا في تضاييق الجبل علوته فجعلت أرميهم، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحا يستخفون، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن، فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قلت: هل تعرفونني؟ أنا سلمة بن الأكوع، لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني فيدركني. فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، فإذا أولهم أخرجهم، وعلى أثره أبو قتادة وعلى أثره المقداد بن الأسود فالتقى عبدالرحمن وأخرجهم فعقر بعبدالرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق قتادة بعبدالرحمن فطعنه فقتله وولى القوم مدبرين نتبعهم أعدو على رجلي، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد؛ ليشربوا منه وهم عطاش، فأجليتهم عنه، فما ذاقوا قطرة منه. ولحقني رسول الله ﷺ والخييل عشاء، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما عندهم من السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال: يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح، أي: قدرت فاعف. ثم قال: إنهم ليقرّون الآن في غطفان. وقال ﷺ: «خير

فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة». قال سلمة: وأعطاني
سهمين، سهم الراجل، وسهم الفارس، وأردفني وراءه على العضباء
راجعين إلى المدينة.

وقد استعمل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة على المدينة ابن أم
مكتوم، وعقد اللواء للمقداد بن عمرو.

غزوة خيبر

خَيْبَرُ وَكَرُّ الدَّسِّ * وَلَبَّ كُلُّ الرَّجْسِ
حَيْثُ بِهَا قَدْ اجْتَمَعَ * خُبْتُ الْيَهُودَ وَاتَّسَعُ
فِيهَا التَّأْمُرُ عَلَى * دِينَ الْهُدَى وَاكْتَمَلَا
وَكَانَ مِنْ ذَا الْبَابِ * تَحَزَّبُ الْأَحْزَابِ
مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا * يَحْتُثُّهُمْ مَنْ كَمَنَا
بِهَا مِنَ الْيَهُودِ * مُخَالَفِي الْعُهُودِ
لِذَا فَحِينَ أَمَنَا * بَصُلْحِهِ نَبِينَا
جَانِبَ مَكَّةَ رَأَى * أَحْمَدُ أَنْ تَهَيَّأَ
لَهُ الْمَنَاخُ لِيَضَعَ * حَدًّا لِمَنْ بِهَا قَبَعَ
وَفِي الْحُدَيْبِيَّةِ قَدْ * بَشَّرَ أَحْمَدَ الصَّمَدُ
بِمَغْنَمٍ قَدْ كَثُرَا * وَكَانَ ذَاكَ خَيْبَرَا
فَخَرَجَ النَّبِيُّ * وَجَيْشُهُ الْوَفِيُّ

وَهُوَ جَيْشُ الشَّجَرَةِ * أَيُّ أَرْبَعٍ وَعَشْرَةَ
مِنَ الْمَمِينِ فَنَزَلَ * سَاحَةَ خَيْبَرَ نَقَلَ
مَنْ نَقَلَ الْأَخْبَارَ * أَنَّ النَّبِيَّ اخْتَارَا
لِرَايَةِ الْقِتَالِ * فِي يَوْمِهِ الْمُوَالِ
مِنَ الرَّجَالِ رَجُلًا * يُحِبُّهُ الْمَوْلَى عَلَا
وَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ * فَكُلُّهُمْ رَجَاهَا
لِنَفْسِهِ أَمَا الْعَلِي * فَسَاقَهَا إِلَى عَلِي
فَقَدْ دَعَاهُ أَحْمَدُ * فَجَاءَ وَهُوَ أَرْمَدُ
فَبَصَقَ النَّبِيُّ فِي * بَاصِرَتَيْهِ فَشُفِيَ
فَقَامَ بِالْأَمْرِ عَلَى * أَحْسَنِ وَجْهِ نَقَلَا
أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَا * مَرَحِبَهُمْ وَانْتَقَلَا
إِلَى الْحُصُونِ يَفْتَحُ * حِصْنًا وَحَيْثُ نَزَحُوا
لِغَيْرِهِ يُبَادِرُ * إِلَيْهِمْ يُحَاصِرُ
هَذَا وَذَلِكَ يُعْلَنُ * هَزِيمَةً وَيُدْعَنُ
وَيَوْمَهَا رَأَى الْحَبِيبِ * بٌ جَعْفَرًا قَالَ النَّبِيُّ
أَبِكَ كُنْتُ أَفْرَحُ * أَكْثَرَ أُمَّ مَا يُفْتَحُ
مِنْ خَيْبَرَ عَلَيْنَا * مِنْ قَبْلِ مَا التَّقِينَا
وَمَكَرَتْ يَهُودُ * وَمَكَرَهَا مَعَهُودُ

فَوَضَعَتْ سُمًّا لِأَحْ * مَدَّ بِلَحْمٍ فَافْتَضَحَ
لَأَنَّ مَا اللَّحْمُ أَقْرُ * بِأَنَّهُ سُمٌّ ذَكَرَ
رُوتَهَا أَنَّ الذَّرَا * عَ حَدَرَتْ خَيْرَ الْوَرَى
وَاخْتَارَ لِلزَّوْجِ * طَيِّبَةَ الْمِزَاجِ
نَبِينَا صَفِيَّةً * وَجَعَلَ الْعَطِيَّةَ
مِنْهَا لَهَا الْعَتَقَ وَكَأ * نَتَّ أَسَلَمَتْ هُنَالِكَ
وَفِي الطَّرِيقِ قَدْ رَقَدَ * نَبِينَا وَكَانَ جَدُّ
فِي السَّيْرِ لَيْلًا وَأَمْرُ * بِلَالٍ سَيِّدُ الْبَشَرِ
أَنْ يَكْلَأَ الصَّبَاحَا * فَإِنْ رَأَهُ لِأَحَا
أَيْقِظُهُ لِيَسْجُدَا * لِرَبِّهِ فَرَقَدَا
مَنْ نَصَبَ بِلَالُ * وَذَاكَ كَانَ حَالُ
خَيْرِ الْوَرَى وَالْقَوْمِ * فَلَمْ يَقُمْ مِنْ نَوْمِ
فَرَدُّ حَتَّى إِذَا كَوَتْ * شَمْسُ النَّهَارِ وَغَدَتْ
فَوْقَ الرَّؤُوسِ أَحْمَدَا * قَامَ لَهُ نَفْسِي الْفِدَا
يَسْأَلُ مَاذَا قَدْ جَرَى * قَالَ بِلَالُ مَا تَرَى
فَإِنَّمَا كَانَ قَبْضُ * نَبِيِّ الَّذِي لَكَ عَرَضُ
فَأَمَرَ الْمُنَادِي * بِتَرْكِ ذَاكَ الْوَادِي
حَتَّى إِذَا مَا ابْتَعَدُوا * صَلَّى الْغَدَاةَ أَحْمَدُ

وَقَبْلَهَا كَمَا وَعَى * مُسْلِمٌ كَانَ رَكْعَا

اطمأن رسول الله ﷺ بصلح الحديبية إلى الأمن من ناحية أحد أجنحة الأحزاب الثلاثة: أهل مكة، واليهود، وأعراب نجد، فلم يعد يأتي خوف من جهة مكة، فكانت خيبر أخرى بالالتفات إليها أولاً لما فيها من الدس والخيانة، ولأن اليهود فيها هم الذين حاربوا الأحزاب؛ ولهذا لم يلبث رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية في المدينة إلا شهراً وبعض الشهر حتى تهيأ لغزو خيبر، وإبان ذلك أخبر الله تعالى نبيه بما يريد به بعض المنافقين وضعاف النفوس الذين تخلفوا عن الحديبية من خروجهم معه؛ لينالوا نصيباً من المغام. فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الْخَلْفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَامٍ لَتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يَرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسَدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر أخبر الناس أنه لا يريد أن يخرج معه إلا من كان يرغب في الجهاد، فلم يخرج معه إلا أصحاب بيعة الشجرة الألف والأربعمائة، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو نميلة ابن عبد الله الليثي.

فأرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى اليهود في خيبر يقول: إن محمداً ذاهب إليكم فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون، وهم عزل ليس لديهم من السلاح إلا القليل، فأرسل اليهود إلى غطفان لما أخبرهم ابن أبي

يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاءهم ومظاهرين لهم على المسلمين وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم تغلبوا على المسلمين. واستعان رسول الله ﷺ بالأدلاء ليدلوه على أحسن طريق يسلكه يمكنه من إتيان خيبر من جهة الشام حتى يحول بين اليهود وبين غطفان، وأيضا يحول بينهم وبين الفرار إلى الشام.

وبات المسلمون الليلة الأخيرة التي بدأ القتال في صباحها قريبا من خيبر، حتى لا تشعر بهم اليهود، ومن عادة النبي ﷺ أنه إذا غزا قوما وأتاهم بليل لم يهاجمهم حتى يُصبح فلما أصبح صلى بغلس ثم بدأ الجيش بالهجوم وقد خرج القوم إلى مزارعهم فلما رأوا الجيش فروا إلى مدينتهم، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». وعسكر رسول الله ﷺ بمكان قرب أحد حصونهم بين النخيل فنبهه الحباب بن المنذر إلى أن ذلك المكان غير صالح للعسكر فنزل ﷺ على رأيه وغير المكان، فلما دنا من خيبر أوقف الجيش ثم دعا فقال: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإننا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية، وشر أهلها، وشر ما فيها أقدموا بسم الله».

وفي الليلة التي سيبدأ القتال في صباحها قال ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». فلما أصبح الناس

غدوا إلى رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا يا رسول الله : هو يتشكى عينيه . قال : أرسلوا إليه فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع ، ثم دفع إليه الراية ، فقال : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» . وفي خيبر ثمانية حصون وقلاع كثيرة منيعة ، فلما قدم عليها علي بالجيش كان أول حصن يهاجمه هو المسمى حصن ناعم ، وهو خط الدفاع الأول لليهود ، وهو حصن مرحب البطل اليهودي الذي كانوا يعدونه بالألف ، فبرز مرحب إلى الميدان طالبا المبارزة ، فبرز له أحد الصحابة اسمه عامر ، قال سلمة بن الأكوع إنه عمه فاختلفا بضربتين فأصيب عامر في ركبته فمات منها ، ثم برز مرحب مرة أخرى فبرز له علي ، وهو يرتجز ردا على ما كان مرحب يرتجزه ويقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كرية المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب علي رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه ، ولما دنا علي رضي الله عنه من حصونهم اطلع يهودي من رأس الحصن وقال : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : علوتم وما أنزل على موسى . وخرج ياسر أخو مرحب للمبارزة فبرز له الزبير فخافت

عليه أمه صفية عمة رسول الله ﷺ أن يقتله اليهودي فقال رسول الله ﷺ بل ابنك يقتله، فقتله الزبير بعون الله. ودار القتال عنيفا أياما حول حصن ناعم قتل فيه جمع من قادة اليهود فانهارت معنوياتهم فتسللوا من حصنهم إلى حصن آخر هو حصن الصعب وهو الحصن الثاني من حيث القوة بعد حصن ناعم، واقتحم المسلمون حصن ناعم. ثم هاجم المسلمون بقيادة الحباب بن المنذر الأنصاري حصن الصعب ففرضوا عليه الحصار ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث سأل رسول الله ﷺ ربه أن يفتح على المسلمين أكثر الحصون طعاما حيث شكا إليه بعضهم شدة حاجتهم للطعام، ثم أمر المسلمين بعد دعائه بمهاجمة هذا الحصن ففتح الله عليهم وكان كما تمنوا؛ وبسبب الجوع ذبح بعض رجال الجيش الحمير ونصبوا القدور فنهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمير فكفأوا قدورهم، ولم تكن قبل ذلك منهيها عنها.

ثم تتابع بعد ذلك سقوط حصون وقلاع خيبر الواحدة بعد الأخرى كلما فتحت قلعة أو حصن انتقل اليهود إلى غيره فيهاجمهم الجيش فيفتحه الله عليهم، فلما يئس اليهود من السلامة أرسل زعيمهم يسأل رسول الله أن يأذن له بالنزول إليه للتفاوض معه فأذن له فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من هم في حصونهم من المقاتلين، وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذريتهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما تحت أيديهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء أي الذهب والفضة، وكل شيء إلا ما على ظهورهم من الثياب، وأن

ذمة الله وذمة رسوله برئت منهم إن كتموه شيئاً، فتم الصلح على هذا. فغنم المسلمون في خيبر مغنم كثيرة لم يأخذوها من قبل كما وعدهم الله تعالى بذلك ووعدده الحق. روى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما فتحت خيبر: الآن نشبع من التمر. ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من النخل التي كانوا منحوهم إياها؛ لاستغنائهم عنها بسهامهم من خيبر.

قدوم جعفر وأصحابه

وفي هذه الغزوة وبعد الانتهاء من أمر خيبر قدم على رسول الله ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ومعهم الأشعريون أبو موسى وأصحابه. فلما قدم جعفر على رسول الله ﷺ تلقاه وقبله وقال كما في زاد المعاد: «والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»؟

وضع السم له ﷺ:

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد الفتح أهدت له امرأة سلام بن مشكم زينب بنت الحارث شاة مصلية، وسألت أي عضو أحب إليه؟ فأخبرت أنه الذراع، فأكثر في فيه من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذرا فلاك منها مضغة، فلم يسغها ولفظها وقال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم. ثم دعا بها فاعترفت. فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: قلت: إن

كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر . فتجاوز عنها ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور أخذ منها أكلة فاستساغها فمات منها فلما مات بشر قتلها ﷺ به .

زواجه ﷺ بصفية

كان من غدر اليهود بعد إبرام العهد معهم أن رسول الله اكتشف أن ابني أبي الحقيق غيبا مالا كثيرا ، فقتلهم ﷺ لغدرهما وكانت أم المؤمنين صفية بنت حبي رضي الله عنها تحت واحد منهما فلما قتل زوجها اليهودي جعلت في السبي ، فجاء دحية الكلبي إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه جارية من السبايا فقال له : اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حبي ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك . فقال : ادعه بها فجاء بها ، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال : خذ جارية غيرها من السبي ، وعرض عليها النبي ﷺ الإسلام فأسلمت ، فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها ، حتى إذا كان بسد الصهباء راجعا إلى المدينة حلت ، فجهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل ، فأصبح عروسا بها ، وأولم عليها بحيس من التمر والسمن والسويق ، وأقام عليها ثلاثة أيام في الطريق يبني بها . ورأى بوجهها خضرة فقال : ما هذا؟ قالت : يا رسول الله رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه وسقط في حجري ، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئا فقصصتها

على زوجي، فلطم وجهي فقال: تتمنين هذا الملك الذي بالمدينة. ثم أخذ رسول الله ﷺ في العودة إلى المدينة، وفي مرجعه أدلج ليلة من الليالي ثم نزل في آخر الليل ببعض الطريق لينام، وقال لبلال: اكأ لنا الليل، فغلبت بلالا عيناه، وهو مسند إلى راحلته فلم يستيقظ أحد، حتى ضربتهم الشمس، وأول من استيقظ بعد ذلك رسول الله ﷺ، ثم خرج من ذلك الوادي وتقدم، ثم صلى الصبح، ولم يذكر مالك في روايته هذا الحديث في الموطأ أنه ركع الرغبة قبل الفريضة ذلك اليوم، وروى مسلم أنه ركعها.

فتح فذك صلحا

وَنَجَلُ مَسْعُودٍ سَلَكَ * طَرِيقَهُ إِلَى فِدْكَ
يَدْعُو لِدِينِ الْحَقِّ * بِأَمْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ
يَهُودَهَا فَأَبْطَأُوا * عَلَيْهِ ثُمَّ لَجَأُوا
لِلصُّلْحِ حِينَ خَيْرًا * فَتَحَهَا خَيْرُ الْوَرَى

عندما بلغ رسول الله ﷺ خيبر بعث محيصة بن مسعود إلى يهود فذك ليدعوهم إلى الإسلام، فأبطأوا عليه، فلما فتح الله خيبر قذف الرعب في قلوب يهود فذك، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فذك كما صالح عليه أهل خيبر، فقبل ذلك منهم، فكانت فذك لرسول الله ﷺ خالصة؛ لأنها لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب.

فتح وادي القرى

وَقَاوَمَتْ وَادِي الْقُرَى * يَوْمًا لَمَّا كَانَتْ تَرَى
أَنَّ لَهَا لِقْوَهُ * تُغَالِبُ النُّبُوَّةَ
وَفِي الصَّبَاحِ دَفَعُوا * يَهُودَهَا مَا جَمَعُوا

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى وكان بها يهود وعرب. فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم استقبلتهم اليهود بالرمي فأصابوا عبدا لرسول الله ﷺ فقال الناس: هنيئا له الجنة. فقال النبي ﷺ: كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا. فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى النبي ﷺ بشراك أو شركاين. فقال النبي ﷺ: شراك من نار أو شركاكان. ثم صف رسول الله ﷺ أصحابه وعبأهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل ابن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا، وبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي بن أبي طالب فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كلما قتل منهم رجل دعا من بقي إلى الإسلام. وكانت الصلاة تحضر هذا اليوم فيصلي ﷺ بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها رسول الله ﷺ عنوة وغنم أموالهم، وأصاب المسلمون بها أثانا ومتاعا كثيرا.

وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم على أصحابه ما أصاب بها، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها كما عامل أهل خيبر.

استسلام تيماء

وَصَالَحَتْ يَهُودُ * تَيْمَاءَ وَالْعُهُودُ

لَهُمْ عَلَى الْبَقَاءِ * مِنْ غَيْرِ مَا جَلَاءِ

ولما بلغ يهود تيماء خبر استسلام أهل خيبر ثم فدك ووادي القرى لم يبدوا أي مقاومة ضد المسلمين، وبعثوا من تلقاء أنفسهم يريدون الصلح، فقبل ذلك منهم رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم وكتب لهم بذلك كتابا نصه: «هذا كتاب محمد رسول ﷺ لبني عاديا، إن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عدا ولا جلاء، الليل مد والنهار شد».

عمرة القضاء

لِعُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ * مُعَلِّمِ الْبَرِيَّةِ

خَرَجَ فِي صَحْبِ كِرَا * مِ بَعْدَ عَامِ ذُكْرَا

فِي الصُّلْحِ وَالْأَمَانِي * وَمَعَهُ الْفَنَانِ

وَبِالسَّلَاحِ خَرَجُوا * كَيْ لَا يَكُونَ حَرَجُ

فَتَرَكُوهُ مَا عَدَا * سَيُوفَهُمْ ثُمَّ لَدَى

جَمْعِ مِنَ الْحُرَّاسِ * مِنْ جَيْشِ خَيْرِ النَّاسِ

ثُمَّ أَتَوْا فَشَرَعُوا * يَعْتَمِرُونَ خَلَعُوا
عَنِ الْمَنَاكِبِ مُهَرِّمًا * وَلَيْنَ يَدْرِي مَنْ حَضَرَ
أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَمَا * أَشَاعَ مَنْ قَدْ زَعَمَا
أَنَّهُمْ ضِعَافٌ * وَهَكَذَا قَدْ طَافُوا
ثُمَّ سَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا * وَأُخْتِهَا وَوَقَفَا
جَمْعُ قُرَيْشٍ خَارِجًا * مَكَّةَ حَتَّى خَرَجَا
بَعْدَ ثَلَاثِ ظُفْرًا * بِمَا أَرَادَ سَائِرًا
نَبِيْنَا وَالصَّحْبُ * وَنِعْمَ كَانَ الرَّكْبُ
وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَا * مَيْمُونَةَ النَّبِيِّ جَا
عَنِ الثُّقَاةِ أَرْسَلَا * جَعْفَرَ وَهِيَ نُقْلَا
أَنْ جَعَلَتْ فِي النَّاسِ * الْأَمْرَ إِلَى الْعَبَّاسِ

عند بدء ذي القعدة بعد تمام السنة لصلح الحديبية أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يتخلف منهم أحد شهد صلح الحديبية؛ لكي يعتمروا قضاء عمرتهم التي فاتتهم عام أول، فخرجوا جميعا إلا من كان منهم استشهد خلال ذلك العام، وخرج معهم آخرون بلغوا بهم ألفين عدا النساء والصبيان.

واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق ستين بدنة وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي، وأحرم للعمرة من ذي الحليفة. وخرج مستعدا بالسلاح والمقاتلين، خشية أن يقع من قريش غدر فلما

بلغ قريبا من مكة خلف الأسلحة كلها تحت حراسة مائتي رجل ودخل
بسلاح الراكب، حسب شروط الصلح. وكان رسول الله ﷺ عند
دخوله مكة راكبا على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحوا السيوف
محددون برسول الله ﷺ يلبون. وخرج المشركون إلى جبل قُعيْقَعَانَ
على الشمال من الكعبة؛ ليروا المسلمين، وقد تقاولوا فيما بينهم: إنه
يقع عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب، فأمر رسول الله أصحابه أن
يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يأمرهم أن
يرملوا الأشواط كلها إبقاء عليهم، وإنما أمرهم بذلك ليُري المشركين
قوته، كما أمرهم أن يكشفوا عن المناكب اليمنى وهو الاضطباع.
ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التي تطلعه على الحجون، وقد
اصطف المشركون ينظرون إليه، فلم يزل يلبي حتى استلم الركن
بمحجنه، ثم طاف والمسلمون معه، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول
الله متوشحا بالسيف يرتجز:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله

يا رب إني مؤمن بقبيله إني رأيت الحق في قبوله

بأن خير القتل في سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تنشد
الشعر؟ فقال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من

نضح النبل». ولما رأى المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه يرملون قال قائلوهم: هؤلاء الذين قلتم إن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا. فلما فرغ ﷺ من الطواف والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط لكل منهما، أوقف الهدي عند المروة وقال: «هذا المنحر وفجاج مكة كلها منحر» ثم أقام بمكة ثلاثا، وأرسل رجالا إلى السلاح يحرسونه مكان الذين تركهم أولا، وأمر أولئك أن يأتوا ليؤدوا نسكهم ففعلوا. ولما أراد الخروج من مكة لحقت به ابنة حمزة وهي تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي واختصم فيها هو وجعفر وزيد فقضى النبي ﷺ بها لجعفر؛ لأن خالتها كانت تحته. وفي هذه العمرة تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث العامري، وقد بعث إليها جعفرا فجعلت أمرها إلى العباس؛ لأن أختها تحته، فزوجه إياها.

معركة مؤتة

أَرْسَلَ مِنَ الْبُشَيْرِ * جَا لِعَظِيمِ بَصْرِي
رَسُولَهُ فَأَعْتَرَضَا * ذَاكَ الرَّسُولَ وَقَضَى
غَدْرًا عَلَى رَسُولٍ * مُحَمَّدٍ رَسُولِ
رَبِّ الْبَرِيَّةِ شُرْحًا * بَيْلِ الْأَثِيمِ فَاتَّضَحَ
لِلْمُصْطَفَى أَنْ قَدْ وَجَبَ * تَأْدِيبُ تِلْكَمُ الْعَرَبِ
وَالرُّومِ أَيْضًا فَجَمَعَ * لِذَاكَ جَيْشًا مَا اجْتَمَعَ
قَبْلَ لَهُ نَظِيرٌ * مَذْبُوعِ النَّذِيرِ

عَدَادُهُ ثَلَاثَةٌ * آَلَفُ الْمُثَبَّتِ
 أَنَّ النَّبِيَّ أَمَّرَا * زَيْدًا وَبَعْدُ جَعْفَرَا
 فَابْنُ رَوَاحَةَ وَبَعْدُ * مَدَّ ذَلِكَ الَّذِي اجْتَمَعَ
 عَلَيْهِ أَمْرٌ مِنْ حَضْرٍ * مِنْ جَيْشِ سَيِّدِ الْبَشَرِ
 أَمَّا الْعَدُوُّ فَلَقَدْ * أَعَدَّ جَيْشًا لَا يُعَدُّ
 لِمَالِهِ مِنْ كَثْرَةٍ * فَاقْتَصَرَ فِي مَائَةٍ
 أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ يَضُمُّ * جَيْشًا مِنَ الْعَرَبِ عَرِمَ
 ثُمَّ اتَّقَى الْجَمْعَانَ * فَمَاتَ عَالِي الشَّانِ
 زَيْدٌ وَبَعْدُ قُتِلَا * جَعْفَرُ ثُمَّ نَازِلَا
 نَجَلُ رَوَاحَةَ فَلَمْ * يَزَلْ يُرْفَرُ الْعِلْمُ
 بَيْنَ يَدَيْهِ حَامِلًا * لَهُ بِهِ مُقَاتِلَا
 حَتَّى أُصِيبَ فَاتَّفَقَ * سَادَةٌ تِلْكَمُ الْفِرْقُ
 عَلَى الْأَمِيرِ خَالِدٍ * سَيْفِ الْإِلَهِ الْخَالِدِ
 فَكَانَ نَعَمَ الْقَائِدُ * إِذْ لَمْ يَزَلْ يُجَالِدُ
 يُخَادِعُ الْعَدُوَّ * حَتَّى نَجَوْا وَهَوَّأَ
 بِذَلِكَ نَالَ شَرْفًا * لَقَبِهِ إِذْ عُرِفَا
 بِوَصْفِ سَيْفِ اللَّهِ * كَانَ بِهَا يُبَاهِي

مؤتة قرية بأدنى البلقاء من الشام، بينها وبين بيت المقدس

مرحلتين، وقعت فيها أكثر المعارك دموية بالنسبة للمسلمين في حياة رسول الله ﷺ، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٨ هـ .

كان سبب تلك المعركة أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي، ضمن مراسلته الملوك، بعد صلح الحديبية، بكتاب إلى عظيم بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني عامل قيصر على البلقاء فأوثقه رباطا، ثم ضرب عنقه فقتله . وكان وما زال قتل الرسل والسفراء يعتبر من أشنع الجرائم، فاشتد على رسول الله ﷺ ذلك لما نقل إليه، فجهز جيشا تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، وهو عدد لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب، وأسند قيادة هذا الجيش إلى زيد بن حارثة، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة . وعقد لهم لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم وقتلوهم . وقال لهم : « اغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا، ولا منعزلا بصومعته . ولا تقطعوا نخلا ولا شجرا، ولا تهدموا بناء .

ولما تهيأ الجيش للخروج حضر الناس يودعون أمراء رسول الله ﷺ فبكى عبدالله بن رواحة، ف قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ واردها كان على ربك

حتما مقضيا ﴿ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال
الحاضرون من المسلمين: صحبكم الله بالسلامة ودفع عنكم وردكم
إلينا صالحين غانمين. فقال عبدالله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم خرج الجيش وخرج رسول الله ﷺ يودعه، حتى بلغ ثنية الوداع
فوقف وودعهم. وسار الجيش حتى نزل معان من أرض الشام، وحينئذ
نقلت إليهم استخباراتهم أن هرقل نازل بمآب من أرض البلقاء في مائة
ألف من الروم، وانضم إليه من نصارى عرب الشام مائة ألف، ولم يكن
المسلمون يتوقعون أن يلاقوا مثل هذا العدد الذي فوجئوا به في هذه
الأرض البعيدة، وما ذا يفيد أن يهاجم جيش ضعير قوامه ثلاثة آلاف
مقاتل هذا البحر المتلاطم من الرجال والسلاح؟ فلبث المسلمون ليلتين
في منزلهم ذاك في معان يتدبرون أمرهم ماذا عساهم فاعلون؟ ثم
قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا
بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. ولكن عبدالله بن رواحة
عارض هذا الرأي وشجع الناس قائلا: يا قوم، والله إن التي تكرهون
لتي خرجتم في طلبها: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا
كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما

هي إحدى الحسينيين إما ظهور وإما شهادة، فاستقر الرأي على ما دعا إليه عبدالله بن رواحة، فتحرك الجيش إلى أرض العدو حتى لقيتهم جموع هرقل فانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك وتعبأوا للقتال، فالتقى الفريقان: ثلاثة آلاف يواجهون مائتي ألف.

أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل ببسالة لا يقاتل بمثلها إلا من امتلأ قلبه إيمانا، وما زال يضرب يمينا ويسرة حتى صعدت روحه شهيدا في سبيل الله.

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقاتل قتالا منقطع النظير حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، ولم يزل يقاتل بها حتى قطعت شماله فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعا الراية حتى قتل، فأثابه الله بجناحيه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء؛ ولهذا سمي بالطيار وبذي الجناحين. روى البخاري عن نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، يعني ظهره، وفي رواية أخرى للبخاري قال ابن عمر: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية، فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة وتقدم بها، وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد حتى حاد حيدة ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّكَ كَارِهَةٌ أَوْ لَتَطَّوِعَنَّكَ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّنَّةَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ

ثم نزل فأتاه ابن عم له ببعض اللحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

ثم تقدم رجل من بني عجلان هو ثابت بن أرقم فأخذ الراية وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فقاتل ذلك اليوم قتالا مريرا ، وفي اليوم التالي غير أوضاع الجيش ليوهم الأعداء أنه أتاه مدد وبدأ يتأخر قليلا ويقاقل فظن الأعداء أنه يريد أن يسحبهم إلى مدده في الصحراء ، وبهذه الخدعة أنجاه الله بجيشه وإلا فإن جيش الروم بعدده الهائل لو قام بمطاردة جيش المسلمين لكان في ذلك هلاك كثير من المسلمين .

وقد أخبر رسول الله ﷺ يوم مؤتة بحال جيش المسلمين فقال قبل أن يأتي خبر الجحيش من ساحة المعركة مخبرا عن الوحي وعيناه ﷺ تذرفان دموعا : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم . واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا ، ولم يعرف عدد قتلى الأعداء ، غير أن ضراوة المعركة تنبئ عن كثرة قتلاهم .

فتح مكة

صَلِحُ الْحُدَيْبِيَّةِ نَصْرٌ * بِأَنَّ مَنْ كَانَ خَلَصَ
لِحَلْفِ قَوْمٍ كَانَا * مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَا
فَحَالَفَتْ خُزَاعَهُ * مِنْ خُصِّ الشَّفَاعَةِ
وَحَالَفَتْ بَكْرُ قُرَيْبٍ * شَائِثٌ صَارَ كُلُّ حَيٍّ
مِنْ ذَيْنِ فِي أَمَانٍ * بَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
مِنْ خَصْمِهِ لَكِنَّمَا * بَكْرٌ رَأَتْ أَنْ تَهْجُمَا
عَلَى خُزَاعَةِ التِّي * كَانَتْ هُنَا فِي غَفْلَةٍ
وَمَعَ بَكْرٍ شَارِكَا * بَعْضُ قُرَيْشٍ ذَلِكَ
كَانَ بِهِ الْعَهْدُ انْتَقَضَ * فَجَاءَ مِنْ حَثٍّ وَحَضٍّ
كُلُّ مَنْ نَاهُ نَصْرٌ * مَنْ ظَلَمْتَهُ بَكْرُ
مَعَ قُرَيْشٍ فَآتَى * نَبِيَّنَا مِثْلَ الْفَتَى
رئيس مكة أبي * سُفْيَانَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ
تَجْدِيدَ عَهْدٍ يَعْلَمُ * فِي نَفْسِهِ أَنَّ هُمْ
قَدْ نَقَضُوهُ فَرَجَعُ * بِخَيْبَةٍ مَعَ الْفَزَعِ
لَمَّا رَأَى وَعَلِمَا * مِمَّا عَلَيْهِ عَزَمَا
أَبْرُ كُلِّ الْخَلْقِ * وَإِنَّهُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ الْخُزَاعِيِّ عِلْمٌ * بِالْوَحْيِ ذَلِكَ فَهَمُّ

مِنْ كَوْنِهِ اسْتَعَدَّ * نَبِينَا وَجَدًّا
 فِي الطَّبْرَانِ الْمُخْبِرِي * رَوَايَةٌ لِلْخَبْرِ
 عَنْ أُمَّنَا الرِّزَّانِ * عَائِشَةَ الْحَصَانِ
 ثُمَّ أَتَى الْخُزَاعِي * يَشْكُو لِخَيْرِ دَاعٍ
 فَأَعْلَنَ اسْتِنْفَارًا * وَكَتَمَ الْأَخْبَارَا
 عَنْ أَيِّ وَجْهِ يَقْصِدُ * وَهُوَ بِذَلِكَ يَجْهَدُ
 أَلَّا تَعِيَ قُرَيْشٌ * حَتَّى يَصِيرَ الْجَيْشُ
 بِقُرْبِهَا فَتَخْضَعُ * جُمُوعُهَا وَتَخْنَعُ
 وَقَدْ أَرَادَ حَاطِبٌ * إِخْبَارَهُمْ يُكَاتِبُ
 مُحَذَّرًا فَأَخْبَرَ * إِلَيْنَا خَيْرَ الْوَرَى
 بِأَمْرِهِ ثُمَّ اعْتَذَرَ * فَقَبِلَ الْعُذْرَ الْأَبْرَ
 نَبِينًا مَنْ يَدْرِي * بِمَا لِأَهْلِ بَدْرِ
 وَمِنْهُمْ ابْنُ بَلْتَعَةَ * فَمَا لَهُمْ قَدْ وَسِعَهُ
 ثُمَّ بِجَيْشِهِ خَرَجَ * يَسْأَلُ رَبَّهُ الْفَرْجَ
 وَأَنْ يُعَمِّيَ عَلَيَّ * مَكَّةَ حَتَّى يَنْزِلَا
 بِهَا فَيَحْقِنَ الدَّمَ * وَيُعِزَّ الْحَرَمَا

كانت في صلح الحديبية فقرة تنص على أن من أحب أن يدخل في
 عهد رسول الله ﷺ فله ذلك ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش
 دخل فيه ، وأن القبيلة التي تدخل في عهد أي من الفريقين يعتبر

العدوان عليها عدوانا على ذلك الفريق . وحسب هذه الفقرة أو البند دخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش وصارت كل من القبيلتين آمنة أن تعتدي عليها الأخرى علما بأن القبيلتين كانت بينهما عداوات وثارات في الجاهلية ، فلما جاءت الهدنة وأمن الفريقان اغتنمتهما بنو بكر ، وأرادت أن تصيب من خزاعة ثأرا قديما لها ، فخرج من بني بكر رجل اسمه نوفل بن معاوية في رجال ، وأغار على بني بكر ليلا ومعه رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك ، إلهك . فقال والعياذ بالله : لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ فلجأت خزاعة لما وصلت مكة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ، ودار مولى لهم يقال له رافع ، وأسرع عمرو بن سالم الخزاعي ، فخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ في المدينة فوقف عليه وهو في المسجد فأنشد :

يارب إني ناشد محمدا بحلفنا حلف أبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمتم أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا وادع عباد الله يأتو مددا
فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا في فرق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لي في كداء رسدا وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت ياعمرو بن سالم، ثم عرضت له سحابة من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بمن أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم رجعوا إلى مكة.

لم تلبث قريش أن أحست بغدرها، وشعرت بعواقبه الوخيمة تلبد سماءها، فعقدت مجلسها الاستشاري، وقررت أن تبعث قائدها أبا سفيان بن حرب ليجدد الصلح. وقد أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بما ستفعله قريش إزاء غدرتها تلك، فقال: كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد في المدة. وخرج أبو سفيان حسبما قرره قريش فلقى بديل بن ورقاء بعسفان، وهو راجع من المدينة، فقال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه أتى النبي ﷺ. فقال: سرت في خزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما جئت محمدا؟ قال: لا. فلما راح بديل قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيها النوى فقال أقسم بالله لقد جاء محمدا.

وقدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب

ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس . فقال : والله لقد أصابك بعدي شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً . ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر ابن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ، ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة ، وحسن غلام يدب بين يديهما ، فقال : يا علي إنك أمس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، اشفع لي إلى محمد ، فقال : ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما يبلغ ابني ذاك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ ، فأظلمت الدنيا أمام عيني أبي سفيان ، فقال لعلي بن أبي طالب ، في هلع وانزعاج ويأس وقنوط : يا أبا الحسن : إني أرى الأمور قد اشتدت علي ، فانصحني . قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أوترى ذلك مغنيا عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ولكني لم أجد لك غير ذلك . فقام أبوسفيان في المسجد فقال : أيها الناس ، إني قد أجزت بين الناس ، ثم ركب بعيره وانطلق

فلما قدم على قريش أخبرهم بما فعل ، وبما رد عليه القوم وأنه أجار بين الناس بمشورة علي فقالوا : ويلك ما زاد الرجل علي أن لعب بك . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

تهياً رسول الله ﷺ للغزو قبل أن يأتي إليه خبر نقض قريش العهد بثلاثة أيام ، حسبما روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها ، ولما جاء الخبر اليقين وجاء أبو سفيان ثم ذهب ، أمر رسول الله ﷺ الناس أن يتجهزوا للغزو ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . وزيادة في التعمية على قريش بعث رسول الله ﷺ سرية في أول شهر رمضان يقودها أبو قتادة إلى ناحية مغايرة لتذهب بذلك الأخبار إلى قريش ، فلما وصلت تلك السرية إلى حيث أمرها رسول الله ﷺ بلغها أنه خرج إلى مكة فلحقت به .

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم أن رسول الله ﷺ سائر إليهم وأعطاه امرأة ، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في قرون رأسها ثم خرجت به ، فأتى الخبر من عند الله إلى رسول الله ﷺ بذلك فأمر علياً والمقداد باللحاق بها فقال : انطلقا حتى تأتيا روضة خاخ ، فإن بها طعينة معها كتاب إلى قريش ، فانطلقا تعدو بهما خيلهما حتى وجدا المرأة بذلك المكان فاستنزلاها وقالوا : معك كتاب ؟ فأنكرت ، ففتشا رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي : أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأته الجرد منه قالت : أعرض فأعرض ، فحلت قرون

رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليهما فأتيا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : إخبار قريش أن رسول الله ﷺ سائر إليهم . فدعا رسول الله ﷺ حاطبا ، فقال : ما هذا يا حاطب ؟ فقال : لا تعجل علي يا رسول الله ، والله إنني لمؤمن بالله ورسوله ، وما ارتددت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ، لست من أنفسهم ، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد ، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم ، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : «إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» . فذرفت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم .

وَعَادَرَ الْمَدِينَةَ * تَحَفُّهُ السَّكِينَةَ
بَجَيْشِهِ الْمُظْفَرِ * خَيْرُ جَمِيعِ الْبَشَرِ
وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَصَلَ * لِقُرْبِ مَكَّةَ نَزَلَ
إِذْ بِأَبِي سُفْيَانَا * يَأْتِيهِ حَيْثُ كَانَ
خَرَجَ يَلْمَسُ الْخَبَرَ * فَاصْطَادَهُ عَلَى الْأَثَرِ
عَمَّ النَّبِيُّ فَأَتَى * بِهِ إِلَيْهِ ثَبَتَا
أَنَّ النَّبِيَّ أَعْطَى * أَمَانَهُ مَنْ أَخْطَا
إِذَا أَتَى دَارَ أَبِي * سُفْيَانَ قَالَهَا النَّبِيُّ

أَوْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَوْ * أَغْلَقَ دَارَهُ وَلَوْ
كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ * طُرّاً سِوَى الْأَشْرَارِ
أَوْلَيْكَ الْأَلَى هَدَرَ * دِمَاءَهُمْ خَيْرُ الْبَشَرِ
وَوَزَعَ الْجَيْشَ ثَلَا * ثَ فِرْقٍ فَدَخَلَا
كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ خَلَا * طَرِيقٍ غَيْرِهِ إِلَى
نُقْطَةِ الْإِلْتِقَاءِ * بِخَيْرِ كُلِّ جَاءِ
مِنْ رَبَّنَا بِالذِّينِ * وَالْحَقِّ وَالْيَقِينِ
وَدَخَلَ الْحَرَامَا * مُطَاطِئاً تَمَامَا
تَوَاضِعاً لِلَّهِ * وَلَمْ يَكُنْ يَبَاهِي
وَعِنْدَ ذَلِكَ أَوْلُ * مَا فَعَلَ الْمُبْجَلُ
أَنْ كَسَرَ الْأَصْنَامَا * وَأَبْطَلَ الْإِثَامَا
فَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ * قَدْ سَادَهُ الْإِسْلَامُ

أخذ الله العيون عن قريش فلم تعلم شيئاً عن تجهيز المسلمين وإعدادهم للزحف إلى مكة، وقد غادر الجيش الإسلامي يقوده النبي ﷺ إلى مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم الغفاري، ولما كان بالجحفة أو فوق ذلك لقيه عمه العباس خارجاً بأهله وعياله مهاجراً إلى الله ورسوله ثم لما بلغ رسول الله ﷺ الأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب، وابن عمته عبدالله بن أبي أمية فأعرض عنهما لما كان

يلقاه منهما من شدة الأذى، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك. وقال علي للأبي سفيان بن الحارث: أتت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ قالوا تالله لقد ءاثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾. فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾. فأنشده أبو سفيان شعراً يعلن فيه الندم على ما كان منه من عداوته لرسول الله ﷺ ويشهر إسلامه.

واصل رسول الله ﷺ السير وهو صائم والناس صيام كذلك حتى بلغ الكديد، بين عسفان وقديد فأفطر وأفطر الناس معه، ثم واصل السير حتى بلغ مر الظهران فنزل عشاء فأمر الجيش بإيقاد النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل رسول الله ﷺ على الحرس عمر بن الخطاب. وخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ يلتمس عليه يجد أحداً يبلغ قريشاً بمقدم رسول الله ﷺ لعلها تخرج إليه فتستأمنه قبل أن يدخل عليها مكة. وكان الله قد أعمى قريشاً فلم يصلها خبر، فهم على وجل وترقب، وكان أبو سفيان يخرج يتجسس الأخبار، فخرج تلك الليلة صحبة حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الأخبار. قال العباس، والله إنني لأسير عليها، أي على بغلة رسول الله ﷺ إذ سمعت كلام أبي سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً. فيقول

بديل : هذه والله خزاعة خمشتها الحرب . فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال العباس : فعرفت صوته فقلت : أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت : نعم . قال : ما لك فداك أبي وأمي ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك . فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، فركب خلفي ورجع صاحبا .

قال العباس : فجئت به ، فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ وقاموا إلي ، فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا ؟ عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقت فاقترحت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه . قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجزته ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فقلت : والله لا يناجيه الليلة أحد دوني . فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا . قال : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أنني عرفت أن إسلامك كان أحب إلي

رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به . فذهبت فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد .

قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئاً . فقال له العباس : ويحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك . فأسلم وشهد شهادة الحق ، فقال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً . قال : نعم . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن . ثم تحرك الجيش وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان في مضيق الوادي حتى يمر به الجيش فمرت به القبائل كلما مرت به قبيلة سأل عنها ثم يقول : ما لي ولبني فلان ، فلما مر به رسول الله في كتيبة المهاجرين والأنصار غائصين في الحديد قال للعباس : لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ، فقال له العباس : يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال : فنعم إذاً .

فلما جاء أبو سفيان إلى قريش وأخبرها بما أعطاه رسول الله من أمان مشروط ثارت في وجهه امرأته تسبهه ، فانصرف الناس إلى مأمَنهم الذي أعطاهم رسول الله ﷺ ، ثم دخل الجيش مكة من الجهات التي أمر رسول الله ﷺ الفرق بالدخول منها كل فرقة من جهة حددها رسول الله ﷺ ، وتصدى بعض السفهاء من قريش في الخندمة مع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو للفتاحين ، وحدثت أحداث أخرى يغني ما ذكر عن بيانها .

ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد مطأطئ الرأس إجلالا لله تعالى وعرفانا بالنعمة التي أنعم الله عليه بها وحوله وخلفه وبين يديه المهاجرون والأنصار حتى دخل المسجد ، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت على راحلته وفي يده قوس ، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بالقوس ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ ويقول : ﴿ جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ . والأصنام تتساقط على وجوهها كلما طعن صنما منها سقط .

ثُمَّ بِجَوْفِ الْكَعْبَةِ * نَبِيٌّ هَذِي الْأُمَّةِ
صَلَّى وَبَعْدُ خَطْبًا * خَارِجَهَا فَرَعْبًا
فِي الدِّينِ ثُمَّ بَيْنَا * أَحْكَامَهُ وَهَاهُنَا
أَظْهَرَ حِلْمًا لَا يُرَى * لَهُ نَظِيرٌ فِي الْوَرَى

فَقَدْ عَفَا وَأَطْلَقَا * جَمَعَهُمْ وَأَعْتَقَا
وَنَشَرَ الصَّفْحَ فَعَمَّ * دِينَ الْهُدَى تِلْكَ الْأُمَّمُ
وَكَانَ قَدْ هَدَرَ دَمٌ * تِسْعَةَ أَشْخَاصٍ فَتَمَّ
إِعْدَامُ خَمْسَةِ وَمَا * بَقِيَ مِنْهُمْ سَلِمَا
بِعَفْوِ خَيْرِ الْخَلْقِ * مِنْ ذَبْحِهِ وَالشَّنْقِ
وَرَدَّ مِفْتَاحَ الْحَرَمِ * لِحَائِزِيهِ فِي الْقَدَمِ
وَقَالَ ذَا يَوْمٍ وَفَا * وَيَوْمٍ بِرٍ وَصَفَا
وَنَشَرَ السَّلَامَا * وَحَرَّمَ الْحَرَامَا
وَمَنَعَ الدِّمَاءَ * وَقَالَ مَنْ قَدْ شَاءَ
مِمَّنْ لَهُ قَدْ قُتِلَا * ذُو رَحِمٍ أَنْ يُعْقَلَا
أَوْ دَمٍ مَنْ قَدْ قَتَلَهُ * أَرَادَ كَانَ ذَاكَ لَهُ
وَخَافَتِ الْأَنْصَارُ * أَنْ يَقْعَدَ الْمُخْتَارُ
عَنْهُمْ بِمَكَّةَ وَدَ * كِنِ الْوَفِيِّ قَالَ لَا
يَكُونُ ذَاكَ أَبَدَا * ثُمَّ الرَّؤُوفُ قَعَدَا
تِسْعًا وَعَشْرًا جَدَدَا * دِينَ الْهُدَى وَبَدَدَا
كُلَّ الشُّرُورِ وَكَسَرَ * الْأَصْنَامَ فَالْحَقُّ ظَهَرَ

دخل رسول الله ﷺ جوف الكعبة بعد أن دعا عثمان بن طلحة فأخذ
منه مفتاحها، فأمر بها ففتحت، ورأى فيها الصور وبينها صورة
يدعون أنها صورة إبراهيم وإسماعيل، وأنهما يستقسمان بالأزلام

فقال : قاتلهم ، الله والله ما استقسما بها ، ورأى في الكعبة كالحمامة من عيدان فكسرها بيده ، وأمر بالصور فمحييت . ثم أغلق عليه الباب ومعه أسامة وبلال فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب وجعل بينه وبينه ثلاثة أذرع ووقف وجعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه ، وثلاثة أعمدة وراءه ثم صلى في ذلك المكان ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ، ووجد الله ، ثم فتح الباب وقد ملأت قريش المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع ، فأخذ بعاضدتي الباب ، وهم تحته فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ،، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد العصي والسوط ففيه الدية مغلظة : مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : فإنني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ﷺ ، وفي رواية أن الذي قال ذلك هو العباس . فقال رسول

الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة؟ فدُعي له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليومَ يومَ بر ووفاء . خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم . يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

وحانت الصلاة ، فأمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة ، وأبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة . فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، وقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته ، وقال أبو سفيان : أما والله لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء . فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : قد علمت الذي قلت ، ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك . ودخل رسول الله ﷺ يومئذ دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثماني ركعات في بيتها ضحى ، فقال البعض هي صلاة الضحى ، وشهر كونها صلاة الفتح . وأجار اثنين كانت أجارتهم أم هانئ من أحمائها كان علي أراد قتلهما فأغلقت عليهما باب بيتها وسألت النبي ﷺ فيهما فاستجاب لها .

وأهدر رسول الله ﷺ يومئذ دماء تسعة رهط من عتاة المجرمين وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم عبدالعزى بن خطل وعبدالله بن أبي السرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث ابن نفيل بن

وهب ، ومقيس بن صبابه ، وهبار بن الأسود ، وقينتان كانتا لابن خطل كانتا تغنيان بهجو النبي ﷺ ، وسارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب . وهي التي كانت تحمل كتاب حاطب إلى قريش . فأما ابن أبي السرح فشفع فيه عثمان فشفعه رسول الله ﷺ فيه وقبل إسلامه بعد أن أمسك عنه رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر ، ثم ارتد ورجع إلى مكة . وأما عكرمة ففر إلى اليمن فاستأمنت له امرأته فأمنه النبي ﷺ فتبعته فرجع معها فأسلم وحسن إسلامه ، وأما ابن خطل فكان متعلقا بأستار الكعبة فأمر النبي ﷺ رجلا أن يقتله فقتله ، وقتل مقيس بن صبابه ، والحارث ، وأسلم هبار وحسن إسلامه ، وقتلت إحدى القينتين وأسلمت الأخرى كما أسلمت سارة حاملة الكتاب . وثم آخرون كانت دماؤهم أهدرت غير هؤلاء منهم من قتل كالحارث بن طلال الخزاعي وغيره ، ومنهم من أسلم فسلم ككعب ابن زهير وهند بنت عتبة ، وآخرون .

وفي الغد من يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما حلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب . وفي رواية :

أو يعضد بها شوكة ولا ينفر صيده، ولا تلتقط ساقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلاه. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر، فقال: إلا الإذخر. ولما فتح الله مكة على رسول الله ﷺ قال الأنصار فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها؟ وكان وقت قولهم ذلك قائما على الصفا رافعا يديه يدعو، فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أخيا محياكم والممات مماتكم. فتحت بحمد الله مكة فتبين لأهلها أنه لا سبيل لهم إلى النجاح إلا عبر الإسلام، فأذعنوا له واجتمعوا يبايعون رسول الله ﷺ فجلس لهم على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ البيعة على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال أخذ يبايع النساء، وعمر قاعد أسفل منه على الصفا يبايعهن بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه فجاءت هند بنت عتبة متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ أن يعرفها، لما صنعتها بحمزة. فقال رسول الله ﷺ: أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئا، ولا تسرقن، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن أنا أصبت من ماله هنات؟ فقال أبو سفيان: وما أصبت فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال: وإنك لهند؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك. ثم تابع في بيعة النساء فقال: ولا يزنين، فقالت: أو تزني الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت: ربناهم صغارا وقتلتموهم كبارا

فأنتم وهم أعلم، وكانت بذلك تشير إلى مقتل ابنها حنظلة يوم بدر.
فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما
تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: ولا يعصينك في معروف.
فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك. ولما
رجعت إلى بيتها جعلت تكسر صنمها وتقول: كنا منك في غرور.
وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يبث السرايا للدعوة إلى
الإسلام وكسر الأصنام التي كانت حول مكة، وأمر مناديا ينادي: من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره فكسرت
كلها. وبعث خالد بن الوليد في ثلاثين رجلا لكسر العزى صنم قريش
وكنانة كلها، وهي بنخلة، وكانت أعظم أصنامهم فهدمها ثم رجع إلى
رسول الله ﷺ فأخبره أنه هدمها فسأله: هل رأيت شيئا؟ قال: لا قال:
فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها. فرجع خالد متغيظا وقد جرد
سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن
يصيح بها فضربها خالد ضربتين فجزلها قطعتين، ثم رجع إلى رسول
الله ﷺ فأخبره فقال: نعم، تلك العزى وقد أيست أن تعبد في بلادكم
أبدا. وتابع رسول الله ﷺ بعث السرايا لهدم الأصنام القريبة من مكة
فهدمت كلها ولله الحمد.

غزوة حنين والطائف

فِي قَعْرِ أَوْطَاسٍ اجْتَمَعَ * جَمَعَ هَوَازِنَ وَمَعَ
جَمَعَ هَوَازِنَ جُمُو * عُ قَيْسٍ عَيْلَانَ هُمُ
وَمَنْ لَهُمْ يَنْتَسِبُ * وَمَالِكًا قَدْ نَصَبُوا
فَقَادَ لِلدَّمَارِ * جَمَعَهُمُ وَالْعَارِ
إِذْ سَاقَ كُلَّ الْمَالِ * وَالزَّوْجَ وَالْأَطْفَالَ
وَعِنْدَمَا جَاءَ الْخَبْرَ * بَدَأَ إِلَى خَيْرِ الْبَشَرِ
رَأَى بُشْرَى مَغْنَمِ * مِنْ إِبِلٍ وَغَنَمِ
وَقَدْ تَجَهَّزَ النَّبِيُّ * فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفِ أَبِي
وَعَزَمَ خَيْرَ مُرْسَلِ * عَلَى قِتَالِهِمْ جَلِي
فَجَاءَ بِالرُّمَاءِ * وَعَقَدَ الرَّأْيَاتِ
ثُمَّ عَلَى الْكُفَّارِ * فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
هَجَمَ وَالْكَفَّارُ * مِنْ مَكْمَنِ أَغَارُوا
عَلَى حُمَاةِ الدِّينِ * فَهَزَمُوا فِي الْحِينِ

جاء فتح مكة حدثا صاعقا باغت قبائل العرب المجاورة لها فبدأت
عروشها تتهاوى، غير أن بعضا منها لم ير الاستسلام للحقيقة
الواضحة، وهي أن الله غالب على أمره، فبدأت بعض القبائل المعروفة
بالغطرسية والشراسة تتأهب لمحاولة استرجاع ما يرونه مجدا أضاعته

قريش مكة وأحلافها تتقدمها بطون من هوازن وثقيف وفلول أخرى من بطون أبناء عمومتهما من قيس علان، فتجمعت في أوطاس بقيادة مالك بن عوف، وقررت المسير لحرب المسلمين وساق قائد تلك الجموع مع الناس أموالهم ونساءهم وأطفالهم فسار حتى نزل أرض هوازن بوادي أوطاس قرب حنين، فاجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة، وكان يومئذ شيخا كبيرا ليس له في الحرب إلا رأيه، وهو شيخ مجرب، فسأل الناس: بأي واد أنتم؟ قالوا بأوطاس، فقال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرر، ولا سهل دهم، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصبي وثغاء الشاء؟ قالوا: ساق مالك ابن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم، فدعا مالكا وسأله عما حملة على ذلك، فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. فقال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم سألت عن بعض البطون والرؤساء، ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئا ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم، ثم الق الصباة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألك ذاك وقد أحرزت أهلك ومالك، ولكن مالكا رفض هذا الرأي وقال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعني هوازن، أو لأنكأن هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره مالك أن يكون لدريد فيها

رأي أو ذكر . فقالوا : أطعناك ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم
يفتني ثم أنشد :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الدمع كأنها شاة صدع

وجاءت إلى مالك عيون كان قد بعثهم للاستكشاف عن المسلمين
جاءت هذه العيون وقد تفرقت أوصالهم . قال : ويلكم ما شأنكم ؟
فقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق ، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما
ترى . ونقلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ تحركات العدو فبعث أبا حدرد
الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه
بخبرهم ، ففعل .

غادر رسول الله ﷺ مكة يوم السبت السادس من شوال ، وهو اليوم
التاسع عشر من دخوله مكة ، ومعه اثنا عشر ألف مقاتل : عشرة آلاف
دخلوا معه مكة يوم جاء فاتحا ، وألفان من أهل مكة أكثرهم حديثوا
عهد بالإسلام ، واستعار من صفوان بن أمية مائة درع بأداتها واستعمل
على مكة عتاب بن أسيد . وفي العشية جاء فارس يخبر رسول الله أنه
طلع جبلا فرأى هوازن عن بكرة أبيها بظعنهم ونعمهم وشائمهم فتبسم
رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى . وفي
طريق الجيش إلى حنين رأوا سدرة عظيمة خضراء كان أهل الجاهلية
يعلقون بها سيوفهم ويسمونها ذات أنواط ، فقال بعضهم : يا رسول
الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال النبي ﷺ : الله

أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم. وقال بعض الجيش يومها نظرا لكثرتهم: لن نغلب اليوم. فشق ذلك على رسول الله ﷺ.

انتهى الجيش المسلم إلى حنين، وكان مالك بن عوف قد سبقهم فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرق كمناشه في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم أمره بأن يرشقوا المسلمين عند أول طلوعهم عليهم، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد. وعبأ رسول الله ﷺ جيشه سحرا، وعند أول بشائر الصباح استقبل بالجيش وادي حنين ولم يكونوا يعلمون بما فعل الأعداء وما جهزوه لهم من الكمائن، وبينما هم ينحطون في الوادي أمطرهم الأعداء بالنبال، واشتدوا عليهم بخيلهم فانكفأ المسلمون راجعين منهزمين، لا يلوي منهم أحد على أحد، حتى قال أبو سفيان بن حرب، وهو طبعاً حديث عهد بالإسلام: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ آخر ممن هم على شاكلته: ألا بطل السحر اليوم، أما سيد ولد آدم فما كان لينهزم حاشاه.

لَكِنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ لَمْ * يَكُنْ لِيَهْزَمَ فَضَمَّ
نِدَاؤُهُ إِلَيْهِ * مَنْ ثَبَتُوا لَدَيْهِ
حَتَّى آتَاهُ النَّصْرُ * حَيْثُ اسْتَحَالَ الْأَمْرُ

إِلَىٰ انْهَزَامٍ لَّاحِقٍ * بِالْكَفْرِ مَفْنٍ مَّاحِقٍ
ثُمَّ تَفَرَّقَ الْعِدَا * فَبَعْضُهُمْ قَدْ وُجِدَا
بِنَخْلَةٍ وَالْبَعْضُ قَدْ * جَعَلَ أَوْطَاسَ سَنَدٍ
وَجَلُّهُمْ بِالطَّائِفِ * أَصْبَحَ مِثْلَ الطَّائِفِ
فَلَا حَقَّ خَيْلُ النَّبِيِّ * كَلَّا بِكُلِّ سَبَبٍ
قَدْ سَلَكَوهُ حَتَّى * صَارُوا فُلُولًا شَتَّى

لما انهزم الجيش عند أول لقاء مفاجئ بالعدو في وادي حنين انحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو ينادي : هلموا إلي أيها الناس أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، ولم يكن قد بقي معه في موقعه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته . وفي هذا الموقف ظهرت شجاعته ﷺ التي لا تدانيها شجاعة بشر ، فقد أخذ يركز بغلته جهة الكفار ، وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، ولولا أن أبا سفيان بن الحارث والعباس كانا يكفان البغلة لكان ﷺ اقتحم بها الصفوف ، ثم اقتحم ﷺ عن البغلة واستنصر ربه قائلا : اللهم أنزل نصرك ، وأمر عمه العباس ، وكان ذا صوت جهوري ، أن ينادي الصحابة . قال العباس : فناديت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة؟ يامعشر الأنصار، يا بني الحارث بن الخزرج . قال : فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيك ، يا لبيك ويذهب الرجل ليثني بغيره فلا يقدر عليه فيأخذ سلاحه ويقتحم عنه

ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى إذا اجتمع عليه منهم مائة استقبلوا الناس وقاتلوا، وتلاحقت كتائب المسلمين كتيبة تلو كتيبة، وتجالد الفريقان مجالدة شديدة فنظر رسول الله ﷺ صوب المعركة وقال: «الآن حمي الوطيس». ثم أخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» فما بقي من الأعداء أحد إلا امتلأت عيناه ترابا من تلك القبضة. وما هي إلا سويعات حتى ولى الأعداء الأدبار منهزمين شر هزيمة، وقد قتل منهم خلق كثير، منهم من ثقيف وحدها قرابة السبعين، وحاز المسلمون الأموال والسلاح والسبي. وإلى هذه الأحداث يشير قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين. وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾.

لما انهزم العدو فرت منهم طائفة إلى الطائف وأخرى إلى نخلة وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ مطاردين من أصحابه إلى أوطاس يقودهم أبو عامر الأشعري، فتناوش الفريقان قليلا ثم انهزم الكافرون، وقد استشهد قائد المطاردين أبو عامر الأشعري. وطاردت جماعة من المسلمين الفريق الذي ذهب إلى نخلة وقتل فيمن قتل من المشركين دريد بن الصمة. أما الأغلبية من المشركين المنهزمين فقصدت الطائف فتوجه إليها رسول الله ﷺ في معظم الجيش بعد أن أتموا جمع الغنائم.

أمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم ثم حبسها بالجرعانة، وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري، ولم يقسمها حتى فرغ من غزوة الطائف وكانت في السبي الشيماء بنت الحارث السعدية، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فلما جيء بها إلى رسول الله ﷺ عرفت له نفسها، فعرفها بعلامة فأكرمها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، ثم من عليها وردها إلى قومها.

غزوة الطائف وقسمة الغنائم

وَمِنْ حُنَيْنٍ تَبِعَ الْ * مُنْهَزِمِينَ لَجَبَلِ
حَصْنِ ثَقِيفٍ فَمَكَثَ * مُحَاصِرًا دَهْرًا وَبَثَ
بَيْنَهُمُ الرَّعْبَ وَلَ * كُنْ شِدَّةَ الرَّمِيِّ عَلَى
جَمْعِ الصَّحَابَةِ دَفَعُ * لِأَنَّكَفَاءَ وَمَنْعُ
مِنْ فَتْحِ حَصْنِ الطَّائِفِ * فَعَادَ غَيْرَ خَائِفِ
عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ * وَقَالَ يَا إِلَهِي
أَنْتَ كَثِيرُ الْمَنَنِ * فَاهْدِ ثَقِيفًا وَأَتْنِي
بِهَا وَقَدْ تَحَقَّقَا * رَجَاؤُهُ وَصَدَقَا
رَبِّ دَعَاهُ بِالرَّحِي * مِ وَالرُّؤُوفِ السَّمْحِ
ثُمَّ الْغَنَائِمَ قَسَمَ * بَعْدَ تَرَوْ حَيْثُ تَمَّ
إِثَارُ مَنْ تُوُلِّفَا * بِجُلِّهَا فَعُرِفَا

شَيْءٌ مِنَ الْوَجْدِ لَدَى * أَنْصَارِ دِينَ أَحْمَدًا
فَقَامَ فِيهِمْ فَخَطَبُ * حَتَّى بَكَوْا بَيْنَ الْعَرَبِ
وَقَالَ قَوْلُهُ تَقَا * لُ دَائِمًا إِلَى اللَّقَا
لَوْ سَلَكَ الْأَنْصَارُ * شِعْبًا يَرَى الْمُخْتَارُ
يَسْلُكُهُ وَلَوْلَا * هَجَرْتُهُ فَالْأَوْلَى
بِهِ هُمُ اللَّهُمَّا * فَارْحَمَهُمْ وَعَمَّا
مَعَ بَنِي الْأَنْصَارِ * حَفْدَةَ الْأَنْصَارِ
ثُمَّ أَتَى وَفَدُّهُوَ * زَنْ يَرِيدُ مُحْتَوَى
مَغْنَمِ تِلْكَ الْحَرْبِ * فَقَالَ خَيْرُ الْعَرَبِ
أُعْطِيكُمْ الْعِيَالَا * أَوْ تَرْغَبُونَ الْمَالَا
فَفَضَّلُوا الْعَرِضَ عَلَيَّ * كُلُّ الْعَرُوضِ نَفَلَا
لِلْقَوْمِ كُلِّ عَرِضٍ * أَفْضَلُ مَنْ فِي الْأَرْضِ
سَكَنَ صَلَّى اللَّهُ * عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ
ثُمَّ إِلَى الْحَرَامِ * فِي شَهْرِهِ الْحَرَامِ
غَادَرَ فَاغْتَمَرَ حَلَّ * وَلِلْمَدِينَةِ ارْتَحَلَ

وامتدادا لغزوة حنين كانت غزوة الطائف، وذلك أن معظم فلول
هو وزن وثقيف دخلوا الطائف مع قائدهم العام الذي هو مالك بن عوف
وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله ﷺ بعد فراغه من جمع الغنائم

وقدم خالد بن الوليد بمقدمة الجيش في ألف رجل ، ثم اتجه رسول الله ﷺ إلى الطائف سالكا طريق نخلة ، ثم مر على قرن المنازل فمر بحصن هناك لمالك بن عوف فأمر بهدمه فهُدم ، ثم واصل سيره حتى انتهى إلى الطائف ، فنزل قريبا من حصنه وفرض الحصار على أهل الحصن أربعين يوما ، وقيل : أقل من ذلك ، ووقعت في مدة الحصار مرامة بين الفريقين ، كان رمي الأعداء فيها أشد وقد استشهد بسببه اثنا عشر رجلا وجرح كثيرون ، فاضطروا للتأخر عن مكانهم الأول . ونصب النبي ﷺ عليهم المنجنيق فقاذفهم حتى وقعت ثلثة في جدار الحصن دخل منها نفر من المسلمين تحت دبابة من دبابات ذلك العصر التي كانت تصنع من الخشب ، فوجدوا مقاومة شديدة فانسحبوا بعد أن أصيب بعضهم .

وكجزء من أساليب الحرب أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب الطائف فبدأ المسلمون يقطعونها قطعاً شديداً ، فسألته ثقيف أن يدعها لله والرحم ففعل . ونادى منادي رسول الله ﷺ أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر ، فنزل منهم ثلاثة وعشرون رجلا منهم أبو بكره فقد نزل من الحصن ببكرة يستقى بها فكناه رسول الله ﷺ «أبا بكره» فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة ولما طال الحصار وجد رسول الله ﷺ أن الأفضل تركهم الآن فأمر الناس بالاستعداد للانسحاب فثقل ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ لهم : اغدوا

على القتال فغدوا فأصابتهم جراح فقال : إنا قافلون غدا إن شاء الله فسروا بذلك وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك لذلك . فلما استقلوا قال : قولوا : «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون» . وقيل له : ادع على ثقيف ، فقال : «اللهم اهد ثقيفا وائتني بها» .

عاد رسول الله ﷺ بعد فكه الحصار عن الطائف إلى الجعرانة حيث ترك الغنائم ، ثم مكث بها بضعة عشر يوما لم يقسم الغنائم طمعا في توبة هوازن ومجيئها إليه فيرد عليها ما سلبت ، ولكن هوازن لم تأت فأخذ يوزع الغنائم ، فبدأ بالمؤلفة قلوبهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الإبل وأربعين أوقية ، فقال أبو سفيان : ابني يزيد ؟ فأعطاه مثلها ، فقال : ابني معاوية ؟ فأعطاه مثلها ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل فسأله مائة أخرى فأعطاه إياها . وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة أخرى ، ثم مائة الثالثة . وأعطى الحارث بن كلدة مائة من الإبل ، وكذا أعطى رجالا من رؤساء القبائل ومن قريش من الإبل مائة مائة ، وأعطى آخرين خمسين خمسين ، وغيرهم أربعين أربعين حتى تقاوم الناس : إن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، فازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال حتى اضطروه إلى شجرة انتزعت رداءه فقال : أيها الناس ، ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان عندي شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ، ثم ما أليتوني بخيلا ، ولا جبانا ولا كذابا . ثم أخذ من سنام بعيه وبرة فرفعها وقال : أيها الناس والله مالي من فيئكم إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم . ثم أمر زيد بن

ثابت بإحضار الغنائم والناس ففرض الغنائم فكان سهم الرجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة، وسهم الفارس ضعفيه .

كانت هذه القسمة سياسة رشيدة لم تفهم أول الأمر ، ولذا رأى الأنصار أنهم غبنوا فهم الذين ثبتوا وقاتلوا بجد حتى أتى النصر وهامهم أولاء يرون الذين فروا من أمام الأعداء يُحرزون الأموال وهم ينظرون لا يحظون بشيء منها ، فكثير فيهم القول حتى دخل سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت : قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . فخرج سعد فجمع الأنصار حيث أمره رسول الله ﷺ ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : لقد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . الله ورسوله أمن وأفضل . ثم قال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقم : أتيتنا مكذبا فصدقناك . ومخذولا فنصرناك ، وطريدا

فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأتصار، ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

بعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوازن مسلما، وكانوا أربعة عشر رجلا يرأسهم زهير بن سرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة فسألوه أن يمين عليهم بالسبي والأموال، فقال: إن معي من ترون، وإن أحب الحديث إلي أصدقاه، فأبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا. فقال: إذا صليت الغداة فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله صلى عليه وسلم أن يرد إلينا سينا. فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك. فقال رسول الله ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس. فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن حابس التميمي: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت

بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال العباس بن مرداس لقومه بني سليم: وهنتموني . فساوم رسول الله ﷺ الناس حتى تنازلوا جميعا عن كلما كان تحت أيديهم من سبي بني سليم .
ثم أهل رسول الله ﷺ من الجعرانة بالعمرة فأدى العمرة في ذي القعدة الحرام، وانصرف بعدها راجعا إلى المدينة ظافرا مظفرا بعد أن ولي على مكة عتاب بن أسيد، وكان رجوعه إلى المدينة لست ليال من ذي القعدة سنة ثمان للهجرة الشريفة .

غزوة تبوك

مِن بَعْدِ مُؤْتَةِ وَبَعْدِ * مَدَفْتَحِ مَكَّةَ ارْتَفَعُ
لِعَلِّمِ خَيْرٍ مِّنْ دَعَا * أَنْ هَرَقْلَ جَمَعَا
جَيْشًا كَبَحْرٍ طَامِ * مِّنْ لَّخْمٍ مَّعْ جُدَامِ
وَالرُّومِ أَيْضًا يَقْصِدُ * هَدْمًا لِمَا مُحَمَّدُ
بَنَاهُ مِنْ أَسَاسِ * دِينَ الْهُدَى لِلنَّاسِ
وَكَانَ ذَاكَ حِينَ قَا * ظَ الْحَرِّ وَالظَّلَّ انْتَقَى
جَمِيعُ مَنْ لِلدَّعَا * رَكْنَ لَا الْمَعْمَعَا
وَالْعَامُ عَامُ عُسْرَةٍ * وَالنَّاسُ فِي مَخْمَصَةٍ
لَكِنْ مِنْ اصْطَفَاهُ * هَادَ لَنَا مَوْلَاهُ
كَانَ يَرَى مَا لَا يَرَا * هُ غَيْرُهُ مِنَ الْوَرَى
فَقَرَّرَ الْغَزْوَ وَقَدْ * أَعْلَنَ مَا بِهِ قَصْدُ

وَكَانَ قَبْلُ إِنِّ أَرَا * دَجِهَةً خَيْرُ الْوَرَى
وَرَى وَلَمْ يُورِي * فِي هَذِهِ لِلْعُسْرِ
بَلْ قَدْ أَبَانَ الْقَصْدَا * لَكِي يُثِيرَ الْجَدَا
ثُمَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ حَتْ * فَبَدَّلُوا وَلَوْ بَرَتْ
مَتَاعَهُمْ كُلُّ هُنَا * جَاءَ بِمَا تَمَكَّنَا
مِنْهُ أَتَى الصَّدِيقُ * بِكُلِّمَا يُطِيقُ
ثُمَّ أَتَاهُ يَجْرِي * مُهْرُولاً بِشَطْرِ
مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ * عُمَرُ فِي رِجَالِ
كَمِثْلِهِ قَدْ أَنْفَقُوا * وَطَالَمَا تَصَدَّقُوا
وَمِنْهُمْ عَثْمَانُ * صَارَ لَهُ مَكَانُ
بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ * أَمَّنَهُ فِي بَاقِ
أَيَّامِهِ فَلَا ضَرَرَ * بَعْدَ بِمَا مِنْهُ صَدْرُ
وَمَعَ ذَا فَثَمَّا * مَنْ لَمْ يَجِدْ فَاغْتَمَّا
وَتَمَّ مَنْ تَخَلَّفَا * مُنَافِقًا وَمَا وَفَى
ثُمَّ تَخَلَّفَ ثَلَا * ثَةً بِلَا عُذْرِ جَلَا
فَنَدِمُوا فَتَابُوا * فَاقْبَلِ التَّوَابُ
تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ الْعَنَا * فَانْقَلَبَ الْعَنَا هُنَا
تَحَرَّكَ الْجَيْشُ إِلَى * تَبُوكَ سَاعَةً غَلَا

وَجُودُ زَادِ الرَّأكِبِ * وَمَرْكَبِ لِرَأكِبِ
وَزَهَّرَتْ آيَاتُ * هُنَا وَمُعْجَزَاتُ
مِثْلَ هُطُولِ الْمَطْرِ * بِدَعْوَةِ الْمُدَّثِرِ
وَقَدْ جَرَى الْمَاءُ لَدَى * غَسَلِ نَبِينَا الْيَدَا
وَالْوَجْهَ فِي مَكَانٍ * قَدْ غَارَ مَدْ زَمَانِ

ظهر الحق جليا بفتح مكة وعلم الناس في جزيرة العرب أنه لا مجال بعد اليوم لدين آخر غير دين الله ولا سلطان في هذه البقعة من بلاد الله إلا لدين الله، فبدأت وفود العرب تفد من كل حدب وصوب معلنة الخضوع لله ولرسوله، يظهر ذلك من كثرة العدد الذي قاتل في حنين ويظهر أكثر في كثرة الحجيج مع رسول الله ﷺ في حجته التي سوف نتعرض لها قريبا إن شاء الله .

مع هذا ما زالت ثمت أمم مجاورة تظهر العداء للدين الجديد وتتحرش بالمسلمين من حين لحين، ومن أولئك الأعداء الرومان في الشمال وهم الذين يملكون في ذلك الوقت أضخم قوة عسكرية تعلم على وجه الأرض، وقد عرفنا سابقا أن رسول الله ﷺ أرسل رسوله إلى عظيم بصرى فاعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني عامل القيصر فقتله، وحصلت بسبب ذلك معركة مؤتة التي لم ينجح المسلمون فيها بأخذ الثأر لمقتل سفير رسول الله ﷺ فكان لا بد من غزوة تأدب الرومان وأعاونهم، خصوصا أن الأنباء تتوارد عن استعداد الرومان

للقيام بغزو المسلمين في عقر دارهم؛ لأنهم هم أيضا يرون أن ما حدث في مؤتة كانت فيه إهانة لهم، وكان المنافقون في المدينة يحيكون الدسائس، ويبنون مسجد الضرار.

في هذه الظروف المقلقة، والزمان شديد الحر، والثمار بدأت تطيب جاءت الأخبار أن قيصر أعد جيشا عرمرما قوامه أربعون ألفا من الروم وانضمت إليهم أعداد غفيرة من متنصرة عرب الشام. فرأى رسول الله ﷺ أنه لو توانى عن غزو الرومان وتركهم يجوسون في بلاد المسلمين، والمنافقون في الداخل ينتظرون الوقعة بالمسلمين ويتربصون بهم الدوائر، فإن ذلك سيكون له أسوأ الأثر على المسلمين، فأعلن صلى الله عليه وسلم بصرامة وحزم، التهيأ للخروج لغزو الرومان، وبعث للقبائل المسلمة وإلى أهل مكة يستنفرهم، وكان من عادته ﷺ أنه إذا أراد الغزو ورى ولم يفصح عن الجهة التي يقصد إلا في هذه المرة فقد أفصح عن قصده وذلك نظرا لصعوبة الزمن وقلة الحال، فالمال شحيح لديه ولا يكاد يوجد ظهر لحمل الجند، والحر شديد؛ ولذا كان لا بد أن يتهيأ الناس لأسوأ الاحتمالات، فجلي للناس الأمر، وحضهم على الصبر والجهاد، ورغبهم في البذل في سبيل الله فأخذ المسلمون يتسابقون إلى امتثال أوامر رسول الله ﷺ فقاموا يتجهزون بسرعة وبدأت القبائل تهبط إلى المدينة من كل صوب، فلا أحد يرضى أن يتخلف عن رسول الله ﷺ على الرغم مما يعانيه الناس من العسر، إلا أن ثلاثة من المؤمنين الصادقين تخلفوا، وكان الرجل من

المسلمين يأتي يريد الخروج وهو لا يملك شيئاً فإذا لم يجد عند رسول الله ﷺ ما يحمله عليه فاضت عيناه حزناً، كما تسابق المسلمون في إنفاق الأموال وبذل الصدقات، فكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيراً للشام فيها مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها فجاء بها ومعها مائتا أوقية، ثم تصدق بمائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» ولم يزل يضيف ويضيف حتى بلغت صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس سوى النقود، فيما يروى. وكان أول المتصدقين أبوبكر الصديق فتصدق بماله كله وبلغ أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير وكذا عبدالرحمن بن عوف، وغيرهم وغيرهم كثيرون جادوا بمال كثير حتى النساء بعثن بحليهن وعطورهن، ولم يبخل أحد بمستطاعه في ذلك اليوم إلا المنافقون.

وهكذا تجهز الجيش فاستعمل رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وخلف على أهله علي بن أبي طالب، فغمض عليه المنافقون، فخرج حتى لحق برسول الله ﷺ فردّه إلى المدينة وقال له: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي». فتحرك المسلمون ثلاثون ألفاً وكان في تجهيزهم قلة في الزاد والمركب؛ لما تقدم ذكره من عسرة على الرغم من تسابقهم في البذل وكثرة ما بذلوه، ولذلك سمي هذا الجيش بجيش العسرة لما عانوه، فقد روي

أنهم أكلوا أوراق الشجر حتى تورمت شفاههم .

مر الجيش في طريقه إلى تبوك بديار ثمود بوادي القرى ، فاستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه به فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها ناقة نبي الله صالح عليه السلام . وقال ﷺ لأصحابه لما مر بالحجر : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين » ثم قنع رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي . كما رواه البخاري .

وفي الطريق اشتدت حاجة الناس للماء ذات يوم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت فشربوا حتى ارتووا واحتملوا ما يحتاجونه من مائها . ولما قارب الجيش تبوك قال لهم رسول الله ﷺ : « إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي » . قال معاذ : فجئنا وقد سبق إليها رجلان ، والعين تبض بشيء من مائها ، فسألتهما رسول الله ﷺ : هل مسستما من مائها شيئا ؟ قالا : نعم . فكلمهما بما شاء الله أن يقول ، ثم غرف من العين قليلا قليلا حتى اجتمع الوشل - الماء القليل - ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس ، ثم قال ﷺ : « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ

جنانا». وفي الطريق، وقيل: لما بلغ الجيش تبوك قال رسول الله ﷺ: «تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم منكم أحد، فمن كان له بغير فليشد عقاله». فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء.

نزل جيش رسول الله ﷺ بتبوك، وكان دأبه في تلك الغزوة الجمع بين المشتركتين تارة جمع تقديم وتارة جمع تأخير، فلما عسكر بتبوك وهو مستعد للقاء العدو، خطب في أصحابه خطبة بليغة حضهم فيها على كلما فيه خير الدنيا والأخرى، وحذر وأنذر وبشر، حتى رفع معنوياتهم، وجبر ما كانوا يجدونه في أنفسهم بسبب النقص في الزاد والمؤنة.

وَفِي تَبُوكَ عَسْكَرًا * بِجَيْشِهِ فَاَنْتَشَرًا
خَبْرُهُ فَفَرَّقَا * لِذَلِكَ إِذْ تَفَرَّقَا
جَيْشُ الْعَدُوِّ فَعَدَا * ذَلِكَ نَصْرًا حَمْدًا
لِذَلِكَ أَذْعَنْتُ قَبَا * ئِلْ هُنَاكَ فَجَبَى
جَزَيْتَهَا الصُّحَابُ * وَكَانَ حِينَ أَبَا
تَأْمَرَ الْمُنَافِقُو * نَ فِي الطَّرِيقِ سَحْقُوا
لَقَتْلِهِ فَاَنْكَشَفَا * أَمْرُهُمْ وَعَعْرَفَا
حَذِيفَةَ السَّرِّ وَقَدْ * أَخْفَاهُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ
وَجَاءَ جَيْشُ الْحَقِّ * بِهَدْيِ خَيْرِ الْخَلْقِ

إِلَى الْمَدِينَةِ فَعَمَّ * بِالْعَفْوِ سَيِّدُ الْأُمَمِ
كُلَّ الْمُخَلَّفِينَ * وَكَانَ مُؤْمِنُونَ
ثَلَاثَةَ يَقِينَا * تَخَلَّفُوا وَحِينَا
قَدِمَ خَيْرُ النَّاسِ * جَاءُوا بِإِلْبَاسِ
فَسُئِلُوا فَاعْتَرَفُوا * بِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا
بِغَيْرِ عُدْرٍ فَتَرَكَ * أَمْرَهُمْ لِمَنْ مَلَكَ
سُبْحَانَهُ فَتَابُوا * فَغَفَرَ التَّوَابُ
لَكِنَّهُ حِينَ قَدِمَ * كَانَ بِحِزْمٍ مَا عُدِمَ
هَدَمَ مَسْجِدَ الضَّرَّاءِ * رِوَالِ النَّفَاقِ جَهْرًا
بِفَضْحِهِ الْقُرْآنُ * فَلَمْ يَعُدْ أَمَانُ
لَهُمْ وَلَا يُصَلِّي * عَلَيْهِمْ تَجَلَّى
كُفْرَهُمْ إِذْ هَمُّوا * بِقَتْلِهِ فَاعْتَمُوا
إِذْ فَضِحَ الْوَحْيُ خَبِيءٌ * سَاءَ النَّفُوسِ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ * جَلَّ مَنْ اصْطَفَاهُ

عسكر رسول الله ﷺ بجيشه في تبوك، وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف جيش رسول الله ﷺ قذف الله في قلوبهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد داخل حدودهم فكان لذلك أحسن الأثر في نفوس المسلمين وسمعتهم العسكرية داخل الجزيرة وخارجها. وفي تبوك جاء إليه صاحب أيلة فصالحه

رسول الله ﷺ وأعطى الجزية، وكذا جاء أهل جرباء وأهل أذرعات مصالحين وأعطوا الجزية كلهم عن يد وهم صاغرون. ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارسا إلى أكيدر صاحب دومة الجند وقال له: إنك ستجده يصيد البقر، فذهب إليه خالد فلما كان من حصنه على مد البصر خرجت بقرة تحك بقرونها باب القصر فخرج أكيدر لصيدها وكانت ليلة مقمرة فتلقاه خالد في خيله فأخذه وجاء به إلى رسول الله ﷺ، فحقن دمه وصالحه على ألفي بغير وثمانمئة شاة وأربعمئة درع وأربعمئة رمح، وأقر بإعطاء الجزية فأيقنت القبائل التي كانت تعتمد على الرومان أن زمانهم ولى وأدبر وأقبل زمان أمة أخرى هي خير أمة أخرجت للناس. ثم رجع جيش المسلمين من تبوك إلى المدينة بالظفر والعز والنصر وقد كفى الله المؤمنين القتال فعادوا بسلام لم يلقوا كيذا، وفي الطريق بينما رسول الله ﷺ يجتاز عقبة حاول اثنا عشر رجلا من المنافقين الفتك برسول الله ﷺ، وذلك حين كان يمر بتلك العقبة وعمار يقود به الناقة وحذيفة ابن اليمان يسوقها، وأخذ الناس ببطن الوادي فانتهز أولئك المنافقون هذه الفرصة، فبينما رسول الله ﷺ وصاحباها يسيرون سمعوا جلبة القوم من ورائهم قد غشوهم وهم ملتثمون. فبعث رسول الله ﷺ حذيفة فضرب وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فأرعبهم الله فأسرعوا بالفرار حتى لحقوا بالجيش، وأخبر رسول الله ﷺ حذيفة بأسمائهم وبما هموا به فلذلك كان حذيفة يسمى بصاحب سر رسول الله ﷺ.

ولما لاحت لرسول الله ﷺ معالم المدينة من بعيد قال : « هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه » وخرج النساء والولدان يستقبلون رسول الله ﷺ بالأهازيج : (طلع البدر علينا * من ثيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع) .

أما الخلفون فلهم شأن آخر ، فقد كانت هذه الغزوة اختبارا شديدا من الله تعالى محص المؤمنين من غيرهم ، حيث يقول جل وعلا : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ . فقد خرج لهذه الغزوة كل مؤمن صادق الإيمان ، بل إن التخلف عنها صار أمانة على نفاق المتخلفين ، فكانوا إذا ذكروا لرسول الله ﷺ اسم رجل قد تخلف عن هذه الغزوة يقول لهم : دعوه ، فإن يكن فيه خير سيلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم منه ؛ ولهذا لم يتخلف في الغالب عنها غير من حبسهم العذر فاستأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم ، إلا منافقا معلوم النفاق . نعم كان هناك ثلاثة من المؤمنين الصادقين تخلفوا بغير عذر ولا إذن قد أبلاهم الله ثم تاب عليهم تأتي قصتهم قريبا .

فلما دخل رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فأما المنافقون ، وكانوا ثمانين رجلا ، فقد جاءوا يتفنون في الأعدار ويحلفون لرسول الله ﷺ فقبل منهم ظاهرهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل أمرهم إلى الله . وأما النفر الثلاثة من المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال

بن أمية، فاختاروا الصدق فأمر رسول الله ﷺ ألا يكلمهم أحد من المسلمين، فبدأت ضدهم مقاطعة شديدة، وتغير لهم الناس حتى تنكرت لهم الأرض، وضائق عليهم بما رحبت وضائق عليهم أنفسهم، وبلغ بهم الحال بعد الأربعين من الليالي وهم في تلك المقاطعة، أنهم أمروا أن يعتزلوا نساءهم، واستمروا كذلك حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة، عندها أدركتهم رحمة الله فأنزل الله على نبيه توبتهم، فقال تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبيء والمهجرين﴾ إلى قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضائق عليهم أنسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾. وفرح المسلمون عموماً بذلك وفرح الثلاثة فرحاً لا نظير له، فاستبشروا وبشروا وأجازوا وتصدقوا. وأما الذين حبسهم العذر فأنزل الله في حقهم: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجوا ما ينفقون﴾. وقال فيهم رسول الله ﷺ حين دنا من المدينة: ﴿إن في المدينة رجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم

العدر). قالوا يا رسول الله: وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة». وبهذه الغزوة الميمونة بطلت كل أماني كل من كان يتمنى عودة سلطان الجاهلية على أي شبر من أرض العرب وتيقن الجميع أن الإسلام هو المستقبل كما هو الحاضر، وتيقنت الأمم المجاورة أن أمة جديدة قد بزغ فجرها يجب أن يحسب لها الحساب.

وكان المنافقون قد وصلت بهم الجراءة على الله ورسوله أنهم بنوا ما سموه مسجدا، وذلك قبيل خروجه ﷺ إلى تبوك؛ ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات التآمر والنفاق، وكانوا يأملون أن يأتي عويمر الفاسق بجيش من الروم يغزو به المدينة. وقد زعموا أنهم بنوا مسجدهم ذلك للتوسعة على الضعفاء العاجزين عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه خداعا للناس، ففضح الله بالقرآن نواياهم الخبيثة، وذلك قوله سبحانه: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكذوبون * لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾. فامتنع رسول الله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار ذلك، ثم أحرقه عندما عاد من غزوة تبوك ظافرا مظفرا.

حجة الوداع

قَدْ حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو * بَكَرٍ وَحِينَ ذَهَبُوا
نَزَلَتْ الْبَرَاءَةُ * مِنْ مُشْرِكِي الْإِسَاءَةِ
فَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ * يَعْدُو بِهَا أَبُو الْحَسَنِ
فَيَنْبِذَ الْعُهُودَا * إِلَيْهِمْ شُهُودَا
وَذَاكَ تَاسِعَ السَّنِي * نِ فِي الصَّحِيحِ الْبَيِّنِ
ثُمَّ جَرَى مَا قَدْ جَرَى * فِي عَامِ تَسْعِ ظَهْرَا
دِينَ الْهُدَى فَأَقْبَلَا * مِنْ كُلِّ فَجِّ الْمَلَا
يُعَظِّمُونَ الدِّينَا * إِذْ عَمَّهُمْ يَقِينَا
أَمِنْ هُمْ شُهُودُ * عَلَيْهِ فَالْوُفُودُ
تَقَاطَرَتْ إِذْ اكْتَمَلْ * دِينَ الْهُدَى وَالْأَمْنُ حَلْ
وَبَعْدَ عَامٍ حَجَّ * نَبِينَا فَعَجَّ
مُلَبِّياً مِنْ حَرَمِ * طَيْبَةَ حَتَّى الْحَرَمِ
فِي جَوْ أَمْنٍ عَمَّا * قَالَ الشَّفِيعُ أَمَّا
أَنَا فَإِنِّي أَجْمَعُ * حَجَّاً لَهُ فَاجْتَمَعُوا
وَذَاكَ عَامَ عَشْرِ * مِنْ عَدْنَا بِالْهَجْرِي
فَجَاءَتِ الْقَبَائِلُ * وَاجْتَمَعَ الْأَفَاضِلُ

فَاكْتَمَلَتْ أُلُوفٌ * مَائَةٌ أَوْ تَنُوفٌ
وَفِي الْحُلَيْفَةِ اغْتَسَلَ * صَلَّى وَبَعْدَهَا أَهْلٌ
بِعُمْرَةٍ فِي حَجٍّ * وَعَمَّ كُلَّ فَجٍّ
جَمَعَ مِنَ النَّاسِ خَرَجٌ * يَسُوقُ دُونَ مَا حَرَجٌ
هَدِيًّا لَهُ قَدْ قَلَّدَا * وَالْكُلُّ كَانَ قَلْدًا
نَبِينَا فِيمَا فَعَلٌ * أَوْ لَمْ يُقَلِّدْهُ سَأَلٌ
فَعَلِمَ الْحُكْمَ وَمَا * خَالَفَ فِيمَا عَلِمَا
فَسَارَ بِالنَّاسِ إِلَى * مَكَّةَ حِينَ دَخَلَا
مَسْجِدَهَا طَافَ سَجَدٌ * خَلْفَ الْمَقَامِ وَاجْتَهَدُ
حَيْثُ سَعَى الْأَشْوَاطَا * سَبَعًا وَمَا تَبَاطَا
وَمَا تَحَلَّلَ فَكَأ * نَ قَارِنًا وَذَلِكََا
قَدْ كَانَ فِعْلَ الْبَعْضِ * وَالْبَعْضُ كَانَ الْمَرَضِي
إِفْرَادُهُ تَمَتَّعَا * بَعْضٌ وَحِينَمَا سَعَى
لِعُمْرَةٍ تَحَلَّلَا * وَكُلُّهُمَ مَا فَعَلَا
أَقْرَهُ النَّبِيُّ * وَفِعْلُهُ الْمَرَضِيُّ
وَأَكْمَلَ الْحَجَّ عَلَى * مَا تَعْلَمُونَ نُقْلَا
أَنْ خَاطَبَ الْقَوْمَ النَّبِي * كَمَا أَتَى فِي الْكُتُبِ

وَبِالْقُرْآنِ وَصَّى * وَحَثُّ ثُمَّ نَصَّا
عَلَى الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ * ثُمَّ كَانَ سَأَلًا
عَنْ نَفْسِهِ إِنْ تُسْأَلُوا * عَنِّي فَمَا الْقَوْلُ اعْقَلُوا
قَالُوا شَهِدْنَا أَنَّكَ * بَلَغْتَ مَا قَدْ جَاءَكَ
فَقَالَ يَا اللَّهُمَا * فَاشْهَدُوا وَالْأَمْرُ تَمًّا

دخل شهر ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة، وقد فتحت مكة وأمن الحاج إليها من المسلمين فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج، ثم أنزل الله على نبيه أوائل سورة التوبة بنقض المواثيق مع المشركين والبراءة منها، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليؤدي عنه ذلك، وهذه عادة كانت قبل الإسلام عند العرب، إذا أرادوا نقض عهد من عهد الدماء أو الأموال، أن يعلنوه على رؤوس الأشهاد إذا اجتمع الناس في الحج. فلحق علي أبا بكر في الطريق، فقال أبو بكر: أمير أو مأمور؟ فقال علي: بل مأمور، ثم أقام أبو بكر الحج للناس حتى إذا كان يوم النحر قام علي عند الجمرة، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ به ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأجل لهم أربعة أشهر لمن لم يكن له عهد. وأما الذين لم ينقضوا المسلمين شيئاً ولم يظاهروا عليهم أحداً فأبقى عهدهم إلى مدتهم.

وبعث أبو بكر رجالاً ينادون في الناس: ألا لا يحجَّن بعد هذا العام

مشارك ، ولا يطف بالببيت عريان . فكان هذا الإعلان بمثابة إعلان بانتهاء الوثنية في جزيرة العرب ، ولله الحمد .

تم الخضوع لدين الله في سائر جزيرة العرب ، وتم تطهير بيت الله الحرام من الأصنام على يد رسول الله ﷺ ، ثم تم تطهير شعائر الحج من كل ما عدا صريح الإسلام ، بحجة أبي بكر وإعلان منع المشركين فيها من الحج ، ومنع العري في الطواف ، ونبذ عهود المشركين ، فأكمل الله بذلك الدين ؛ ولهذا أعلن النبي ﷺ أنه يقصد الحج بالناس فقد آن أوان ذلك ، فقدم عليه في المدينة خلق كثير كلهم يلتمسون أن يأتوا برسول الله ﷺ في حجه ، وفي أواخر شهر ذي القعدة تهيأ النبي ﷺ لرحلة الحج فترجل وادهن في بيته ثم انطلق منه حتى بلغ ذا الحليفة قبيل صلاة العصر فصلى العصر فيه ركعتين ثم بات فيه ، فلما أصبح قال للناس : «أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك ، وقل : عمرة في حجة» .

ثم اغتسل لإحرامه قبل أن يصلي الظهر وتطيب ثم صلى الظهر ركعتين ، وأهل بالحج والعمرة في مصلاه قارنا بينهما ، ثم ركب ناقته وأهل أيضا حين قامت ، كما أهل حين استوت به في البيداء .

ولا حاجة لذكر أعمال الحج هنا فهي مبسوسة في كتب الفقه وليس كتابنا هذا منها . إلا أننا نذكر هنا أنه ﷺ خطب في الناس في عرفات خطبة جامعة لم يترك حراما ولا حلالا إلا بينه فيها ، ثم أشهدهم على نفسه وأشهد الله عليهم قائلا : «وأنتم تسألون عني فماذا أنتم

قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد». وبعد فراغه من الخطبة أنزل الله عليه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. فبكى عمر فلما سئل عن ذلك قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.

وخطب أيضا يوم النحر في مكة حين ارتفع الضحى، ومما قال فيما رواه البخاري ومسلم: «أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس هذا يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس بالبلد الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه السيخان.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي كلهم بطريقه إلى أبي بكره يزيد بعضهم على بعض، أن رسول الله ﷺ خطب في حجته فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض

السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، وستلقون ربكم فتسألون عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا، أو كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع». وفي لفظ بعضهم: «ألا ليبليغ الشاهد الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض».

إلى الرفيق الأعلى

أُمُّ الْمَصَائِبِ الَّتِي * حَلَّتْ بِخَيْرِ أُمَّةٍ
بَلْ كُلٌّ مِّنْ فِي ذِي الدُّنَا * هِيَ الَّتِي حَلَّتْ هُنَا
بِمَوْتِ مَحْمُودِ الْخِصَا * لِمَنْ أَتَى مُخْلِصًا
بِدَعْوَةِ الْحَقِّ الْبَشَرِ * مِنْ كُلِّ طُغْيَانٍ وَشَرِّ
فَقَدْ أَتَى فِي الْخَبْرِ * بِأَنَّ خَيْرَ الْبَشَرِ
قَدْ كَانَ حَجَّ حَجَّةِ الْ * وَدَاعٍ حِينَهَا نَزَلَ
عَلَيْهِ فِيمَا نَزَلَا * مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا عَلَا
سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكََا * فِي سُورَةِ النَّصْرِ بِكِي
رَفِيقُهُ الصِّدِّيقُ * حِينَ رَفَى الرَّفِيقُ
مَنْبَرَهُ فَقَالَا * إِلَهُنَا تَعَالَى
خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ مَا * عِنْدَ الْإِلَهِ عُلَمَا

وَزَهْرَةَ الدَّنْيَةِ * فَاخْتَارَ مَا فِي الْحَضْرَةِ
وَبَدَأَ الصُّدَاعُ * يَأْتِيهِ وَالْأَوْجَاعُ
تَتَرَى عَلَيْهِ صَلَّى * عَلَيْهِ رَبِّي جَلًّا
قِيلَ لَهُ إِنَّا نَرَى * مَا بِكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى
أَشَدَّ مِمَّا يَجِدُ * أَحَدُنَا وَأَبْعَدُ
قَالَ لَذَا فَأَجْرُنَا * مُضَاعَفٌ بِهِ لَنَا
وَرَبَّمَا عَلَى النَّبِيِّ * أُغْمِي ثُمَّ بِأَبِي
هُوَ يَفِيْقُ فَيَقُو * لُ إِنَّمَا أُمَزَّقُ
بِسْمِ شَاةٍ خَيْبِرًا * وَالآنَ حَانَ مَا أَرَى
بِأَنَّهُ فِي الْقَدْرِ * أَوْانُ قَطْعِ أَبْهَرِي
ثُمَّ يَقُولُ لِنَسَا * تَهْ فَأَيْنَ ذَا الْمَسَا
عَسَى أَكُونُ فَفَهْمُ * نَ أَنَّهُ مِنَ الْمُهْمِ
لَهْنٌ أَنْ يَمَكُثَ فِي * مَا يَشْتَهِي وَيَصْطَفِي
مِنْ دُورِهِنَّ فَاَنْتَخِبُ * مَنْزِلَ مِنْ هِيَ الْأَحْبِ
عَائِشَةَ الْحَصَانَ * بِنْتَ رَفِيعِ الشَّانِ
ثَانِيَهُمَا فِي الْغَارِ * فِي هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ
وَقَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمِّ * سَةِ أَفَاقِ فَعَزَمِ
عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَقُوا * سَبْعَ دَلَاءٍ يُهْرَقُوا

مِنْهَا عَلَيْهِ يَقْعُدُ * لِلنَّاسِ حَتَّى يَعْهَدُ
ثُمَّ بِهِ جِيءَ إِلَى * مِنْبَرِهِ فَأَنْزَلَ
عَنْ كَتْفِي عَلِيٌّ * وَالْفَاضِلُ الْأَبِيُّ
فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ وَقَا * لَدَاعِيَا إِلَى التُّقَى
أَلَا عَلَى الْيَهُودِ * لِعَائِنِ الْمَعْبُودِ
وَلَعَنَ النَّصَارَى * مَعَهُمْ جِهَارًا
فَهَوُّلًا وَهَوُّلًا * كَلَاهُمَا قَدْ جَعَلَا
قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ * مَسَاجِدَ الْأَهْوَاءِ
وَقَالَ لَا تَتَّخِذُوا * قَبْرِي رَبًّا وَخُذُوا
مِنِّي الْحَقُوقَ حَالًا * فَمَنْ أَخَذَتْ مَا لَا
لَهُ وَمَنْ جَلَدَتْ * ظَهْرًا لَهُ أَوْ كُنْتُ
أَصَبْتُ عَرْضَهُ فَذَا * مَالِي وَظَهْرِي وَكَذَا
عَرْضِي فَلْيَقْتَدِ هُنَا * مِنِّي وَنَحْنُ فِي الدُّنَا
وَبَعْدُ بِالْأَنْصَارِ * أَنْصَارِهِ الْأَخْيَارِ
أَوْصَى وَوَلَاةَ الْأَمْرِ * طُرًّا دَوَامَ الدَّهْرِ
ثُمَّ بِهِ اشْتَدَّ الْوَجَعُ * وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ فَرْعُ
حِينَ دَعَا الْمُؤَدَّنُ * إِلَى الْعِشَاءِ يُعْلَنُ
حُضُورَهَا فَهَمَّا * بِهَا وَقَدْ أَلَمَّا

بِهِ مِنَ الْإِعْيَاءِ مَا * جَعَلَهُ يُرِيدُ مَا
مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ كِفَا * يَةَ لَغُسْلٍ غُرْفَا
مِنْهُ عَلَيْهِ فَنَهَضَ * ثُمَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَضِ
أُغْمِي ثُمَّ يَسْأَلُ * هَلِ الصَّلَاةُ فَعَلُوا
وَهَكَذَا تَكَرَّرَا * ذَاكَ وَبَعْدُ جَهْرًا
بِأَمْرِهِ فَصَلَّى * بِالنَّاسِ مَنْ تَوَلَّى
مَنْ بَعْدَهُ الْأَمْرَ عَلَى * مَا شَاءَ رَبُّنَا عَلَا
وَدَامَ يَشْكُو الْمَرْضَا * أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَضَى
مِنْ بَعْدِهَا وَقَدْ تَرَكَ * فِينَا صِرَاطًا مَنْ سَلَكَ
سِوَاهُ ضَلَّ وَأَضَلَّ * نَعُوذُ بِاللَّهِ جَلَّ
ثُمَّ الْعَبِيدَ أَعْتَقَا * كَلَّا وَقَدْ تَصَدَّقَا
بِمَالِهِ مِنْ مَالٍ * وَلَمْ يَكُنْ بِالْغَالِي
بَلْ سَبْعَةَ وَلَمْ يَزِدْ * مِنَ الدَّنَانِيرِ وَجِدَّ
دَرَعٌ لَهُ مَرهُونَةٌ * لَدَى الْيَهُودِ أَثْبَتُوا
بِأَنَّهُ اسْتَدَانَا * مِنْهُمْ شَعِيرًا كَانَا
يُطْعِمُهُ الْأَهْلَ وَمَا * تَرَكَ شَيْئًا عَلِمَا
وَكَانَ وَقْتُ الْحَيْنِ * فِي ضَحْوَةِ الْإِثْنَيْنِ
مِنْ يَوْمِ ثَانِي عَشْرِ * شَهْرِ الرَّبِيعِ شَهْرٍ

مَوْلِدُهُ فَقَدْ كَشَفَ * سِتْرًا رَأَى الصَّلَاةَ صَفً
 فَسُرَّ ثُمَّ ابْتَسَمَا * يُشِيرُ أَنْ يُتَمَّمَا
 بِهِمْ إِمَامُهُمْ أَبُو * بَكَرٍ فَهُوَ الْأَنْسَبُ
 وَضَحْوَةٌ أَسْرًا * إِلَى الْحَصَانِ الزَّهْرَا
 سِرًّا بِهِ أَبْكَاهَا * ثُمَّ بِهِ أَرْضَاهَا
 فَهُوَ بِمَوْتٍ يَسْبِقُ * وَهِيَ بِهِ تَلْتَحِقُ
 وَاسْتَاكَ ثُمَّ ذَكَرَا * مَوْلَاهُ حَيْثُ أَثْرَا
 وَجَهَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى * يَلْقَاهُ رَاضٍ جَلَّى
 وَأَسْلَمَ الرُّوحَ إِلَى * بَارِئِهَا الْمَوْلَى عَلَا
 خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ * وَخَيْرَ الْأَصْفِيَاءِ

أتم الله الدين بمنه وكرمه بحجة الوداع، فكانت آخر ركن من أركان
 الإسلام يؤديه رسول الله ﷺ بعد أن خصه الله بالرسالة، نزل بذلك
 القرآن: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾. وما
 بعد التمام إلا النقصان، كما قال عمر رضي الله عنه، وكان رسول
 الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وفي السنة العاشرة وهي
 السنة قبل السنة التي رحل فيها عن الدنيا اعتكف عشرين يوما، وكان
 جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان مرة. وفي هذه السنة
 دارسه مرتين؛ بل إنه ﷺ قال بصريح العبارة في خطبته في الحج: «إني

لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا». وقال: وهو عند الجمرة: «خذوا عني مناسككم فلعلني لا أحج بعد عامي هذا». وزار في هذه الفترة شهداء أحد وصلى عليهم كأنه يودعهم ويودع الدنيا من خلال ذلك. وقال في خطبة له، وهو على المنبر: «إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن. فكل هذه وغيرها كانت من إرهاصات الرحيل.

في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر من السنة الحادية عشرة، بدأ رسول الله ﷺ يشعر بصداع شديد، وكان ذلك الصداق بداية علة لازمته نحو أربعة عشر يوماً حتى رحل، وقد ثقل عليه المرض في الأسبوع الأخير فجعل يسأل أزواجه: «أين أنا غدا؟» ويكررها ففهم من ذلك مراده، فأذن له أن يكون حيث شاء فانتقل يمشي بين الفضل ابن عباس وعلي بن أبي طالب معصوباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيت الصديقة ابنة الصديق رضي الله عنها وعنهم جميعاً، وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات وتنفض على يد رسول الله ﷺ وتمسحه بها رجاء بركتها.

وقبل أيام قلائل من رحيله ﷺ اشتد به الوجع فصار يغمى عليه فقال: أهرقوا علي سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، فأقعدوه وصبوا عليه الماء الذي أمر به واستمروا يصبونه عليه

حتى قال: «حسبكم حسبكم» فأحس بخفة فدخل المسجد وهو معصوب الرأس، حتى جلس على المنبر وخطب الناس فقال كالمخذر: «لعنة الله على اليهود والنصارى» أو قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه مالك والبخاري. ثم قال: «لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد» رواه مالك في الموطأ. ثم عرض نفسه للقصاص منه فقال ﷺ: «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه». ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولى فقال رجل: إن لي عندك ثلاثة دراهم. فقال: أعطه يا فضل، ثم أوصى بالأنصار فقال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». [كرش الرجل: عياله، وعيبتة: محل سره] وفي رواية أنه قال: «إن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملاح في الطعام فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم». ثم قال: «إن عبدا خيره الله أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختر ما عنده» فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد الخدري: فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله

بين أن يؤتية زهرة الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده، وهو يقول :
فدينك بآبائنا وأمهاتنا . قال أبو سعيد : فكان رسول الله ﷺ هو الخير
وكان أبو بكر أعلمنا . ثم قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلِيٌّ فِي
صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا
بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوَّةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَمُودَةٌ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابُ
إِلَّا سَدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ .» متفق عليه .

وفي اليوم الرابع قبل وفاته ﷺ وكان يوم الخميس اشتد عليه الوجع
فقال للناس : «هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده» . وفي البيت
رجال فيهم عمر ، فقال عمر : قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن
حسبكم كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول :
قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ، ومنهم من يقول بقول عمر . فلما
أكثروا الاختلاف قال رسول الله ﷺ : «قوموا عني» . وأوصى ذلك
اليوم بثلاث وصايا : أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من
جزيرة العرب . وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم به . ونسي
الراوي الثالثة . وكان ﷺ مع ما يجد من شدة المرض ، يصلي بالناس
الأوقات الخمسة إلى اليوم الرابع قبل الوفاة وقد صلى بالناس المغرب
ذلك اليوم ، فقرأ فيها بسورة والمرسلات عرفا ، متفق عليه . وعند
العشاء زاد المرض عليه فلم يستطع الخروج إلى المسجد ، فقال ﷺ :

«أصلى الناس»؟ تقول عائشة: قلنا: لا يارسول الله، وهم ينتظرونك قال: ضعوا لي ماء ففعلنا، فاغتسل فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس»؟ ووقع له ما وقع أولاً، وحاول الثالثة فوقع له مثلها من الاغتسال، ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء، فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام سبع عشرة صلاة في حياته ﷺ كما رواه البخاري. وراجعت عائشة رسول الله ﷺ في أمر صلاة أبي بكر بالناس مرات ثلاثاً أو أربعاً؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشاءم به الناس، فأبى وقال: «إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس».

وقبل يومين أو يوم من وفاته ﷺ وجد خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رأى أبو بكر رسول الله ﷺ أراد أن يتأخر فأوماً إليه ألا يتأخر، وقال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ، ويسمع الناس التكبير. وقبل يوم من وفاته ﷺ وكان يوم الأحد أعتق ﷺ غلماناً، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت عائشة زيتاً من جارتها للمصباح وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن المسلمين بينما هم في صلاة فجر يوم الاثنين

الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر يصلي بهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبية؛ ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: فهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرعى الستر، ثم تأت عليه صلاة أخرى. صحيح البخاري، باب مرض النبي ﷺ.

ولما ارتفع النهار دعا النبي فاطمة الزهراء ضحوة، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت. قالت عائشة: فسألنا عن ذلك فيما بعد فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت. وكان النبي ﷺ بشر ريحانته فاطمة أنها سيدة نساء العالمين. ورأت فاطمة ما بالنبي ﷺ من الكرب الشديد الذي يغشاه فاستغاثت قائلة: واكرباه. فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». ودعا ﷺ الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيرا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن. ثم بدأ الوجع يشتد عليه ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر فكان يقول: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا

وجدت أو ان انقطاع أبهري من ذلك السم». ثم أوصى الناس بالصلاة وما ملكت الأيمان فقال: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم». وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته: دخل عبدالرحمن ابن أبي بكر وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته. فأمره، وفي رواية: أنه استن به كأحسن ما يكون مستننا، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات».

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو إصبعه وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفثاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم اغفر لي وارحمني، وألحني بالرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى». وكرر العبارة الأخيرة ثلاث مرات ومالت يده حيث لحق بالرفيق الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان رحيله إلى الرفيق الأعلى ضحوة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة

للهجرة، وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وأيام. قيل: أربعة أيام .
شاع الخبر المفجع، فأظلمت على المدينة أرجاؤها. يروى عن أنس
ابن مالك، كما في سنن الدارمي أنه كان يقول: ما رأيت يوماً قط كان
أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً
كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ .
ونعت الزهراء ابنته فقالت: يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة
الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نعاها.
أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أخرجته الفاجعة عن وعيه
فقد وقف وهو يقول، كما عند ابن هشام: إن رجالاً من المنافقين
يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن
ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة
ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات. ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ
فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أنه مات .
ثم أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فرس فنزل ولم يكلم
أحداً فدخل المسجد ثم دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو
مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله وبكى ثم
قال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي
كتبت عليك فقد متها. ثم خرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس فقال:

اجلس يا عمر، فأبى عمر الجلوس، فأقبل الناس على أبي بكر وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾. قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

ولم يغسل صلوات الله وسلامه عليه إلا يوم الثلاثاء لانشغال الناس بالخلاف في من يكون الخليفة حتى ليل الثلاثاء، ودفن ليلة الأربعاء لانشغال الناس بالصلاة عليه طيلة نهار الثلاثاء يصلون عليه أرسالا: عشرة عشرة، عشيرته أولاً فالمهاجرون، فالأنصار فالنساء، وآخر الناس صلاة عليه ﷺ هم الصبيان.

**

*

زوجات النبي ﷺ

زَوَّجَاتُهُ تُسَعُّ رَحْلًا * عَنْهُنَّ وَاثْنَتَانِ حَلَّ
بِهِنَّ قَبْلَهُ الْفَنَى * بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مَنَى
سَادَاتِ كُلِّ عَصْرٍ * تَزَوَّجَتْ بِالْبَدْرِ
خَيْرِ مُنَبِّأٍ وَمَا * بُعِثَ إِذْ ذَاكَ أَعْلَمًا
وَهِيَ أُمُّ كُلِّ * مِنَ النَّبِيِّ مِنْ نَجَلٍ
عَدَا ابْنَ مَارِيَةَ إِبْدَ * رَاهِيمٍ فَهُوَ قَدْ وَهَبَ
مِنْهَا لَخَيْرِ الْخَلْقِ * وَهِيَ لَهُ بِالرَّقِّ
وَمَا تَزَوَّجَ عَلَى * بِنْتُ خُوَيْلِدٍ إِلَى
أَنْ دُفِنَتْ وَفَاءً * لَهَا لَمَّا قَدْ جَاءَ
عَنْهَا مِنَ الْوَفَاءِ * وَالنَّصْرِ وَالسَّخَاءِ
كَانَتْ لَهُ تُوَاسٍ * مِنْ دُونِ كُلِّ النَّاسِ
وَصَدَّقْتَهُ قَبْلَ كُلِّ * مَنْ خَلَقَ الْإِلَهَ جَلَّ
لِذَا وَذَا قَدْ بُشِّرَتْ * بِقَصْرِهَا وَحَظِيَّتْ
كَذَاكَ بِالسَّلَامِ * مِنْ أَفْضَلِ الْكِرَامِ
مَلَائِكِ الرَّحْمَنِ * كَذَا مِنَ الْمَنَانِ

أولى زوجاته ﷺ وخيرهن هي أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وهي التي من بينهن بشرها الله بقصر في الجنة وخصت بسلامه سبحانه وسلام جبريل عليها، وقد أكرمها الله

كرامات عديدة منها : أنها أول من صدق برسالة نبينا ﷺ ، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها ، وكانت تواسي رسول الله ﷺ بمالها ، وتدافع عنه إذا هاجمه الأعداء بقول أو فعل وتسري عنه الأحزان إذا أصابه حزن ، فلم تصل إلى مكانتها عنه ﷺ أي من نسائه مهما بلغن ، ولهذا كان يكثر من ذكرها بعد موتها ويروى أن عائشة رضي الله عنها ، وكانت أحب نسائه إليه بعدها غاظها ذات مرة إكثاره ﷺ من ذكر خديجة ، فتكلمت فيها وقالت له فيما قالت : عجوز قد عوضك الله خيرا منها . فأغضبه ذلك ثم قال : «يا عائش ، والله ما عوضني الله خيرا منها : آمنت بي حين كذبتني الناس ، وآوتني حين طردني الناس ، ورزقت منها الولد ولم أرزق من غيرها ، والله ما عوضني الله خيرا منها» . وقد ماتت عليها رضوان الله في حياته عام الأحزان ، ذلك العام الذي فقدها فيه وفقد فيه عمه الذي كان بعد الله درعه التي تقيه هجمات الأعداء .

بَعْدَ خَدِيجَةَ عَلَى * سَوْدَةَ أَوْ قَدْ نُقِلَا
 عَلَى الْحَصَانِ قَدْ عَقَدْتُ * مِنْ قَبْلِهَا وَقَدْ وَرَدْتُ
 تَنَازُلُ الرِّزَّانِ * سَوْدَةَ لِلْحَصَانِ
 وَأَنَّ عَائِشَةَ كَا * نَتِ بِنْتِ سِتِّ ذَلِكَ
 قَدْ كَانَ يَوْمَ عَقْدَا * عِنْدَ الْحَرَامِ وَلَدَى
 دُخُولِهِ قَدْ بَلَغَتْ * تَسْعًا بِطَيْبَةِ أَتَتْ

بِذَلِكَ الْأَنْبَاءُ * وَلَمْ تَكُنْ نِسَاءُ
خَيْرِ الْوَرَى مِنْهُنَّ * بَكْرًا سِوَاهَا، إِنَّا
لَهَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى * كُلِّ النِّسَاءِ مَا عَلَا
كَمَا عَلَى الثَّرِيدُ * سِوَاهُ أَوْ تَزِيدُ

بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تزوج رسول الله ﷺ
سودة بنت زمعة، وقيل عقد عليها وعلى عائشة في يوم، وقيل تقدمت
إحدهما الأخرى مع الخلاف في أيهما الأولى. وقد دخل على سودة
قبل عائشة باتفاق الرواة.

أما عائشة فقد عقد عليها وعمرها ست سنين، وكان ذلك في البلد
الحرام قبل الهجرة، وبنى بها بعد الهجرة وعمرها تسع سنين، وكان
ذلك في المدينة، وتوفي النبي ﷺ عنها وعمرها ثماني عشرة سنة، ولم
يتزوج بكرا سواها، وكان ﷺ يحبها كثيرا، رويت في ذلك أخبار
كثيرة، ومنها الحديث المتفق عليه أنه قال ﷺ: «إن فضل عائشة على
النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وكانت رضي الله عنها
تفتخر بهذا التفضيل على صواحبها. وكانت لها ليلة من تسع ليال
كسائر زوجاته التسع، حتى رأت أمنا سودة رضي الله عنها في رسول
الله ﷺ شيئا من الصدود عنها فخشيت أن يطلقها، فطلبت منه أن
يبقيها على ذمته ويجعل ليلتها لأحب نسائه عليه: عائشة، فقبل عليه
الصلاة والسلام هذا العرض السخي.

وقصدت سودة رضي الله عنها بذلك أن يبقيا رسول الله في زوجاته حتى تكون منهن في الجمعة . وتوفيت سودة رضي الله عنها في خلافة عمر ودفنت بالبقيع ، أما عائشة رضي الله عنها فتوفيت سنة ثمان وخمسين ، ودفنت بالبقيع ليلا ، وكانت أفضه أمهات المؤمنين .

وَمِنْ نِسَائِهِ تُرَى * حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ
جَمِيلَةٌ صَفِيَّةٌ * عَبِيدَةُ تَقِيَّةٌ
طَلَّقَهَا يَوْمًا نَزَلَ * عَلَيْهِ وَحْيُ اللَّهِ جَلَّ
أَتَى بِهِ جِبْرِيلُ * مُعَاتِبًا يَقُولُ
تُطَلِّقُ الصَّوَامَةَ * وَإِنَّهَا الْقَوَامَةُ
فَرَاغِعَنَّ وَهَنَا * رَاغِعَهَا نَبِيُّنَا

ومن زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمنا حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها ، كانت زوجة لخنيس بن حذافة فلما مات عنها تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكانت جميلة تقية عابدة ، وقد طلقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات مرة فجاءه جبريل عليه السلام ، ولا يأتي إلا بأمر ربه ، فقال له : « راجع حفصة فإنها صوامة قوامة » فراجعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبقيت عنده حتى مات عنها رضي الله عنها وأرضاها .

ثَانِيَةَ اللَّوَاتِي * مِتْنَ مِنَ الزَّوْجَاتِ
بِنْتُ خُزَيْمَةَ الَّتِي * قَدْ عُرِفَتْ فِي الْمُثَبَّتِ
مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ * بِأَمِّ كُلِّ حَيٍّ

مِنَ الْمَسَاكِينِ وَمَا * عَاشَتْ سَوَى، فِيمَا نَمَى
لِعِلْمِنَا شَهْرَيْنِ * لَدَيْهِ قَبْلَ الْحَيْنِ

ومن زوجات رسول الله ﷺ أم المساكين زينب بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، وكانت عند عبدالله بن جحش فلما استشهد يوم أحد تزوجها رسول الله ﷺ من بعده، ومكثت عنده شهرين لا غير، ثم ماتت. ولم يميت في حياة رسول الله ﷺ من زوجاته إلا خديجة بنت خويلد وزينب بنت الحارث أم المساكين، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وَبِنْتُ جَحْشِ زَيْنَبُ * مِنْهُنَّ وَهِيَ تَنْسَبُ
لِعِمَّةِ النَّبِيِّ * جَاءَ مِنَ الْعَلِيِّ
الْأَمْرُ بِهَا وَهِيَ لَدَى * مَنْ كَانَ يُنْسَبُ ابْتَدَا
إِلَيْهِ بِالتَّبْنِيِّ * وَالْحَقُّ غَيْرُ الظَّنِّ
فَلَمْ يَكُنْ خَيْرُ الْوَرَى * أَبَا لَهُ بَلْ ذَا جَرَى
كَانَ بِعُرْفِ النَّاسِ * مِنْ غَيْرِ مَا أَسَاسِ
فَبَيَّنَ الْقُرْآنُ * بِأَنَّهُ بُهْتَانُ
فَزَوْجَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ * نَبِينَا نَعْمَ الْوَلِيِّ
كَانَ لَهَا الْمُدَبِّرُ * وَهِيَ بَذَا تَفْتَخِرُ
وَهِيَ التَّقِيَّةُ الَّتِي * لَمْ تَأْتَفِكْ فِي الْمُثَبَّتِ
كَانَتْ عَلَى الصَّدِيقَةِ * بَلْ كَانَتْ الصَّدِيقَةَ
لَهَا زَمَانَ الْإِفْتِرَا * وَكُلُّ إِفْكٍ قَدْ جَرَى

وَكَانَتْ الْأَطْوَلُ يَدٌ * أَيُّ أَكْرَمَ النِّسَاءِ تُعَدُّ

ومن زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمنا زينب بنت جحش رضي الله عنها، وهي ابنة عمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت زوجة لمولى رسول الله وحبه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تبني قبل الإسلام زيدا هذا على ما كان معروفا من عادة العرب قبل أن يبطله الإسلام، وبعد أن قضى زيد منها وطرا زوجها الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبطلا بذلك تلك العادة الجاهلية التي كانت تمنع الرجل من الزواج ممن كانت زوجة لابنه بالتبني كأنها زوجة ابنه من صلبه، فأبطل الله ذلك بهذا الزواج المبارك، فقال سبحانه: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾. وكانت أمنا زينب رضي الله عنها تفتخر على بقية نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله هو الذي زوجها، وحق لها ذلك الافتخار.

وقد أخبر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن زيدا قضى من زينب وطرا، وأنه سيطلقها، وأنه سبحانه سوف يجعلها زوجة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخفى ذلك النبي حرجا من الناس؛ لأن المشركين سوف يقولون: محمد يتزوج زوجة ابنه، ولكن الله تعالى أظهر ما كان يخفيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه مع شيء من العتاب حيث قال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. فلما أراد الله إبرام الأمر جعل زينب تبرم من زيد وتشعره بأنها سيدة من أشرف قريش، وأنه هو مولى

فكان يشكو لرسول الله ﷺ حاله معها كأنه يريد أن يطلقها ، فكان رسول الله ﷺ لأجل ما يجد من الحرج يقول له كما قال الله : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ .

كانت أمنا زينب بنت جحش تقية عفيفة اللسان ؛ ولذا سلمت من حديث الإفك مع أن أختها حمنة وقعت فيه مع كثير من الناس ، أما هي فكانت إذا خاض الناس في الإفك وسمعت مما يقولونه شيئا سدت أذنيها وقالت : أحمي سمعي وبصري . وكانت سخية ودودة تحرص على جبر خاطر رسول الله ﷺ فتدخر له العسل فإذا مر بها سقته منه . وقد توفيت عام فتح مصر ، وكان رسول الله ﷺ يقول لنسائه : «أولاكن لحاقا بي بعد موتي أطولكن يدا» فكانت كل واحدة منهن تمد يدها مع صواحبها لترى إن كانت هي المقصودة ، فلما ماتت زينب قبلهن جميعا علمن أنه قصد بطول اليد السخاء والكرم .

وَمِنْ نِسَاءِ أَحْمَدَا * هِنْدُ ابْنَةُ الَّذِي لَدَى
سَفَرِهِ يُعْتَبَرُ * زَادًا لِمَنْ يُسَافِرُ
صَحْبَتُهُ وَهِيَ أُمُّ * سَلْمَةَ الَّتِي عَلِمَ
بِأَنَّهَا مِنْ بَعْدِمَا * كَانَ ابْنُهَا تَيْتَمًا
تَزَوَّجَتْ خَيْرَ الْبَشَرِ * وَكَانَ رَأْيُهَا الْأَبْرَ

ومن زوجاته ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية زاد الركب ، لقب بذلك لأنه كان إذا سافر معه الناس لا يسمح لأحد أن يخرج شيئا من زاده

وذلك لفرط كرمه . وقد توفي عن أم سلمة زوجها وابن عمها أبو سلمة الذي كانت هاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، فحزنت حزنا شديدا ، فأخبرت بحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : « من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتى واخلفني خيرا منها ، أخلفه الله خيرا منها وأثابه عليها » فقالت : وأي رجل خير من أبي سلمة ؟ ولما حلت خطبها رسول الله ﷺ فلما تزوجته ، كانت تقول : فكان رسول الله ﷺ خيرا من أبي سلمة .

كانت أم سلمة رضي الله عنها ذات رأي شديد ، وقد مر بنا في صلح الحديبية حين تأخر الصحابة في تنفيذ أمر رسول الله ﷺ لما أمرهم أن يتحللوا وينحروا الهدى ، كيف أشارت عليه ﷺ أن يبدأ بنفسه ويتركهم فنزل عند رأيها ، فبادر الناس يأتون به في ذلك حتى يقتتلون عند الحلاق . وقد توفيت أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها سنة إحدى وستين من الهجرة ودفنت بالبقيع .

ثُمَّ مِنَ الزَّوْجَاتِ * زَوْجَاتِهِ الْأُمَّاتِ
لَنَا الَّتِي لِقَوْمِهَا * قَدْ عَتَقَتْ فِي يَوْمِهَا
وَذَاكَ فِي الْمُحَقَّقِ * يَوْمُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
أَضْحَتْ جُوَيْرِيَةَ ضِمًّا * مِنْ سَبِيهِمْ وَقَدْ قُسِمَ
إِذْ هِيَ مِنْ نَصِيبِ ثَا * بِتِ بِذَاكَ حُدُّثَا
كَانَتْ جَمِيلَةً لَبِي * بَةً فَجَاءَتْ لِلنَّبِيِّ

تُرِيدُ أَنْ تُعَانَا * فِي عِتْقِهَا فَكَانَا
لَهَا نَصِيبٌ أَوْفَرُ * حَيْثُ غَدَتُ تُعْتَبَرُ
فِي عِصْمَةِ الْمَعْصُومِ * لَمْ يَكُ بِالْمَلُومِ
وَتَمَّ عِتْقُ أَهْلِهَا * جَمِيعِهِمْ لِأَجْلِهَا

ومن نساء رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية رضي الله عنها، غزا رسول الله ﷺ قومها بني المصطلق فوقع فيهم الأسر والسبي فكانت في سبيهم، فوقع في سهم ثابت ابن قيس الأنصاري، وهي ابنة زعيم قومها، وكانت جارية جميلة مهذبة، فافتدت نفسها بعشرين أوقية من الذهب تدفعها له نجوما: أي أقساطا، فجاءت إلى النبي ﷺ تستعينه في ذلك، فقالت: يا رسول الله، إني افتديت نفسي من ثابت بن قيس بعشرين أوقية أقساطا فأعني. فقال لها رسول الله ﷺ: «أوغير ذلك تريدين؟» قالت: فما هو يا رسول الله؟ قال: «أدفع عنك النجوم لابن قيس وأتزوجك» فرضيت بذلك، فتزوجها ﷺ على ذلك. فلما علم الصحابة أن بني المصطلق أصبحوا أصهار رسول الله ﷺ قالوا: لا يصح أن نسترق أصهار رسول الله ﷺ ولا نتخذهم عبيدا، وهكذا أعتقت جويرية رضي الله عنها مائة أسرة من قومها بسبب زواجها من رسول الله ﷺ؛ ولهذا قيل فيها: إنها كانت أبرك عرس على قومها رضي الله عنها. ومن بركتها عليهم أن أباهما ساق ذودا من الإبل ليفتيديها، فلما وصل إلى

العقيق أخفى من تلك الإبل ناقتين سمينتين، وجاء إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعلم أنه قد تزوج ابنته، وقال: يا محمد، هذه الإبل أفدي بها ابنتي جويرية. فقال له رسول الله ﷺ: «وأين الناقتان السمينتان اللتان تركتهما في العقيق؟» فقال الحارث: والله يا محمد ما علم بهذا أحد غيري، فمن أخبرك به؟ قال: «أخبرني ربي». فشهد الحارث شهادة الحق، فرد عليه رسول الله ﷺ إبله. وقد توفيت أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها سنة ست وخمسين من الهجرة.

وَرَمَلَةٌ بِنَةُ أَبِي * سَفِيَانٍ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ
مِنْ أَفْضَلِ الزَّوْجَاتِ * نِعْمَ الْفَتَاةُ يَأْتِي
وَالِدَهَا وَهُوَ إِلَى * ذَاكَ عَلَى دِينِ الْمَلَا
مِنْ قَوْمِهِ فَتَجْمَعُ * عَنْهُ الْفَرَاشُ تَمْنَعُ
لَأَنَّهُ مَا عَبَدَا * مَوْلَاهُ أَوْ تَشَهَّدَا

ومن أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات أم حبيبة رملة ابنة أبي سفيان بن حرب رضي الله عنها، عقد عليها رسول الله وهي بأرض الحبشة، وذلك لأنها كانت هاجرت مع زوجها عبیدالله بن جحش إلا أنه تنصر ومات في الحبشة، وقد فارقتة وثبتت على إسلامها، فأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أبي أمية إلى النجاشي يخطبها عنده فزوجه إياها، وتولى عقدها ابن عمها سعيد بن العاص وقيل: عثمان بن عفان. فلما كلم النجاشي رملة بخطبة النبي ﷺ لها

فرحت فرحا شديدا [وحق لها] وكست الجواري اللاتي جئنها بالخطبة، وخلعت عليهن ما معها من الحلي والزينة، وكان النجاشي قد أسلم قبل ذلك فسأل: كم كان النبي ﷺ يمهر زوجاته؟ فقيل له: كان يعطيهن أربعمائة درهم، فقال النجاشي: نجعلها إذاً دنائير ذهب.

ولما سمع أبو سفيان بالخبر، وكان لا يزال على كفره، قال معبرا عن رضاه بالمصاهرة: محمد فحل كريم لا يقدر أنفه. ثم أرسلت إلى المدينة بعد ذلك. وتقدم من مناقبها ما فعلته مع أبيها يوم جاء المدينة يحاول إصلاح غدرة قومه، وكيف منعتة أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ؛ لأنه رجل مشرك. توفيت رضي الله عنا سنة أربع وأربعين من الهجرة.

وَمِنْ كَرِيمَاتِ النِّسَاءِ * وَمَنْ بِهِنَّ يُؤْتَسَا
فِي الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ * وَأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ
صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ * تِلْكَ الَّتِي مِنْ قَوْمِ حَيٍّ
خَيْبَرَ إِذْ لَهَا انْتَقَى * نَبِيُّنَا فَأَعْتَقَا
وَكَانَ ذَاكَ الْمَهْرُ * لَهَا فَتَمَّ الْأَمْرُ

ومن أمهات المؤمنين الطاهرات صفية بنت حيي من بني النضير يعود أصلها إلى نبي الله هارون عليه السلام، اصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه يوم فتحه خيبر، وهي ابنة سيد قومه، فتزوجها وجعل عتقها مهرها، فقال الصحابة: ما ندري أي جارية سرية أم زوجة؟ فلما ضرب ﷺ عليها الحجاب علموا أنها زوجة. ورأى رسول الله ﷺ ندبة

في وجهها فسألها عن ذلك؟ فقالت: إني رأيت رؤيا قبل أسبوع، وهي أن القمر سقط في حجري فكلمت زوجي فلكمني وقال: تريدان أن يتزوجك محمد ملك العرب، أو كلمة نحوها؟ ولما غيرتها بعض نساء رسول الله ﷺ بأصلها اليهودي، علمها رسول الله ﷺ أن تفاخرهن فتقول: «إن زوجي نبي، وجدي هارون نبي، وعمي موسى نبي. فأيتكن تحظى بمثل هذا؟» وكانت رضي الله عنها عابدة تقية، وقد توفيت عام خمسين من الهجرة.

وَأَخِرُ الزَّوْجَاتِ * لَهُ فِي ذِي الْحَيَاةِ
 هِيَ الَّتِي تَزَوَّجَا * بِهَا غَدَاةَ خَرَجَا
 لِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ * مِنْ خَيْرَةِ النِّسَاءِ
 كَانَتْ وَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ * بَعْدَ وِفَاتِ زَيْنَبِ
 بِنْتِ الْهَلَالِيِّ فَعِ * وَهِيَ بِبِلَا مُنَازِعِ
 شَقِيقَةُ مَيْمُونَةَ * لِأُمَّنَا مَيْمُونَةَ
 فَهَؤُلَاءِ هُنَا * زَوْجَاتُهُ وَعَنَا
 ذَكَرُ اللَّوَاتِ مَا دَخَلَ * بِهِنَّ لَكِنَّ قَدْ حَصَلَ
 عَقْدٌ لَهُنَّ ذَكَرُوا * ثِنْتَانِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ
 كَذَا السَّرَارِيِّ وَذَكَرُ * نَحْوُ الثَّلَاثِ فَادَّكِرُ

وآخر زوجاته ﷺ: ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها بعد فتح خيبر وهو في عمرة القضاء أو في طريقه إليها، وقد قال البعض: إنه

تزوجها أي عقد عليها وهو محرم، وذكر البعض أنه تزوجها بعد انتهائه من العمرة، والمشهور أنه أرسل إليها قبل إحرامه بالعمرة من يزوجه إياها، وكان زواجه بها بعد وفاة أختها عنده التي هي أم المساكين زينب بنت الحارث. ودخل ﷺ بميمونة بوادي سرف، وفيه توفيت فأمرت أن تدفن في المكان الذي دخل بها رسول الله ﷺ فيه وذلك كما في سير أعلام النبلاء عام واحد وخمسين من الهجرة.

فهؤلاء هن أزواجه اللاتي دخل بهن، وذكروا من النساء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن اثنتين، إحداهما كشف عنها ثوبها فوجد بها برصا فأمرها أن تعود إلى أهلها وأعطها مهرها وزاد ثم طلقها. والثانية يقال إنه لما دخل عليها استعادت بالله منه فطلقها وما مسها فحاول أهلها أن يراجعها فأبى ﷺ ذلك، وفعل معها من المهر ما فعل في التي قبلها: أي دفع لها مهرها كاملا وزاد. وقد استأذنه أهلها أن يزوجها غيره فأذن لهم.

وأما السريتان المتفق عليهما فأولاهما أم إبراهيم مارية القبطية التي تقدم أنها أهداها له ملك مصر فأولدها ﷺ ابنه إبراهيم رضي الله عنه. والثانية: اسمها ريحانة، وهي من سبي بني النضير وقيل: بني قريظة، وهذه ذكر البعض أنها زوجة، وليست سرية، ولم يشهر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أولاد النبي ﷺ

ثَلَاثَةٌ أَبْنَاءُ * خَيْرِ الْوَرَى وَجَاءُوا
بِذِكْرِ رَابِعٍ وَمَا * سَلَّمَ جُلُّ الْعُلَمَاءِ
بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ * وَكُلُّهُمْ يَعُودُ
لَأُمَّنَا ابْنَةَ خُوَيْ * لِدِ سِرَاجِ كُلِّ حَيٍّ
مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ * مَنَا وَمِنْ كُلِّ الْأُمَمِ
فِي مَا عَدَا ابْنَ مَارِيَةَ * فَهُوَ ابْنُ تِلْكَ الْجَارِيَةِ
ثُمَّ الْبَنَاتُ أَرْبَعٌ * وَكُلُّهُنَّ جُمِعُوا
مِنْ أُمَّنَا الرَّحِيمَةِ * خَدِيجَةَ الْكَرِيمَةِ
مِنْ الذُّكُورِ يُذَكَّرُ * قَاسِمُهُمُ وَالطَّاهِرُ
وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ * ثَالِثُهُمُ وَاللَّهُ
هُوَ ابْنُ مَارِيَةَ إِبْد * رَاهِيمُ ذَاكَ الْمُنْتَسِبِ
لِخَيْرٍ مَنْ قَدْ أُرْسِلَا * لِلْعَالَمِينَ فَجَلَا
بِنُورِهِ الظَّلَامَا * وَنَشَرَ السَّلَامَا
أَمَّا بَنَاتُ أَحْمَدَا * فَزَيْنَبُ وَعَدَدَا
فَقُلُّ رُقَيْيَةَ وَأُمُّ * كُلُّشُومِ تُمَّتْ تَضَمُّ
فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ * مَا مِثْلَهَا النِّسَاءُ
وَكَلُّ مَوْلُودٍ لَهُ * قَدْ كَانَ مَاتَ قَبْلَهُ

سَوَى الْبَتُولِ فَاطِمَةَ * فَمَوْتَهَا بَعْدُ أَعْلَمَهُ

قال ابن كثير في البداية والنهاية: لاختلاف أن جميع أولاده من خديجة ابنة خويلد سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية.

قال رواية عن ابن عباس قال: وكان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم ثم زينب ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فمات القاسم، وهو أول ميت من ولده بمكة، ثم مات عبدالله، فقال العاص ابن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتري، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَنْعَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. قال: ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، فمات ابن ثمانية عشر شهرا. وروى عن الزبير بن بكار قال: أخبرني عمي مصعب بن عبدالله قال: ولدت خديجة القاسم والطاهر، وكان يقال له الطيب، ووُلد الطاهر بعد النبوة ومات صغيرا، واسمه عبدالله، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم. قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبدالله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم. قال: وقال الزبير بن بكار: كانت خديجة تذكر في الجاهلية بالطاهرة بنت خويلد، وقد ولدت لرسول الله ﷺ القاسم، وهو أكبر ولده وبه كان يكنى، ثم زينب ثم عبدالله. وكان يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، ولد بعد النبوة ومات صغيرا، ثم ابنته أم كلثوم ثم فاطمة، ثم رقية، هكذا ترتيبهم الأكبر فالأكبر.

الخاتمة

نسأل الله تعالى حسنها

فِي غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ * عامَ تَشَابُلِ ١٤٣٣ الْعَمِي
فَجْرًا جَرَى الَّذِي أَوْدَ * إِذْ عَمَّنِي فَضْلُ الصَّمَدِ
فَتَمَّتِ الْمُثِيرَةُ * شَذَا عَطُورِ السَّيْرِ
ضَعِيفَةَ الْمَبَانِي * قَلِيلَةَ الْمَعَانِي
وَلَا تَفِي بِالْقَصْدِ * وَلَمْ تَكُنْ لِتُجْدِي
دُونَ قَبُولِ أَكْمَلِ * لَهَا مِنَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ
فَإِنْ يَقَعُ قَبُولُ * أَوْ أَمَكْنَ الْوُصُولُ
بِهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ * فَنِعْمَتِ الْبِضَاعَةِ
إِلَّا... رَبِحْتُ أَنِّي * بِحُبِّهِ أُغْنِي
صَلَّى عَلَيْهِ رَبِّي * وَآلِهِ.. وَحَسْبِي
أَنِّي هُنَا الرَّحِيمُ * وَالرَّازِقُ الْكَرِيمُ
بِهَا طَرَقْتُ بَابَهُ * مُنْتَظِرًا ثَوَابَهُ
وَمَنْ رَجَا النَّوَالَ * مِنَ الْكَرِيمِ نَالًا
أَبْيَاتُهَا (تَشَاوَشَا) * مِنْنِي (الْغَشَاءُ وَالْعَشَا
ثُمَّ بِهَا رَجَوْتُ * رَبِّي لِمَنْ بَلَوْتُ

فَأَشْبَهَا الْجَدَّ أَبَا * بَكَرٍ إِذَا مَا وَهَبَا
شَفَاعَةَ النَّبِيِّ * بَعْدَ رِضَا الْعَلِيِّ
ثُمَّ صَلَاحَ الْحَالِ * وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ
وَالْمَالِ وَالْأَعْمَالِ * وَكُلُّ أَمْرٍ غَالٍ
عَلَيْهِمَا فِي ذِي الدُّنَا * وَبَعْدَهَا يَا رَبَّنَا
أَحْسِنْ إِلَى الْبِرِّ الْوَفِيِّ * وَالْآخِرِ الْمُتَّصِفِ
بِأَجْمَلِ الْمَعَانِي * كَيْفَ بَمَنْ أَعْزَانِي
رَبِّي بِهِ أَعْزَانَاهُ * مَوْلَاهُ عَنِ سِوَاهُ

في ساعة متؤخرة قبيل أذان فجر اليوم الأول من شهر المحرم من عام
ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف ٤٣٣ للهجرة النبوية تم بفضل الله
الانتهاء من نظم آخر بيت من هذه المنظومة، وقد رمزت للسنة بما ترمز
له حروف (تشابل) بالعد المغربي، فالتاء عندنا يرمز بها لأربعمائة
والشين لألف، والألف لواحد، والباء لاثنين، واللام لثلاثمائة.
فمجموع ذلك هو ما ذكرت. ومعنى تشابل العمى: أي تظاهر الجاهل
أعمى القلب بأنه شبل، وهذا العام هو الذي بدأت فيه أحداث الشام
الأليمة. في هذا التاريخ تمت عليّ نعمة ربي بإكمال هذه المنظومة
التي أسميتها (بالمثيرة شذا عطور السيرة) وهي في سيرة المصطفى مع
اعترافي بقصورها عما رمت، ولكن شيئاً أفضل من لا شيء.

فإن قبلها ربي مني كما رمت فذاك الذي رجوت وإلا فإني ربحت بها
أني أنشأت أغنية أعبر بها عن حبي للمصطفى صلوات الله وسلامه
عليه الذي لا يؤمن أحد حتى يكون أحب إليه من نفسه وولده والده
والناس أجمعين. وقد بلغت أبيات هذه الأرجوزة ثمانية أبيات
وخمسمائة وألفي بيت من مزدوج مجزوء الرجز. وقد رمزت لهذا
العدد بعبارة «تشاوشا مني» من البيت: (أَبْيَاتُهَا تَشَاوَشًا مَنِّي)
الغِشَاءُ وَالْعَشَاءُ) ومعناها: تنازعني فيها: الغشاء: ما تغشى القلب.
وأردت به بيان جهلي لكثير من مسائل العلم. والعشا مقصورة: سوء
البصر بالليل والنهار. وأردت به: سوء فهمي لصعاب العلم.

ومع ذلك فإني أتوسل بها لربي أن يثيبني بها أجمل الثواب، وهو
سبحانه الكريم المنان، ومن طرق باب كريم نال سؤله، ثم استفضت
أدعو لكل من له علي يد بإحسان، مشيرا إلى من لا أستطيع أن أنسى
فضلهما علي، وهما الكريمان الوفيان من نسل أبي بكر الصديق رضي
الله عنه، وهما الذان يتمثلان دائما ما عرف عن جدهما من سخاء
فيحاولان تلمس خطواته في ذلك، وكثيرا ما يصيبان إن لم أقل:
دائما. أرجو الله لي ولهما الفوز بمرضاته والتوفيق في كل خطوة
نخطوها في أمور ديننا ودنيانا إنه ولي ذلك والقادر عليه. ولم
أذكرهما بالإسم تحاشيا لإحراجهما.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على السراج المنير سيدنا ومولانا
وحبيبنا محمد بن عبد الله خاتم رسل الله.

الفهرس

٥	تقديم
٦	النظم
١٩٣	مقدمة الكتاب
١٤٢	نسبه ﷺ
١٤٣	مولده ﷺ
١٤٦	رضاعه في بني سعد
١٥٠	شق صدره ﷺ
١٥٢	تيتمه ﷺ
١٥٤	الاستسقاء به
١٥٥	قصة بحيرى الراهب
١٥٨	حضوره حرب الفجار
١٨٩	حلف الفضول
١٦٠	التجارة في مال خديجة ثم زواجه بها
١٦١	تجديد بناء الكعبة
١٦٧	آثار تتعلق ببناء الكعبة
١٦٨	بعض ما عرف به قبل البعثة
١٧١	المبشرات ببعثه
١٧٣	بدء نزول الوحي
١٧٧	فترة الوحي

١٨١	بدء الدعوة
١٨٥	الجهر بالدعوة
١٨٨	بعض ما لاقى من المستهزئين
١٩٣	الهجرتان إلى الحبشة
٢٠٠	إسلام حمزة
٢٠٥	مساومة المشركين له
٢٠٩	الحصار
٢١٣	نقض الصحيفة
٢١٦	آخر وفود قريش
٢١٩	عام الحزن وزواجه بسودة
٢٢٤	الهجرة إلى الطائف
٢٣٢	عرض الإسلام على القبائل
٢٣٩	زواجه بعائشة
٢٤٠	الإسراء والمعراج
٢٤٩	بيعة العقبة الأولى
٢٥٠	سفارة مصعب إلى المدينة
٢٥٥	بيعة العقبة الثانية
٢٦٤	الهجرة إلى المدينة
٢٧٧	في الطريق إلى المدينة
٢٨٥	النبي ﷺ يصل المدينة

٢٩١	أول أعماله في المدينة
٢٩٧	الإذن بالقتال
٣٠٠	الأبواء أول غزواته
٣٠١	غزوة بواط
٣٠٢	غزوة سفوان
٣٠٣	غزوة ذي العشيرة
٣٠٥	سرية نخلة
٣٠٩	غزوة بدر الكبرى
٣٤١	غزوة بني سليم
٣٤٢	المؤامرة لقتله ﷺ
٣٤٧	غزوة بني قينقاع
٣٥١	غزوة السويق
٣٥٣	غزوة ذي أمر
٣٥٤	قتل كعب بن الأشرف
٣٥٩	غزوة بحران
٣٥٩	سرية زيد
٣٦٢	غزوة أحد
٣٨١	سرية أبي سلمة إلى بني أسد
٣٨٣	بعث الرجيع
٣٨٧	مأساة بئر معونة

٣٩٠	غزوة بني النضير
٣٩٥	غزوة بدر الثانية
٣٩٧	غزوة دومة الجندل
٣٩٩	غزوة الخندق
٤١٤	غزوة بني قريظة
٤١٩	مقتل ابن أبي الحقيق
٤٢٣	غزوة بني المصطلق
٤٢٨	حادثة الإفك
٤٣٤	بين المريسيع والحديبية
٤٣٧	صلح الحديبية
٤٥٥	مكاتبة الملوك
٤٦٥	غزوة الغابة
٤٦٨	غزوة خيبر
٤٧٥	وضع السم له ﷺ
٤٧٦	زواجه بصفية
٤٧٧	فتح فدك
٤٧٨	فتح وادي القرى
٤٧٩	فتح تيماء
٤٧٩	عمرة القضاء
٤٨٢	معركة مؤتة

٤٨٨	فتح مكة
٥٠٦	غزوة حنين
٥١٢	غزوة الطائف
٥١٨	غزوة تبوك
٥٣٠	حجة الوداع
٥٣٥	الرحيل إلى الرفيق الأعلى
٥٤٨	زوجاته ﷺ
٥٦١	أولاده ﷺ
٥٦٣	الخاتمة نسأل الله حسنها
٥٦٦	الفهرس